

إحياء
علوم الدين

الإمام أبو حامد الغزالي

المجلد الثاني

مكتبة جامعة القاهرة

أ. ط. أ. الشيخ محمد عبد الوهاب

عطف على دار

حرف القاهرة، ط. ١٩٦٣

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور زيدوني طه

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الثالث

دار النشر: المكتبة العربية
ميسى الياباني ايجلبي وشركاه

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(فرقان كرم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)
وهو الأول من ربيع الهللكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره
الأحداق والنواظر ، الطالع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، للستفي في تدبير مملكته
عن المشاور وللوازر ، مقبل القلوب وغفار الذنوب ، وستار العيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة
على سيد المرسلين ، وجامع فحول الدين ، وقاطع دابر الملحدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ،
وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرف الإنسان وفصيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله
مبجائه التي هي في الدنيا جماله وكاله وغره وفي الآخرة عذبه وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بمجرد
من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو التقرب إلى الله وهو العامل له وهو الساعي إلى الله وهو
الكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها
استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو القبول عند الله إذا سلم من
غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو الطالب وهو المخاطب وهو العائذ وهو
الذي يسعد بالتقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يحجب ويشق إذا دنسه ودماء وهو للطبع
بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي للتمرّد على
الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من القواحي آثاره ، وباطلاؤه وانتشاره تظهر بحاسن الظاهر
ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه
قد عرف ربه وهو الذي إذا جهله الإنسان قد جهل نفسه وإذا جهل نفسه قد جهل ربه ومن جهل
قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن
الله يحول بين الرء وقلبه ويحولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية قلبه
بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين
وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم اللامسكة للقرين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه وبراعيه
ويترصد لما يلوح من خزائن اللسكوت عليه وفيه فهو عن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم
أولئك هم الفاسقون - لمعرفة القلب حقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب شرح عجائب القلب)

[الباب الثلاثون في
تفاصيل أخلاق

الصوفية]
من أحسن أخلاق
الصوفية التواضع ولا
يلبس البدليسة أفضل
من التواضع ومن ظفر
بكنز التواضع والحكمة
يقيم نفسه عند كل
أحد مقدارا يعلم أنه
يقيم ويقيم كل أحد
على ما عنده من نفسه
ومن رزق هذا قد
استراح وأراح وما
يقبلها إلا المألون .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ القدسي
قال أنا عثمان بن عبد الله
قال أنا عبد الرحمن
ابن إبراهيم قال ثنا
عبد الرحمن بن حمدان
قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات للهلكات والنجيات وهو العلم الباطن فلبدأنا بقدّم عليه كتابين كتاب في شرح محاسن صفات القلب وأخلاقه وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تندفع بعد ذلك في تفصيل للهلكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح محاسن القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بجوانبه وأسواره الداخلة في جملة عالم اللسوك مما يكل عن ذكره أكثر الأفهام .

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو الزاد بهذه الأسماء)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في حقّ السوء من محيط بهذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الألفاظ منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشترائها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بفرعنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الصوري الشكل للودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعده ، ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبيت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ ذكره البهائم بحاسة البصر فضلائع الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسدي تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو الدرك العالم العارف من الانسان وهو الخاطب والمقاب والمقاب والطالب ولها علاقة مع القلب الجسدي وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يشأه تعلق الأغراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتكمن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بعلوم المكشوفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا العلوم العامة . والثاني أن تحقيقه يستدعي إنشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، وللقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعمّ العاملة يغتر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يغتر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بمجنس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسدي فينشر بواسطة الروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وقيام أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يشأه فيض النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينشئ إلى جزء من البيت إلا ويستقر به والحياة مثالها النور الحاصل في المحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ لا يتعلق به غرض الأطباء الذين يالجون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين العالمين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً . المعنى الثاني هو اللطيفة العاملة للدركة من الانسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم ففلمت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يفتس بضمكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال علي البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة المظلوم والبعد ويقل المجدية ولو أنها جبر عقاباً وخلفاً رتب ويكافئ عليها أو يكافئ

شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذى أرادته الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضا مشترك بين معانيه ويتعلق بضرمنائه معنيان : أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سأتى شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات للذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك (١) » . المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس اللطيفة قال الله تعالى في مثلها - يا أيها النفس اللطيفة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذالم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعرضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز - وما أرى نفسي إلا نفس لأماراة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مدمومة غاية الهم والمعنى الثاني محمود لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، وللتعلق بضرمنائه من جعلها معنيان : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم عقائقي الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الوجود والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني المدرك وهو المراد بقوله عليه السلام « أول ما خلق الله العقل (٢) » فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذن قد استكشفنا أن معنى هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسائي والروح الجسائي والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معاني يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة للمدرك من الإنسان والألفاظ الأربعة مجتمعتها تواردها على المعاني خمسة والألفاظ الأربعة وكل لفظ يطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد اتفقت عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها فترام يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد بينا عن القلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتلقها الأول بالقلب وكأنه عليها ومملكتها وغالما ومطيئها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالكبرسي فقال القلب هو العرش

ولا يستكبر عن إجابة لأمة والمساكين وأخبرنا أبو زرعة بإجازة عن ابن خلف بإجازة عن السلي قال أنا أحمد بن علي المقرئ قال أنا محمد بن أبي الهيثم قال سليمان بن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من الجلس وأن لا تحب الدعة والتزكية والبر » وورد أيضا عنه عليه السلام « طوبى لمن تواضع من غير

(١) حديث أعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الروايات (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل أراد به أنه تملكه
والجبري الأول لتدبيره وتصرفه فمهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم
هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بمرضا فلنجاوزه .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى - وما علم جنود ربك إلا هو - فله سبحانه في القلوب والأرواح وغيرهما من العالم جنود مجتدة
لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فوالله يعلو برضا
وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم
والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده للشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر
الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو للتصرف فيها والرد لها وقد
خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فإذا أمر العين بالانفتاح افتحت وإذا أمر
الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم بالحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء
والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون
له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم
السلام عالة بطاعتها وامتثالها والأجناف تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر
لها من نفسها ومن طاعتها القلب وإنما اقتصر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب وانزاد
لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع للنازل إلى لقائه فلا جله خلقت القلوب قال
الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده العلو وإنما الأسباب
التي توصله إلى الزاد وتمسكه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه
مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان للزل الأذى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى للمزتين فاضطر إلى أن
يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فاقتصر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما
يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينفيه من أسباب الهلاك
فاقتصر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فضلق
في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات فاقتصر لأجل دفع
المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد
والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمر خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها
ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلقه فاقتصر للعبرة إلى جندين باطن وهو
إدراك السمع والبصر والشم والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه
الحاجة إليها وجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في
كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى
جلب النافع فليوافق كالشهوة وإما إلى دفع البضار النافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة
والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود ماثورة
في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو للدرك التعرف للأشياء كالجواسيس وهي
قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي ماثورة في أعضاء ماثورة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء للركبة من الشحم والجمع والعصب

منقصة وذلك في نفسه
من غير مسكنة مثل
الجنيد عن التواضع
فقال خفض الجناح
ولين الجانب . وسئل
الفضيل عن التواضع
فقال تخضع للحق
وتتقاه وتقبله عن
قائه وتسمع منه . وقال
أيضا من رأى لنفسه
قيمة فليس له في
التواضع نصيب . وقال
وهب بن منبه مكتوب
في كتب الله إني
أخرجت الدر من
علب آدم فلم أجد قلبا
أشد تواضعا إلى من
قلب موسى عليه
السلام فلذلك أصطفيته
وكلمته ، وقيل من
عرف كوامن نفسه
لم يطمع في اله لو

والدم والمظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تشكك في الجنود الظاهرة أعنى الأعضاء فاتهم من عالم الملك والشهادة وإنما تشكك الآن فيما أبدت به من جنود لآروها وهذا الصنف الثالث وهو الدرر من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيذكر صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الخافضة فينكر فيما يحفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات في الباطن حس مشترك تخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والتفكير والذكر والتخيل لكان الدماغ غوا عنه كالتخيل اليد والرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وتشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن يفتنه به الأقوياء والقحول من العلماء ولكننا نتجهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان للقلب أحيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو يصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بنى ونجد حتى يسلكاه ويستعبده وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد والقلب جنود آخرون هو العلم والحكمة والتفكير كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجنود فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جنود الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خبرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم في تفكير العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعنى بالنفس اللطيفة للذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناعات والعملة والقوة العقلية المنكسرة له كالشراير الناصح والوزير الماثل والشهوة له كالعبد الموهوب يجلب الطعام واللبدة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والمبدي الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يشتمل بصورة الناصح ونحت نصيحة الشر الماثل والسم القاتل ودينته وعاداته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتديراته حتى إذا لا تخول من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته بوزيره ومستشير له ومعارضه إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بإشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وسامه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاسامته وأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأبدت بحجة الغضب وسلطها على الشهوة واستعانت بأحداهما على الأخرى قارة بأن تقلل مرتبة الغضب وولائه بخدمة الشهوة واستدراجها وتارة بجمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتضييق مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأمثله الله على علم - وقال تعالى سوا تبغ هواه فقله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهي النفس عن الهوى

والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخافهم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حنيفة من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليترحم بحرمهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدي بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء دمية ومطية العمل التواضع . وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقلبه صوفي وغنى متواضع وقدير هاكرو شريف سخي . وقال الجلال دولا لشرف التواضع كذا إذا مشينا نخطر وقال يوسف بن أسباط وقد مثل ما غاية التواضع قال أن تخرج

— وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي أنأوى — وسبب كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسيط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . الثالث الثاني : اعلم أن البدن كالمدينة والمقل أعني للدرك من الانسان كذلك مدبرها وقواه للدرك من الحواس الظاهرة والباطنة بكنونه وأحواله وأعضاؤه كرميته والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كمدو ينازعه في ملكته ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وتروقه كسقم فيه رابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يجب حمد الله إذا غاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى — والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة — وإن ضيع ثمره وأهل رعيته ذم أمره فاتقوا الله تعالى فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الصالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك (١) كما ورد في الخبر إلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» (٢) للثالث الثالث : مثل المقل مثال فارس متصيد وشهوته كفسره وغضبه ككلبه فتي كان الفارس حادقا وفرسه مرونا وكلبه مؤدبا مطا كان جديرا بالنجاح ومقي كان هو في نفسه أخرق وكان القرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه يبتعثه منقادا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطى فضلا عن أن ينال ما يطلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماع الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بطلفه .

(بيان خاصية قلب الانسان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الأدمي إذ لا حيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى القذبة بينها فتعلم عداوتها بقلها فتقرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلذلك ما يخص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشارك فيها الحيوانات بل العلوم السككية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل قابلية الأمر وطريق الصلاح فيه انبث من ذاته شوق إلى جهة للصلة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يريد بها ويطلبها ويسئل للمال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين اللزخ والمائل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للعرف بمواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضالعا على التحقيق فاذن قلب الانسان اختص بعلم وإرادة يفك عنها سائر الحيوان بل يفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم قبله بدرجتان : إحداها أن يشتمل قلبه

من بيتك فلا تلق
أحدا إلا رأيته خيرا
منك ورأيت شيخنا
ضياء الدين أبا التحيب
وصكنت معه في
سفره إلى الشام وقد
بث بعض أبناء الدنيا
له طعاما على ردوس
الأسارى من الأفرنج
وم في قيودهم فلما
مدت السفارة والأسارى
يتنظرون الأواني حتى
تضرب قال الخادم
أحضر الأسارى حتى
يقعدوا على السفرة مع
الفقراء فجاء بهم
وأقدم على السفرة
صفا واحدا وقام الشيخ
من سجاده ومضى
إليه وقعد بينهم
كالواحد منهم فأكل
وأكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل بطلنه

(١) حديث يقال يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الصلوة الجهر لم أجد له أصلا (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

على مائر العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة للتجليات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب القدي لا يعرف من الكتابة إلا الدولة والقلم والحروف المفردة دون للركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالحزونة عنده فاذا شاء رجع إليها وحاله حال الحائض بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن يكن مباشرًا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يفاضت الخلق فيها بكثر المعلومات وقتها وبحرف المعلومات وخسبها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بالمقام إلى على سبيل البداة والكافة وبعضهم يتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا اللقائم تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تتكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلى في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قريبًا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقب هذه الدرجات هي منازل السالكين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بانه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علمًا لكن قد يصدق به إيمانًا بالقراب كما أنا تؤمن بالنبوة والتي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسك لها - وهذه الرحمة مبدئية بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا تفرسوها لها » (١) والتمرض لها بتطهير القلب وتزكيت من الخبث والكسوة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سبع الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا » (٢) وقوله تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا » (٣) كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تنجب عن القلوب ليعمل ومنع من جهة اللتم ، تعالى عن البخل والتمنع علوا كبيرا ولكن حببت لخبث وكسوة وعقل من جهة التلويب فان القلوب كالأواني لمادامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها للفرقة بجلال الله تعالى وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٤) ومن هذه الجملة يبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

من التواضع في
والانكسار في نفسه
وانسلاخه من التكبر
عليهم بإيمانه وعلمه
وعمله. أخبرنا أبو زرعة
إجازة عن أبي بكر بن
خلف إجازة عن السلي
قال سمعت أبا الحسين
القاسري يقول سمعت
الجريري يقول سمع
عند أهل للفرقة أن
للدين رأس مال خمسة
في الظاهر وخمسة في
الباطن فأما الباطن في
الظاهر فصدق في
السان وسعاوة في ذلك
وتواضع في الأيدان
وكف الأذى واحتاله
بلاياؤه . وأما الباطن في
الباطن فطلب وجود
سيده خوف التراق
من سيده ورجاء
الموصول إلى سيده

- (١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد
وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي الحديث لم أجده أصلا
إلا أن صاحب الفردوس خرج من حديث أبي البرداء ولم يذكر له ولمه في مسند الفردوس
إسناده (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث
أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث أحد من حديث
أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعالم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته
التي لأجله خلق وكما أن القرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويخضع عنه بخاضية الكر والقر
وحسن الهيئة فيكون القرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية فان تمطلت منه نزل إلى حضير رتبة الحمار
وكذلك الانسان يشارك الحمار والقرس في أمور ويشاركهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصيتين
صفات للامثلة للقرين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم وللانسان فان الانسان من
حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويشرك بالاختيار حيوان ومن حيث صورته وقامته
فكالمسورة النعوشة على الحائط وإعما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالامثلة الحقيقي بأن يلحق بهم وجدر بأن يسمى
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صوابات يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام قد انحط إلى
حضير أفق البهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شرها تكثير وإما ضرباً ككلب أو سنوراً وحقوقاً
كجمل أو متكبراً كذئب أو ذا روغان ككلب أو يجمع ذلك كله كشيخطان مرید ومامن عضو من
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويعين الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتى
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وخجلة
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعنى للدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط ملكة كالمملك ويجرى
القوة الخيالية للودعة في مقدم الدماغ يجري صاحب بريدته إذ تجميع أخبار الحسوسات عنده ويجرى
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ يجري خازنه ويجرى اللسان يجري ترجمانه ويجرى الأعضاء
الناحية يجري كتابه ويجرى الحواس الخمس يجري جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من
الأصقاع فيوكل العين بآلام الألوان والسمع بآلام الأصوات والشم بآلام الروائح وكذلك سائر أفعالها
أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإعظام سفره الذي هو يصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكرًا لنعمة الله وإذا عطل هذه الجملة
أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ المأجلة أو في عمارة طريقه
دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان عتدوا لاشقيا كافرا بئسمة
الله تعالى مضيقاً لجنوده الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق للقت والاباء للقتال
وللعاد نعمة بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويده جناحان ورجلاه بريد
والقلب منه ملك (١) فإذا طالب الملك طابت جنوده قتالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول . وقال على رضى الله عنه في تحييل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آتية وهي القلوب فأحبها

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه ولهؤلاء من حديث
أبي ذر أما الأذن فقمع وأما العين فمتره لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

والندم على فعله
والحياء من ربه وقال
يعني بن معاذ التواضع
في الخلق حسن ولكن
في الأغنياء أحسن
والتكبر مبع في الخلق
ولكن في الفقراء
أجمع . وقال ذو النون
ثلاثة من علامات
التواضع تصغير النفس
معرفة بالعب و تعظيم
الناس حرمة للتوحيد
وقبول الحق والنصيحة
من كل واحد . وقيل
لأبي يزيد متى يكون
الرجل متواضعا قال إذا
لم يرى نفسه حقما ولا
حالا من علمه بشرها
وازدراءها ولا يرى أن
في الخلق شرا منه .
قال بعض الحكماء
وجسدا التواضع مع
الجهل والبخل أحمد

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم قرء قل أصلها في الدين وأصناها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كشكاة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجى - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكبرى فهذه أمثلة القلب .

(بيان جماع أوصاف القلب وأمثله)

اعلم أن الانسان قد اصطلح في خلقته وتركيبه أربع شوائب فذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهى الصفات السبية والبيمية والشيطنانية والربانية فهو من حيث سلب عليه الغضب يتعامل أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهميم على الناس بالضرب والقتل ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعامل أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر ربانى كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربى - فانه يدعى لنفسه الربوية ويحب الاستلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن رتبة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على الملوك كلها بل يدعى لنفسه العلم والعرفة والاحاطة بحقائق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالنهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه غيطنانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمسكر والحيلة والفساد ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطنانية والسبية والبيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما لونه وشكله وصورة بهل لجشمة وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضارى والكلب العقور ليس كلبا وسباعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعة الضراوة والعدوان والعنف في باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشيقه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والنسك والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغيط السبع ويشرى أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه يصيرته النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب بكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى السكل على الصراط المستقيم وإن هجز عن قهرها قهره واستخدمه وفلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ورضى الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف التطاوع عنه وكشف حقيقة حاله ومثل حقيقة حاله كما يمثل للمكشفتين إما في النوم أو في اليقظة لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا لله مرة ورا كما أخرى ومنتظرا للإشارة وأمره فهاج الخنزير لطاب شيء من شهواته أتبع على الفور في خدمته وإحضار شهوة أو رأى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يشفيه ويمتسه مدققا

من الكبر مع الأدب
والسقاء وقيل لبعض
الحكماء هل تعرف
نعمة لا يحسد عليها
وبلاء لا يرحم صاحبه
عليه قال نعم أما النعمة
فالتواضع وأما البلاء
فالكبر . والكشف
عن حقيقة التواضع
أن التواضع رعاية
الاعتدال بين الكبر
والضعة فالكبر رفع
الانسان نفسه فوق
قدره والضعة وضع
الانسان نفسه مكانا
يزدري به ويفضى إلى
تضييع حقوقه وانهم
من كثير من إشارات
لشأن في شرح التواضع
أشياء إلى حد أقاموا
التواضع فيه مقام
الضعة ويلوح فيه
المسوى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير
السكب ويمنحها على استخدامه فهو من هذا الوجه يبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته
وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بين البصرة قلاري إن أنصف نفسه للإساعيا طول
النهار في عبادة هؤلاء. وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مبروبا والسيد عبدا والظاهر مقهورا
إذ القل هو المستحق للعبادة والقهر والاستيلاء وقد سخره هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه
من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات شر كما عليه حتى يصير طابعا ورينا مملوكا للقلب وبميتاله أما طاعة خنزير
الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والحبث والتبذر والتفتير والرياء والهنكة والمجانة والعبث والحرص
والجشع واللقى والحمد والحمد والثناء وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة
التهور والبذالة والبلوغ والصلف والاستمقاة والتكبر والعجب والاستعزاء والاستخفاف وتحقير الخلق
وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة للكر
والخداع والحيلة والبهاء والجراءة والتلبس والتضريب والنفس والحب والمنا وأمثالها ولو عكس
الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة
واليقين والاحاطة بمقائق الأعياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم
والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكامل العلم وجلاله ولا يستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا تنتشر
إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل اللفة والشفاعة والمهدو والزهد
والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والساعدة وأمثالها ومحصل فيه من ضبط
قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبر والحلم
والاحتياط والنفو والنبات والنبل والشهامة والودار وغيرها فالقلب في حكم امرأة قد اكتنته هذه
الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار هي التوصل واصله إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد
مرأة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلأأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر للطلوب
في الدين وإلى مثل هذا التلب الأضارة بقوله **عليه السلام** «إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه» (١)
وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ» (٢) وهذا القلب هو الذي
يستغرقه الذر كقَالَ الله تعالى - ألا يدرك الله ظمئ القلوب - وأما الآثار للذمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يثراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية
محبوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى - كلابدان على قلوبهم ما كانوا يكسبون -
وقال عز وجل - أن لو نشاء أصنامهم بذنوبهم وطغى على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع
بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله ويسمكم الله -
ومهما تراكت الذنوب بطبع على القلوب وعند ذلك يسمى القلب عن إدراك الحق وصالح الدين ويستبين
بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع صممه أمر الآخرة وما فيها من
الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في التلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك وأولئك
الذين يشعشعوا من الآخرة كما يشع الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب
كما نطق به القرآن والسنة قال مجنون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نسكت في قلبه نكتة سوداء

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس
من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ
لم أجده أصلا .

الافراط إلى حضيض
التضريط ويوم
انحرافا عن حشد
الاعتدال ويكون
تصدم في ذلك اللبائفة
في قلع قوس الريدن
خوفا عليهم من العجب
والكبر قسلا أن
يفتك مرید في مبادى
ظهور سلطان الحال
من العجب حتى لقد
نقل عن جمع من
الكبار كلات مؤذنة
بالأصحاب وكل ما نقل
من ذلك القليل من
الشايع لبقايا السكر
عندهم وانحصارهم في
مضيق سكر الحال
وعدم الخروج إلى
فضاء السجوى ابتداء
أمرهم وذلك إذا حدى
صاحب البصيرة نظره
يعل أنه من استراق

فإذا هو نزع وتاب عقل وإن عاد زيد فيها حق يلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود من كوس^(١) » فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أتبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة وحما أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تفسح ويتنفس ثم تفسح فاتها لا تغل عن كسورة وقد قال صلى الله عليه وسلم « القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفغ فيه إيمان وثاق^(٢) » فمثل الإيمان فيه كمثل البقعة بعدها الماء الطيب ومثل التفارق فيه كمثل القرحة بعدها القيح والصدبد فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وبإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فاتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن عمل العلم هو القلب أعنى اللطيفة للدبرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المخدمة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق العلوم كالمرآة بالاضافة إلى صور للتلونات فكما أن للتلون صوراً ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتضع فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك هنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأعيان والعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القميص مثلاً يستدعى قابضاً كاليد ومقبوضاً كالسيف ووصولاً بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضاً فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علماً وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصل لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصل لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتشبهه بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علماً وكما أن المرآة لا تتكشف فيها الصورة لحظة أمور : أحدها نقصان صورتها كجواهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصل : والثاني لخبثه وصدته وكسورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غيرهما كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يتمرد بسببه أن يغادى بها غطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استقرت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يخفى على الوقت وصلافة الحال فيصكون من ذلك كلمات مؤنثة بالجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدسى على ربة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجت وطفت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى ضرره في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم .

لكدورة للعاصي والحب الذي يترآكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاده فيفتح ظهور الحق فيه لظلمته وتراكه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنباً فارق عقل لا يعود إليه أبداً» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها إذغايته أن يتبعه بحسنة يحجوه بها فلو جاء بالحسنة ولم تقدم السيئة لازداد لاحالة إشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نوراً فهذا خسران مبين وتضمن لاحية له فليست المرأة التي تتدنس ثم تمسح بالمسكة كالتي تمسح بالمسكة لزيادة جلالها من غير دنس سابق فالإقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يحلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى - والذين جاهدوا فينا لهديهم سبلنا - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب الطمع الصالح وإن كان صافياً فانه ليس يرضع فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس عاذباً بآثاره فلهذا شرط المطلوب بل ربما يكون مستوعب بهم تفصيل الطاعات البدنية أو بترسة أسباب العيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها أو مصالح العيشة إن كان متفكراً فيها وإذا كان تنقيد الملم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق لهما تلك فيمن صرف الملم إلى الشهوات الدنيوية ولقد أنها وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي . الرابع الحجاب فان للطبع القاهر لشهوته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه مغجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقاه من ظاهر التقليد وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر التكلمين والتصيين للمذاهب بل أكثر الصالحين للتفكيرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في قوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها الثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورثها في نفسه ترتيباً مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنبج حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتضى إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يألفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتائج من ازدواج الفعل والأشئ ثم كما أن من أراد أن يستخرج مركة لم يكن ذلك من حمار وبير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الدكر والأشئ وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان بينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم للفتاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلاً بالمرأة فإنه إذا رفع رأسه بآراء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرأة عن عينه فلا يرى للمرأة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى امرأة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يصرها ويرى مناسبة بين وضع الرأسين حتى تطبع صورة القفا في الرأس المحاذية للقفا ثم تطبع صورة

استراق النفس السمع
فلين ذلك بيزان
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونواضعهم
واجتماعهم أمثال هذه
الكلمات واستبهم
أن يجوز للعبد التظاهر
بشيء من ذلك ولكن
يجعل الكلام الصادق
وجه في الصحة ويقال
إن ذلك طمع عليهم
في سكر الحال وكلام
السكراني يخمل فالمشايخ
أرباب التحكيم لما علوا
في النفوس هذا الداء
الذين بالقوا في شرح
النواضع إلى حد الحقوقه
بالضعة تداء وبالمريرين
والاعتدال في النواضع
أن يرضى الإنسان
بمثلة دون ما يستحقه
ولو أمن الشخص
جروح النفس لأوقفها

(١) حديث من قارف ذنباً فارق عقل لا يعود إليه أبداً لم أر له أصلاً (٢) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في العلم.

هذه للآفة في الرقعة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق هيمية فيها ازوارات وخرجات أعجب مما ذكرناه في للآفة يمز على بسيط الأرض من يمتدى إلى كيفية الحيلة في تلك الازوارات فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور ولا لتخل قلب فهو بالقطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارى سائر جواهر العالم بهذه الخاصة والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - إشارة إلى أن له خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطبقا لحل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يشطه عن التبوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ^(١) » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يعمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ^(٢) » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله أن الله في الأرض أوفى السماء ؟ قال في قلوب عباده المؤمنين ^(٣) » وفي الخبر « قال الله تعالى : لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن البين الوادع ^(٤) » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن محموم القاب قليل وما محموم القلب قال هو التقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ^(٥) » ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبى ربى إذ كان قد رفع الحجاب بالثبوت ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه ف يرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما مجتبا فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجلبة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الثابتة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادر البصائر فلا نهاية له، نعم الذي يوحى للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطه بكل الوجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله وملكته وعبيده من أفعاله فسايتجل من ذلك للقلب هي الجنة ببينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب شدة معرفته وبقدر ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وزكته وجلاله قد أطلع من زكاه ومراد تزكته حصول انوار الإيمان بما عني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وبقوله « فمن شرح الله »

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يعمون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ ولطبراني من حديث أبي عتبة الحلواني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله آية من أهل الأرض وآية ربك قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن البين الوادع لم أره أصلا وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني يمدقوله وآية ربك قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألبنها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن محموم القلب الحديث هـ من حديث عبيد الله بن عمر بإسناد صحيح .

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجروح في جبلت النفس لكونها مغشوة من صلصال كالقنار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتدوي بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من الخلق يكون كاذبا والكبر يتولد من الإحباب والإعجاب من الجهل بحقيقة الماهاتس والجهل بالانصلاح من الانسانية حقيقة وقد

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجل وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . للربة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان المتكلمين وهو مزيج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان المارقين وهو الشاهد بنور اليقين وبنين لك هذه ال مراتب مثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك من جريته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تهتمه في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بعبد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما لم يتفهموا من التمييز معوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبينة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سموه بقبوله وثبتوا عليه وأطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظاههم بأبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهل من أوائل رتب أصحاب الجنتين وليسوا من القربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة والشرح صدر بنور اليقين إذ الخطأ يمكن فيسمع من الأحاد بل من الأعداد فبما يتعلق بالاعتقادات قلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم لأنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ والسلمون اعتقدوا الحق لاطلاعه عليهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الربة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك وبينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بعبد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقيناً لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيجزم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضاً ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق الحماكة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يصل للنهضة موضعاً ولا يندرج في هذا التلبس والحماكة غرضنا . الربة الثالثة : أن تدخل الدار فتظن إليه بينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية وللشاهدة الحقيقية وهي تشبه معرفة القربين والصدقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين ويتميزون بميزة بينة يستجلبونها إمكان الخطأ نعم وهم أيضاً يتأثرون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف وأما درجات العلوم فله أن يصير زيدا في الدار عن قرب وفي ضمن الدار وفي وقت إشراق الشمس فيكمله إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أولى وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت للشاهدة للأمر الإلهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمراً وبكراً غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا فمرة ذلك تزيد بكثر المعلومات لا عمالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والأخرية)

اعلم أن القلب بغيره مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة ولكتسبة إلى دنيوية وأخرية أما العقلية فنقسمها ما تقتضيها غريزة الفل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والنفس الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معاً وماما فإن هذه علوم عبد الإنسان نفسه منذ الصبا فطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له سبباً قرياً ولا فليسا يخفى عليه أن الله الذي خلقه وهده إلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن
الكبرية وله تعالى - إنه
لا يحب للشكركين -
وقال تعالى - أليس في
جهنم مثوى للشكركين -
وقد ورد « يقول الله
تعالى : السكبراء رداً
والعظمة إزارى فمن
نازعى واحدا منها
قسمته » وفي رواية تذهب
في نار جهنم . وقال عز
وجل رداً للإنسان في
طغيانه إلى حسده :
- ولا تخفى في الأرض
مرحاً إنك لن تخرق
الأرض ولن تبلغ
الجبال طولاً - وقال
تعالى - فلنظن الإنسان
م خلق خلق من ماء
دافق - وأبلغ من هذا
قوله تعالى - قتل الإنسان
ما أكفره من أي شيء
خلقه من نطفة خلقه

رأيت العقل عقلياً شطوب ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو الرائد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»^(١) والثاني هو الرائد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»^(٢) إذا تعرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتعرب أنت بمقلدك^(٣) إذ لا يمكن التعرب بالضرورة ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التعرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغرزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينه أوجن عليه الليل والعمى الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على البصائر والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتبأ بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خالق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فلما وازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فإن البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة للدركة وهى كالقارس والبدن كالقارس وعمى القارس أضر على القارس من عمى القارس بل لانسبة لأحد الضررين إلى الآخر ولما وازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر مع الله تعالى باصحه فقال - ما كذب القواد مارأى - متى إدراك القواد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم منكسب السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك سمى إدراكه عمى فقال تعالى - فاتها لاعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم العقلى . أما العلوم الدينية فهى للأخوة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كال صفة القلب وسلامته عن الأدوية والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يمتد إلى إليه ولكن لا يمكن فهمه بدمساعه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل عن السماع ولاغنى بالسماع عن العقل فالله اعلم إلى بعض التقليد مع عزل العقل بالسكية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فربما أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعاً بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستغنى بالغذاء متى قاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية للاستفادة من الشريعة وهى وظائف المبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يدأوى قلبه

فقد رمى وقد قال بعضهم لبعض التكبرين أولئك نطفة مذرة وآخرتك حيفة قدرة وأنت فيها بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى :

كيف يزهو من رجيحه أبداً الدهر ضحيجه وإذا راحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر أثره فى بعض الجوارح وترشح الاناء بما فيه فتارة يظهر أثره فى النطق بالقبائل وتارة فى الخلد بالتصغير قال الله تعالى - ولا تصغر خدك للناس - وتارة يظهر فى الرأس عند استعصاء النفس قال الله تعالى - لو آوا رءوسهم ورائتهم يصدون وم

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل الحكيم فى نوادر الأصول باسناد ضعيف وقد تخدم فى العلم (٢) حديث إذا تعرب الناس إلى الله بأنواع البر فتعرب أنت بمقلدك أبو نعيم من حديث على باسناد ضعيف .

الريض بما لجأت العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى للريض للغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فتبعر به فينسل من الدين أنسالة الشرعة من المعين وإنما ذلك لأن همزه في نفسه خيل إليه نقضا في الدين وهيات وإنعاسا له مثالها مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني النار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم ترد إلى مواضعها فقالوا تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدى للطريق لعمالك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عمالك وإنما تحيلها على قصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية . والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخرى فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والتنجيم وسائر الحرف والصناعات والأخرى كعلم أحوال القلب وأكاف الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متباينان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه لادنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها كسفى البران وكالمشركى والقرب وكالضربين إذا أرضيت إحداها أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنفى بالأميرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما ناعمان الكمال في الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البله ^(١) » أى البله في أمور الدنيا . وقال الحسن في بعض مواضعه لقد أدركنا أقواما لو رأيتهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقانوا شياطين فهما صمت أمرا غريبا من أمور الدين جعده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك وجودهم عن قبوله إذ من المبال أن يظن سالك طريق للشرق بما يوجد في الغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى « إن الدين لا يرجو لقاء ناورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى « يعلون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » وقال عز وجل « فأعرض عنهم حتى تولي عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستيعار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عبادته في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء للؤيدون بروح القدس للستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها .

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الخالف في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تستكتب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وجيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستيعارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من المبدى ينقسم إلى ما لا يدري البعد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك للقي في القلب والأول يسمى إلهاما وثقا في الروح . والثاني يسمى وجيا وتختص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله الاستكشاف وهو بطريق الاستدلال يختص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله ، البز من حديث أنس وصفه وصحة القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابنه عدى إنه منكر .

مستكبرون - وكان
الكبره انقسام على
الجوارح والأعضاء
تشعب منه شعب
فكذلك بعضها كسفى
من البعض كالتبى
والزهو والعزة وغير
ذلك إلا أن العزة تشبه
بالكبر من حيث
الصورة وتختلف من
حيث الحقيقة كاشتباه
التواضع بالفضة
والتواضع بمحمود والفضة
مذمومة والكبر
مذموم والعزة محمود
قال الله تعالى - ولله
العزة ولرسوله
وللمؤمنين - والعزة
غير الكبر ولا يهل
للمؤمن أن يذل نفسه
فالعزة معرفة الانسان
بحقيقة نفسه وإكرامها
أن لا يضعها لأغراض

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستمد لأن تجلّ في حقيقته الحق في الأخياء كلها وإعماحيل بينه وبينها بالأسباب المحسوسة التي سبق ذكرها فهي كالجباب للسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو متقوس بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلّ حقائق المعلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تأملها والجباب بين الرأتين تارة يزال البعد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألفاظ وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينبغي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعمل به ما يكون في المستقبل وتعام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضاً في البقطة حتى يرتفع الحجاب بلطف حق من الله تعالى فيلعب في القلوب من وراء ستار النسيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يشارك الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار البعد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك القيد للعلم فان العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة اللاتكبر إليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسلاً فيوحي بأذنه ما يشاء - فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فذلك لم يجر صواباً على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه الصنفون والبحث عن الأوائل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة وهو الصفات للذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكاء الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو لتولي قلب عبده وللتكفل له بتوحيه بأنوار العلم وإذ اتولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة واشتق النور في القلب وانشرح الصدور وانكشف لسر الملكوت واتسع عن وجه القلب حجاب الترة بلطف الرحمة تلافأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بما تعفينة المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وقاض على صدورهم النور لا بالعلم والدراصة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علاقاتها وتزويغ القلب من شواغلها والاقبال بكاء الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً باعطاء علائق الدنيا بالكتابة وتزويغ القلب منها وقطع الهمة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الانقصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الملم ولا يفرق فكره براءة قرآن ولا تأمل في تفسير ولا يكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصير عليه إلى أن يمس أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الله كثر ثم يواظب عليه إلى أن يمس عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضر فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة : فعلم الوساوس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار مترعة النفات رحمة الله فلا يبق إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كالفتح على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تطلع لواعج الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يمدود قديتاً خرواً إن عاد قد يثبت وقد يكون غططاً وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله في التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنزلة أولياء الله تعالى

عاجلة دنوية كأن
الكبر جهل الانسان
بنفسه وإزالتها فوق
منزلتها . قال بعضهم
لحسن ما أعظمكم في
نفسك قال لست بمظلم
ولكني عزيز ولما
كانت العزة خسير
مذمومة وفيها مشاكلة
بالكبر قال الله تعالى
- تستكبرون في
الأرض بغير الحق -
فيه إشارة خفية لإثبات
العزة بالحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف إلى الضمة
وقوف على صراط العزة
للتصوب على متن نار
الكبر ولا يؤدي في
ذلك ولا يثبت عليه
إلا أقدم العلماء
الراسخين والسادة
القرين ورؤساء
الابدال والصديقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير بعض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استمداد وانتظار قط ، وأما النظر وذو الاعتبار فلم يشكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإضافته إلى هذا التصديق الدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطوا تجربته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن هو المعلق إلى ذلك الحد كالمشترط وإن حصل في حال حياته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد تغلبا من القدر في غلباتها» (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يقصد المزاج ويختلط العقل ويعرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بمقتضى العلوم نصبت بالقلب خيالات فاسدة تطغى النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول ويقضى الصبر قبل التراجع فيها فنكس من صولى سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أفضى العلم من قبل لا تنتفع له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلا تختار بطريق العلم أوثق وأقرب إلى النور ، وزعموا أن ذلك يشاى ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قلبها بالوحى والالهام من غير تكرر وتعليل وأنا أيضا انتهيت في الرياضة للواجبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق السكب والحربة رجاء الثور على كثرة من السكوز فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا ، وقالوا لا بد أولا من تحصيل ماحصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لأبأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فسادا ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين اللقامين بمثال محسوس)

اعلم أن محائب القلب خارجة عن مداركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وما ليس بمدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نهرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين : أمدها أنه لو فرضنا حوضا مغفورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنها تفتح فيه ويحتمل أن يغمر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينجزر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الحس مثل الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالحلوة والعزلة وغض البصر ويعد إلى عمق القلب بتطهيره ورفض طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فان قلت فكيف ينجز العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من محائب أسرار القلب ولا يسمع بذلك في علم العلامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأعيان مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب اللاتسكة القريين ، فكما أن الهندس يصور أبنية المدن في ياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم ينض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو العدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد تغلبا من القدر في غلباتها ، أحمد و ك وصححه من حديث اللقمان بن الأمود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

قال بعضهم من تكبر فقد أخسر هن ندالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذى التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونبيه فإن النفس لطالب الراحة تتلوى عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نهيه فإذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لمظنة الله فإن اشتت نفسه شيئا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منحها ذلك وجهه ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى . واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا بعد لمان نور للشاهدة في قلبه فتند ذلك تذوب

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم للوجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الوجود موافق للنسخة الوجودية في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسائي ويقتبه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أي وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدتتك على صغر حجمها بحيث تنطبق صورة العالم والسماوات والأرض على اتساعها أكتافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يحصل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر عما يبين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوبا أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعبائنها . ولترجع إلى النقص المقصود فنقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه ونجى إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتنفجر الماء من همى الأرض ، ومما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التنفجر في الأرض وكان أن نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، قلن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملكوت والملكوت عالم الملكوت نوعا من الملكة فاما اقتناع باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما اقتناع بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فصله عما يقيننا بالتأمل في عجائب الرؤيا وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن اغترى بذكر الله تعالى وقال عليه السلام «سبق الفردون قيل ومن هم الفردون قالوا من هم الذين هموا بالباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء عنهم وأزوارهم فوردوا القيامة خفافا ثم ذل في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أرى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطي ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم (١) ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهوان علومهم تأتى من داخل القلب من الباب للفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة تأتى من أبواب الحواس للفتحة إلى عالم الملكوت وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والقياس لا يمكن أن يستقصى في علم العامة فهنا مثال يملك الفرق بين مدخل العالمين .

النفس وفي ذواتها صفاها من غش الكبر والحب قتلين وتطبيع للحق والخلق هو آثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لتبينا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضى الله عنها في الحديث الطويل قالت «قد أت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الفيرة فلما مضى أتته عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ساجدا كالنور الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سواى وخيالى وآمن بك

(١) حديث سبق الفردون قيل ومن هم الفردون قالوا من هم الذين هموا بالباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهوان علومهم تأتى من داخل القلب من الباب للفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة تأتى من أبواب الحواس للفتحة إلى عالم الملكوت وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والقياس لا يمكن أن يستقصى في علم العامة فهنا مثال يملك الفرق بين مدخل العالمين .

المثال ٢١ في يترك الفرق بين المملين : أعنى عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتسهيلها فقط ، وقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم يتباهون بدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ورعى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ العربية ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يحملون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فصبب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ قليل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم أرفعوا الحجاب فرغوا وإذا بجانبهم تلاً لأمره منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالرآة المحلوة لسكرة التصقل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقل ، فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلالته وتركته وصفاته حتى يتلأف فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كعمل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالأكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشا في القلب كعمل أهل الروم . فكيفما كان الأمر فقلب للأمر لا يمتدح عليه عند الموت لا يحمى وصفائه ولا يتكبر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يابى كل عمل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وحاصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كانه لا غنى إلا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تفاوتت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالعارف آثاراً ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسعى نورم بين أيديهم وبأيمانهم - وقد روى في الخبر « إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إمام قدميه فيضئ مرة ويظني ، أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فشي وإذا أطفى قام ومروهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كاتقاضي السكوك » كبر ثمتهم حتى يمر كالفرس إذا اهتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إمام قدمه محبوبوا على وجهه ويديه ورجليه يمر بداً ويطلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص (١) الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان المملين سوى النبيين وللسلطان لرجع ، فهذا أيضاً يضاهي قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها لرجع ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما ينكشف في نور الشمس صورة الأفاعي مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت الشراح الصدر بالعارف وانكشاف سعة لللكوت لقلوب العارفين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة (٢) » كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه للقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوره على إمام قدمه الحديث الطبراني و ك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

فؤادي وأقربك لسانى
وها أنا ذا بين يديك
يا عظيم يا غافر الذنب
العظيم « وقوله عليه
السلام » سجد لك
سواى وخيالى «
استقصاء فى التواضع
بحجوات آثر الوجود حيث
لم تتخلف ذرة منه عن
السجود ظاهر أو باطن
ومضى لم يكن للصوفى
حظ من التواضع
الخاص على بساط
القرب لا يتوفر حظهم فى
التواضع للخلق وهذه
سعادات إن أقبلت
جاءت بكليتها والتواضع
من أشرف أخلاق
الصوفية . ومن أخلاق
الصوفية : للدارة
واحتسالى الأذى من
الخلق وبلغ من مداراة

مفهومة أن من إسمائه يزيد على متقال فانه لا يدخل النار إذا دخل لأمر باخر اجبه ولا وأن من قلبه متقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الانسان المؤمن» (١) إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأتم الأعلون إن كنتم مؤمنين - تفضيلا للمؤمنين على السالمين والمراد به المؤمنين العارفون القلة . وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم بذلك على أن اسم المؤمنين يقع على القلة وإن لم يكن تصديقه عن بسيرة وكشف . وقس ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى - والذين أوتوا العلم درجات - قال يرفع الله العالم فوق المؤمنين بسبب ما تدرجه بكل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال **عليه السلام** «أكثر أهل الجنة ألبه وعليون لدوى الألباب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التفاضل إذ المحروم من رحمة الله عظيم النقص والحسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر النبي الذي يملك عشرة دراهم إلى النبي الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التباعد على من يخسر حظه من ذلك وللاخر تأكيرا ودرجات أكبر تفضيلا .

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب

العرفه لامن التعلم ولا من الطريق للتعاد)

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوف في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة العرفه فيه عززة جدا ، ويضد ذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقعه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب بعلمه علما من غير تعلم وغطته من غير تجربة وقال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن تتموا الله يجعل لكم فرقا» قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان **عليه السلام** يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أعطني نورا وذنبي نورا واجعلني في قلب نورا وفي قبري نورا وفي صمي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعره وفي بشرى وفي حلمي ودوي وعظامي » (٥) و«سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قبلا من أصحابه بين اليهود فلم يخف عليهم ولم يزد على ص الحق بل وداه بمائة ناقه من قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بصير واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يندم طعاما ولا ينهر خادما . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو الفتح السرخسي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس الجبوري قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان لفظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لانه لم يثبت خيرا من ما مثله إلا الرجل المؤمن وإسناده حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة ألبه وعليون لدوى الألباب تخدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تخدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم الحديث تخدم في العلم دون قوله ووقعه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نورا وذنبي نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - «فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه» - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن الثور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر واتشرح (١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس «الهم قمه في الدين وعلم التأويل» (٢) وقال على رضى الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فمما في كتابه وليس هذا بالتم (٣) وقيل في تفسيره - يقول تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء - إنه القم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - فقمناها سليمان - خص ما انكشف باسم القم - وكان أبو الرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رفيق والله إنه الحق يقذفه الله في قلوبهم ويجهري على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن المؤمن كمانة ، وقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى» (٤) وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقوله تعالى - قد بينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلم علان فطر باطن في القلب فذلك هو العلم النافع» (٥) وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا جنرا وقد قال عليه السلام «إن من أمق محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم» (٦) وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما - وما أرسنا من بقل من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والمحدثين هو اللهم واللهم هو الذي انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة الحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التوسى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للفتين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء بلا حفظ ولا درس ، وهذا هو العالم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بسببها بوسائط تعلم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والأثار لخرج من الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما نفي رضى الله عنها عند موته : إني ما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضى الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فخره لمعرفه ذلك ثم بلغ صوته إليه من جهة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فنظرت إليها غمرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عيذه أماغلت أن زنا البنين

(١) حديث شغل عن قوله تعالى - «فمن شرح الله صدره للإسلام» الحديث وفي المستدرک من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث الهم قمه في الدين وعلم التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلم التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسب ذلك وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فمما في كتابه ليس هذا بالتم (٤) حديث اتقوا فراسة المؤمن للؤمن الحديث ت من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمق محدثين ومكلمين وإن عمر منهم من حديث أبي هريرة قد كان قبا قبلكم من الأم محدثون فان يك في أمق أحد فانه عمر رواه م من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال في أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمدارة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق حكاية من أخلاق الصوفية واحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً نحن نحب أن نصعدك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت ألسنا نكتبان القرائن قالاً بلى فأتى فكيف كان ذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكائين لا يظلمون على أسرار القلب وإنما يظلمون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت إلى شاله قال ماتقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه قال ماتقول ورحمك الله ثم أشرق إلى صدره وقال ماتقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأعجب جواب سمعته فسألت عن التفاته فقال ليكن هندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب القبال فقال لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدري فنظرت إلى قلبى وسألته فحدثني بما أجبته كما فاذهاو أعلم منها وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام « إن في أمي محدثين وإن عمر منهم » وفي الأثر: إن الله تعالى يقول يا عبيد أطلعت على قلبه فرأيت القلب عليه القسك بذكرى توليت سياسته وكنت جلسيه ومحدثه وأنيسه . وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة الضروبة حولها أبواب مغلقة فأب فتح له حمل فيه فقد ظهر افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة للسكرات وللأطى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فاتهم بنجلى لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أقوال الحكماء لا ينطقون إلا بما هيا الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت قلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .

(بيان تسلط الشيطان على القاب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضاً مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب أو هو مثال امرأة منصوبة تحتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتراهى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة فمن أنهار مفتوحة إليه وإنما مداخل هذه الأنهار لتجدد في القاب في كل حال أمان الظاهر فالحواس الحس وأمان الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق للركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة الزواج حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالحالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر وللقصود أن القلب في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب وأخص الأنوار الحاصلة في القلب هو الحواطر وأعني بالحواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به إدراكه علوماً إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فاتها تسمى خواطر من حيث أنها خطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها والخواطر هي الحركات للرادات فإن النية والعزم والارادة إنما تكون بعد خطور للتوى بالبال لاحتالة فبداً الأفعال الحواطر ثم الحواطر بحركة الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء والخواطر المحركة لرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضرب في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير أعني إلى ما ينعف في الدار الآخرة فيها خاطران مختلفان فاقتصر إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ثم إنك تعلم أن هذه الحواطر حادثة ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا ما عرفت من سنة الله تعالى في ترتيب للسيئات على الأسباب فلهما استتارت حيطان البيت بنور التار وأظلم سقفه واسود بالبخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لا توار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الحواطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الحواطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً

ولا يصبر على أدام
وفي الخبر « أيسجن أحدكم
أن يكون ككأني
ضمنضم قيل ماذا كان
يصنع أيو ضمنضم قال
كان إذا أصبح قال
الاهم إفر تصدقت
اليوم بعرضي على من
ظلفني فمن ضربني
لا أضربه ومن شتني
لا أشتمه ومن ظلفني
لا أظلمه » . وأخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
قال أنا أبو الفتح
الهروي قال حدثنا
الرياقى قال أنا الجراحي
قال أنا المحبوبي قاله
أنا أبو عيسى الترمذي
قال ثنا ابن أبي عمر
قال ثنا سفيان عن
محمد بن النكدر عن
عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت

والأطاف الذي يتبأ به القلب لقبول الإلهام الخير يسمى توفيقاً والذي به يتبأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواءً وخذلاناً فإن الماعى المختلفة تنفجر إلى أسامى مختلفة ولللك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إضافة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان جارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمعصية والتخويف عند إلهام الخير بالفرق فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فإن الوجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب ثمان لمة من الملك إجماد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو إجماد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستد بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يدعوكم للفقور وبأمركم بالمعصاء - (١) الآية وقال الحسن إنسا عما هان يحولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبداً وقف عنده فساكن من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهداً وتنجاذب القلب بين هذين السلاطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » فله تعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة الثقل والقدرة على التحريك والتشير فكان لا تريد أصبعك لخصه بل لفعه في الثقل والترويد كما أنك تصاعى الأفعال بأصابعك والله تعالى يغفل ما يغفل باستخار الملك والشيطان وهما سخران بقدرته في قلب القلب كمال أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلاً والقلب بأصل القطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس يرجح أحدهما على الآخر وإنما يرجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفاتها فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عسى الشيطان ومعه أنه لأن الهوى هو مرضى الشيطان ومرتمه وإن جاهد الشهوات ولم يسلمها على نفسه وشبهه بأخلاق اللاتسكة عليهم السلام صار قلبه مستقر للالتسكة ومهيئاً لهم ولما كان لا يخلف قلبه عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للتسعة عن الهوى لاجرم لم يخل قلبه عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مامنك من أحد إلا وله عيطان قالوا أنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعاني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير (٣) » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صارت لا تتبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان للتدريج بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان جبالاً فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق بهما وأقبل لللك والألم والتطارد بين جندي اللاتسكة والشياطين في معركة القلب دائماً إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وعلسكتها فامتلات بالوسواس الداعية إلى إظهار الماجة وإطراح الآخرة ومبدأ امتيلاتها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال يئس ابن العشرة أو أخو الصغيرة ثم أذن لي فأذن له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلبت له ما قلت ثم أنسبه لي القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يترك الناس أو يذيع الناس أهواءه « وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتقى الله حيث كنت وأتبع السنة الحسنة تمحها وخالف الناس غلبت حسن « فائسده يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحله كسب السدادة والنفس

(١) حديث في القلب ثمان لمة من الملك إجماد بالخير الحديث وحسنه ونفى الكبري من حديث ابن مسعود (٢) حديث للؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث مامنك من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

والشبهات وصماته يذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر اللائكة . وقال جابر بن عبيدة المدوني شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به الموصون فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى ليعبد الله ولذلك سلب الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وهو إشارة إلى أن من الهوى وإلهه ومعبوده فهو عبد الهوى ليعبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١] للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقرأتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتصل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني (١) » وفي الخبر « إن الوضوء شيطانا يقال له الوهان فاستنذوا بالله منه (٢) » ولا يعجز وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوي مابوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالاً للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويسلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وعند جميع وسوس الشيطان ذكر الله بالاستعاضة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا اللقون القالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفترات على سبيل الخلسة قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبهمون - وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى - من شر الوسوس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار وتضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان وأضع خرطوميه في قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه (٣) » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبي وجه من لا يطلع (٤) وكذا أن الشبهات حمزة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه وهيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع (٥) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولاجل اكتشاف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقعدن لهم صراطك المستقيم

- (١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص
(٢) حديث إن الوضوء شيطانا يقال له الوهان الحديث م ت من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان وأضع خرطوميه في قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى اللوصلي وابن عدي في الكامل وضفه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان يده وجهه وقال بأبي وجه من لا يطلع لم أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم

[١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي العاص وفي المراق ما يشر بذلك اهـ .

لا تزال تشتمن بمن
يكس مرادها
ويستفزه الغبط
والغضب وبالمدارة قطع
حمة النفس ورد طيشها
وتقورها . وقد ورد
« من كظم غيظا وهو
يستطيع أن يفذه
دعا الله يوم القيامة على
رؤوس الخلق حق
بخسيرة في أي الحول
شاء » . وروى جابر
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « ألا أخبركم
على من تحرم النار ؟ على
كل هين لين سهل
قريب » . وروى
أبو مسعود الأنصاري
رضي الله عنه قال أتى
النبي عليه السلام برجل
فكلمه فأرعد فقال
هون عليك فاني لست

ثم لاثنين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم - وقد صلى الله عليه وسلم
 « إن الشيطان قد لاین آدم بطرق قدمه له بطريق الاسلام فقال أنسلم وتترك دينك ودين آباءك
 فصاد وأسلم ثم قدم له بطريق الهجرة فقال أنهاجر أتدع أرضك وجمارك فصاد هاجر ثم قدم له
 بطريق الجهاد فقال أجاهد وهو تلف النفس والمال فقاتل فقتل فتكسح نساؤك ويقسم مالك
 فصاد وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فبات حقا لله أن
 يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر
 للجاهد أنه يقتل وتكسح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا
 الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطره سبب وغتر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور
 أن يتفك عنه آدمي وإنما يختلفون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله
 شيطان (٢) » قد اوضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان
 والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن
 كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم العامة بل
 مثل الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل
 بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل فصادته الخواطر الباعثة على الشر
 قد علت ودل ذلك على أنه عن سبب لاهية وعلم أن الداعي إلى الشر المهدور في المستقبل عدو
 قد عرف العدو لاهية ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة
 من كتابه يؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو
 حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
 إنه لكم عدو مبين - فينبغي للبعد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه
 ومسكنه ، ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك
 كاف للأمين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نموذج بالله منه وحقيقة اللائكة فذلك ميدان المارفين
 للنفيلين في علوم الكاشفات فلا يحتاج في علم العامة إلى معرفته ، ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم
 إلى مايصل قطعا أنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى مايصل أنه داع إلى الخير فلا يشك في
 كونه إلها ما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فإن من مكاييد الشيطان
 أن يعرض الشر في معرض الخير والتميز في ذلك غامض وأكثر الصبا به يهلكون فإن الشيطان
 لا يقدر على دعاتهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للملم بطريق الوعظ أما تنظر
 إلى الخلق وهم موقون من الجهل هلكت من التفتة قد أشرقوا على النار أما لك رحمة على عباده الله فتقدم
 من العاطب تصحك ووعظك وقد أتم الله عليك قلب بصير لسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف
 تسكر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى الصراط السقيم ؟
 ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوهم بصد
 ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتجسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع
 كلامك من قلوبهم ولم يبتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثناءه يؤكده فيه شوائب
 الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتمزز بكثرة الأتباع والملم والنظر إلى الخلق بين الاحتقار فيستدرج

ملك إنما أناب امرأة
 من قريش سكنت
 تأكل القديد وعن
 بعضهم في معنى ليل
 جانب الصوفية :
 هينون لينون أيسار
 بنوهم
 سواهم مكرمة أبناء
 أيسار
 لا ينظرون عن الفحشاء
 إن نطقوا
 ولا يمارون إن ماروا
 لا يكبار
 من تلق منهم ثقل
 لا بقيت سيدهم
 مثل النجوم التي تسرى
 بها للمارى
 وروى أبو الهيثم عن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال « من أعطى حظه
 من الرزق فقد أعطى
 حظه من الخير ومن
 حرم حظه من الرزق

(١) حديث إن الشيطان قد لاین آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سيرة بن أبي فاكه باسناد صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

السكين بالصبح إلى الهلاك فينتكم وهو يظن أن قصده الخير وإعما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم » (١) . « وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » (٢) . ولذلك روى أن إبليس لعنه الله مثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الحبر تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تنتهي وبها يهلك الممات والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في العاصي المكشوفة ، وسند كرجلة من مكاييد الشيطان في كتاب التورور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه [تلبيس إبليس] فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لاسيما في اللذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده غف على العبد أن يقف عند كل مخطر له يعلم أنه من ملة الملك أولمة الشيطان وأن يمن النظر فيه بين البصيرة لاهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - أي رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أي يتكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بتأية الهوى فيكثر فيه غلظه ويتعجل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثله قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسنا فإذا هي سيئات ، وأغشى أنواع علوم العامة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أمهله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسبهم عدواته وطريق الاحتراز عنه ولا ينبغي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخواة في بيت مظلم تزد باب الحواس والتجرد عن الأهل والسالك يقلل مداخل الوسواس من الباطن وينقي مع ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يخلص أحد من الشيطان مادام حيا ، نعم قد يقوى بحيث لا يتفادله ويدفع عن نفسه شره بالجها ، لكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدافعة مادام الدم يجري في بدنه فإنه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تتلاق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير قافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة - قال رجل للحسن يابا سعيد أياكم الشيطان تقيم وقال لو نام لاسترحنا فاذن لا خلاص للمؤمن منه ، نعم له حيل إلى دفعه وتضعيف قوته - قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بهيمة في سفره » (٣) . وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول ، وقال تيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل الصفور قلت ولمذاك قال تدينني بذلك

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس بإسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة قد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة.

قد حرم حظه من
الحبر « حدثنا شيخنا
ضياء الدين أبو الجيب
إسحاق قال ثنا أبو
عبد الرحمن محمد بن
أبي عبد الله السلفي قال
أنا أبو الحسين
عبد الرحمن بن أبي
طلحة الداودي قال أنا
أبو محمد عبد الله
الحموي السرخسي
قال أنا أبو حمزة
عيسى بن عمر
السمرقندي قال أنا
عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي قال أنا محمد بن
أحمد بن أبي خلف قال
ثنا عبد الرحمن بن محمد
عن محمد بن إسحاق قال
حدثني عبد الله بن أبي
بكر عن رجل من
الرب قال زحمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . والشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلوب للشيطان كثيرة وباب اللامعة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة السالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هنا هي القلب للصبي بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير للاستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه وإلا فطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يجمع به العلماء والعباد للسالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل قصد الشيطان إلى جارية خفيها وألقى في قلوب أهلها أن ادواها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مفارقتها ولم يزل به حتى وأتتها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تخضع بأتيك أهلها فأتتها فان سألوها قتل ماتت فقتلها ودقها فأتته الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودقها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقولوه فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خفيها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعن تيج وأخلصك منهم قال بماذا ؟ قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برىء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبرياء وكل ذلك لاطعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه يخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويحجر البعض إلى البعض بحيث لا يجد مخلصا فعمود بالله من توضيح أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بخراسة أبواب الحصن ومداخله ومواقعهم ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه لحاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض على عين كل عبد مكلف وملا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في السبيل وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية خفيها وألقى في قلوب أهلها أن ادواها عند الراهب الحديث بطوله في قوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه رسالة وللحاكم نحوه موقوفة على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من رجع حول الحمى يوشك أن يواقع فقطع .

يوم حنين وفي رجل
لعل كشيعة فوطئت بها
على رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فتفتحت فتحة فوطئت
بها وقال باسم الله
أوجعتني قال فبت
لنفسي لأعسا أقول
أوجعت رسول الله قال
فبت بليلة كما يعلم الله
فما أصبحتنا إذا رجع
يقول أين فلان قلت هذا
والله الذي كان معي
بالأمس قال فانطلقت
وأنا متخوف فقال لي
إنك وطئت بملك على
رجلي بالأمس فأوجعتني
فتفتحت فتحة فوطئت
فبهذه ثمانون نجيعة
غفنها بها . ومن
أخلاق الصوفية الإتيان
واللواصة وعملهم على
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات الجدوى كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية بحرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول القتل وإذا صنف جند القتل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برصائه وكذلك تسلكها وأنا خلقى من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفعلى إلى ربى أن يتوب علىّ فقال موسى ثم قلنا صد موسى الجبل وكلمه ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذ الأمانة فقال موسى يارب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبير آدم حتى يتاب عليه فأتى موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبير آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أن أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك علىّ حقا بما شفعت لى إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لأهلكك فبين : اذكرنى حين تغضب فإن روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك بحرى الدم ، اذكرنى إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان غضت فى قلبها يدرى ما يصنع واذكرنى حين تلقى الزحف فأتى ابن آدم حين تلقى الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات حرم فأتى رسولها إليك وسوكت إليها فلا أزال حتى أقتلك بها وأقتنها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرم فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرى كيف تغلب ابن آدم فقال أخذه عند الغضب وعند الهوى ، قد حكي أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الحدة فإن البعد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه وإذا غضب طردت حتى أكون فى رأسه ومن أبواب العظيمة الحسد والحرم فهما كان البعد حرصا على كل شئ أهماه حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك لشيء يهيم بهم ^(١) » ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرم لم يصرفه عن جند الشيطان فرصة فيحسن عند الحرص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما ذلك فقال دخالت أسير قلوب أصحابك فتكون قلوبهم مملوءة وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها يا عبد الله فانك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما الثتان لا تكذباني هما الثتان لا تخافاني بهما أهلك الناس : الحرص والحسد ، فالحسد لغت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرص فإنه أبيع لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرص . ومن أبواب العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليها السلام فرأى عليه معايق من كل شئ فقال له يا إبليس ما هذا للعالمى ؟ قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم فقال فهل فيها من شئ ؟ قال ربما عبيت فتغناك عن الصلاة وعن الله كره قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قاله على أن لا أملا بطعم من الطعام أبدا فقال له إبليس والله على أن لا تصح مسلما أبدا . ويقال كثرة

والرحمة طبعاً وقوة
اليقين شرعاً يؤثرون
بالوجود وبغيره على
النفوس . قال أبو يزيد
اليسطامى : ما غلبنى
أحد مغالبى شاب من
أهل بلخ قدم علينا
حاجاً فقال لى يا أبا يزيد
ما حصد الزهد عندهم
نلت إذا وجدنا أكلنا
وإذا فقدنا صبرنا . وقال
هكذا عندنا كلاب
بلغ قتلته وما حصد
الزهد عندهم ، قال
إذا فقدنا شكرنا وإذا
وجدنا آثرنا . وقال
ذو النون من علامة
الزهد الشرح صدره
ثلاث : تفريق المبدوع
وترك طلب النقود
والإيثار بالقوت . روى
عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما قال

الأكل ستخصل مدمومة : أولا أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياطين . والثالث أنه يقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض . ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والثياب والدار وتزيين سقفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والبواب ويستخفه فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك قد استغنى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى وغشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نموذ بالله منه . ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير المطموع فيه كأنه مبعوده فلا يزال يتفكر في حيلة التردد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله الشناء عليه بما ليس فيه والداهنة له بترك الأمور بالعرف والتهني عن الشكر ، قد دروي صفوان بن سليمان أن إبليس مثل لبعده الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال لاحاجة لي به قال انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لتسأل أحدنا عن الله سؤال الرغبة والنظر كيف تكون إذا غضبت فاني أملكك إذا غضبت . ومن أبواب العظيمة المعجلة وترك التثبت في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « المعجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى (١) » وقال عز وجل - خلق الإنسان من عجل - وقال تعالى - وكان الإنسان هولا - وقال نبيه صلى الله عليه وسلم - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والبرقة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل والمعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، فقد روي أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأنعام قد نسكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانك فطار حق أنى خافق الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا اللائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارة ماصحات أني قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأبوسوا من أن تمجد الأنعام بهذه القبلة ولكن التواهي آدم من قبل المعجلة والحفة . ومن أبواب العظيمة الفراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والبواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر للشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعة مائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعة مائة ليشتري دارا يسمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقبع في هاوية آخرها ثم يفتق جهنم فلا آخر لها سواء . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أميوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالخبر فذهبتم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صبغنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمضي ذلك فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا

(١) حديث المعجلة من الشيطان والتأني من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأصار « إن شتمت قسمتي للمهاجرين من أموالكم ودياركم فتشاركونهم في هذه الثمنية وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئا من الثمنية » فقالت الأنصار بل قسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالثمنية ولا نشاركهم فيها ، فأزل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسابه جهمد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فيبث النبي صلى الله عليه وسلم إلى

فصيب منهم حاجتنا (١) . وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذ عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يلك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك يالولا تتحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يلك الحاد الوير والقرش الوطنية وللتزهات الطيبة في ينشط لعبادة الله تعالى ٩ . ومن أبواب العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الاتفاق والتصديق ويدعو إلى الادخار والكفر والذباب الأليم وهو اللوغود المسكترين كما نطق به القرآن العزيز . قال خزيمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يلبني طي ثلاث أن أمره أن يأخذ المال من غير حقه وإتاقه في غير حقه ومنه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وطن بره ظن السوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق بلع المال والأسواق هي معشيش الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلني إلى الأرض وجعلني رجيا فأجبل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شربا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال للزماير قال اجعل لي قرأنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصاديق النساء (٢) ومن أبواب العظيمة التوصل: التصيب للمذاهب والأهواء والخذل على الخصوم والنظر إليهم بين الأزدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذلك كتر تصمصم عجيبة في الطبع من الصفات السبعة فاذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبيعته غلبت حالته على قلبه فاشتغل به بكل همتته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاطي لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالى أبي بكر من أخذ سيوفه وسار بسيرته وحفظ ما بين لحية . وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكشف لسانه عن الكلام فيها لا يمينه فأقن لهذا القضي أن يدعى ولاده وجبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لملي رضي الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس السكين إلى الرنخ ونرى الفاسق لا يهاب ثياب الحرير ومتجلا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة ولبت شعري من أخذ ولدا عزيزا لإنسان هو قرعة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه ويتفث شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاده فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشريعة كانا أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلني إلى الأرض وجعلني رجيا فأجبل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير وسانده ضعيف جدا ورواه نحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضا .

وللتحتمون لمصاعب الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطونه بقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه قترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصعابة وعند أولياء الله تعالى لابل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمتر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستجوا أن يجردوا على اللسان ذكرهم مع قبس أفعالهم ثم إن الشيطان يغيل إليهم أن من مات عبداً إلى بكر وعمر فالتار لانهم حوله ويغيل إلى الآخر أنه إذا مات عبداً لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقاطمة رضى الله عنها وهي بضعة منه (١) «اعملى فاني لأغنى عنك من الله شيئاً» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم التنصيص للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فنكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرة فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل للأجل الهديان فبالا لك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالمين وقد سلت المدارس لأقوام قتل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستباحت حرصهم ولم يتمكنوا من الاستباحت وإقامة الجاه إلا بالتصعب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم يذهبوا على مكابدة الشيطان فيه بل أبوا عن الشيطان في تنفيذ مكيده فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا أو أهلكوا فإفاه الله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد عليه السلام إمامي فقصوا ظهري بالاستفغار فسولت لهم دنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وتصدق للمعون فأنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المصاعب فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود وجلس قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشبان ليقيمهم عن مجلسهم ويزرق بينهم فلم ينقطع فأتى رقعة أخرى يتعدون حديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يستقلون وليس إمام يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم ففصلوا بينهم ففترقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوام الذين لم يبارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يسلطها أحد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يغيل إليهم في الله تعالى خيالات تعالى الله عنها يصير بها كافر أو مبتدعاً وهو به فرج مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقوام اعتقاداً في عقل نفسه وأثبت الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه وأكثرم سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه » (٢) ، والنبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعالمى لو رزى ويسرق كان خيراً له من أن يشكك في العلم فإنه من شكك في الله وفي دينه من غير إيمان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدرى

(١) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث السور بن عفرمة (٢) حديث أبي حنيفة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبراز وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

وتعالى نفع السنتنا
لضيف رسول الله صلى
يشيع ضيف رسول
الله قامت إلى الصبية
فصلتهم حق ناموا عن
قوتهم ولم يطعموا شيئاً
ثم قامت فأثرت
وأسرجت فلما أخذ
الضيف لياكل قامت
كانها تصلح السراج
فأطافته فجعلها مضغان
الستهم لضيف رسول
الله وظن الضيف أنها
ياكلان معه حتى شبع
الضيف وباتا طويين
فلما أصبحوا غدوا
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر
إليهما بسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم
قال قد عجب الله من
فلان وفلانة هذه البلية
وأزل الله تعالى -
ويؤثرون على أنفسهم

من ركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكابد الشيطان فيما يتعلق بالقائد والمذهب لا يحصر وإنما أردنا بما أوردناه للثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشر على غيره بالظن يشبه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنية فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للنهم فقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا » واضع الهم ^(١) حتى احترزوه ^(٢) من ذلك روى عن ابن حسين أن صفة بنت حني بن أخطب أخبرته « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد قالت فأنتبهت فتجدت عنده فلما سميت انصرف فقام يمشي معي فر به رجلا من الأنصار فسلما ثم انصرفا فتاداها وقال إنها صفة بنت حني فقالا يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإنني خشيت أن يدخل عليكما ^(٣) » فانظر كيف أشفق ^(٤) على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فلهذه طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إجماعا منه بنفسه فان أروع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كلية . ولكن عين السخط تبتدى للماويا

فيجب الاحتراز عن ظل سوءه وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فهمها رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا لليوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب العاذر والنافق يطلب العيوب واللؤم من سلم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلوب ولوأردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما يذهب به غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان كانت لها العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لاحول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سهدهه للدخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك بما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات للهلكات ونحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسيات شرحه . نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له راحة وبعمه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لاساطين له على القلب فلا يدفع ساطين الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك التلقي فثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أولم فانه يترجس بأن تقول له اخشأ فجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يدفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يترجس عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدها فيستقر الشيطان في سويدها القلب وأما قلوب للتئين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه بطرقها الشيطان لالشهوات بل خلجوها بالنفخة عن الذكر فاذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجد له أصلا (٢) حديث صفة بنت حني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأنتبهت فتجدت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة - وقال أنس رضي الله عنه أهدي لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهودا فوجه به إلى جاره له فتداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول فأنزل الآية لذلك . وروى أن أبا الحسن الأنطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الري وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان وأطعموا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فاذا هو بهاله لم يأكل أحد منهم إشارة منه على نفسه . وحكى عن حذيفة السدي قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لي

عليه أنه من نولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بسمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الله كره يطرده الشيطان (١) ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط قلها علماء الدين إلى نفسك فليس الخبر كالبيان وتأمل أن منتهى ذكر كرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب للتائدين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى إنك لاتذكر ماقد نسبت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت فالصلاة بحك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب للشهوة يشعرونها الدنيا فلا حرم لا يطرده عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسوس كما أن الدواء قبل الاحتيال ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت التخلص من للشيطان تقدم الاحتياء بالقوى ثم أردفه بدواء الله كره الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان في الملاينة وأنت صديقه في السر أى أنت مطيع له . وقال بعضهم يا عبيد لمن يصي الحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع العاين بعد معرفته بظفانه ، وكما أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لقد شر وط الله كره والدعاء ، قيل لأبراهيم ابن آدم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها ؟ قال ثمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تفعلوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعلموا بسنته وقلتم نخشى الله ولم تستمدوا له وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطأوه على المعاصي وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعلموا لها وإذا قمتم من فرشكم رتبتم عيونكم كرهوا ظهوركم وافتقرتم عيوب الناس أمامكم فأخطمتم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت فالداعى إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لاجابة لك إلى معرفة ذلك في العمالة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار : أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه فأمّا طريق الاستبصار فذكره بطول ويكتفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف السبلات يدل على اختلاف الأبواب كما ذكرناه في نور النار وسواد السحابة . وأمّا الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثور والأعور ومبسوط وداسم وزلتبور ، فأمّا ثور فهو صاحب الصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدد ودعوى الجاهلية وأمّا الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به وزينه وأمّا مبسوط فهو صاحب الكذب وأمّا داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعب عنه ويضيه عليهم وأمّا زلتبور فهو صاحب السوق فبسيه لايأذن متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خرب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٣) وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في اللائكة كثرة ، وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة اللائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل المؤمن مائة وستون ملكاً يديون عنه

عطاء يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة يئس جوعاً وقراً ، قال أبو حفص الإشارة هو أن يقدم - حظوظه الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإشارة لا يكون عن اختيار إنما الإشارة أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقاك ولا تميز ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى نفسه ملكاً لا يصح منها الإشارة لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الإشارة من يرى الأشياء كلها للحق فمن وسيل إليه فهو أحق به ، فإذا وصل شيء من ذلك

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يطرده الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خرب م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عند ث من حديث أبي .

مالم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الباب عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو بدالك لم أيتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغراه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفه عين لاخطفته الشياطين (١) وقال أيوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تنقني عليه لأقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيدة سينة وبالحسنة عشرة إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذي كرمته على إن لا تنقني عليه لأقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بحيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخفاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أبصار لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسادهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) » وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال إنني أريد أن أفصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأنصاف علينا قبل على أحدكم حتى تقتله وتتمكن منه فيفرغ إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نمود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندركه منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة السكر في أيدي صبيانكم فقامهم كيف شئنا فندكونهم أو نقتلهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء . فان قلت فكيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتها ولا تدرك حقيقة صورتها بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة فما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين (٣) وذلك ما سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبيع وظهر له بهاء فسد الأفق من الشرق إلى الغرب وراه مرة أخرى على صورته ليلة المراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا (٤)

إليه يرى نفسه ويد
فيه يد أمانة يوصلها
إلى صاحبها أو يؤدبها
إليه . وقال بعضهم
حقيقة الإشارة أن تؤخر
بخط آخرتك على
إخوانك فإن الدنيا
أقل خطرا من أن
يكون لإيثارها هزل
أو ذكروا من هذا المعنى
ما قل أن بعضهم رأى
أخاه فلم يظهر البشر
الكثير في وجهه
فأنكر أخوه ذلك منه
فقال : يا أخي سمعت أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
التقى المسلمان ينزل
عليهما مائة رحمة :
تسعون لا كثرها
شرا وعشرة لأقلهما
شرا » فأردت أن
أكون أقل بشرا منك
ليكون لك الأكثر

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وطلب في الجمع الكبير باستناد ضعيف (٢) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخفاش الأرض صنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أبصار لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسادهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيخان من حديث عائشة وسئل هل رأى محمد ربه وفيه وليكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشيخان من حديث عائشة وسئل فأين قوله : فدنا فتدلى ، قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صرة الرجل الحديث .

فكان يراه في صورة دحية الكلبي^(١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل السكافة من أبواب القلوب بمثل صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما للكشاف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يعنيه اشتغال الحواس بالدنيا عن السكافة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجلا شبه البلوري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكب الأيسر بين منكبيه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكب الأيسر إلى قلبه فيؤسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة قد رآه بعض المكشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الماكوت وعند ذلك يدرك أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم النيب وهو مدخل الأنعام والوحى ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق للمعنى حق يرى شخصاً جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيحس السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبس ، أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الماكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا عمالية للصفة ومواقفة لها لأن الصورة في عالم الماكوت تابعة للصفة ومواقفة لها فلا جرم لا يرى للمعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان للمعنى وعمالية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عمجية وهي من أسرار محائب القلب ولا يليق ذكرها بعمامة العامة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة عمالية للمعنى هو مثال للمعنى لا عين للمعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة حقيقة وينفرد بمشاهدته للكشاف دون من حوله كالنائم .

(بيان ما يؤخذ به البعد من وساوس القلوب ومهما وخواطرها

وتصودها وما يفي عنه ولا يؤخذ به)

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على مسامرة العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به »^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسية فلاتكتبوها فإن عملها فاكذبوها سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكذبوها حسنة فإن عملها فاكذبوها عسرا »^(٣) وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدثهم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عني لأمي عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أمسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسية

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصغار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من حسب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطع ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملسكه مباحًا وقال روم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالقرآن والافتقار والتحقق بالبدل

دليل على الغفوة عن عمل القلب وحده بالسبب وفي لفظ آخر «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سببها نصف ومن هم بسببها فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت» وفي لفظ آخر «وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنما أغفرها له مالم يعملها» وكل ذلك يدل على الغفوة فأنما ما يدل على الأخذ بقوله سبحانه - إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تنفك ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستورا - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعنى عنه وقوله تعالى - ولا تنكثوا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤاخذكم الله بالغفوة في آياتكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه مالم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فنقول : أول ما يرد على القلب الحاضر كالخطر له مثل صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق ولو التفت إليها لراها . والثاني هي جانبة الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الحاضر الأول ونسبته ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن يخطر إليها فان الطبع إذا مال لم تمنع المهمة والنية مالم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون تأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الحاضر والليل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسيه ما بالقلب ونية وقصدا وهذا المهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أضى القلب إلى الحاضر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المهم وصار إرادة مجزومة فاذا انجزمت الإرادة فرما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يفشل بما رضى فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوق عائق فيتمتع عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجراحة : الحاضر وهو حديث النفس ثم البليل ثم الاعتقاد ثم المهم . فنقول : أما الحاضر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله يُنْفِثُ إِلَيْهِ «عنى عن أمق ما حدثت به قوسها» فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهيج في النفس ولا يتبناها عزم على الفعل ، فأما المهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم «يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة» قال مهلا إن من سقى النكاح . قال نفسي تحدثني أن أحب نفسي . قال مهلا خصاء أمق دؤب الصيام . قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم . قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه (١) فلا تكتبوها عليه الحديث قال المصنف أخرجه من مخ في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ مسلم فلماذا والله أعلم قدمه في ذلك (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سقى النكاح الحديث الحكيم في نوادر الأموس من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب برسالة نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والداري من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء يث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إنني أومر بالرهانية الحديث وفيه من رغب عن سقى فليس مني وهو عندم بل يفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاخصينا وللقوى والطبراني في معجمي الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إنني رجل تشقى على هذه المزوبة في التنازى فتأذي لي يا رسول الله في الحساء فأخشي قال لا

والإشارة ترك التعرض والاختيار . قيل لأمسى بالصوفية وتميز الجنيد بالغفوة وقبض على الشحام والرقام والنوري وبسط الطمع لضرب رقابهم تقدم النوري فقيل له إلى ماذا تبادر؟ فقال أوثر إخواني بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل البرذباري دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفى وله باب مغلق فكسروه وأمر جميع ما وجدوا في البيت أن يباع فأتدوه إلى السوق وأخذوا رقما من الخن وقصدوا في الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها

فيه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فالأختياري منه يؤخذ به والاضطراري لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو الهمم بالفعل فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى وتدما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه وعجاذته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الفلفة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد منه جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لأنه رجع جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن توقى الفعل بماتى أو تركه بذره لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت للملائكة عليهم السلام رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال أرقبوه فإن هو عمها فاكثبوا له بعلها وإن تركها فاكثبوا له حسنة إنما تركها من جرأتى » (١) وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فأما إذا عزم على فاحشة فتعمدت عليه بسبب أو غفلة فكيف كتبت له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم » (٢) ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح يقتل مسلما أوزنى بأمرأة ماتت تلك الليلة مات مصرا ومحسرا على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقي للسلطان بسيفيهما فالتقاتل وللقول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل لما بالك تقول قال لأنه أراد قتل صاحبه » (٣) وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فأما قوت المراد بماتى فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمراد بماتى فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمراد بماتى فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمراد بماتى فليس بحسنة

ولكن عليك يا ابن مظنون بالصيام فإنه مجفرة ولأحمد والطبراني بإسناده جيد من حديث عبد الله ابن عمرو خضاء أمي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناده فيه ضعف إن عثمان بن مظنون قال يا رسول الله الذين في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهانية الخفيفة السمحة والتكبير على كل شرف الحديث و به سند ضعيف من حديث عائشة السكاح من سقى ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهانية ورهانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفي زيد العمى وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت للملائكة رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر بالحديث قال للصف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يحشر الناس على نياتهم من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يحشر الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يعصم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يعصمون على نياتهم (٣) حديث إذا التقي للسلطان بسيفيهما فالتقاتل والقول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتنا فرمت بالكساء وقالت هذا أضامن بقية الفراع فيموت فقال الزوج لها لم تكلفي هذا باختيارك قالت لا سمكت مثل الشيع يساغفنا ويحكم علينا ويقي لنا شي ندخره عنه . وقيل مرعى قيس بن سعد فاستبطأ إخوانه في عيادته فسأل عنهم فقالوا إنهم يستحيون بمالك عليهم من الدين فقال أخزى الله ملايئع الإخوان عن الزيادة ثم أمر مناديا ينادي من كان قيس عليه مال فهو منه في حل فكسرت عتبة داره بالحق لكثرة عواده . وقيل أن رجلا صغيا له نوى على الباب فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو خفوه بحاسبكم به الله - « جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطبق إن أحدا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم بحاسب بذلك فقال ^(١) فقال لهم قولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا ^(٢) » فأنزل الله الفرق بعد سنة بقوله - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يغلط وكيف لا يؤخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الحباث من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤخذ به فإن أجبها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا وأشار إلى القلب ^(٣) » وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حواز القلوب ^(٤) » وقال « البر ما أطمان إليه القلب وإن أتوك وأتوك ^(٥) » حتى إذا تحول إذا حكم القلب للقي بإيجاب شيء وكان خطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فإن تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يصح بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصي بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الله كرام لا)

اعلم أن العلماء للراقيين للقلوب الناظرين في صفاتها ومخاطباتها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس ^(٦) » والحنس هو السكوت فكأنه يكت . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالله كركان محجوب باعن التأثير بالوسوسة كالمشغول به فانه قد يكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف . وقالت فرقة ينعدم عند الله كذا في لحظة وينعدم الله كذا في لحظة ويتماثلان في أوزنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوية وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواسلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الحنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الله كذا ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والله كذا يتساوقان في الدوام على القلب تساوفا لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو خفوه بحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطبق الحديث م من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما أطمان إليه القلب وإن أتوك وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولا محمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أتاك الناس وأتوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا .

جفتي قال لأرهبته
درم دين على قدخل
الدار ووزن أرهبته
درم وأخرجها إليه
ودخل الدار باكيا
فقال امرأته هلا طمئت
حين شق عليك الاجابة
فقال إنما أبكي لأنني لم
أفقد حاله حتى أحتاج
أن يخافني . وأخبرنا
الشيخ أبو زرعة عن
أبيه الحافظ القدسي
قال أنا محمد بن محمد إمام
جامع أصفهان قال ثنا
أبو عبد الله الجرجاني
قال أنا أبو طاهر محمد بن
الحسن المحدث الأندلسي
قال ثنا أبو البختري قال
ثنا أبو أسامة قال ثنا
زيد بن أبي بردة عن
أبي موسى قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الأشرار إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لشئين فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينا في رأسه يصير بها أمر دنياه وعينا في قلبه يصير بها أمر دينه ^(١) » وإلى هذا ذهب المحاسي والصحيح عندنا أن كل هذه للذهاب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر لكل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التليس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان بترك التمتع باللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعدته وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على للعاصي ولا يمكنه أن يقول للعصية لا تضيق لي النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالمعجب بعمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فلما أعظم مكانته عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعمله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكيفية عن العارفين للمستبصرين بنور الإنسان والمعرفة . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية وإلى ما يظنه بظالم الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن تهيج . يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان مظلوما قريبا يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة . الصنف الثالث : أن تكون الوسوسة بعجز الحواطر وتذكر الأحوال الغالية والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يتدفع ساعة ويعود ويتدفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يسألوا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الحواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا أن يتدفع هذا الخنس بالكيفية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء . من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ^(٢) » فالولا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالسهر فلما قد ترى التسويع القلب بعدو تأذي به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في مجادلة محبوه بقلبه ونفوس في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوه ولو كله غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرس على مال وجه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرس على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجهها ولكن في عمل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيدا جدوا ومحال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينا في رأسه يصير بها أمر دنياه وعينا في قلبه يصير بها أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه وفيه الحسين بن أحمد بن محمد الهروي الساجي الحافظ كذبه ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد اقتسموا في إناء واحد بالسوية فهم متى وأنا منهم . وحدث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه إذا أراد أن يغزو قال : يا معشر المهاجرين والأنصار إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم أحدكم إليه الرجل والرجلين والثلاثة فوالأحدكم من ظهر جملة إلا عقبة كعقة أحدهم . قال فضممت إلى اثنين . أو ثلاثة مالى إلا عقبة . كعقة أحدهم من جملة . وروى أنس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة أخى النبي عليه السلام بينه وبين معد .

في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالحواطر وتيسر الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دروي « أنه نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبي جهنم واتوفى بأبجانيته (١) ». وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليهودي هو على الثوب ثم رمى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) » وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريرك الله النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تقطع وسوسة عروض الدنيا وتهدأ إلا بالرمي والفرقة فإدام عليك شيئا وراء حاجته لو دنا روادا لابعده الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه. وفي إذا يتفقه وكيف يخفي حتى لا يعلم به أحد وكيف يظهره حتى يبقاه. به إلى غير ذلك من الوسواس فمن أنشب محابله في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن اتهمس في السمل وظن أن الدباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للعاصي فإن امتنع أتاه من وجه النسيجة حتى يلقيه في بدعة فإن أبي أمره بالتحرج والشدة حتى يجرم ما ليس بجرم فإن أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج عرجه عن العلم فإن أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتقبل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويسلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة تقلب القلب واحكام القلوب في الخير والقيتات)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تسكنه الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاعفه فتغير صفته فإن نزل به الشيطان فدها إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متازعا بين ملكتين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قطعهما ولا إلى الإشارة بقوله تعالى - وتقلب أثلاثهم وأبصارهم - ولا طالع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى في محابب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول « لا ومقلب القلوب (٣) » وكان كثير ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن قلبه كيف يشاء (٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزله أزاله » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة » (٥) وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في ثوبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على الثوب فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب ن من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ن من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى . ك وصححه على شرطه ن من حديث الثواس بن سمعان مامن قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاله ون في الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ك في المستدرک وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواه الباقوني في معجمه من حديث أبي عبيدة غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الربيع فقال له
أما سمعتك تعالى تصفين لولي
اسم كان فأطلق أحداها
فإذا انقضت عدتها
فزوجها فقال له
عبد الرحمن بارك الله
لك في أهلك ومالك
فمن أجل الصوفي على
الإشارة لإظهاره نفسه
موشرف غريزته وما
جعله الله تعالى صوفيا
إلا بسد أن سوى
غريزته لذلك وكل
من كانت غريزته
المعاه السخى يوشك
أن يصير صوفيا لأن
السفاه صفة التوراة
سوى مقابلته الشعب
والشع من لوازم صفة
النفس قال الله تعالى
- ومن يوق شح نفسه
فأؤلئك هم المفلحون -
حكم بالفلاح لمن يوق
الشح وحكم بالفلاح

ومثل القلب في تنبيه كالتقدير إذا استجمعت غليانا (١) وقال « مثل القلب كشل ريشة في أرض فلاة
تقلبها الرياح ظهرا لبعن (٢) وهذه التقلبات وهجائب صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا تهتدي إليه
للمرقة لا يبرئها إلا الرابون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر
والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالقوى وذا كالرياضة وطهر عن خبايا الأخلاق تنفد فيه خواطر
الخير من خزائن القلب ومدخل للكوث فيصرف العقل إلى التفكير فيما خطره يعرف دقائق الخير فيه
ويطلع على أسرار فوائده فيكشف له نور البصرة وجهه فيحكم بأنه لا يد من قلبه فيستحبه عليه
ويدعوه إلى الصلابة وينظر للقلب فيطابق جوهره طاهرا بقواه مستقرا بفضائه بقاء العقل
معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهيئا فند ذلك يمدد بخنود لا ترى ويهديه
إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتأخر إمداده بالترغيب بالخير
وتيسير الأمور عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يغنى فيه الشرك الخفى
الذى هو أخفى من ديب الخلق السوداء في البلية الظلمة فلا يغنى على هذا النور خافية ولا يبرج عليه
شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب
بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمتجيات التي سذكها من الشكر والصبر والحرف
والرجاء والفقر والزهو والحب والرضا والشوق والتوكل والتفكير والحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي
أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمع للراد بقوله تعالى - ألبذكر الله تطمعن القلوب -
وبقوله عز وجل - يا أيها النفس الطمئة - . القلب الثاني : القلب الخدول المشحون بالهوى للدنس
بالأخلاق المذمومة والحبايات الفتوح في أبواب الشياطين للسود عنه أبواب اللامعة ومبدأ الشر فيه
أن ينفذ فيه خاطر من الهوى ويهيج فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفيق منه ويستكشف
وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأسس به واستمر على انبساط الخيل له وعلى
مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فيشرح الصدر بالهوى وتنسبط فيه ظلماته لأغناس
جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه
بالتزيين والنور والأكام ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد
والوعيد ويخون نور اليقين خوفا الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب عملا جوانبه
حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل
غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبق للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمه ما هو
الحق في حى عن القهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح
على وفق الهوى فظهرت للنسبة إلى عالم الشهادة من عالم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى
مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - . أم تحسب
أن أكثرهم يسمعون أو يفقهون إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - لقد حق
القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون -
ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالتقدير إذا استجمعت غليانا أحد وك وقال صحيح على شرط من
حديث القدا بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كشل ريشة في أرض فلاة الحديث الطراني الكبير والبيهقي
في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .

لمن أشقى ويدل فقال
سومار زمانهم ينفقون
أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم
الفلحون - والقاصح
أجمع اسم لمادة
الدارين والتي عليه
السلام به بقوله ثلاث
مهلكات ، وثلاث
منجيات لحمل إحدى
المهلكات شعا مطاعا
ولم يقل مجرد الشح
يكون مهلكا بل يكون
مهلكا إذا كان مطاعا
فأما كونه موجودا في
النفس غير مطاع فانه
لا ينكر ذلك لأنه من
لوازم النفس مستمدا
من أصل جبلتها التراب
وفي التراب قبض
وإمسالك وليس ذلك
بالحب من الآدمي
وهو جيل في وإنما
الحب وجود السخاء

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كالأذى لا يملك نفسه فيأفقه الجاه والرياسة والكبر ولا يلقى معه مسكة لتثبت عند ظهور أسبابه أو كالأذى لا يملك نفسه عند الغضب معها استحقق وذكر عيب من عيوبه أو كالأذى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يهلك عليه تلك الواله المستتر فينسى فيه للرؤية والقوى فكل ذلك لتصاد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتتطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والروءة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب يتدور فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحظه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصره خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمعن والتتم فيثبت العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويصح قلبها وينسحب إلى الجهل ويصحبها بالبيعة والسبع في تهجمها على الشر وقلة أكثرها بالواقف تحصيل النفس إلى نصح العقل فيجحد الشيطان حيلة على العقل فيقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التصريح البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أو يترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعونا بضحك عليك أهل الزمان أو تريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتيت ولم يتمتعوا . أما ترى العالم القلاني ليس يحرز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتصيل النفس إلى الشيطان وتقلب إليه فيجحد تلك حيلة على الشيطان ويقول هل هلك إلا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة أو تفتن بقلعة يسيرة وترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد أم تستقل لم الصبر عن شهواتك ولا تستقل لم النار أو تفتن بقلعة الناس عن أنفسهم واتباعهم وهوام ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخاف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخافهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاوزا بين الحزبين إلى أن يلبس على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب القالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأولياته ومساعد لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات للكمية لم يصح القلب إلى إغواء الشيطان وتخريض إياه على العاجلة وتمويهته أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو القالب أي القلب والانتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب اللائكة أو مع حزب الشيطان فتأخر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزانة القلب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزانة لللكوت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أبواب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسر له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسر له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يشر الحق بقوله إن الله رحيم فلا يزال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا - يدهم ويمنهم وما يدهم الشيطان إلا ضرورا - يدهم التوبة ويمنهم للفرقة قبل حكمهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل وما يحير عجزاها فيوسع قلبه لقبول التورود ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن رد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرا كما يجد في السماء . - إن يصركم الله فلا غالب لكم وإن غذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده - فهو الهادي

في الفرقة وهو لنفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والابتلاء والسخاء لهم وأكل من الجود في مقابلة الجود بالبخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل بطرق إلى السخاء العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة الفرقة وكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه . وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الفرائز والله تعالى منزّه عن الفرقة والجود يتطرق إليه الرأف ويأتي به الإنسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الخلق بمقابل ما من

بحول الضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فلا تستعلمهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فلا تستعلمهم بالمعاصي وعرف الخالق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبرار لن ينعيم وإن الفجار لن يجمع - ثم قال تعالى فيا روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم العامة وإن ساذ كرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم اللامعة وأسرارها ليتفتح بها من لا يفتح بالظواهر ولا يجترى بالتشعر عن الباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيها ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . تم كتاب عجائب القلب وقلبه الحمد واللثة ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع الملهكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وأمان عليهم بتسهيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من غايه وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودجاجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقلبه ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمره مجاهدة النفسين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهللكات الدائمة والحمازى القاضية والردائل الواضحة والخبائث البعدة عن جوارب العالمين للنخوة بصاحبها في ملك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى للموقدة التي تطلع على الأفئدة كأن الأخلاق الجلية هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه للرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وترادفت الملل وتظاهرت فحتاج العبد إلى تأنيق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشهير في علاجها وإصلاحها والجناتها هو المراد بقوله تعالى - قد أنزل من زكاهما - وإحلالها هو المراد بقوله - وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها في الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي . أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

الثناء وغيره من
الخلق والثواب من
الله تعالى والسخط
لا يتطرق إليه الرياء
لأنه ينبع من النفس
الزكية المرتفعة عن
الأغراض دنيواخرة
لأن طلب العوض مشعر
بالبخل لكونه معلولا
بطلب العوض فما
عوض سخا فاستغنا
لأهل الصفا والائثار
لأهل الأنوار ويعجز
أن يكون قوله تعالى
- إنما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا أنه
نفي في الآية الإطعام
لطلب الأغراض حيث
قال لا نريد بمسد
قوله لوجهه . الله
فما كان له لا يشعر
بطلب العوض بل
التسوية لطهارتها
تنجذب إلى مراد الحق

لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر السلي في تهذيب الأخلاق وتعميد مناجها ونحن نذكر ذلك ونجمل علاج البدن مثالا ليقرب من الأنعام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يان حقيقة حسن الخلق ثم يان قبول الأخلاق لتغير بالرياضة ثم يان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم يان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورعاية النفوس ثم يان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ثم يان عواهد النقل على أن طريق المألجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم يان علامات حسن الخلق ثم يان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم يان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

قال الله تعالى ثيبه وحبيبه مثنيا عليه ومظفرا نعمته لديه - وإنك لملى خلق عظيم - وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن ^(١) » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق قتلا قوله تعالى - خذ الصو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتمفو عن ظلك ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يثبت لأتكم مكارم الأخلاق ^(٣) » وقال **عليه السلام** « أثقل ما يوضع في الليزان يوم القيامة قوى الله وحسن الخلق ^(٤) » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين قالت إليه وقال أما تفقه هو أن لا تنضب ^(٥) » وقيل « يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق ^(٦) » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس خلق حسن ^(٧) » وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقته فيقطع النار ^(٨) » وقال الفضيل ^[١] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في الليزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإنسان

للعوض وذلك أكمل البهائم من أطهر الغرائز. روت أحمد بن أبي بكر قالت : قلت يا رسول الله ليس لي من شهر إلا ما أدخل على القوي فأعطي، قال نعم لا تؤذي فيوكي عليك . ومن الأخلاق الصوفية التجاوز والفوقية والسيئة الحسنة . قال سفيان الأحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فإن الأحسان إلى الحسن متاجرة . يعتقد السوق خذ شيئا وهب شيئا وقال الحسن الإحسان أن تم ولا تنهض كالشمس والريح والشمس . وروى أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأيتهم بهرام شرفة

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ الصو - الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بن سعيد حسان (٣) حديث يثبت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصلوة (٤) حديث أثقل ما يوضع في الليزان خلق حسن د وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر اللوزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسل (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حينما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقته فيقطع النار تقدم في آداب الصلوة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرج البراق ولم يثبه عليه وقد تقدم في باب الصلوة قليلا .

قال اللهم قوتي قنواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله السكر قال اللهم قوتي قنواه بالبخل وسوء الخلق (١) « وقال صلى الله عليه وسلم » إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينا دينكم بهما (٢) « وقال عليه السلام » حسن الخلق خلق الله الأعظم (٣) « وقيل « يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيماننا قال أحسنهم خلقا (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم » إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (٥) « وقال أيضا صلى الله عليه وسلم » سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل المصل (٦) « وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك (٧) « وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا (٨) « وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « اللهم حسنت خلقي فحسن خلقك (٩) « وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الثناء فيقول « اللهم إني أسألك الصحة والمالفة وحسن الخلق (١٠) « وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقه (١١) « وعن أسامة بن شريك قال « شهدت الأعرابي يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما أعطى العبد قال : خلق حسن (١٢) »

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق الحديث لم أفت له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي الدرداء ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى في كتاب المستجاد والحرايطى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناده فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضيف (٤) حديث قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيماننا قال أحسنهم خلقا قد نك من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ أكل المؤمنين وللطبرانى من حديث أبي أمامة أفضلكم إيماننا أحسنكم خلقا (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل المصل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفهما ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الحرايطى في مكارم الأخلاق وأبو الباس الدغولى في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا الحرايطى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقك الحرايطى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والمالفة وحسن الخلق الحرايطى في مكارم الأخلاق بإسناده فيه لين (١١) حديث أبي هريرة كرم للرم دينه ومروءته عقه وحسن خلقه حب وك وصحة على شرطه والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد التميمي وقد تسلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعفين ثم رواه موقوف على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعرابي يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخبر ما أعطى العبد قال خلق حسن ه وتقدم في آداب الصعبة .

على الجنة قتلت
يا جبريل لمن هدمه
قال للسكاطين القبط
والعافين عن الناس
روى أبو هريرة رضى
الله عنه « أن أبا بكر
رضى الله عنه كان
مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مجلس
جاء رجل فوقع في
أبي بكر وهو ساكت
والنبي عليه السلام
يتبسم ثم رده أبو بكر
عليه بعض الذي قال
فغضب النبي وقام
فلحقه أبو بكر فقل
يا رسول الله شتمني
وأنت تبسم ثم رددت
عليه بعض ما قال
فغضبت وأنت فقال
إنك حيث كنت
ساكتا كان معك
ملك يرد عليه ففما
تسكت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» (١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تصدوا بشي من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفية أو خلق يبش به بين الناس» (٢) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» (٣) وقال أنس بن مالك رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال «إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد» (٤) وقال عليه السلام «من سعادة الرء حسن الخلق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «الرجل حسن الخلق» (٦) وقال عليه السلام «لأن ذر» (٧) «يا أبا ذر لا عقل كالتيدير ولا حسب كحسن الخلق» (٨) وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت للراءة يكون لها زوجان في الدنيا تموت ويعتوان ويدخلون الجنة لأبهما هي تكون» قال «لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته» (١٠) وفي رواية «درجة الطمأن في المواجه» وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال «إني رأيت البارحة هجرا رأيت رجلا من أمي جائيا على ركبته وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله الله على تعالى» (١١) وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لشعيف في العباد» (١٢) وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقصد في مقدم فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم عظمة فجفو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغي بها وجهه الله إلا زاده الله بها كثرة» أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا السرخسي قال أنا التبرقي قال أنا الجراحي قال أنا الهروي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد ابن فضيل عن الوليد ابن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طس طس من حديث أبي هريرة إن أحسبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا والطبراني في معارج الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصعبة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يصد بشي من عمله الحديث الخرابطي في معارج الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي معارج الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد الخرابطي في معارج الأخلاق بسند ضعيف ورواه طس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للرء حسن الخلق الخرابطي في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث الجين حسن الخلق الخرابطي في معارج الأخلاق من حديث علي باسناد ضعيف (٧) حديث يا أبا ذر لا عقل كالتيدير ولا حسب كحسن الخلق ه ح من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أرأيت للراءة يكون لها زوجان الطبراني في الكبير والخرابطي في معارج الأخلاق باسناد ضعيف (٩) حديث إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن أبي شيبة (١٠) حديث عبد الرحمن بن سمرة إني رأيت البارحة هجرا الحديث الخرابطي في معارج الأخلاق بسند ضعيف (١١) حديث إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والخرابطي في معارج الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب معارج الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصفيين من حديث أنس باسناد جيد

فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك
 فقال عمر رضي الله عنه "م" تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجبت لهذا لأنك كنت عديدا
 سمعت صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر
 فقال يا عدوات أنفسهن آهني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن لم أنت أغاظ وأفظ من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لهما يا ابن الخطاب والذي نفسي بيدي ما ليقيك
 الشيطان قط سالكا لجا لإصلاك لجا غيرك^(١) وذلك صلى الله عليه وسلم "سوء الخلق ذنب لا يفر
 وسوء الظن خطيئة تفوح"^(٢) وقال عليه السلام "إن البديل يغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم"^(٣)
 الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الحاصل من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت
 اثنتين قال الدين وللحال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين وللحال والحياة قال فإذا كانت أربعا قال الدين
 وللحال والحياة وحسن الخلق قال فإذا كانت خمسا قال الدين وللحال والحياة وحسن الخلق والسفاهة
 قال فإذا كانت ستا قال يابني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو هي هي لله ولي ومن الشيطان يرى
 وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن البديل يغ من حسن خلقه أعلى
 درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ
 في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل القنطرة المسكورة
 لا ترقع ولا تمانع طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبي فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبي عابد
 سيء الخلق ، ومحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يجتعل منه ويداريه فلما فارقه بكى
 قتيلا له في ذلك فقال بكته رحمة له فارقت وخلفه معه لم يفارقه ، وقال الجعيد : أربع ترفع البديلي
 أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال
 السكتاني التصوف خلق لمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف ، وقال عمر رضي الله عنه
 خالطوا الناس بالأخلاق وزيارهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تفتح معها كثرة
 الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم قال هو
 ما بين الله في كتابه العزيز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا
 أفضلكم حسبا ، وقال لسك بنان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع
 من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا بالمعطي صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز
 وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

أعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه مأثور وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته
 ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم
 يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

- (١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكرته الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يفر أسفل درك جهنم (٣) حديث إن البديل يغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم الطبراني والحرايطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصفيانيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحدِيثين .

حديقة قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 "لا تكونوا إمعة
 تقولون إن أحسن
 الناس أحسنا وإن
 ظلموا ظلمنا ولنكن
 وطنوا أنفسكم إن
 أحسن الناس أن
 تحسنوا وإن أساءوا
 فلا تظلموا" وقال بعض
 الصحابة "يا رسول الله
 الرجل أمر به فلا يقربني
 ولا يضيغي فيعري
 أفأجزيه قال لا أقره"
 وقال الفضيل الفتوة
 الصفيح عن حشرات
 الإخوان وقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 "ليس الواصل للنعمة
 ولكن الواصل للذي
 إذا قطعت رحمته وقطعها"
 وروى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 "من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى . وقال الواسطي هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من عدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : هو كفاف الأذى واحتفال المؤمن . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدائه الاحتمال وترك الكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا ينهم الخلق في الرزق ويشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال على رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على البيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك ثم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض للخرات حسن الخلق لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الخيرات أيضا وكشف الطاء عن الحقيقة الأولى من مثل الأناويل المختلفة فقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما تبيح وإما تحجب فالتنس للدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد للدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بأضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فنهى عن أن الجسد مقسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، وللراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجلية المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال التبيحة سميت الهيئة التي هي الصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل للال على التدور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رصوخ وإنما اشتطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقيس . والثاني القدرة عليهما . والثالث للعفة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يذل إما لقصد المال أو لما نفع وربما يكون خلقه البخل وهو يذل إما لباعث أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن اللعرة فإن اللعرة تتعلق بالجميل والقبيح جمعا على وجه واحد بل هو عبارة عن الشيء الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العين دون الأنف والقدم والحذ بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتساوت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها وصلاحيها أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتمادات وبين الجليل والقبيح في الأفعال فإذا

أن تنفو من ظلمك وتصل من قطعك وتعلم من حرملك ومن أخلاق الصوفية البشرى وطلاقة الوجه. الصوفى بكأزه في خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفى منازل إلى المية ومواهب قدسية يرتوى منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - والسرور إذا أعكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله تعالى سوجوه يومئذ مسفرة - أى مضيئة مشرقة مستبشرة تسأى فرحة قيل أشرفت من طول ما أغبرت في سبيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - وأما قوة الغضب فحسبنا في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إرادة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إرادة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح الشير وقوة العدل هي القدرة ومثاله مثال للنقد المحض لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال الكلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال القرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضاً مؤدباً زائراً يكون جموحاً فمن استوت فيه هذه الحاصل واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك الشيء خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة العنصرية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالفة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى هوراً وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جينا وخوراً وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جموداً والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفاً زيادة ونقصان بل له ضد واحد مقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثاً وجبرية ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فلأن أهميات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية ، ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والاعتدال على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربع تصدر الأخلاق الجبلية كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير ووجوده الدهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجبرية والسكر والخداع والبهاء ومن تفريطها يصدر البله والعمارة والحق والجنون ، وأعني بالعمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فتدبكون الإنسان غمراً في شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأخير مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الوصول إلى الغرض . وأما الجنون فإنه غيثار مالا يبين أن يغتار فيكون أصل اختياره وإشارته فاسداً . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والتجدة والشهامة وكسر النفس والاحتيال والحلم والثبات وكظم النبط والوقار والتودد ومثاله وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبخس والاستشاطقة والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه الهانة والقلّة والجزع والخساسة وصفر النفس والانهياض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والسامحة والتناعة والورع والطاقة والساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط والتفريط فيحصل منه الحرص والشرع والوقاظة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والمتسكة والمجانة والعبث واللقى والחסد والشائنة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأهميات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع هي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال قبض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مثلاً والقلب زجاج والروح مصباح فإذا تتم القلب باليد السامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النعيم - أي نضارته وبريقه يقال أنضرت النبات إذا أزهر ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلي وإذا شرقت الشمس على الركة الصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويتقنون به في جميع الأنفال ، ومن اتقن عن هذه الأخلاق كلها وانصف بأخذها استحق أن يخرج من بين البلاد والمباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبدئي أن يمد كما أن الأول قرب من الملك القرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت إلا لاتباعه الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أو صفات المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصالحين فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن لشدته موصفا و للرحمة موصفا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه ويان أن ركائمه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق لتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استعمل المجاهدة والرياضة والاعتقال بترك النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لتصوره وشبهه وخبت دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الظاهر لا يقدر على تغييرها فالقصور لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبيح الباطن يجرى هذا الجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق قمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى الزواج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاعتنائه به تصحيح زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع الفئات القلب إلى الحظوظ الداجلة وذلك حال وجوده . فتقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لطلت الوصايا والوعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنوا أخلاقكم » (٢) وكيف يشكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البريمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاء إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى التأدب والامساك والتخيلة والفرس من الجراح إلى السلامة والاعتدال وكل ذلك تغيير للأخلاق . والقول الكاشف لغطاء ذلك أن قول الموجودات منقمة إلى ما لا يدخل في لادبها واختياره في أصله وتفصيله كالسقاء والكواكب بل أعضاء البدن وإخلاها خارجا وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجودنا فيها وجعل فيه قوة لقبول الكمال بيد أن وجد شرطه وشروطه قد يرتبط باختيار البدن بأن النواة ليست متناهية ولا تخل إلا أنها خلقت خلقا يمكن أن تصير خلقا إذا اضاف التربية إليها ولا تصير فحاشا أصلا ولا تربية فإذا سارت النواة متأثرة بالاخيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعها وقهرها بالكلية حتى لا يلقى لهما أثر لم تقدر عليهما أصلا ولو أردنا سلاستها وقودها بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وسار ذلك سبب نجاحنا ووصولنا إلى الله تعالى . ثم الجلبات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة التفرغ في أصل الجلبلة وامتدادها مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعب أمرا وأصعبها

الجبران قال الله تعالى
- سيأمن في وجوههم
من أن السجود وإذا
تأثر الوجه بسجود
الظلال وهي القواب
في قول الله تعالى
- وظلالهم بالنسبة
والأصابع كيف لا يتأثر
بشهود الجلال . أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن جلي قال أنا
الكرخي قال أنا
الزريق قال أنا الجراحي
قال أنا المحبوب قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال
فنا قتيبة قال ثنا
التكبر بن محمد بن
التكبر عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « كل معروف
صدقة وإن من المعروف
أن تلقى أخاك بوجه
طلق وأن تفرغ من

(١) حديث ثبت أنتم مكارم الأخلاق تخدم في آداب الصلحة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن الأثير مكارم الأخلاق من حديث معاذ بن عبد الله بن حنيفة عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على التغير قوة الشهوة قائما أندم وجودا إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين رجعا يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قد بدأ كد بكثرة العمل بقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضا والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجبل والقيح بل يقي كافر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستقم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج إلا إلى منم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم تعود العمل الصالح بل يزين له سوء عمله فتطاول اعتياده لشهوته وإعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تصديره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت لوظيفة عليه إذ جعله قلع مارسع في نفسه أولا ومن كثرة الاعتقاد للفساد والآخرة يفسد في نفسه صفة الاعتقاد للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن اهتم لها بمجد وتشمير وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق الطبيعية أنها الواجبة للمتحمسة وأنها حق وجيل وترى عليها فهذا يكاد تتحقق معالجته ولا يرجى صلاحه إلا لاهل التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نفسه على الرأي القاسد وتريته على العمل به يرى القضية في كثرة الشر واستهلاك النفوس وبهايه به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب الراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة المهرم ومن التعذيب تهذيب الأديب والأول من هؤلاء جاهل قط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريد ، وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن الأذى مادام حيا فلا تقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة غفوا أن القصد من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيبات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجملة فلا تقطعت شهوة الطعام لذلك الإنسان ولو اقطعت شهوة الواقع لا تقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدقم الإنسان عن نفسه ما يهلكه وهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إساءة المال وليس للطالب إباطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتريظ والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته متقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر ^(١) » . « وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق ^(٢) » وقال تعالى - والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس - ولم يقل والقادين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يظهر واحد منهما القتل ولا يتقبل بل يكون القتل هو الضابط لها والتائب عليها

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة « إنما أحمد بشر يغضب كما يغضب البشر » (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان الغضب لا يخرج عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراح الحرة قال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه لها من حديث عائشة وما انتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله وللمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلك في إناء أخيك
وقال سعد بن
عبد الرحمن الزبيدي
يعبى من الغراء كل
سهل طلق مضحك .
فأما من تلقاه بالشر
ويلقاه باللبوس كأنه
يمن عليك فلا أكثر
الله القراء مثله ومن
أخلاق الصوفية السهولة
ولبن الجانب والزول
مع الناس إلى أخلاقهم
وطباعهم وترك
التعسف والتكاسف
وقد روى في ذلك عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخبار
وأخلاق الصوفية
تحاكي أخلاق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وكان يقول عليه الصلاة
والسلام « أما إنى مزح
ولا أقول إلا حقا » روى
« أن رجلا قال له زاهر

يمكن وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولى الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانسباط إلى الفواحش وبالرياسة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك يمكن والتجرب بقوله للمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن الطلوع هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرق التبذير والتقتير وقد أنشأ الله تعالى عليه فقال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك للطلوع في شهوة الطعام الاعتدال دون الشراهة والجمود قال الله تعالى - وكلاهما واثرباوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - وقال في الغضب - أشداه على الكفار رحما بينهم - وقال عليه السلام « خير الأمور أوسطها » (١) وهذا ليس وتحقيق وهو أن السعادة منوطه بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إيا من أتى الله قلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منها أي لا يكون ملتفتا إلى اللال ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إلى الإمساك فكان كالقلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأظهر لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فإن القاتل للاحر ولا يارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والشهورة والشفقة بين الشره والجلود وكذلك سائر الأخلاق فكلها طرق الأمور ذميم هذا هو الطلوع وهو ممكن ، ثم يجب على الشيخ المرشد للبريد أن يبيع عنده الغضب رأسا ويلزم إمساكه للال رأسا ولا يرضى له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء أخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن أن القدر الرخص فيه فإذا قصد قطع الأصل وباتل فيه ولم يتيسر له إلا كسر سورته بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر التصود فلا يكشف هذا السر للبريد فإنه موضع غرور الخلق إذ ظن بنفسه أن غضبه بحق وإن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذي به يناء حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشعر أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بوجود الحمى وكال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا معتدلين متفادين للعقل والشعر فيصير عالما بنير تعليم ومؤدبا بنير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكتمال فربما يخلق خلقا صالحا فبعض ذلك فيه بالاعتدال ومخالفة للتخلفين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياسة وأغنى به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يشكف له على فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويوالب عليه تكيفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبيعا له ويتيسر عليه فصيحه . جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال للتواضعين مدة مدبرة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكاف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعيا فيتيسر عليه جميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتة أن يصير الفعل الصادر منه قديما فالسخي هو الذي يستد بذل المال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستل التواضع ولن ترسخ (١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضل .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلمة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من وراءه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام قبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد قال إذن تجدي كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد أضر بن حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ لقديس عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجليلة ويتم بها ويكره الأفعال القبيحة وتوابعها قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرعة عيني في الصلاة ^(١) » ومهما كانت العبادات وترك الحظوظات مع كراهة واستئصال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم للواظبة عليها بالمجاهدة خبر ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع في الصبر على ما تكره خير كثير ^(٢) » ثم لا يكتفي في نيل السعادة للوعود على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه للصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك « لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول العمر في طاعة الله تعالى ^(٣) » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكما كانت العبادات أكثر يطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أذكى وأظهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما يتأثرها بتكررها للواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من اللذات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والمثل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستقلا له فلا ينبغي أن يستبدد بصيرته إلى حد نصير هي قرعة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس مجالبا أغرب من ذلك فان قد نرى الملوك والنعيمين في أعزان دأمة ونرى القاهر للقلس قد يظلم عليه من الفرح واللذة شعاره وما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس بغير فحار مع أن القمار بمساليه ماله وخرب يتنزه كره مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما رجله وهو يحس بألمها لفرحه بالطيور وحر كاتها وطيرها بها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السباط على أن يقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك نفرا لنفسه ويقطع الواحد منهم إزارا راي أن يمر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الإنكار ولا يبالى بالعقوبات فرحا بما يستفده كالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرعة عينه وسبب انتقاره بل حاله أخس وأقبح من حال الخنثى في تشبه بالاناث في نيف الشعر وشمم الوجه وعظاظة النساء قرى الخنثى في فرح حاله وانتخار بكاه في نخته يتباهى به مع الخنثيين حتى يجري بين الحجابيين والكناسيين التفاضر واللباهة كما يجري بين الملوك والملاء فكل ذلك نتيجة العادة وللواظبة على نعت واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستل الباطل وتميل إليه وإلى القايح فكيف لا تستل الحق لورود إليه مدة والزمته الواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشذبة خارج عن الطبع يضاهي الليل إلى أكل الطين فقد يظلم على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرعة عيني في الصلاة من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فان لم تستطع في الصبر على ما تكره خير كثير ط (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواه القضا في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف وللتزمين من حديث أبي بكر بن صوحه أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله.

أنا الطاهر بن محمد
النفيس قال أنا أبو
الحسن قال أنا أبو عمرو
ابن حكيم قال أنا
أبو أمية قال حدثنا
عبد بن إسحق العطار
قال ثنا سنان بن
هرون عن حميد عن
أنس قال « جاد رجل
إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله احلني
على عمل فقال أحلك
على ابن الناقة قال أقول
لك احلني على عمل
وتقول أحلك على
ابن الناقة فقال عليه
السلام فاحلني ابن
الناقة « وروى صيب
قال « وأبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وبين يديه تمر يأكل
فقال أسب من هذا
الطعام فجلت آكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإن اغذاء القلب الحكمة والعرفه وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه مرض قد حل به فكأنه محل للرض بالمدمة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فسلك قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه مفعيلا له حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالبراضة وهى تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتبصر طبعاً انتهاء وهذا من محيى العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب فيفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويسرف ذلك مثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في السكينة له صفة نفسية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعامل بجراحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويوظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيكتبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يوظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في ابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلفه إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجراحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قلبه النفس فلا طريق له إلا أن يتعامل بأفعال القهواء وهو التكرار للفق حتى تنطفئ منه على قلبه صفة القهوة يصير قلبه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخيماً غيب النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعامل بأفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قه النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا ينالها بتكرار ليله فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتخليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعضيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء لاؤدب ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلهما ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأتس النفس بالسكسل وتتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صائر للعاصي يجر بعضه إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهم أصل الإيمان عند الغائبة وكما أن تكرار ليله لا يحس تأثيره في قه النفس بل يظهر قه النفس شيئاً شيئاً على التدريج مثل غو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكبيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فليسك واحد منها تأثيراً لمن طاعة الأولها أثروا حتى ظهر ثوابها لماله فان الثواب بازاء الأثر وكذلك للصية وكمن قه يتسبب بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف قه يوماً فوما إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صائر للعاصي ويسوف قه بالتوبة على التوالي إلى أن يغتطفه للوث بئنة أو تترام ظلمة القدر على قلبه وتمتد عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو العلى بأنسداد باب التوبة وهو للراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضي الله عنه : إن الإيمان ليبدو في القلب نكتة يضاء كالإزداد الإيمان أن ازداد ذلك اليأس فاذا استكمل البعد الإيمان ايض القلب كله وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والقطرة وتارة تكون بإعتياد الأفعال الجميلة وتارة بعشادة أرباب الفعال الجميلة

من القهر فقال إنما كل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « وروى أنس » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم : إذا الأذنين . وسئلت عائشة رضى الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكاً ووروت أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقها فسبقتها ثم ساقها بعد ذلك فسبقتها قال هذه بتلك . وأخبرنا الشيخ العالم شهاب الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح المروى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قراء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن
تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طيبا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن
كان ردلا بالطبع وافق له قراء السوء قطع منهم وتيسرت له أنياب الشر حتى اعتادها فهو في غاية
البد من الله عز وجل وبين الرئيتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب
والبعد بحسب ماقتضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره . - وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . -

(بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والليل عن الاعتدال سقم ومرض فيها
كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والليل عن الاعتدال مرض فيه فلتتخذ البدن مثالا . فتقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال
البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل الزواج الاعتدال
وإنما تفتري اللذة للضره بواضع الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا
صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتدال والتعلم تكتسب الرذائل
وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشور والتربية بالبقاء فكذلك النفس
تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالمع والبدن إن كان
صحيحا فشان الطبيب تعهد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك
النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب
زيادة صفاتها وإن كانت عديعة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن الملة اللبيرة
لا تعتدل البدن للوجبة للرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فيأبرودة وإن كانت من برودة
فيأحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض
البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن الشهي تكلفا وكما أنه لا بد من
الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتيات لمعالج الأبدان الرضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة
المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب
والعباد بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببا للحرارة إلا إذا
كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والادوام وعدمه بالكثرة والقلّة ولا بد له من
مقياس يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ مقياسه زاد الفساد فكذلك التفاضل التي تعالج بها
الأخلاق لا بد لها من مقياس وكما أن مقياس الدواء مأخوذ من مقياس الملة حتى إن الطبيب لا يعالج مالم يعرف
أن الملة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضئيفة أم قوية فإذا عرف
ذلك انتفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المرض وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك
الشيخ للتبوع الذي يطيب نفوس الريدين ويعالج قلوب المسترشدین ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة
والتكاليف في فن محصور وفي طريق محصور مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب
لوعالج جميع المرض يسلج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنمط واحد من
الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض الريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما احتمله
بنيته من الرياضة ويبنى على ذلك رياضته فإن كان الريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا
الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمصيبة فيأمره أولا بتركها

الترياقي قال أنا

أبو محمد الجراحي

قال أنا أبو العباس

المجسوبي قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال ثنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال ثنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياح عن أنس رضي

الله عنه قال : إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأخ لي صغير يا أبا عمير

ما فعل الخير والنخير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زهيرا

رضي الله عنهما فسيفه

الزير فقال : سبتك

ورب الكعبة ثم سابقه

مرة أخرى فسيفه عمر

فقال عمر : سبتك

فإذا تزين ظاهره بالعبادة وظهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه فظهر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وورغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولأذل أعظم من ذل السؤال فيكافئه للوظيفة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز شمه فإن الكبر من الأمراض للهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه استخدمه في عهد بيت الماء وتنظيفه وكسب اللوازم القادرة وملازمة الطبع ومواضع الدخان حتى تنشوش عليه رعوته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم وزيوتها ويطلبون للرقعات النظيفة والسجادات اللونة لا يفرق بينهم وبين المروس التي تزين نفسها طول النهار فلا يفرق بين أن يمد الإنسان نفسه أو يعبد صانعها عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان الريد لا يسخر بترك الرعونة رأسا أو ترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فبينى أن ينقله من الحلق للذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يشل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في اللعب بالكرة والصلحان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك إلى الرغبة في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه إلى الرغبة في الآخرة فكذا ذلك لمن لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقلل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه أزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكفه أي شيء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقرى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شره وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يضطر ليلية على الماء دون الحبز ويلية على الحبز دون الماء ويعتبه اللحم والأدمر أساحق تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أضع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه أزمه الحلم والسكرت وسلط عليه من يصحبه من فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يرن نفسه على الاحتمال معه كالحكي عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملاء من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به للثلث وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج ، وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فأزمه نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من فقرته على الناس رعوته الجود والرياء بالذل فهذه الأمثلة لتعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك الضادة لكل متهوئ النفس وتحويله إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه المزبور في كلمة واحدة فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وسى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الأولى - والأصل اللهم في المجاهدة الوقوف بالزعم فإداعزم حتى ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فبئس أن يصبر ويستمر فاه إن عود هسه ترك الزعم ألفت ذاك حسدت وإذا اتفق منه قمض عزم

ورب الكعبة وروى

عبد الله بن عباس

قال قال لي عمر تعال

أنافسك في الماء أينا

أطول نفسا ونحن

عمرمون . وروى

بكر بن عبد الله قال

كان أصحاب رسول

الله صلى الله عليه

وسلم يتنازعون حتى

يتبادحون بالبطيخ

فإذا كانت الحقائق

كانوا هم الرجال يقال

بدح بدح إذا رمى

أى يرامون بالبطيخ

وأخبرنا أبو زرعة

عن أبيه قال أنا الحسن

ابن أحمد الكرخي

قال ثنا أبو طالب

محمد بن محمد بن

إبراهيم قال ثنا

أبو بكر محمد بن محمد

ابن عبد الله قال حدثني

إسماعيل الخري قال ثنا

فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والراقية وإذا لم يخوف النفس بمقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفضل خاص به وإنما مرضه أن يتعدى عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض البدن يتعدى عليها البطش ومرض العين أن يتعدى عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعدى عليه فله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإشارته ذلك على كل شهوة سواه والامتانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - في كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والعرفة وخاصية النفس التي لا تدنى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإبصار أو غيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومعرّضها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة المعرفة المحبة لمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كأن كان كل معدة صار الطين أحب إليها من العذب والماء أو سقطت شهوتها عن العزب واللذاء فهي مريضة فهذه علامات للرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرف صاحبها ومرض القلب محسناً لا يعرف صاحبه فذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه عاقلة الشهوات وهو زرع الروح فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فإن كان يعالج الداء البخل فهو للهالك البعد عن الله عز وجل وإنما علاجه يندل للسال وإغافه ولكنه قد يندل للسال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطلب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطلب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق المخذور فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاهه فالقلب عليك ذلك الخلق اللوجب له مثل أن يكون إمساك السال وجمعه الله عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فرد في اللواظبة على البذل فإن صار البذل على غير المستحق الله عندك وأخف عليك من الإمساك فالحق قد غلب عليك التبذير فارجع إلى اللواظبة على الإمساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتفسير الأنفال وتصيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى السال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمسাকে بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يرجع عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سلباً عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سلباً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا حماد
ابن خالد قال أنا محمد بن
عمر بن علقمة قال ثنا
أبو الحسن بن محسن
الأيبي عن يحيى بن
عبد الرحمن بن حاطب
ابن أبي بصرة قال إن
عائشة رضى الله عنها
قالت «أثبت النبي صلى
الله عليه وسلم بحريرة
طبختها له وقلت لسودة
والنبي صلى الله عليه
وسلم يبي ويبيها كلى
فأبت فقلت لها كلى
فأبت فقلت لتأكلن
أو لأطعن بها وجعك
فأبت فوضعت يدي
في الحريرة فلطخت بها
وجهها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضع يده وقال
لسودة الطعن وجهها
فلطخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها
فبعد ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمشة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله القربين
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين
الطرفين في غاية التعموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم يؤمن استوى على هذا
الصراط للستيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقفا ينفك البعد عن ميل عن
الصراط للستيم أعنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال
إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن
منكم إلا واردةا كان على ربك حيا مقضيا . ثم تنجي الدين اتقوا - أي الدين كان قربهم إلى
الصراط للستيم أكثر من يعدم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله
تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط للستيم - إذ وجب قراءة الفاتحة في كل
ركعة فقد روي أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله
شيئني هود فم قلت ذاك ؟ فقال عليه السلام قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على
سواء السبيل في غاية التعموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم
يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة
إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليستغل به صلاح واحد واحد فيها
على الترتيب . فقل الله الكريم أن يجعلنا من التقيين .

(بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيرا يبدى له بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته ناقلة لم تخف عليه
عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم
القدى في عين أخيه ولا يرى الجنب في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق :
الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع
إشارته في مجاهدته وهذا شأن للريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه
ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا
متدينا فينصبه رقيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فمما كره من أخلاقه وأفعاله عيوبه الباطنة
والظاهرة ينبه عليه فهكذا كان بفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه
يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي
بذلك عنى مما تكرهه فاستغنى فأخ على عليه فقال بلغنى أنك جئت بين إدامين على مائدة وأن لك
حلتين حلة بالتيار وحلة بالليل قال وهل بلك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان
يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في التائقين فهل ترى على
شيئا من آثار الضائق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمة لنفسه رضي الله عنه
فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إيجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد
عز قل في الأسماء من يترك المداهنة فيخبر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب
فلا تخو في أمدائك عن حسود أو صاحب عرض يرى ما ليس بيب عيا أو عن مداهن يخفي
عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعزل الناس قبل له لم لا تخط الناس ؟ فقال
وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيبي فكانت هموة دوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم فتنبه غيرهم

عليه وسلم لمع عمر
رضي الله عنه على
الباب فنادى يا عبد الله
يا عبد الله فظن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه
سيدخل فقال قوما
فاغسلا وجوهكم كاتالت
عائشة رضي الله عنها
فما زلت أهلب عمر
لهية رسول الله صلى
الله عليه وسلم إياه
ووصف بعضهم ابن
طاوس فقال كان مع
الصبي صبيبا ومع
الكهل كهلا وكان
فيه مزاحاة إذا خلا .
وروي معاوية بن
عبد الكريم قال كنا
تبتاكر الشعر عند
محمد بن سيرين وكان
يقول ونزع عنده
ويعاز حناو كنا نخرج
من عنده ونحن
نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الحاق إلينا من نصحننا وبسرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لهاغة فلو نبهنا منه على أن تحت ثوبنا عقربا لتفقدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة القرب وإبادهها وقتلها وإنما نكاتها على البدن ويدوم أهلها يوما لما دونه ونسكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدمم بعد الموت أبدا أو ألقاها من السنين ثم إننا لا نصح بمن ينهبنا عليها ولا نشغل بازالتها بل نشغل بمقابلة الناصح بمثل مقلاته فنقول له وأنت أيضا صنعت كيت وكيت وتشغلنا الدواوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قسوة القلب التي أغمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويهزنا بعبودنا. ويشغلنا بدواوتها. ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا عنه وفعله. الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبدي للساوياً ولعل انتفاع الانسان بدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفى عليه وعدهه ويغنى عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يؤوله إلى الحسد ولكن الصبر لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم. الطريق الرابع : أن يخالط الناس فكل مارة مذمومها قيا بين الحاق فيطالب نفسه به وينبها إليه فإن المؤمن مرآة للؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى لما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتفقد نفسه ويعطرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأدياً فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن الؤدب . قيل لعيسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من قد شد شيخا حارفا ذكيا بصيرا بصوب النفس مشفقاً ناصحاً في الدين فارغاً من تهذيب نفسه مشغولاً بتهديب عباد الله تعالى ناصحاً لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليأزمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو بسببه .

(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار اغتاحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن هزمت عن ذلك فلا يبقى أن يغوثك التصديق والإيمان على خييل التلق والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الأولى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قيل نزع مناجية الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن بين خمس هدايات : مؤمن بحسده ومناقق يفضيه وكافر يقاها وشيطان يضلّه ونفس تنازعه » (١) وبين أن النفس عدو متنازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للؤمن بين خمس هدايات : مؤمن بحسده ومناقق يفضيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من
عنده ونحن نكاد
ننسى فيه الأخبار
والآثار دالة على حسن
لبن الجانب وصحة حال
الصوفية وحسن
أخلاقهم فيما يتمدونه
من الداعية في الربط
وينزلون مع الناس
على حسب طباعهم
نظروا إلى مفرحة الله
فاذا خلوا وقوا موقف
الرجال واكتسوا
ملابس الأعمال
والأحوال ولا يفتقد
هذا المعنى على حد
الاعتدال إلا سوى
قاهر النفس عالم
بأخلاقها وطباعها
سائس لها يوفور العلم
ينقش في ذلك على
صراط الاعتدال بين
الإفراط والتفريط

ويروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذروا نذر أصحابكم أكل الشهوات فإن القلوب
المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عن عصبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
لموعود غائب لم يره وقال نبينا ﷺ قوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر قبل يارسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس (١)» وقال صلى الله عليه وسلم
«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذكعن نفسك
ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فليمن بفسك بضا إلا أن يفر الله تعالى
ويستر (٣)» وقال سفیان الثوري ما عجلت شيئا أشد علي من نفسي مرة في مرة علي وكان أبو العباس
الوصل يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء اللوك تتفهمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تتعبدين
كأن بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس ألا تستعنين وقال الحسن ماله دابة الجموح بأحوج إلى اللجام
الشديد من فسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد فسك بأسيا في الرياضة والرياضة على أربعة أوجه
القوت من الطعام والقمص من اللثام والحاجة من السلام وحمل الأذى من جميع الأنام فبئس لمن فلة
الطعام موت الشهوات ومن فلة اللثام سفو الإيرادات ومن فلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتال
الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من فلة الكلام عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت
من النفس إرادة الشهوات والأنام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عنها سيوف فلة الطعام
من غمد التجرد وقلة اللثام وضربت بايدي الحول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن
من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنبج من حوائل آفاتنا فنصير عند ذلك
نظيفة ونورية خفيفة روحانية تنجول في ميدان الحيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره
في الديدان وكللكم للتزهر في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس
من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من
استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولاً زامها في يدها
تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من القوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم
لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر
الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحزب فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتبأ
للذل . ويروي أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بئس ما لك خزائن الأرض وقدت له علي
راية الطريق في يوم موكة وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكتهم سبحان من جعل
للوك عبيدا بالمصيبة وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحرص والشهوة صيرا للوك عبيدا وذلك جزاء
المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا للعبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إن من يتق ويصبر
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرق لية قدمت إلى وردي فلم أجدا خللاوة التي كنت أجدها
فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فلذا رجل ملتصق بعبادة مطروح على الطريق
فلما أحس بي قال يا أبا القاسم قتل الساعة قتل ياسيدي من غير موعد فقال لي سألت الله عز وجل
أن يهلك لي قلبك قتل قد فعل فأحاجتك قال فني يصير داء النفس دواءها قتل إذا خالفت النفس

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في
شرح مجالس القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل حديث صحيح . ومن
حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذكعن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله الحديث
لم أجده بهذا السياق .

ولا يصلح الاكثار
من ذلك للرديين
للبتدين قلة علمهم
ومعرتهم بالنفس
وتدبيرهم حد الاعتدال
فلهذا في هذه
اللوطن فضات ووثبات
تجر إلى الفساد وتنجح
إلى الفساد فالزول إلى
طبائع الناس يحسن عن
صعد عنهم وترقى لعل
حاله ومقامه في الزل إلى
وإلى طبائعهم حين
يترك العلم فأما من لم
يصعد بصفاء حاله عنهم
وفي بقية مزج من
طبائعهم وتغوسسهم
الجباة الأماراة بالسوء
إذا دخلت في هذه
للداخل أخذت النفس
حفظها واقتنعت مآربها
واستروحت إلى الرخصة
والزول إلى الرخصة
يحسن لمن يركب

هوها فأقبل على نفسه فقال اسمي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعي إلا من الجنيدها قد سميتي ثم انصرف وما عرقته . وقال يزيد الرضائي السكيت عن الماء البار في الدنيا لئلا لا حرمة في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنسكم قال إذا اشتريت الصمت قال متى أصبحت قال إذا انتهيت السلام . وقال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمنتك إلا من كرامتك علي . فإذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بتبهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قد منه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتنع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنسك واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنسى به وألفه فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا تمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بمعرفة الله وجهه والتفكير به والاشتغال إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والسكر قط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقترب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المشية فهو من الصديقين ولا يلتفت إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن القلب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعًا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعًا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لاهالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه . اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فإني أنت للمأذ وربما يقول القائل إن التمتع بالمباح مباح فكيف يكون التمتع بسبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة واللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضًا من الدنيا وهو سبب البعد وسبب ذلك في كتاب ذم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل السكام فرأيت رمانًا فاشتيتته فأخذت منه واحدة فشقتها فوجدتها حامضة فضيت وتركها فرأيت رجلًا مطروحًا وقد اجتمعت عليه الأثاير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم قلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء قلت أرى لك حالًا مع الله عز وجل فلوسأله أن يحبك من هذه الأثاير فقال وأرى لك حالًا مع الله تعالى فلوسأله أن يحبك من شهوة الزمان فإن لدغ الرمان يجد الإنسان إليه في الآخرة ولدغ الأثاير يجد إليه في الدنيا تركته ومضيت . وقال السري أنا منذ أربعين سنة فلطاني نفسي أن أغشى خيرة في ديس فما أطمعني فأذن لا يمكن إصلاح القلب لسواك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمتع بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض الباحات طمعت في المخطورات فمن أراد حفظ لسانه عن التثنية والفضول حفظه أن يلازم السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن اللمعات في الدين حتى تموت منه شهوة السلام فلا يشكم إلا بحق فيكون سكوت عيادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يهل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتبه به الحلال هو بينه الذي يشتبه به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منها من الحرام فإن لم يسهلها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته . مهده إحدى آفات المباحات

الزمنمة غالب أوقاته
وليس ذلك شأن
البتدي فلموفية
المساء فيما ذكرته
ترويح يملكون حاجة
القلب إلى ذلك والشئ
إذا وضع للحاجة يتقدر
بقدر الحاجة ومعيار
مقدار الحاجة في ذلك
علم غافض لا يسلم لكل
أحد قال سعيد بن
العاص لأنه اتقصد في
مزاك فالأفراط فيه
يذهب بالبهاء ويجري
عليك السفهاء وتركه
يشيط الثؤالسين
ويوحش الخاططين قال
بعضهم الزناح مسلبة
للإمام مقطعة للإخاء
وكما يصعب معرفة
الاعتدال في ذلك يصعب
معرفة الاعتدال في
الضحك والضحك من
خصائص الإنسان

ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشراً وبطراً حتى تصير ثمة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سمّ قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اغفلوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك فم لما فُتسأ الله السلامة فأولوا الحزن من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قاسية قرة بيّدة التأثير عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفلوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر قطعوها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وطمأنوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومقتضاها عتاب وهو نوع عذاب فمن توفّق الحساب في عرصات القيامة قد هدب غلبوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية وللك الله في الدنيا والآخرة بالحلاص من أسر الشهوات ورتقا والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يغفل بالبازي إذ قصد تأديبه وتغلبه من التوب والاشتغال إلى الاشتغال والتأديب فانه يجسب أولاً في بيت مظلم ومخاط عيناه حتى يحصل به القطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما قد كان آله من طبع الاسترسال ثم يرقى به بالحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إذا دعه أجابه ومهما مع صوته رجع إليه فسد ذلك النفس لا تألف ربه ولا تأنس بذكره إلا إذا قطعت عن عادتها بالخلة والعزلة أولاً ليحفظ السمع والبصر من المأكولات ثم عودت التاء والذكر والدعاء ثانياً في الخلة حتى يشب عليها الأنس بذكر الله عز وجل حوذاً عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك ينقل على الرشد في البداية ثم يمتنع به في النهاية كالصبي يطمع عن الثدي وهو شديد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكآؤه وجزعه عند القطام ويشد قوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسبوما فيوما وعظم قبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفاً ثم يصبره طمأن فلو رد بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه فيجبر الثدي ويألف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج والجام والركوب فتحمل على ذلك فقرا وتمنع عن السرج الذي ألفت بالسلال والقيود أولاً ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتغف فيه من غير قيد فسد ذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعم الدنيا بل بكل ما يزيلها بالموت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك متفارقة فإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشق لاهالة فراقه شغل قلبه بحب ما يفرقه وهو ذكر الله تعالى فإن ذلك يسجبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولاً أيما قاتل فإن العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة ومامن قاتل إلا وهو راض باحتمال الشقة في سفر وتعم صناعة وغيرها شهرا ليقيم به سنة أو دهرها وكل الصبر بالاضافة إلى الأبد أتملن الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح محمد القوم السرى وتذهب عنهم حمايات السرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياسة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فائى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالتبول في الوعظ أو بالز في القضاء والولاية أو بكثرة الأنبياء في التبديس والافادة فينبى أن يترك أولاً ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقبل له في الآخرة لم ينقص بالمتع فكره ذلك وتألم به هو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقّه ثم إذا ترك أسباب الفرح

وبعده عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن سابقة تسبب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الإنسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من تمنع قومه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يبعث القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يفيض الضحك من غير هجب للشاء في غير أرب وذكر فرقى بين الداعية وللزاح قليل للمداعبة ما لا يضبط جسده والمزاح ما يضبط جسده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله التهنئة في الصلاة

فليتمزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والتمركز فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة مقبلا ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلزم ذلك بقية العمر فليس للجهد آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بيوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين وللمنافقين في كتابه وهي بمثلها ثمرة حسن الخلق وسموه الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق. قاله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله سأولئكهم الوارثون - وقال عز وجل - التائبون العابدون الحامدون - إلى قوله ويؤمرون المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله سأولئكهم المؤمنون فقاموا وقاله تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة ، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد قسمها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض فليشتغل بتحصيل ما قدده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأخبر بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال «للمؤمن عجب لأخيه ما يحب لنفسه» (١) «وقال عليه السلام» من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٢) «وقال صلى الله عليه وسلم» من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره (٣) «وقال» من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت (٤) «وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم» أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم أخلاقا (٥) «وقال صلى الله عليه وسلم» إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة (٦) «وقال» من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن (٧) «وقال» لا يحمل المؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه (٨) «وقال عليه السلام» لا يحمل المسلم أن يروع مسلما (٩) «وقال صلى الله عليه وسلم» إنما يتجالس للتجالس بأمانة الله عز وجل فلا يحمل لأحدهما أن ينشئ على أخيه ما يكرهه (١٠) «وجمع بينهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث المؤمن يجب لأخيه ما يحب لنفسه الشيطان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم أخلاقا غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة من حديث أبي خلد بلقيظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلقه منطلق فأقربوا منه فإنه يلقي الحكمة (٧) حديث من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن أحمد والطبراني وك وصححه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يحمل المسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة ومرسل وقد تقدم (٩) حديث لا يحمل المسلم أن يروع مسلما طبرك من حديث الثعالبين بشرير والبراء من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف (١٠) حديث إنما يتجالس للتجالس بأمانة الله

من الذنب وحكم
بإطلاق الوضوء بها
وقال يقوم الأثم مقام
خروج الخارج
فلا اعتدال في المزاج
والضحك لا يتأتى إلا
إذا خلص وخرج من
مضيق الخوف والقبض
والهيبه فانه يقوم
بكل مضيق من هذه
المضايق بعض التثويب
فيعدل الحال فيه
ويستقيم فاليسقط
والرجاء ينشأ المزاج
والضحك والخوف
والقبض هيكلان فيه
بالعدل . ومن أخلاق
الصوفية ترك التكلف
وذلك أن التكلف
تصنع وتعمل وتعايل
على النفس لأجل الناس
وذلك يبين حال
الصوفية وفي بعضه خفي
منازعة للآثار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حلوا رقيقا عافيا شقيقا لعاونا لاسيا بالوعاما ولا معتابا ولا موعولا ولا حقودا ولا غيلا ولا حسودا بشاشا هشا يحب في الله ويفض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبعوضة (١) » وقال حاتم الأصم للمؤمن مشغول بالسكر والمبرر والمنافق مشغول بالحرم والأكل واللؤم أن يس من كل أحد إلا من الله والمنافق راجع كل أحد إلا الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويحكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلو والوحدة والمنافق يحب الخلط والملا والمؤمن يزرع ويحشى القصاد والمنافق يقطع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يتحصى به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكك من سوء خلقه فله حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما عشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد يجرائ غليظ الحاشية قال أنس رضى الله عنه حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدته جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمره بأعطاه (٢) « ولما كثر قريش إيذاؤه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه - وإنك لعلى خلق عظيم - ويحكى أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندى إنك أردت العمران فقال هو المقبرة فضاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط ففجعه وردده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندى ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزمل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يستبدر إليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إن لم يأتني عبد من أنت بل قال أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت أنني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه مني الشر . ودعى أبو عثان الحيرى إلى دعوة وكان الداعي قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثان ثم جاءه الرابعة فردى عليه عامله بذلك مرات وأبو عثان لا يتغير من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبر لك ما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيته منى هو خلق السكاب إن السكاب إذا دعى أحباب وإذا جازا تزعج . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرح عليه إجانقرا مدق فلز عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فليل ألا زبرته قال إن من استحق النار فصول على الرماد لم يجزله

الرضا بمساقم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين . روى أنس ابن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله ما فيها خير ولا لحم وروى عن جابر أنه أتهأ ناس من أصحابه فاتاهم بخبز وخل وقال كلوا فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الآدمي الخلق » وعن سفيان بن مسلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلى خبزا وملحا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يتكلف أحدنا أحد لتكلفت لكم والتكلف مدموم في جميع

الحديث تقدم في آداب الصبغة (١) حديث سئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن هم في الصلاة والصيام الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث كان يمشى فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد يجرائ غليظ الحاشية الحديث يتفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حب والبيق في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن أبي من الأنبياء ضربه قومه .

أن يقضب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمه الله عليه كان لونه يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان ينسابورحماء على بابداره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فقدم رجل رستاق إلى باب الحمام فقتحه ودخل فترج ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل لي الماء فقام علي بن موسى وامتل جميع ما كان يأمره به فرفع الحمامي ثياب الرستاق وجمع كلامه مع علي ابن موسى الرضا غاف وهرب وخلاها فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف بما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماله عند أمة سوداء ، وروى أن أباعبدالله الحياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمل في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبدالله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أباعبدالله قام لبعض حاجته فأتى المجوسي فلم يجد دفعه إلى تلبذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التليذ عرف أنه زائف فردده عليه فدعا عاد أبو عبدالله أخبره بذلك فقال بش ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه العاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدراهم منه وأقصيا في البئر ثلاثين بهامسما . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب الغرائب وتحسين ما يدور من السيئات وانحاش المذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولطف فوقه . وسئل سهل عن حسن الخلق فقال : أدناه احتمال الأذى وترك المسكافة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلبت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينا هو جالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فبات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أريسا القري كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كان ولا بد فارموني بالصغار حتى نلاندما ساقى فنحن نعوذ عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتيمة فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقي في نفسك شيء قتله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فقرأ مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فتسكنت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة للملك بن دينار رحمه الله يامراني فقال ياهذه وجدت اسمي الذي أمثله أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأنهم الحلم عليه فيهذه نفوس قد ذلت بالرياضة فاعدلت أخلاقها وتبت من النفس والتل والحقد وباطلها فأنمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فأن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت الملامات على ظواهرهم كما ذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه الملامات فلا ينبغي أن يفتن بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها إلا القويون والصديقون .

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول شروم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند الله وقبلة الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وموره وهو قابل لكل ما نقش وما مل إلى كل ما يحال به

الأشياء كالشكاف
بالمبوس للنايس من
غير نية فيه والشكاف
في السلام وزيادة
التفاني الذي صار دأب
أهل الزمان فابكاد
يسلم من ذلك إلا أستاذ
وأفراد وكمن متعلق
لا يصر أنه متعلق ولا
يفطن له فقد يتعلق
الشخص إلى حد
يخرجه إلى صريح
التفاني وهو مابين لحال
الصوفي . أخبرنا الشيخ
العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي قال
أنا أبو القتض الحاروي
قال أنا أبو نصر الترياق
قال أنا أبو محمد الجراحي
قال أنا أبو الباس
المجسوي قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال أنا
أحمد بن منيع قال
ثنا يزيد بن هرون عن

إليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائه بأن يؤدبه ويهذبه ويسله بحامن الأخلاق ويحفظه من القرائم السوء ولا يعود التتم ولا يهيب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فبهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حفااته وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدبنة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انجست طينته من الحث فيحيل طبعه إلى ما يناسب الحياث ومهما رأى فيه عايل التميز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان يحتمس ويستحي ويترك بعض الأعمال فليس ذلك إلا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا لبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو يشير بكمال العقل عند البلوغ فالصبي للستحي لا ينبغي أن يحمل بل يستعان على تأديبه بجناحه أو تيممه وأول ما ينبغي عليه من الصفات شمه الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينته وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحقد النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يحيد اللعغ وأن لا يوالى بين القم ولا يطلع يده ولا يوثبه وأن يعود الخبز الفقار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حقا ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهايم وبأن يلم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل وأن يحب إليه الاشارة بالطعام وقلة اللبالة به والقناعة بالطعام الحشون أي طعام كان وأن يحب إليه من الثياب البيض دون اللون والابريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والخثين وأن الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبريسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويمنعه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التتم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالفة كل من يسمه ما يرضيه فيه فان الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردي الأخلاق كذا با حسودا سرورا فاما طوحا ذافصول وضحك وكيد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في الكتب فيعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينفرد في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشرار التي فيها ذكر الشقي وأهله ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يفسد في قلوب الصبيان بل هو الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويهاذى عليه بما يفرح به فيدفع بين الصبي والناس فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتناقل عنه ويهتك ستره ولا يكلفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فان إظهار ذلك عليه ربما يغيه جسارة حتى لا يبالى بالمسكفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يحاسب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتنح بين الناس ولا تستكر القول عليه بالتاب في كل حين فانه يهون عليه صانع اللذات وركوب التبايح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيئة الكلام معه فلا يؤذنه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن التبايح وينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع القرض الوطنية حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التتم بل يعود الحشوة في القرض

محمّد بن مطرف عن
حسن بن عطية عن
أبي أمامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
«الحياء» والى شعبان
من الإيعان والبذاء
والبيان شعبان من
النفاق البذاء القبح
وأراد بالبيان ههنا
كثرة الكلام والتكلف
للسناس زيادة عمق
وشاء عليهم وإظهار
التفصيح وذلك ليس
من شأن أهل الصدق
وحكي عن أبي ذائل
قال مضيت مع صاحب
لي تزور سلمان فقدم
إلينا خبز شعير وملح
جريشا فقال صاحبي
لو كان في هذا للبح
سعر كان أطيب علرج
سلمان وهرن مطهرته
وأخذ ستمرا قلنا أكلنا
قال صاحبي الحمد لله

واللبس والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفسد في خفيه فانه لا يخفيه إلا وهو يستعد أن يفسد فإذا ترك
تعود فعل القبيح ويسود في بعض التبار التي والحركة والريضة حتى لا يثلب عليه الكسل ويعود
أن لا يكشف أطرافه ولا يسهل التي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على
أقرانه شيء مما يملكه والده أو شيء من مطاعه وملايه أو لوجهه ودواته بل يود أن تواضعه ولا أكرام
لعل من عاشره والتطلف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصيانه شيئاً بدله حشمة إن
كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرضا في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لوم وخسوة ودناءة وإن
كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصعب
في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة يثب على الصيانه حب الذهب والفضة والطمع فيهما وغريرتهما
أكثر مما يحل من الحيات والقاربان فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة
السموم على الصيانه بل على الأكابر أيضاً وينبغي أن يعود أن لا يمسق في مجلسه ولا يتخط ولا يتأدب
بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد رأسه بساعده
فان ذلك دليل الكسل وحلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة
وأنه فعل أبناء اللثام ويمنع الخجين رأساً صادقاً كان أو كاذباً حتى لا يتأدب ذلك في الصغر ويمنع أن يتدنى
بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو
أكبر منه سناً وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له للسان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وغشيه
ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من
القرناء السوء وأصل تاديب الصيانه الحفظ من قراء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ
والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ
دأب الممالك والنسوان وينبغي أن يؤخذ له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جليلاً يسترع
إليه من تعب للكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً
يميت قلبه ويطلق ذكاه وينقص عليه البصيرة حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً ، وينبغي
أن يعلم طاعة الله ومعه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سناً من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم
بين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسمح في
ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويحب لبس اللباس وألحاحه والذهب
ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة
والكذب والفحش وكل ما يثلب على الصيانه فإذا وقع نشوه كذلك في الصباح فثبها قارب البلوغ
أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن تقوى
الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لأصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع
نعيمها ، وأنها دار محرلدار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لدار محر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة
وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى يجمع درجته عند الله تعالى وينسج نسيجه
في الجنان فإذا كان النشوة سالماً كان هذا الكلام عند البلوغ وإنما مؤثراً فاجباً ثبت في قلبه . كما
ثبت التقوى في الحجر ، وإن وقع النشوة بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة
وشربه الطعام واللباس والزينة والتفاخر نيا قلبه من قبول الحق نبوة الحافظ عن التراب اليابس
فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن يراعى فان الصبي مجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً وإنما
أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي قطعنا بما رزقنا
فقال سلمان لو قمت
بما رزقك لم تكن
مطهرتي مرهونة وفي
هذا من سلمان ترك
التكلف قولاً وفعل
وفي حديث يونس النبي
عليه السلام أنه زاده
إخوانه قسماً إليهم
كسراً من خير شعير
وجز لهم بقلا كان
يزرعهم قال لولا أن
الله لمن للتكفين
لتكلفت لكم قال
بضمهم إذا قصدت
للزيارة قدم ما حضر
وإذا استزرت فلا تبق
ولا تذر وروى الزبير
ابن العوام قال نادى
منادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يوما « اللهم اغفر
للذين يدعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل بخلبك عند خيلك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي ثم أعلته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة قلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمت ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعل في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سرى ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده يصيبه إياك واللصبة فكنت أخلو بنفسى فيمضوا بي إلى المكتب قلت إني لأخشى أن يفرق على هوى ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتملم ثم أرجع فغضيت إلى الكتاب فخلعت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوت من خبز الشعير اثني عشر سنة فوكت لي مثله وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأثبت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألت عنها فأجابني فأقلت عنده مدة أضع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوى اقتصادا على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويغمر لي فأنظر عند السحر على أوقية كل ليلة بحثا بغير مبلغ ولا أدم فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خسا ثم سبعا ثم خسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم بالليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل للتحق حتى لقي الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة قبله مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارثا الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبيلها مستبينا بنعيم الدنيا ولذاتها فإن من كانت عنده خربة فرأى جوهرة فقيسة لم يبق له رغبة في الخربة وقويت إرادته في يمعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حارث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمات الشهادة من غير صدق وإخلاص فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخربة إلا أنه لا يندري من الجوهرة إلا قسطها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا للصدق إذا ألّف الخربة قد لا يتركها ولا يظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذن للسانع من الوصول عدم السلوك والسابع من السلوك عدم الارادة ولللسانع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذكرين والعلماء بالله تعالى المهادين إلى طريقه وللنبيين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهكموا في شهواتهم وغاصوا في رقدهم وليس في علماء الدين من ينههم فإن تنبه منهم متنبه هجز عن سلوك الطريق لجهله فإن طلب الطريق من العلماء وجدته مائلين إلى الهوى عاذلين عن سبيل الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لغلط طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعللت الطرق لاحالة فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبت له إرادة في حارث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لابد من تقديمها في بداية الارادة قوله معتمد

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

لأموات أمسى ولا يتكفون إلا إلى ربى من التكلف وصالح أمى « وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى « فأنبئت » فيها جبا وعيا وقضيا وزيتونا ونخلًا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا . ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأب قال ويسد مهر عصاه ف ضرب بها الأرض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فشدوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم أعمالوا به ومن لم تعرفوا فاسكوا عنه إلى الله . ومن أخلاق السوقية الاتفاق من غسبر إقتار وترك الإخبار وذلك أن الصوفي يرى خزان فضل الحق فهو بمثابة

لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطرقه وعليه وظائف لا بد من ملازمته في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السند والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق تنبيه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يصرون - والسدد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والعصية وإتمام رفع حجاب المال فخروجه عن ملكه حتى لا يثق له إلا قدر الضرورة فما دام يثق له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإتمام رفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والحرب من أسباب الله ذكر وتماطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإتمام رفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للذهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ومحورس في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له المولى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لامن المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يثق في نفسه متبع لغيره صار ذلك قيده وحجاباً إذا ليس من شرط الريد الانتهاء إلى مذهب معين أصلاً وأما العصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من اللظام وتصحيح العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ماضى ورد اللظام وإرضاء الخصوم فان لم يصحح التوبة ولم يجر للماضى الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عرية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وآخرها ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تظهر وتوضاً ورفع الحداث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به ليعلم السبيل إلى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فانه الشيطان إلى طرقه ليعلمه فمن سلك سبيل البوادي للهلكة بغير خبير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فتحصم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يثق في متابعتها شيئاً ولا يدر ويعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فإذا وجد مثل هذا العنصر وجب على متعصمه أن يحمله ويصممه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلو والصمت والجوع والسر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب وينفضه وفي ياضه نوره ويذهب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رفته ، ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضايق مسلك المدو فان مجاربه العروق للمثلة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الخواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدان أبداً إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسبب بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحلو القلب ويصفيه وينوره يضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالسكوك الدرى والرائة المجلوة فيلوح فيه جلال

من هو مقسم على شاطئ بحر والقيح على شاطئ البحر لا يدخل الماء في قربته وروايته . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم لإله مسكان يتأذان فيقول أحدها اللهم أعطني نقفاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدر شيئاً لند » . وروى أنه « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طيراً فلما كان النداء أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك أن تحب شيئاً لند فان الله تعالى بأن

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا فتتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسر أيضاً نتيجة الجوع فإن السر مع الشبع غير ممكن والنوم يقضى القلب وعيته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب للكشاة لأسرار التيب قد قيل في صفة الأبدال إن أكلم فاقه ونومهم غلية وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن للعزلة لا يغلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرايه وتدير أمره فينبغي أن لا يشكك إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه فالصمت يلحق العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى . وأما الخلوة فمادتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فقامتها دهليز القاب والتقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كرهية كدرة فتدور من أنهار الخواص ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك الياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الخواص إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليألف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقله وهو على مثل هذه الصفة قليل له يا أيها المزمحل يا أيها اللدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتباعد العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع الثقات ولا عتبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك الثقات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشغل بالأسهل فالأسهل وهي تلك الصفات أغنى أسرار العلائق التي قطعها في أول الارادة وآثارها أغنى للال والجاه وحب الدنيا والالافات إلى الحق والتشوف إلى المعاصي فلا بد أن يغنى الباطن عن آثارها كما أغنى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال قرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة للشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة فاقية على نفس الريد كما سبق ذكره فإذا كفى ذلك أوضف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويعينه من تكتير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والروايب ويكون ورده ورداً واحداً وهو لباب الأوراد ومخرجها أغنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بمدخل من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتاً إلى علاقته قال الشبلي للحصري إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتيني فيها إلى الجملة الأخرى شيء غير الله تعالى فغرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستتر الذي ليس له إلا هم واحد فإذا كان كذلك أثمره الشيخ زاوية يفرد بها ويوكل به من

برزق كل غسد .
وروى أبو هريرة
رضي الله عنه « أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على
بلال وعنده صبرة من
تمر فقال ما هذا يا بلال
فقال أدخر يا رسول
الله قال أما تخشى أنفق
بلالاً ولا تخشى من
ذي العرش إقتلا .
وروي أن عيسى ابن
مريم صلى الله عليه
وسلم كان يأكل الشجر
وليس الشجر ويبعث
حيث أمسى ولم يكن
له ولد يموت ولا يبيت
بحرب ولا يخاف شيئاً
لقد وصف كل خيابة
في خزائن الله لصدق
توكله وتوكله بره
فالدنيا لا صوفي كدار
النجرة ليس له فيها
أذكار ولا له منها .

(١) حديث بدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها المزمحل يا أيها اللدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بهراء فلما قضيت جوارى هبطت فتوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأنتيت خديجة قهلت دثروني وصبوأ على الماء بلردا فثروني وصبوأ على ماء بلردا قال قزلت يا أيها اللدثر وفي رواية قهلت زملوني زملوني ولها من حديث عائشة قتال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فإن أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلحقه ذكر من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما رواه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواطىء عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواطىء عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة الانقشاق القلب ثم لا يزال كذلك حتى ينجى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالباً عليه قد فرغ من كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشئ خلا عن غيره أي شئ كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا عما سواه إلا ما علة عن غيره وعند ذلك يقول أنه إن راقب وساوس القلب والخواطر التي تنمى بالدنيا وما يتدكر فيه مما قدمي من أحواله وأحوال غيره فانه مهما اشتغل بشئ منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً قصاصاً فليجهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما معنى قولنا الله ولا شيء كان لها وكان مبهوداً وبشره عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارهاً لذلك ومتشمرًا لإمطاعته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يلزم قطعاً أن الله تعالى منزّه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه وبهرجه على خاطره فشرطه أن لا يبالى به ويخرج إلى ذكر الله تعالى ويتنهل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى - وإما يترغبك من الشيطان ترغ فاستعذ بالله إنه مسمع عليم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يمرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو ألفت إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستر عنه غيره فلا يطلع عليه أحد ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تلب من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمة حتى يتدف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقة وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فإن هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرید اشتغل بالرياضة قلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد لذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يغفل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد رب سفينه الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من المالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدين المجاز» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في المدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يفرس في الريد فان لم يكن ذكياً فطناً متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالفكر بل بالفكر بل يرد إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتأثرة أو يشفه بخدمة التجردين للفكر لتشغله بركتهم فان المجاهد عن الجهاد في صف القتال فينبغي أن يسقي القوم ويصعد دوابهم ليحضر يوم القيامة في زميرهم وشمه بركتهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدين المجاز قالوا ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا مقبولة حتى رأيت حديثاً لمحمد بن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليكن بدين أهل البادية والنساء وابن السلمي عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يهتم بوضعها انتهى وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه جب في الضعاف في ترجمة ابن السلمي والله أعلم .

استكثر قال عليه

السلام ولو توكلتم على

الله حق توكله لرزقكم

كما يرزق الطير تغدو

خاصاً وتروح بطاناً

أخبرنا شيخنا

ضياء الدين أبو النجيب

قال أنا أبو عبد الرحمن

محمد بن أبي عبد الله

اللبق قال أنا أبو الحسن

عبد الرحمن الداودي

قال أنا أبو محمد

عبد الله السرخسي

قال أنا أبو عمران

السمرقندي قال أنا

عبد الله بن عبد الرحمن

الدارمي قال أنا محمد

ابن يوسف عن سفيان

عن ابن المنكدر عن

جابر قال ما مثل النهي

صلى الله عليه وسلم

شيئاً قط قال لا قال

ابن عينة إذا لم يكن

عنده عهد وبلاستاد

لا يبلغ درجتهم ثم للريد التجرد للذكر والفكر قد يقطع قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما يشكف له من الأحوال وما يمدوم من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به فسه كان ذلك خورا في طريقه ووقوفه بل ينبغي أن يلزم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا تزويه البحار ولو أفضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الاقطاع عن الخلق إلى الحق والخلاوة قال بعض السابحين قلت لبعض الأبدال للقطميين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له دلتني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنتظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكن إليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا أنتظر إلى القافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تحب قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا منى الرياضة أن يحمد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلي له الحق وظهور له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يشكلم به وعظا ونسحا ويتصدى لتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن تفكر في كيفية إيراد تلك اللذة وتحسين الألفاظ للعبارة عنها وترتيب ذكراها وترتيبها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتبلي إلى القلوب والأسماع فربما تخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لتلويح الموتى القافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا تنفك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقران من يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب النوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محركا كيد القبول وإن كان محركا هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وأزرنى على إصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضالعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يسنه والنافلون موتى القلوب والواظ للهم للبهون والحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزز الوجود جدا فينبغي أن يكون للريد على حذر منه فانه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من اغتاحت له أوائل الطريق فإن إشارات الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا منهاج رياضة الريد وتربيته في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالخند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه القصور فلهاذا وجب علينا بعد تقديم هذين السكتين أن نستكمل ربح اللهلاكت بثمانية كتب إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا

عن الهادي قال أنا
يعقوب بن حميد قال
أنا سيد العزيز بن
محمد بن ابن أخي
الزهري قال إن جبريل
عليه السلام قال ما في
الأرض أهل عشرة
من آيات إلا قلبهم
فما وجدت أحدا أشد
إضافا لهذا المال من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم [ومن
أخلاق الصوفية القناعة
باليسير من الدنيا] .
قال الذنون لاصري :

من قنع استراح من
أهل زمانه واستطال
على أقرانه وقال بشر
ابن الحرث لو لم يكن
في القناعة إلا التمتع بالمر
لكفى صاحبه وقال
بنان الجمل :

الحر عبد ما طمع
والعبد حر ما قنع

وتفصيل خذعها وكتاب في كسر حب السال وذب البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع التورور وبذر هذه المهلكات وتعليم طرق المألجة فيها يتم غرضنا من ربح المهلكات إن شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات وللنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ،

﴿كتاب كسر الشهوتين﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليمه المستحق للتوحيد والتعديس والتسبيح والتغزيه القائم بالعدل فيما يرمه ويقضيه التظلول بالفضل فيما يتم به ويسديه التكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للتم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما ينفي بأمانه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يمتد ويغييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرتقيه وهو الذي يطعمه ويستقيه وحفظه من الهلاك ويحميه وعمره بالطعام والشراب عما يهلكهم ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تتسقى به مجارى الشيطان الذي يتاوه ويكسر به شهوة النفس التي تتماهى فيدفع شرها ثم يعيد ربه وتقويه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشفيه ويكثر عليه ما يبيح وواضحة ويؤكد دواعيه كل ذلك يعتجنه به ويتليه فينظر كيف يؤثر على ما بهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوداره وينتهي عن نواهيه وواطئ على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبية وسوله الوجيه صلاة تزيده وتحطيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الدل والافتقار إذ نهبها عن الشجرة فقلبتا مشهورتهما حتى أكلتا منها فبقيت لهما مساواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والتسكح شدة الرغبة في الجاه والمسال الذين هم واسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المسال والجاه أنواع الرغوات وضروب المنافسات والماسادات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغاظة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اتقاع البغى والمنكر والقهقهشة وكل ذلك ثمرة إهمال المدة وما يتولد منها من بطر الشعب والامتلاء ولو ذلل البعد تشبه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأذمنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإشارة المعالجة على العمى ولم يشكالك كل هذا الشكالك على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتنا تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبية على فعلها أرغيا

وقال بعضهم انتقم من
عصرك بالقناعة كما
تنتقم من عبدوك
بالقصاص . وقال
أبو بكر المراسي العاقل
من دبر أمر الدنيا
بالقناعة والتسوية
ودبر أمر الآخرة
بالحرص والتعجيل .
وقال يحيى بن معاذ
من قنع بالرزق فقد
ذهب بالآخرة وطاب
عيشه . وقال أسيد
المؤمنين على بن
أبي طالب كرم الله وجهه
القناعة سيف لا يثبو .
أخبرنا أبو زرعة
عن أبيه أبي الفضل
قال أنا أبو القاسم
عبد الله بن الحسن
الحلال يقداد قال أنا
أبو حفص عمر بن
إبراهيم قال حدثنا
أبو القاسم البغوي قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من خالف شهوة البطن والفرج واليمين .

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يدخل ملوكوت السماء من ملا بطنه» (٢) وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال «من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا أوكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم «السكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وأبعضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل شوم أ كول شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبيدي ابتليتهم بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركها اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعيها إلا أبدلتها بدرجات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تبتغوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالأرغفة يموت إذا كثر عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ما لأبن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن عليه وإن كان لا يد فاعلا ثلث لعطامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إن قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخفاء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن طابوا لم يفتقدوا وانهم فهم راع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء ثم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس القرش الوثيرة واقترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها ثم تبكى الأرض إذا بقدرتهم ويسخط الجبار على كل

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملوكوت السموات من ملا بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر به عورته يأتي السلام عليه طي ما بعدهم من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا أوكلوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث السكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا الحديث لم أجده لهذه الأحاديث للتقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو غشنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا تبتغوا القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أقف له على أصل (١١) حديث ما لأبن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث تبين حديث التقديم وقد تقدم.

حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن عزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول «ما قل وكفى خير مما كثر وألغى» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قد أقلع من أسلم وكان رزقه ككتافا ثم صبر عليه» وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال «اللهم اجعل رزقي آل محمد قوتنا وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القناعة مال

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكاليوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا الملق ولبسوا الحرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقاويلهم إلى أمراء الله الذين أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يعيشون بلا عقول عقلا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيته في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يذب الله قوما هم فيهم. الأرض بهم فرحة والجار بهم راض اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تتجو بهم وإن استطعت أن يأتيك اللوت وبطنك جائع وكبدك ثقلان فاضل فانك تدرك بذلك شرف النازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدم روحك للأنسكة ويصلي عليك الجبار (١).

روى الحسن على أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وحمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يا مشر الخواريين أجيءوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله ليغض الحبر السمين لأن السمين يدل على التفة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الله تعالى يغض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيئوا مجاريه بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «الزمن يأكل في ممي واحد وللناقي يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكل كل المؤمن أو تسكون شهوته سبعة أضعاف شهوته وذكر للمي كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذ كما يأخذ للمي وليس للمي زيادة عدد ممي للناقي على ممي للمؤمن . وروى الحسن عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدبوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلقت كيف ندب قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم جوعا في الدنيا» (٨).

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طالع جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في اللوحات وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن عن أبي هريرة البسوا الصوف وحمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث طاوس مرسل أجيءوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر للسنف هنا أنه مرسل والرسول رواه ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث الزمن يأكل في ممي واحد والسكر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث الحسن عن عائشة أدبوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شعا في الدنيا البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأعله عندت وحسنه وه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا يفد و روى عن

عمر رضى الله عنه أنه

قال كونوا أوعية

الكتاب وينابيع

الحكمة وعدوا أنفسكم

في اللوق واسألوا الله

تعالى الرزق يوما بيوم

ولا يضركم أن لا يكثر

لكم . وأخبرنا

أبو زرعة طاهر عن أبي

الفضل والده قال أنا

أبو القاسم إسماعيل بن

عبد الله الشاذلي قال أنا

أحمد بن علي الحافظ قال

أنا أبو عمرو بن حمدان

قال حدثنا الحسن بن

سفيان قال حدثنا عمرو

ابن مالك البصري قال

حدثنا مروان بن

معاوية قال حدثنا

عبد الرحمن بن أبي

سلة الأنصاري قال

أخبرني سلة بن

عبد الله بن حصن

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول قسى لك القداء لوتبقت من الدنيا بقدر ما يقويك وينمك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد سبوا على ما هو أهد من هذا فاضوا على حالمهم قدموا على ربهم فأكرمهم وأجزل ثوابهم فأجذبته استحي إن ترهفت في معيشتي أن يقصر في غذا دونهم فالصبر أيا ما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما احتسك بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١)» وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطبق قسي حتى أمتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل قم أيك منذ ثلاثه أيام (٢) وقال أبو هريرة «ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشيع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله المتخونون للثاني وماتوا بعد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (٤)». وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فانها تمهل في الحياة تن في المات وقال شفيق البلخي العبادة حرفة حانونها الحلو وآتيا المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت للعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أخافين أن تجوعي لأخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول لمي أجتنى وأعريتني وفي ظلم الليالي بالامصباح أجلسني فأبى وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح اللوصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول لمي ابليتن بالمرض والجوع وكذلك فعل بأوليائك فأبى عمل أؤدى عسكراً ما أنعمت به علي وقال مالك ابن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كات له غلبة تقوته وتقنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول لمي أجتنى وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بالامصباح وإنما فعل ذلك بأوليائك فأبى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منهبة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سبابة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شيمت فاذا ذكر الجيعاء وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عثاني أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا لمن أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى ثيابه وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه لعلله في السنة درهم وكان يظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوفي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اتقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لأهم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فسكاً ما حيرت له الدنيا » وقيل في تفسير قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - هي القناعة قاله في قوام على نفسه بالقسط طام يطبايع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لعله بدائها ودوائها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك الرماء والمجاهدة والنسب الإيجق واعتقاد الفرق والحلم وذلك أن النفوس تثب وتظفر

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً وربما بكيت رحمة لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضاً [١] (٢) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ما مضى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم (٤) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشيع في الآخرة طبعوا بوميم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

[١] وجد بهامشي العراقي ما يأتي ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى اللدني مطولاً في كتاب استعلاء اللوت وأورد منه عياض في الشفاء ١ هـ .

للعصية والجهل في الشبع وقال ماعبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقصداء في الحديث « ثلث الطعام فمن زاد عليه فأنما يأكل من حسنة ^(١) » وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدالاً إلا بإحسان البطون والسرور والصمت والخشوع وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوسواس وقال إقبال الله عز وجل على البعد بالجوع والسقم والبلاء لإيمان شاء الله وقال العلماء أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بدمع نفسه وقتلها بالجوع والسرور والجهد وقال مامر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فلم من العصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأى قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذلكها بإخلاق الله كترك المزومنها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة وأكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانجس آفاتها بدوام سوء الظن بها واحسبها بخلاف هواها . وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحدا إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا بهولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولا م الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب السكي مثل البطن مثل الزهر وهو العود المحفوظ والأوتار إنما حسن صوته لحفته وورقه ولأنه أجوف غير ممتلئ . وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنمان . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يهجم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة . وروى أن عيسى عليه السلام مكث بناجى ربه ستين صباحاً لم يأكل غطط ياله الحيز فاقطع عن النجاة فإذا رغيغ موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد للنجاة وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولئ الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة غطر بيالى الحيز فاقطعت عنى فقال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الحيز خطر يالى منذ عرفتك فلا تخفى لى بل كان إذا حضرى لى شيء أكلته من غير فكر وخاطر . وروى أن موسى عليه السلام لما قرب الله عز وجل نجيا كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ثلاثين ثم عشرا على ماورد به القرآن لأنه أمسك بعير تبيت يوماً فزيد عشرة لأجل ذلك.

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك» [١] ولما كان قول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يأتى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء المكروهة وما جرى مجراه فاعلم أن هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به ووطن أن منفتحه للدواء الداء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذائق وهو غلط بل تشبه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرادفاً بقف على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على علة شبع الجوع إلا بماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصداقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة النعمة كأن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعا ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقى من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» فقول في الجوع عشر فوائد : القادة الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة وإفاذا البصيرة فإن الشبع يورث البلاهة ويصمى القلب ويكثر البخار في الدماغ غبه السكر حتى يحتوى على معادن الفسفرة فيثقل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث الطعام تهم .

[١] حديث جاهدوا أنفسكم لم يخرج الرافى

في المارين والصوفى
كل رأى نفس صاحبه
ظاهرة قابليها بالقلب
وإذا قولت النفس
بالقلب ذهبت الوحشة
وانطلقت الفتنة قال
الله تعالى تعلوا لعباده
- ادفع بالى هي أحسن
فاذا الذى بينك وبينه
عداوة كأنه ولى
حبيب - ولا يزع المراء إلا
من قوس ركية انزع
منها القل ووجود القل
في النفوس مراد الباطن
وإذا انزع المراء من
الباطن ذهب من
الظاهر أيضاً وقد يكون
القل في النفس مع من
يشاكله ويمائله وجود
النافسة ومن استغنى
في تدوير النفس بنار
الزهادة في الدنيا ينمى
القل من باطنه ولا يبقى
عنده منافسة دنوية

الجرىان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار يطير القهم والإدراك . وقال أبو نزيان الداراني عليك بالجوع فإنه مدية للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم الساجي وقال صلى الله عليه وسلم « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى » (١) وقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالنمل وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه » (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » (٣) وقال الشبلي ما جمعت له يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى أن غاية القصد من العبادات الفكر للوصول إلى المعرفة والاستبصار بمخائقي الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه وللعرفة باب من أبواب الجنة فبالجوع أن تكون ملازمة الجوع قرعا لياب الجنة ولهذا قال لثان لابنه يابى إذا امتلأت المعدة تأملت الفكر وتخرست الحكمة وتعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع البسبد أطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقرية إلى الله عز وجل حب للساكنين والدنو منهم . لا تشبعوا فتطفشوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح » (٤) الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاته الذي به ينهيا لادراك لذة الثائرة والتأثر بالذكر فكمن من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يتنزه به ولا يتأثر حتى كان بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرقى في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالنجاة وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحل ما تكون إلى العبادة إذا التصق ظهري يطيني . وقال الجيّد يجعل أحدهم بينه وبين صدره خلاصة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة النجاة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورقى وإذا شبع عصى وغلط فإذا تأثر القلب بلذة النجاة أمر وراء تبسّر الفكر واقتناس المعرفة فهي فائدة ثانية . الفائدة الثالثة : الانكسار والذلّ وزوال البطر والفرح والأثر الذي هو مبدأ الطينيان والفلة عن الله تعالى فلا تكسر النفس ولا تذلل شيء كما تذلل بالجوع فضده تسكن لربها وتخضع له وتقف على هزها وذلك إذا ضعفت منها وضاعت حيلها بلقيمة طعام قاتنها وأظلت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وهيمه لا يرى عزة مولاه ولا تهمه وإنما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بين الذلّ والعجز ومولاه بين المروءة والقدرة والفقير فليكن دائما جامعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطراب بالصدق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وإذا شبعت شكرت » (٥) أو كما قال قاليبون والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذلّ

في حظوظ عاجلة من جاء ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة للفقير - وزعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حفص كيف يتيقن الفل في قلوب اتلفت بالله وانفتحت على محبه واجتمعت على موته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطباع بل كحلّت بنور التوفيق ضارت إخوانا هكذا قلوب أهل التصوف والمجتهدين على الكلمة الواحدة ومن الزم شروط الطريق والانكباب على النظر بالتحقيق . والناس رجلا ن : رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى . عند الله

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع مصنف ورتق لم أجده له أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم أجده له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند وهي علامة ما رواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ت .

والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .
 الفائدة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشيطان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاءه من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الحلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيقطعون الضريع والزقوم ويسقون النساق والهلل فلا يبنون أن يذهب عن البلاء عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذي يهبس الخوف لمن يكن في ذلة ولاعة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يمتثل في نفسه ولم يغلظ على قلبه فينبغي أن يكون البلاء في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد همة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل لا يوتئسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزانة الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشيطان في غفلة عن ألم الجائع . الفائدة الخامسة : وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لامحالة الأطعمة فتقبلها يصفى كل شهوة وقوة وإيما السادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن يملكه نفسه وكأنك لا تملك الدابة الجروح إلا يصفى الجوع فإذا شبعت قوت وشردت وجمت فذلك النفس كما قيل لبعض ما بالك مع كبرك لا تهتم بدك وقد أنهد فقال لأنه سريع للرح فاحش الأثر فأخاف أن يجمع بي فيورطني فلأن أحمل على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش . وقال ذو النون ما شبع قط إلا عصيت أو عصيت أو عصيت بمصيبة . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبعوا بطونهم جمعت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزانة الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزان الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة السلام فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول السلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغلبة والفحش والكذب والخمجة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيفسكه لامحالة بأعراض الناس ولا يكتب الناس في النار على منأخروهم إلا حاصد الستم . وأما شهوة الفرج : فلا تفتني غائتها والجوع يكتي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين ترى كأن الفرج يرى فإن ملك عينه بمنى الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإيما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا ولا نجيب معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الحرج البحث سنة لا يخطئ به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . الفائدة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الصيغ يقول عند حضور الطعام معاصر للريدن لا تأكلوا كثيرا تقتربوا كثيرا فترقدوا كثيرا اقتضروا كثيرا وأجمع رأى سبعة صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والدمر أنقى الجواهر وهو رأس مال العبد فيه شجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تحصى وفي النوم فواتها ومهما

نفسه وغيره فالصالح
 الصوفى مع هذا منافسة
 ومراء وغل فإن هذا
 معه في طريق واحد
 ووجه واحدة واخوه
 ومعيه وللأمنون
 كالبيان يقد بضه
 بضاً ورجل مفتتح
 بى من حبة الجاه
 والال والرياسة ونظر
 الحلقى فما للصوفى مع
 هذا منافسة لأنه زهد
 فيها فيه رغب في شأن
 الصوفى أن ينظر إلى
 مثل هذا نظر رحمة
 وشفقة حيث يراه
 محجوبا مقتننا فلا
 ينطوى له على غل ولا
 يحاذيه في الظاهر على
 شيء لعله يظهر نفسه
 الأمارة بالسوء في الرأه
 والجهالة . أخبرنا
 الشيخ العالم شيه الدين
 عبد الوهاب بن على

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم التعذب إذا نام على الشبع احتمل وبمنه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه إلى الفصل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة تعذر التسليم في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع حيلة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسير اللواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر ترداده إلى بيت الله لكثرة شربه والأوقات الصروقة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربحه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سوقا يستف منه قفلة ماحلة على هذا قال إنى حسبت ما بين الضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضت الخبر منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يتبعه في الضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لاقية لها فينبى أن يستوف منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقته ومن جملة الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات صفه بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحضرها المتأفون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أمار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول للساجد والشباع يدورون حول الزايل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في للعدة والعروق ثم الرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينفس العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن وثققات لا يجمل الإنسان منها بعد التنب عن أنواع من اللامى واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادى وقال لصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذى لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي نخونجب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الإهليلج ينفص للعدة وهذا داء وحسب الرشاد يلقى للعدة وهذا داء ولله الحار يرضى للعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذى لاداء منه عندي أن لاتأكل الطعام حتى تشفيه وأن ترخى يملكه عنه وأنت تشفيه فقالوا صدقت . وذكر بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث لطعام وثلث للشراب وثلث للنفس » (١) فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم . قال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودا كل جسم ما اعتاد » (٢) وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم :

قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الرياني قال أنا أبو محمد
الجرجاني قال أنا
أبو العباس الحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
زيد بن أيوب قال
حدثنا المحاربي عن
ليث عن عبد الملك عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال « لا تنار أخاك ولا
تعده موعدا فتخلفه »
وفي الخبر « من ترك
الراء وهو مبل بقله
بيت في ريش الجنة
ومن ترك للراء وهو
حق بقله في وسطها
ومن حسن خلقه بقله
في أعلاها » . وأخبرنا
شيخنا شيخ الاسلام
أبو النجيب قال أنا

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وهو دواء

من أكل خبز الحنطة بحثاً بأدب لم يستل إلا علة للوت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء إن أضع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته البالح ولأن يقلل من البالح خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا » (١) في الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأستقام وصحة القلوب من سقم الطينان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة اللثة فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسر والذي تعود الشبع صار بطنه غريباً ملازماً له أخذاً يخفه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل الداخل فيكتسب من الحرام فيصير أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يعد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية التل والقناعة وللؤمن خفيف اللثة . وقال بعض الحكماء إنى لأنفى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي . وقال آخر إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فترك الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سر المأكولات فيقال إنها غالية فيقول أحرصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكسباً فلا يسل من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أدبوا قربع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً واستغنى عن الناس واستراح من التعب ونخل لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله وإنما لا تلهمهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهمه لاهالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإشارة والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته (٢) كما ورد به الخبر فيأكله كان خزائنه الكثيف وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للبعد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو ليس فأبقى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظالوما جهولاً - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملت العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشواويع الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظالوما لنفسه جهولاً بأمر ربه فقد رأيناكم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورم وضيعوا بها قورهم وأحسوا براديتهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالتدو والرواح إلى باب السلطان يترضون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلاً (١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث عتبة بن عامر وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن السهروردي محمد بن أبي عبد الله السالفي قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد الجوى قال أنا أبو خمران عيسى السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى ابن حمزة قال حدثنا النعمان ابن مكحول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب السلم ليأمن به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد أن يقتل بوجوه الناس إليه أدخله الله تعالى جهنم » النظر كيف

البلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبعني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يتسكى على ثماله ويأكل من غير ماله حديثا سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكسفة وتزلت به البطنة قال يا غلام اتقني حتى أمض به طماحيا الكسح أطعامك تهضم إنما دينك تهضم ابن الفقير ابن الأرملة ابن السكين ابن البقيع الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليذكر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه « ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل ميم البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك (١) » أي لو قدمت لأخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يسمى وعندده من الطعام ما يكفي ولوهاء لأكله فيقول والله لأجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بطنه لله فهذه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تنتهي فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لقوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويها وبالقوف على تفصيل هذه القوائد تدرك معنى تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة للقدنين في الإيمان والله أعلم بالصواب .

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن على الريد في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل لإحلالا فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس لما كول في تناول اللشنيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل الطعام فببيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتراج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المتناول كان يأكل رقيقين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رقيق واحد فينقص كل يوم ربع سبع رقيق وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع إلى رقيق في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سبيل التستري رحمة الله عليه إذ قال إن الله استعبد الخلق ثلاثا : بالحياة والمقل والقوة فإن خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والمقل أكل وأفطر إن كان صائما وتكلف الطلب إن كان قتيلا وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالى ولو ضف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع نصف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل . وستل سهل عن دبايته وما كان يقات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت أخذ بدهم ديسا وبدهم دقيق الأرز . وبدهم سمنا وأخلط الجميع وأسوى منه ثلثائة وستين أكرة أخذت في كل ليلة أكرة أفطرها قليله فالساعة كيف تأكل قال بنهر حد ولا توق . ويحكى عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم واليلية إلى نصف مد وهو رقيق وثي مما يكون الأربعة منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل ميم البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك أحمد و ك في للتدرك واليبقى في الشعب من حديث جمدة الجشمي وإسناده جيد .

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الميرة مع السفهاء شيئا لدخول النار وذلك بظهور تقوسهم في طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي . قال بعضهم : المجادل للمباري يضع في نفسه منه الخوض في الجدل أن لا يفتح شيء ومن لا يفتح إلا أن لا يفتح لها إلى قناعتة سيل نفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعة وتبدل البالي والرفق والسهولة والطمانينة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذي نفسي بيده لا يسلم عبد

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق الثقات لأن هذه الصفة في الجمع لثلاثة فهو لمجاور الشهوة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردّها إلى مقدار اللدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشرب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألقاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على اللد إلى الن و يشبه أن يكون ما وراء الن إسرافا عاقلًا لقوله تعالى ولا تسرفوا لأن في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالنفس والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا يتدبر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة يمد ولكن الأغلب أن لم يقدر لنفسه رغيفاً أو رغيفين فلا يقبض إلا بعد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : أحدها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وخسده بشهوة أي خبز كان فيها ما طلبت نفسه خبزاً بيته أو طلبت أدماً فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصدق فلا يقع اللذات عليه أي لم يبق فيه ذهنية ولا دسومة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا ينفعه عن العبادة التي هو بسببها فإذا انتهى إلى الوقف وإن بقيت شهوة على الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص ، نعم قد كان قوت جماعة من الصالحين صاعاً من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا القمح اقتاتوا منه صاعاً ونصفاً وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريباً من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التجزئ زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طمعي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فأنى سمعته يقول « أتريكم مني مجلساً يوم القيامة وأحسبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم » (١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصالحين قد غفرت يخل لكم الشعير ولم يكن يخل وخبرتم الرفق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم بألوان الطعام وهذا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مداً من تمر بين اثنين في كل يوم (٢) وللد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العترة بكفيه السكف من الحشف والقبضة من السوق والجرة من الساء والنافق مثل السبع الضاري بلما يلموا وسطاً وسطاً لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه فضله وجهوا هذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيرها وفيه أيضاً أربع درجات : الدرجة الأولى أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفي الرهين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى التقدير حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوماً وأربعين يوماً وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو الترمي وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحم وإبراهيم التيمي وحجاج بن فراهضة وحض المايد الصمعي والسلم ابن سعيد وزهير وساجان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستة أيام وسكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أنكم مني مجلساً يوم القيامة وأحسبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد . ون طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأحسبكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مداً من تمر بين اثنين في كل يوم له وصححه إسناده من حديث طلحة البصري .

حق يعلم قلبه ولسانه
ولا يؤمن حتى يأمن
جاره بواقفه « انظر
كيف جعل النبي
صلى الله عليه وسلم من
شرط الإصلاح سلامة
القلب والسان وروى
عن طه السلام أنه
مر بقوم وهم يمدون
حجراً قال ما هذا قالوا
هذا حجر الأشداء
قال ألا أخبركم بأحد
من هذا رجل كان
بينه وبين أخيه غضب
فأتاه قلب شيطانه
وشيطان أخيه فكلمه
وروى أنه جاء غلام
لأبي ذر وقد كسر
رجل شاة فقال أبو ذر
من كسر رجل هذه
الشاة فقال أنا قال ولم
فصلت ذلك قال عمداً
فصلت قال ولم قال
أغيتك تقضين

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا بطويان ثلاثين كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من السموات أي كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة من رهبان قد تركه بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من النور فسلكه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لاني أو صديق قال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل قال نعم فجلس لا يريح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأريدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يلتفتها لإلا كشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طيبه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته . الدرجة الثانية: أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك مغاربا عن العادة بل هو قريب بمسكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهي أدناها أن يقتصر في اليوم واليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فضل للرفيق وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تعدى لم يتشرب وإذا تشرب لم يشد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لما تشبع وإياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا أكلة في كل يوم قوام بين ذلك (٢) وهو المأمود في كتاب الله عز وجل ومن أقصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيسكون أكله بعد التهجيد وقبل السبع فيحصل له جوع النهار للقيام وجوع الليل للقيام وخلا القلب لفرغ اللذة ورقة الفكر واجتماع المم وسكون النفس إلى العلوم فلا تازعه قبل وقته . وفي حديث حاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أخر القطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجيد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغب في مثلا أكل رغبيا عند القطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخفف بدنه عند التهجيد ولا يشتد النهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجيد والثاني على اليوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويومئذ يفتقه السحر فتهب الطير في مواقيت الأكل ويأعده وتغاريه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام سبع البريق فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير متخول وأدناه شعير لم يشغل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه اللحم يواصل وهو من خصائصه

فتأثم فقال أبو ذر لأغيظن من حشك على غيظي فأعفقه . وروى الأصمعي عن أعسري قال إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد فغالب أثرهما إلى هوالك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال لما إبراهيم بن عبد الله قال لما أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والحل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدخال على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذيق يشتهي الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا له وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيّق عليها وحرّمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه وهضيّا له فاشتغلت نفسه الفلاّت منها فيكون للآلوت إطلاقتها وإليه الإشارة بقول يحيى ابن ماز حيث قال معاشي الصديقين جوّعوا أنفسهم لولية الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس لتكّل ماذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول بإعادته فذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من اللباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين يأكلون مع الخنطة ^(١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكل مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه أيضا فلا يعصى بتناوله ولكن تربي نفسه بالعمى فتأنس بالدنيا وتأنف اللذات وتسمى في طامها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة لأن مع الخنطة يتجودم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاصي وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين غدوا بالعمى ونبتت عليه أجسامهم ^(٢) » وإنما همهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في السلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيق الأطعمة وتحرّج النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى مسكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين ؟ قال أمرت بسوق نخوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على أن تيسر أبواب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بسل وقال اعزلوا عني صاحبها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالطة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتى ممكة طرية فالتفت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فضوت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للقلام لها برغفها وادفعها إليه فقال له القلام أصلحك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم نجدتها فداودجتها اشتريتها بدرهم ونصف فتحن تعطيه فتمنّا فقال لها وادفعها إليه ثم قال القلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعتها بين يديه وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وأثر بها على نفسه غفر الله له ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سدّدت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمتي الذين يأكلون مع الخنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالعمى الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلًا قال البخاري في السبل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتى ممكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وأثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن جبان في كتاب الثواب باسناد ضيف جدا ورواه ابن الجوزى في اللوحات

« ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات غفية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإحباب الرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم رافى أمير على نفسه بصرفها بقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاعتساب ، فصل أنهم كانوا يتوضؤون عن إيداء السلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلى من أن أتوضأ من طعام طيب ، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحديث

القرع فلى الدنيا وأهلها الدمار^(١) أشار إلى أن للتصويرة ألم الجوع والعطش ودفع ضرر حادون التمتع بقات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا جلست أنه قد حضر عشاؤه فأعطني فأعده قد دخل عليه فحرب عشاؤه فأنوه بزيد لحم فأكل معه همهم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف حمريه وقال الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعمهم بعد طعام والذى نفس حمريه لئن خالفت عن سبهم ليخالفن بك عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ما خلت لعمري دقيقا قط إلا وأنا له ماض ، وروى أن عتبة القلام كان يصعب دقيقه ويخففه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حقينيا في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيفرق به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك غفرته لك وردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عن كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن آدم بمكة في سوق الليل عند مولاه النبي صلى الله عليه وسلم يسكن وهو جالس بأحبة من الطريق فدخلت إليه وقعدت عنده وقلت إني هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فاعوده مرة والثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استمر على قتلت يا أخى قل ما خلت فقال لي اشتيت نفس منذ ثلاثين سنة مكابجا لفتما جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني الناس إذ أنا غنى شاب بيده قدح أخضر يسلم منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمى عنه فحربه وقال يا إبراهيم كل قتل ما أكل قدرتكه ثم عز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل ما كان لي جواب إلا أن بكيت فقال لي كل وحمك الله قتل قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فائما أعطيت قليل يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحما الله من طول صبرها على ما يعملها من منها . اعلم يا إبراهيم أني سمعت للأنبياء يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قتل إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقدم مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بغنى آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقي حتى نسمت فالتفت وحلاوته في نفسي ، قال شقيق قتل أرى كلك فأخذت بكفه فقبلتها وقلت يا من يطعم إلبياح الشهوات إذا صححوه للناس يا من يفتح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من عبته أرى لشقيق عندك حالا ثم رفس يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وقدر صاحبه وبالجمود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال فقام إبراهيم ومشى حتى أدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشقى لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يوم رطب فقال لأصحابه كلوا فاذتبه منذ أربعين سنة . وقال محمد بن أبي الحارث : اشترى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بطلع فجث به إليه ففص من عضة ثم طرعه وأقبل يسكن وقال عجلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدى واشتوق قد عزمتم على التوبة فأعطني قال أحمد فأرأته أكل الملح حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن ضيف مروت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقال لي نفسي لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إلا أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بصرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بصرة فما زاد فيكم ما تنص مني ولا مني ما زاد فيكم وقال طلقت الله ما منذ خمسين سنة اشتيت نفسي لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أنبت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمته يقول نفسي اشتيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من
فركك وحديث من
فيك فلاجل حبة
الوقار والحلم إلا القضب
وخرج عن حد العدل
إلى المدوان تجاوز
الحديق القضب يورده
القلب فان كان القضب
على من فوقه مما يميز
عن إقاذ القضب فيه
ذهب الدم من ظاهر
الجلد واجتمع في القلب
وبصرته الهم والحزن
والأنكاد ولا يظوى
السوى على مثل هذا
لأنه يرى الحوادث
والإعراض من الله
تعالى فلا ينكد ولا ينهم
والصوفى صاحب الرضا
صاحب الروح والراحة
والتي عليه السلام
أخبر أن الهم والحزن
في الشك والسخط .
مثل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القرع فلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف .

اشتهيت تمرا فكألت أن لائاً كليه أبداً فسلمت ودخلت فإذا هو وحده ومراً أبو حازم يوماً في السوق فرأى الفاكهة فاشترها فقال لانه اشترياً من هذه الفاكهة للقطوعة الممنوعة لئلا نذهب إلى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا أدتيه فيمت بها إلى يتامى من الفقراء ، وهن موسى الأشج أنه قال نسي تشتهي ملجأ جريشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال نسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروى فأرويتها ، وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحماً سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نسي أن أداها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبز وشويها وتركها على رغيف فقلت صيا قلت ألسنت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فتأولت ليها قالوا وأقبل يبي وبقرأ - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتوا وأسيرا - ثم لم يبقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بغير ماء ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فبعت بيع شديدة حتى أظلمت الدنيا ففرع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراءك عليك وشرائي التمر بالقرطام ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بدينك على أن لا تذوقيه . واشترى داود الطائي نصف فاس بقال وبغلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه وبلك بأداود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا تفاراً وقال عتبة الغلام يوماً لئبداً الواحد بن زيد إن فلاناً نصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نسي قال لأنك تأكل مع خبرك تمرا وهو لا يزيد على الخبر شيئاً قال فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبيك فقال له بعض أصحابه لا يبيك الله عينك أهى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في التمر وهو إذا ترك شيئاً لم يعاوده . وقال جعفر بن نصر أمرني الجندب أن أعتري له التين الوزيري فلما اشترته أخذ واحدة عند القطور فوضعا في فم ثم أقامها وجعل يبيك ثم قال أحمل قتلته في ذلك فقال هتب في هانفأما تستحي تركته من أجل ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلي في متكلفك شيئاً فلا ترد على كرامتي فقال أصل ما تريد قال فبعت إليه مع ابني شربة من سويق قلدته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى شربها فلما كان من اللذ جعلت له نحوها فردها ولم شربها فضايتها ولنته على ذلك وقلت سبحانه الله رددت على كرامتي فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسوؤك هذا إن قد شربتها أول مرة وقدر اودت نفس في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يتجرعه ولا يكاد يسيغه - الآية . قال صالح فبكيت وقلت في نفسي أنا في فواد وأنت في واد آخر ، وقال السري السفطي نفسي منذ ثلاثين سنة تطلبني أن أغمس جزرة في دبس فأطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلاً يقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهها فيقول لها لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن عابداً دعا بعض إخوته فترقب إليه رغبانا فجعل أخوه يقلب الأرفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أي شيء تصنع أما علمت أن في الرغبة الذي رغبته عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صالحاً حتى استنداز من السحاب الذي يعمل الماء والماء الذي يسقي الأرض والرياح والهائم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تحليه ولا ترضى به وفي الخبر « لا يستدر الرغبة ويضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صائناً أولهم ميكائيل عليه السلام الذي يكيل للآء من خزائن الرحمة ثم للآلثة التي ترجى السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاب - وإن عدوا نعمة الله لأصحوها - » (١)

(١) حديث لا يستدر الرغبة ويضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صائناً أولهم ميكائيل

عباس رضى الله عنهما
عن التم والنضب قال
مخرجهما واحداً واللفظ
يختلف فمن نازع من
يقوى عليه أظهره
غضباً ومن نازع من
لا يقوى عليه كتمه
حزناً والحرد غضب
أيضاً ولكن يستعمل
إذا قصد للفضوب عليه
وإن كان النضب على
من يشاكله ويمائله
من يتردد في الاقتحام
منه يتردد القلب بين
الانقباض والانقباض
فيتولد منه القلق والحقد
ولا يأتى مثل هذا إلى
قلب الصوفي قال الله
تعالى - وزعنا مالى
صدورهم من غل -
وصلاة قلب الصوفي
وحاله يقذف زبد القل
والحقد كأيضف البحر
الزبد لما فيه من تلاطم

وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعى فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال أى شئ سمعت فيه فددت أقوالا فسكت فقلت وأى شئ تقول أنت فقال : أعلم أن البطن دنيا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يؤاخره من للأكلات فقال تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل منى قال صف لي حتى أصح قال تهرى بسكجينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيداجا فقال له بشر هل تعلم شيئا أقل من السكجيين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهندبا بالحل ثم قال أنصف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامي قال تعرف شيئا أقل من الاسفيداجا يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء المحسن بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطيب فلم تسألني ، فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان للتح شهوة لأنه زيادة على الخبز وما هو له الخبز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا ينفل عن نفسه ولا يهتمك في الشهوات فكفي بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهي ويضلل كل ما هو له فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم . قال تعالى كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ما خافه ومن دوام عليه أربعين يوما قاتله ، وقيل إن للدوام على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وثاقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجماع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعند القنور ويسوقه لذلك ولكن ليصل أولي جلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث « أذيوأ طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتسوقوا بكم » (١) وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيبا كله ، قد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم وأصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع النجوى وكده مرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما انتهى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الخبز وبها كلها بدلا منه لتكون قوتها ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين حادق وشهوة . فطر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وعرق قال له أبدا بالتمر فان قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا أو غليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا فطاعته وكان بعضهم يقولون لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها واطلب بعض أنواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ماتا ثيينا من العراق فأكاه أجب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فأكاه ، وعلى الجلالة لا يميل إلى إهمال النفس في الشهوات للباحات واتباعها بكل حال بقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخفى أن يقال له يوم القيامة أفهنت طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعت بها - وقد مر بما عهد نفسه ويترك شهوته يجمع في الدار الآخرة شهواته قال بعض أهل البصرة نازعت نفسي خبز أرز ومما فتنها قنوت مطالعتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام قلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به رضى من النعم والكرامات وكان أول شئ استقبلني به خبز أرز ومما قال كل اليوم شهوتك ههنا بغير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا ههنا

أمواج الأنس والمهية وإن كان الغضب على من دونه عن يدر على الانتقام منه تار دم القلب والقلب إذا تار دمه يجر ويحمر ويسود ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تهرى الوجتان لأن الدم في القلب تار وطلب الاستعلاء وانفضت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الحد فيتمدى الحدود حيثما بالضرب والشتم ولا يكون هذا في الصوفى إلا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفى ضد الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه عمله على أن يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيوأ طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتسوقوا بكم طس وابن السني في اليوم والليله من حديث عائشة يهتد ضيف .

بما أسلفتم في الأيام الخالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أشفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقتنا الله لها برضيه .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلما طرفي قصد الأمور ذميم وما أردناه في فضائل الجوع ربما يوصي إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيئات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمباينة في التبع منه على وجه يوصي عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقضيه الطبع بضاية الإمكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينهي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيقتضيان ويحصل الاعتدال فإن من يقدر على قمع الطبع بالسكينة بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في التناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه (١) فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع الاعتدال أن يأكل بحيث لا يحس بقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وتقلل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل ألا لا يبقى للمأكل فيه أثر ليسكون متشبها بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الأدمي البعدهن هذه الأطراف للتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال غلة ألبت في وسط حلقة محبة على النار مطروحة على الأرض فإن الغلة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد الواقع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالخلقة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد الواقع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبًا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها » (٢) وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخفي في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جرحا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينضج بل لا بد من المبالغة في إبلاها بالجوع كما يبالغ في إبلام الغاية التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإبلاها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويعتقه القوا ككوال الشهوات وقد لا يتمتع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجراح والامتناع عن العبادة كان الأسهل لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتسكس نفسه وللمقصود أن تسكس حتى تمتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

(١) حديث النبي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها البهقي في الشعب مرسلًا وقد تقدم .

بميزان الشرع والعدل .
وبتهم النفس . بعدم
الرضا بالقضاء ، قيل
لبعضهم : من أقبر
الناس لنفسه قال
أرضاه بالمقدور
وقال بعضهم أصبحت
ومالي سرور إلا مواقع
القضاء وإذا أتهم
الصوفي النفس عند
القضب تداركه العلم
وإذا لاح علم الصلح
قوى القلب وسكنت
النفس وعاد دم القلب
إلى موضعه ومقره
واعتدل الحال وفاضت
حرمة الحسد وبانت
فضيلة العلم قال عليه
السلام « السمت
الحسن والتؤدة
والاقتصاد جزء من
أربعة وعشرين جزءا
من النبوة » . وروى
حاتمة بن قدامة قال

يتمتع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا متفاته قسه على الصراط المستقيم واستغناؤه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما اللغور فلفظه نفسه أنه الصديق للسخي عن تأديب قسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فان النفس قلما تأدب تأديبا كاملا وكثيرا ما تفرق فتنتظر إلى الصديق ومساعدته قسه في ذلك فيسأله نفسه كالمريض ينظر إلى من قد صبح من مرضه فيقول ما يتناول ويظن بنفسه الصلحة فيه كما والتى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناهية عن الحق غير بالرة رية الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يغطر ويغطر حتى يقول لا يصوم (١) وكان يدخل على أهله فيقول « هل عندكم من شيء فان قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم (٢) » وكان يقدم إليه الشيء فيقول « أما إني قد كنت أردت الصوم ثم بأكلم (٣) » وخرج عليه السلام يوما وقال « إني صائم قد الله عاشر رضى الله عنها قد أهدى إلينا حبس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه (٤) » ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقات ورق التبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين قليل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس للراد بقوله بلا حد ولا توقيت أنى آكل كثيرا بل أنا لا أقدر بمقدار واحد ما أكله وقد كان معروف الكرخي يهدى إليه طبياط الطعام فكأ كل قليل له إن أخا كبريا لا يأكل مثل هذا فقال إن أخى هبرا قبضه الورع وأنا بسطنى للرفة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطمعني أكلت وإذا جوعني صبرت مالى والاعتراض والتعيز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدرام زبدا وعسلا وخبزا حواريا قليل يأبأ إسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه فقرأ يسيرا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري بأبأ إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث فالذى أخذ العلم من السباع والنقل تقليدا رى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للشم منذ عشرين سنة . وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في ريس فإنه لا يغمسها متاقضا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما غطى والبصير بأسرار . القول بغيره أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسميها فطن محتاط أو غبي مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامع نضى فليس نضى أطوع من نضى سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المتعمين عن الشهوات فيقتدى بهم وللغور يقول ما نضى بأعصى على من نضى معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يغطر ويغطر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم ودت وحسنه ون من حديث عائشة وهو عندم بنحوه كما سيأتى (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أردت الصوم البقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرمت الصوم وقال إسناده صحيح وعندم قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم قالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حبس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدنيه فقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ البيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريه .

قلت يا رسول الله أوصنى وأقل لى أعيه قال لا تنضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تنضب قال عليه السلام « إن النضب جرة من النار ألم تنظروا حمرة عيبه واستنخ أوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجاس وإن كان جالسا فليضع » . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن عسى قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحى قال أنا الهبوى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال خذتنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضى الله

السكراني وإبراهيم بن آدم فأتقدي بهم وأرفع التقدير في ما كولي فأنا أياضيف في دارمولاي فإلى ولا اعتراض ثم إنه لوصر أحد في حقه وتوقيه أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل زرع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لايسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنوبة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتباعه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون ماملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الصل ويأكله (١) ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة مزوجة بصل جعل يدير الأناة في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى بضعها اعزلوا عن حساسها وتركها وهذه الأسرار لايجوز لشيخ أن يكشفها حريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقصر لاجلعاة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن الدارف الكامل يستغنى عن الرياضة فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيأتي إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع الريد في كل رياضة كان يأمر بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبها بهم وتاطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأتباع والأولياء وإذا كان حسد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن ففلاه بالدرة وقال لأم لك كل يوما خبزاً ولحماً ويوما خبزاً ولبناً ويوما خبزاً وحماً ويوما خبزاً وزيتاً ويوما خبزاً وملحاً ويوما خبزاً ففارا وهذا هو الاعتدال فأما للواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكيفية إقرار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(بيان آفة الرياء للتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشبهها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشبهها فيخفى الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه قيل هل تعلم به بأما قال يا كل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبا أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن قوت الجاهدات بالأعمال فإن إخفاء النفس وإظهار ضده من الكمال هو تصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كدبان فيكون مستحقا لقبين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر التائقين فقال تعالى - إن للتائقين في الشرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسترفكان سقره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الخالقين في الكفر عن ظاهره والعارفون ينتلون بالشهوات بل بالخاص ولا ينتلون بالرياء والنفس والأخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لثقلته من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويسلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما قصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب الصل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الخلوات والصل الحديث وفيه قصة شربه الصل عند بعض نسائه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبيد النيس « إن فيك فصلتين يجهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التوحد والتألف والرافقة مع الإخوان وترك مخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مالى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتوحد والتألف من التلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذي أوردته فما تواف منها اتلف قال الله تعالى - فأصبحهم بنعمته

عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشعرون عليه حاله فتهابه ازهد : الزهد في الزهد باظهار منده وهذا عمل الصديق فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس تقليل وجوعها كأس الصبر مرتين مرة بصره مرة بزمه فلا جرم أولئك يؤتون أجرام مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يسطي جهرا فأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالقصر سرا فن فاته هذا فلا ينبغي أن يظن أنه يظهر شهوته وشهامته والصديق به ولا ينبغي أن يضره قوله الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستمره أصلا كثيرا فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ووجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره فذلك نقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطاع عليه ليس يقتدى به في الفعل أولا يتجزر باعتقاده أنه تارك للشهوات . الآية الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضيقة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فلما كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركها كما فأصبر منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك منها فتكون قد أعطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نقصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإنني أظهرت شهوتها أطمعتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت الزوب عنها طاعتها بالترك ولم أنلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عرق ونزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الفرج سلطت على الإنسان فائدتين : إحداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الواقع لو مدت لكانت أقوى لذات الأجساد كأن النار ولاهما أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بأنهم محموس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتهما ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تعلمنا ما لإطاعة لنا به - مناهضة الغلبة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاف قد أذعنوا نطقه في الأذان » قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره « الله كذا إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ^(١) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر محمى وجسرى وقلبي وهنى ومنى ^(٢) » وقال عليه السلام « النساء جبال الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال ^(٣) » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أتته إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوسوس ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك فتركتك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس أختطف به قلوب آدم قال فما

إخوانك - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن ألف مألوف لا خير فمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل اللؤميين إذا اتبعا مثل اليبدين تسفل إحداهما الأخرى وما اتقى مؤمنا ولا استغدا أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لماذا أتى أجبك في الله فقال أجبر ثم أجبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا في قوله تعالى - ومن شر غاف قد أذعنوا نطقه في الأذان - قال هو قيام الذكر وقال الذي أسنده الذكر إذا دخل هذا حديث لأصله (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر محمى وجسرى وقلبي وهنى تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء جبال الشيطان الأصفياني في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بسند فيه جملة .

الذي إذا صنع الانسان استحوذت عليه قال إذا أعجزته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذر
 ثلاثا لا تغفل بمرأة لا تغفل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تغفل له إلا كنت صاحب دون أصحابي حتى أقتنه بها
 وأقتنها به ولا تعاهد الله عهدا إلا وقفت به ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فله نصيبها
 إلا كنت صاحب دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بهم إلى وهو يقول يا ابتاه علم موسى ما عذر
 به بن آدم . وعن سعيد بن السيب قال ما بعث الله نبيا فإلا خلا له لباس ليس أن يملكه بالنساء ولا
 شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يبق ويبت ابنتي أغسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال
 بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت سحى الذي أرى به فلا أخطئ . وأنت موضع
 سرى وأنت رسول في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء
 وهذه الشهوة أيضا لها إفراط ونزيط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى
 الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة وأقهر الدين حتى يجر إلى اقحام الفواحش
 وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين : أحدهما أن يتناولوا ما هو لهم وأهمهم حتى الاستكثار من
 الوقاح كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للعدة ثم تعظم شهوة الطعام ومماثل ذلك إلا كثر اختل
 بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيضال لإثارتها وتهيجها ثم يشتغل باصلاحها
 وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاح على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب
 الخلاص . فان قلت فقد روى في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وشكوت إلى
 جبرائيل ضعف الوقاح فأمرني بأكل الحريصة (١) فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحتة تسع نسوة
 ووجب عليه تحصيلهن بالامتناع وحرم على غيره نساكهن وإن طلقهن فكان طلبة القوة لهذا الامتناع .
 والأمر الثاني أنه قد تنهت هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجلب بمأسوع له الوقاح وهو
 مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لأن للعشق ليس يقع بآراء شهوة الوقاح وهي أقبس الشهوات وأجدرها
 أن يستجيب منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تقضى إلا من محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق
 فكفى به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى
 يستغفر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومعتلا لأجلها وما
 العشق إلا سمة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاه له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك
 معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحك عسر دفعه فكذلك عشق للسال والجماع والقار والأود حتى
 حب اللعب بالطيور والزرد والشطرنج فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنفخ عليهم
 الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومثال من يكثر سورة العشق في أول ابتاعته مثال من يصرف
 عنان العناية عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنايتها ومثال من يبالغها بمد
 استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورأها وما أعظم
 التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فيمكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج
 إلا بمجهود جهيد يكاد يؤدي إلى نزاع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يظلب العقل إلى هذا الحد وهو
 مذموم جدا ونزيطها بالهنة أو بالضعف عن امتناع للنسكوحت هو أضياف مذموم وإنما المجهود أن تكون
 مخدلة ومطبعة للعقل والشرع في إهانتها وانسائها ومهما أفرطت فكسرهما بالجوع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل ضعف الوقاح فأمرني بأكل الحريصة القليل في الضمضاء طس من
 حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وم لا يغفرون وغاف
 الناس وم لا يغفون
 وم أولياء الله الذين
 لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون قيل من هؤلاء
 يا رسول الله قال
 المتحابون في الله . وقيل
 لوطحاب الناس ومتطاولوا
 أسباب المحبة لاستغنوا
 بها عن العدالة . وقيل
 العدالة حليقة المحبة
 تستعمل حيث لا توجد
 المحبة وقيل طاعة المحبة
 أفضل من طاعة الربهة
 فان طاعة المحبة من
 داخل وطاعة الربهة
 من خارج ولهذا المعنى
 كانت محبة الصوفية
 مؤثرة من البعض في
 البعض لأنهم لما تحابوا
 في الله تواصلوا بمحاسن
 الأخلاق ووقع القول
 بينهم لوجود المحبة
 فانتفع بذلك للريد

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعله بالصوم فالصوم له وجاء ^(١) » .
(يان مايلي الريد في ترك التزويج وفله)

اعلم أن الريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل عنه من السالك ويستجهر إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بنير الله تعالى شغل عن الله ولا يخرته كثرة تكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى ^(٢) فلا تقاس للامسكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال مارأيت مریدا تزوج فثبت على حاله الأول وقول له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آتسنى بها أى إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغول فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فهدمه فلذلك كان يضرب يده على غدة عائشة ويقول كلفني بإعائشة لتشفه بكلامه عن عظيم ما هو فيه لقصور طاعة قلبه عنه ^(٣) فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقنا يدهنه ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فإذا مناق صدره قال أرحنا بها يا بلال ^(٤) حتى يعود إلى ما هو قره عينه ^(٥) فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأنفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط الريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة هذا إذا لم تقبله الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرهما بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تتمتع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالتكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدى على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غش بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزعم في القلب شهوة وكفى بها فتنة . وقال سعيد بن جبيل إنا ساجد الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بهد الزنا قال النظر والتقى . وقال الفضيل يقول إبليس هو قوسى القديمة وسهمى الذى لا أعطى به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوه في قلبه ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء ^(٧) » وقال تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم عظم من الزنا فالعيناان

بالشيع والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درج وكل صفة وكل الجماعة في الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في الصبر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها فأكد الألفه والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » أخبرنا أبو زرعة قال أنا أبو الديق أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن عيسى الزيايدى قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج الحديث تقدم في النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافي الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كلفني بإعائشة لم أجده أصلا (٤) حديث أرحنا بها يا بلال تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قره عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظرة سهم مسموم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ما تركت بدى فتنة أضر على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء من حديث أبي سعيد الخدرى .

تزيان وزناها النظر واليدان تزيان وزناها البطش والرجلان تزيان وزناها الشئ والقلم تزي وزناها القبة والقلب بهم أو يتنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذب^(١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا قتلنا أو ليس بأعمى لا يصبرنا فقال وأنتا لا تبصرانه^(٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة الصبيان كما جرت به العادة في الآثم والولائم فيجرم على الأعمى الحلاوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لفقر حاجة وإنما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل محرم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالتكاح أولى به فإن الضر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالتكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بهمال صورة الأمر بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتصق لم يحل له النظر إليه . فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجليل والقيسح لاهالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة . فأقول لست أعني تفرقة العين قط بل ينبغي أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى بإسدة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداها بمنته وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيعة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها وبصرف ذلك بعب النفس إلى القرب واللامسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجليل وبين الثبات الحسن والأنواب للنقشة والسقوف للذهبة فخطره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويحرم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الصاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بفلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا . وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لو طوبون : صنف ينظرون وصنف يصاحون وصنف يملكون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما هجر الريد عن غش بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالتكاح قرب نفس لا يمكن توقاتها بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثر الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي أتعب أن يذهب ما تجد وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتي فهدتني فجرد سيفا من نور فضرب به عنق فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أوأعد منه فرأيت كأن شخصا فبا بين جنبي وصدرى فباطني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رغب مالا يصبره قال فخرت فأتقطع ذلك عني وول في ومهما احتاج الريد إلى التكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء التكاح ودوامه أما في ابتداءه فيأبى الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدبنة ولا يطلب

(١) حديث لسك ابن آدم حظه من الزنا قال الصبيان تزيان الحديث م هق واللفظ له من حديث أن هريرة وافق عليه الشيخان من حديث ابن عباس هو (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث د ن وقال حسن صحيح .

أنا أبو العباس عبد الله
ابن يعقوب الكرماني
قال حدثنا يحيى
الكرماني قال حدثنا
حماد بن زيد عن حماد
ابن سمع عن الشعبي
عن الثمان بن بشير
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول « ألا إن مثل
المؤمنين في توأهم
وتحابهم وتراحهم
كمثل الجسد إذا
اشتكى عضوه منه تداعى
سائر أجزائه والحمى
والسعال والتوؤد
يؤكدان أسباب الصعبة
والصعبة مع الأخيار
مؤثرة جدا . وقد قيل
لقاء الإخوان قفاح
ولاشك أن البواطن
تلتصق ويتقوى البعض
بالبعض بل مجرد النظر
إلى أهل الصلاح يؤثر

الفنية . قال بعضهم : من زوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالة الصداق وتسوية الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على الذهاب لها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرت بالسن والطول والبال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الحقيق .

زوج بعض الريدن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استجبت المرأة وعسكت ذلك إلى أيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أتأني منزله منذ سنين ماضت إلى الخلاء قط لا واصل الماء قبلي إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستجسبها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن صبره قد ذهب حتى زقت إليه فزال عنهم الحزن فقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك قيل له في ذلك قال تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا قيل له قد سقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سنية الخلق فكان يصبر عليها قيل له لم تطلقها فقال أحسني أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيأتها بها فان تزوج الريد فهكذا . ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهاشمي كان عاك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلماها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على راحة العذوبة رحما الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس غنى الأيام والليالي حقاً أيها مائة ألفاً وأنا أصبرك مثلاً ومثلاً فأجيبني فكتبته إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهي زائدك وقدم لمادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أو صباه فيقتسموا ثرائك فضع السرور وليكن فطرك للوثة وأما أنا فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضاعه غاسقني أن اشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فليتنظر الريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه الملة ثلاثة أمور : الجوع وغضب البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن السيب ما أيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء . وقيل سعيد أيضاً وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يمشو بالأخرى ماشي . أخوفني عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب فخطبني أياماً فلما أتيته قال أين كنت ؟ قلت توفيت أمي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت رحمك الله تعالى ومن زوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قتلت وفعل ؟ قال نعم فحمدته تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فسمت وما أدرى ما صنعت من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر بمن أخذت ومن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي فأسربت وكنت صائماً قد قدمت عشائي لأفطر وكان خيراً وزيتاً وإذا باني يقرع فقلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين دارة والمسجد قال خرجت إليه فادأ به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بدأه فقلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأنتيك فقال لانت أحق أن توفي قلت فما تأمر قال إنك كنت رجلاً عزبا فزوجت فكبرت أن أيتك الليلة وحده وهدم امرأتك وإذا هي قاعة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها

صاحباً والنظر في الصور يؤثر أخلاقاً مناسبة لحاق للنظور إليه كدوام النظر إلى المحزون يحزن ودوام النظر إلى السرور يسر . وقد قيل من لا ينفك لحظه لا ينفك له لطفه والجل الشهود يصرفون لطفه لا يجل الدول والمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد واللاء والهواء يسد إن بمقارنة الجيف والزروع تنوع أنواع السروق في الأرض والنبات موضع الفساد بالمقارنة وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء في النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيراً وصي الإنسان إنساناً لأنه يأني بمقارنه من خير

فدفعها في الباب ورده فسمعت للراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصة التي فيها الحزن والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الحيران فجاءوني وقالوا يا ما شأنك قلت وبمك زوجتي سعيد بن السيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فزولوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأتت ثلاثاً ثم دخلت بها فاذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيتني وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تشرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قتلته بخير يا أبا محمد طي ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رايك منه أمر فدونك والعسا فاسترفت إلى منزلي فوجه إلى بشر بن ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب هاه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاد العهد فأني سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يغال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستجبال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة وجوب اللبادة في الدين إلى تطفئه نارها بالسكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه.

(بيان فضيلة من يخالف شهوة القرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحي منه ويخفى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما الجبر أو الخوف أو الحياء أو المحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إشار حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من القصة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأى سبب كان تركه وإغما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الواقع ويمسر الأسباب لاسما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق فف فكتم لمات فهو شهيد ^(١) » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجل عدته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إلى أخاف الله رب العالمين ^(٢) » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق لجهاذة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة ، وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأة فأسأته نفسه فامتنع عليها وخزج هارباً من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم يمتهم أشار إلى قوله تعالى - ولقد هممت به يوم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضاً ما هو أجيب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى زلا بالأبواء قام رفيقه وأخذ السفره وانطلق إلى السوق ليتاع شيئاً وجلس سليمان في الحيمة وكان من أجل الناس وجهاً وأورعهم فبصرت به أعرابية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقعت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأفسرت عن وجهها كأنه فلقه فقرأت

(١) حديث من عشق فف فكتم لمات فهو شهيد ك في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنسك على سويد بن سعيد ثم قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي مرس وزمغ غزوت سويداً ورواه الخرائطي من غير طريق سويد بسد فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وشر والتألف والتودد
مستجلب للمزيد ونعسا
العزلة والوحدة محمد
بالنسبة إلى أرائه
الناس وأهل الشر
فأما أهل العلم والصفاء
والوفاء والأخلاق
الحيدة فيقتسم مقاربتهم
والاستئناس بهم
استئناس بالله تعالى
كأن عبيتهم بحية الله
والجامع معهم رابطة
الحق ومع غيرهم رابطة
الطبع فالصوفي مع غير
الجنس كائن بأن ومع
الجنس كائن مغاير
والؤمن مرآة المؤمن
إذا نظر إلى أخيه
يستشف من وراء أقواله
وأعماله وأخسواه
تجليات إلهية وتبرعات
وتلويحات من الله
الكريم خفية فائت
عن الأخيار وأدركها

إلا التجسر وإن استسبح لم يلتذ وتأم لأنه قصد الالتذاذ فقد فعل ما أكله فلا يحلو في كتنا حالته عن معصية وعن تأم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التحكك فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق قد روى عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بمجارة بعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأننا أعدت حبالك منكى ولكن أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تابلاً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن نطلبنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالى من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائى ففدا الرسول وأمن هو فأظلتها سحابة حتى اتبها إلى القرية فأخذ التصاب إلى مكانه فالت سحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت فأظلتنا سحابة ثم تمتك لتجربى بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى يمكن ليس أحد من الناس مكانه . وعين أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السميت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت على الطريق وهو يريد للسجد فقالت له يا فتى اسمع منى كلمات أكلك بها ثم اعمل ما شئت فضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع منى كلمات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف نعمة وأنا أكره أن أكون لتيمة موضعاً لقلالة الله والله ما وقفت موقفي هذا جهالة منى بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا منى والذى حملنى على أن أتيقن في مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفى أن القليل من هذا عند الناس كثير وأتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شئ يعيبها وجملة ما أقول لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله فى أمرى وأمرك قال فضى الشاب إلى منزله وأراد أن يسلى فلم يسق كيف يصلى فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة فى موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعطى أيتها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطبق غضبه فان كان ما ذكرت باطلاً فاني أذكر لك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتغير الجبال كالهمى وتجوهر الأمم لصلوة الجبار النظيم وإنى والله قد ضعف عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح غيرى وإن كان ما ذكرت حقاً فاني أدلك على طبيب هدى يداوى السكوم للمرضة والأوجاع للمرضة ذلك الله رب العالمين فأقصد به صدق للسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآفة إذ التوابل هى الحنابر كاظمين مال الظالمين من حمى ولا تخفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور - فأبين لله رب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلاً براها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان للفتى بعد هذا اليوم أبداً لا يغدا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت سأسل لك الله الذى بيده منافع قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم إنها تبست وقالت أمتن على جموعة أحملياً عنك وأوصنى برصيه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من هتك وأذكر قوله تعالى - وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالثار - قال فاطرق وبكت بكاء شديداً أهد من بكائها الأول ثم إنها أقاص برصيه بينها وأخذت فى العبادة فلم تزل على

الابتداء بغنى عن الخلق
ويرى الأشياء من الله
حيث طالع ناميته
التوحيد وخرق
الحجاب الذى منع
الخلق عن صرف
التوحيد فلا يشع
للخلق منعا ولا عطاء
ويحببه الحق عن الخلق
فاذا ارتقى إلى ذروة
التوحيد يشكر الخلق
بعد شكر الحق ويشب
لهم وجوهاً فى التبع
والعطاء بعد أن يرى
السبب أولاً ولذلك
لسمعة عليه وقوة
معرفة ثبت الوسايط
فلا يحبه الخلق عن
الحق كرامة السليين
ولا يحبه الحق عن
الخلق كآداب الأراة
وللتبدين فيكون
شكره لالحق لأنه لنعم
والعطى والسبب

ذلك حق ماتت كذا فكان القى يذكرها بعد موتها ثم يسكن يقال له م بكائك وأنت قد أباستها من نفسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلو إنشاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . الحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

﴿ كتاب آفات اللسان ﴾

(وهو الكتاب الرابع من ربيع للملوكات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحسن خلق الانسان وعده وألممه نور الايمان فزيته به وجهه وعلمه البيان قدّمه به فضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقرا من رحمة وأقبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه هترة الذى أرسله وأطاق بالحق مقوله وأضعف بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصه ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذى أكرمه وبجله ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين عبده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبده وهله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثرية فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يقيين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناول ويتعرض له بآيات أولئك فان كل ما يتناول العلم يربعنه اللسان إما بحق أو باطل ولاشئ إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد فى سائر الأعضاء فان العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رجب اللسان ليس له مرد ولا نهاية منتهى وحده ، له فى الخير مجال رجب وله فى الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأمله مرعى الغنان سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا يشجون شر اللسان إلا من قبه بلجام الشرع فلا يطلقه إلا قبا يشفع فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما غشى فائتله فى عاجله وآجله وعلم ما محمد فيه إطلاق اللسان أو يلم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه تقبل عسر وأعسى الأعضاء على الانسان اللسان فانه لا تلب فى إطلاعه ولا مؤنة فى تحريكه وقد تساهل الشقلى فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وجباله وإته أعظم آفة الشيطان فى استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تديره نقول جماع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسيابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ماورد من الأخبار والآثار فى ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يبنى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض فى الباطل ثم آفة الفراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التصرفى الكلام بالشدق وتكلف السجع والقصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة للتفاصيح الدعين للخطابة ثم آفة النمى والسب وبذاء اللسان ثم آفة الأمن إما لحيوان أو جماد أو إنسان ثم آفة الفناء بالشر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الفناء

(مكتاب آفات اللسان)

ويشكر الخلق لأنهم واسطة ومسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحادون الذين يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء » وقال عليه السلام « من علس أو نجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين ذاء أهونها الجذام » وروى جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه نعمة حمد الله إلا كان الحمد أفضل منها » قوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرعى الحق بها شكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها نعمة

وما عجل فلأنبياء ثم آفة للزاح ثم آفة للسخرية والاستهزاء ثم آفة لإفساد السر ثم آفة للوعاد الكاذب ثم آفة للكذب في القول واليمين ثم يان التعارض في الكذب ثم آفة للثقة ثم آفة للخيانة ثم آفة في اللسانين الذي يتردد بين التمايز فيحكم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة للدخ ثم آفة للثقة عن دقائق الخطأ في غوى الكلام لاسما فيما يتعلق بألف وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسال الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

(يان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا حاجة من خطر إلا بالاصمت فذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجا » (١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقليل فاعله » (٢) أي حكمة وحزم . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال « قلت يارسول الله أخبرني عن الاسلام بأمر لأسال عنه أحدا بهذا قال قل أنتم بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ بيده إلى لسانه » (٣) وقال عقبة بن عامر « قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك ولا يسمعك بيتك وابك على خطيئتك » (٤) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يتكلم في بما بين لحييه ورجليه أنكسر له بالجنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شقيقه وذبحه وقلقه قد وفى الصركه » (٦) القريب هو البطن والذبذبة الفرج والتلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج » وقد سئل رسول الله ﷺ من أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان الفم والفرج » (٧) فيجتمعا أن يكون المراد بالهم آفات اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل قلت « يارسول الله أنأخذ بما قول فقال ثكنتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » (٨) وقال عبد الله الثقي قلت « يارسول الله حدثني بأمر أعظم به فقال قلربي أنتم استمتم قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا » (٩) وروى أن معاذ قال « يارسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

تسكون لعمدة المحدث

أفضل من النعمة التي

حمد عليها فإذا شكروا

النعم الأول يشكرون

الواسطة النعم من

الناس ويدعون له .

روى أنس رضي الله

عنه قال كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم

إذا أفطر عند قوم

قال « أفطر عندكم

السائون وأكل طباكم

الأبرار وزلت عليكم

السكينة » . أخبرنا

أبو زرعة . عن أبيه

قال أنا أحمد بن محمد

ابن أحمد البرزالي قال أنا

أبو خصم عمر بن

إبراهيم قال حدثنا

عبد الله بن محمد

البنوي قال أنا عمرو

ابن زرار قال ثنا عيسى

ابن يونس عن موسى

ابن عبيدة عن محمد بن

(١) حديث من صمت نجات من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلقظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان الثقي أخبرني عن الاسلام بأمر لأسال عنه أحدا بهذا قال قل أنتم بالله ثم استمتم قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا (٤) وروى أن معاذ قال « يارسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه ^(١) وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم « لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه » ^(٢) وقال ^(٣) « من سره أن يسلم فليسلم الصمت » ^(٤) وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استعصمت استعصمتنا وإن اعوججت اعوججتنا » ^(٥) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يعد لسانه يده فقال له مانع من إخلافة رسول الله ؟ قال هذا أوردني للوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته » ^(٦) وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلي ويقول يا لسان قل خيراً تنم واسكت عن شر تعلم من قبل أن تقدم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء ؟ قوله أو شيء سمعته ؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه » ^(٧) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره » ^(٨) وروى أن معاذ بن جبل قال « يارسول الله أوصني ، قال : اعبد الله كأنك تراه وعبد نفسك في اللؤى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه » ^(٩) وعن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله ^(١٠) « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق » ^(١١) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء » ومن أخلاق الصوفية بدل الجاه للأخوان والسليين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا محبوب النفس وآفاتنا وشبهاتها فليتوصل إلى قضاء خواجج السليين يبدل الجاه وللمأونة في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لموفى تام الحال عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نهي من

وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كإرواه وصححه . وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يارسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحراطي في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليسلم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس بأسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رفعه ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبي بكر وهو يعد لسانه فقال مانع من إخلافة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله ^(٦) قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وحى إلى الداروردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته يلي ويقول يا لسان قل خيراً تنم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٨) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٩) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله تمام وفيه انقطاع (١٠) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله تمام ورواه أبو الشيخ في طبقات الحديثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليسكت^(١) » وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبد اتكلم ففهم أو سكت فسلم^(٢) » وقيل لميسى عليه السلام دخل على رجل فقال له الجنية قال لا تطلقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تطلقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع وانسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليقل الله امرؤ علم ما يقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم للؤمن سموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة^(٥) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة فقام وسالم وشاحب فالغائم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يغرض في الباطل^(٦) » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه^(٧) » وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في القرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به^(٨) ».

الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أخرج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاووس لسانى مسبح إن أرسلته أكلنى ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على الصالح أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسر ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينهيه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والتهمة عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

(١) حدث أنى هرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .

(٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبد اتكلم ففهم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٤) حديث أخزن لسانك إلا من خير الحديث طعن من حديث أنى سعيد وله في للعجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم للؤمن سموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة . من حديث أبي خلد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فإنه يلقى الحكمة وقد تقدم .

(٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة فقام وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ المهالسي وضعفه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يسكلم بشيء تدبره بقلبه الحديث لم أجدهم فروعا وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثرت سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء والبيهقي في الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس . وقال عطاء لأن برأى الرجل سنين فيكتبب جاهها يجيى فيه مؤمن أنهم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب فاض لا يؤمن أن يفتن به خلق من الجهال اللدعين ولا يصلح هذا إلا لبد اطلع الله على باطنه فلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والمال ولو أن ملوك الأرض وقفوا في خدمته ما طمنى ولا استطال ولو دخل إلى أثون يوقد ما ظهرت نفسه بصرح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

مالك بن دينار يأباهي حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تتكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأخف بن قيس ساكت فقال له مالك بأباجر لا تتكلم فقال له أخفى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر، فقال أحدهم أنا أندم على ماقلت ولا أندم على ماأقول، وقال الآخر إن إذا تتكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم علكني، وقال الثالث هجيت للتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ماأقول أقدر مني على رد ماقلت، وقيل أقام النصور بن العزم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل ماتتكم الريح بن خنم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما يتكلم به يكتبه ثم يحاسب نفسه عند اللسان. فان قلت فهذا الفضل الكبير لصعته ما يسهل؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنية والنجمة والرياء والتناق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والحسومة والفضول والتحريف والزيادة والتقصان وإبداء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سبابة إلى اللسان لا تتقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والحائض فيها قلما يقدر أن يحسب اللسان فيقلعه عما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله في الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، وهذا ما فيه من جمع ألهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والله كرم العباد والسلامة من عجات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - وبذلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تنفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبق إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والنيقوتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنده كره علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجيا » (١) ولقد أوفى والله جواهر الحكيم قطعا وجوامع الكلام (٢) ولا يعرف ما تحت أحادكاته من عار لما في الأخواص العلماء وفيما سنده كره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن ضد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها وتترقى إلى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام في النية والنجمة والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بدون الله تعالى .

(الآفة الأولى : الكلام في لا ينبيك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألسانك من جميع الآفات التي ذكرناها من النية والنجمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتتكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تتكلم بما أنت مستثن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك

(١) حديث من صمت نجيا تنضم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوفى جوامع الكلام م من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

(الآفة الأولى الكلام في لا ينبيك)

الصائقين . فسلخون
عن غير إيتهم واختيارهم
ويكشفتهم . الله تعالى
برأيه منهم فيدخلون
في الأضياء بمراد الله
تعالى فإذا علموا أن
الحق يريد منهم الخاطلة
وبذلك إلهاد يدخلون
في ذلك بنية صفات
النفس . وهذا لأقوام
ما نواثر ثم حشروا
وأجسروا مقام القناء
ثم رفقوا إلى مقام البقاء
فيصحبون لهم في كل
مدخل ومخرج رهان
ويان وإذا من الله
تعالى لهم على بصيرة
من ربه وهذا ليس
فيهم لا ريب لأصاحب
قلبه يكشف بصريح
الرأى في حق الخطاب
فيأخذ وقته أبدا من
الأشجار ولم تأخذ
الأشياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان يفتح لك من تصحاح رحمة الله عند الفكر ما يظم جدواه ولو هلك الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكلم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من السكوتر فأخذ مكانه مدرة لا ينفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا ينيه فانه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الرب العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته إلا أفكرا ونظرة الإعرة ولطقة الإذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بلد رأس مال البعد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينيه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينيه » (٢) بلورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه جبرا مربوطا من الجوع لمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لله كان يشكم فيما لا ينيه . وينسح ما لا ينيه » (٣) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فقال عنه فقالوا مريض فخرج يسعى حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هله للتأليه على الله ؟ قال هي أمي يارسل الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كبا قال ما لا ينيه أو منع ما لا ينيه (٤) ومعناه أنه إنما تنهى الجنة لمن لا يحاسب ومن تسكم فيما لا ينيه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تنهى الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه فأس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوتق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوتق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا ينيه (٥) وقال أبوذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بمعل خفيف على البدن سهل في اليزان ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينك » (٦) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الأدم للوقوف لانتك فيما لا ينك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تنك فيما ينيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في أمر ينيه

(١) حديث المؤمن لا يكون صمته إلا أفكرا ونظرة الإعرة ولطقة الإذكرا لا ذكر له أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطق ذكرنا وصممت فكمرا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينيه ت وقال غريب وه من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لله كان يشكم بما لا ينيه وينسح ما لا ينيه ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ للصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فقال عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كبا قال ما لا ينيه أو منع ما لا ينيه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة باسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوتق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا ينيه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلوا وفيه أبو نجيع اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر ألا أعلمك بمعل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينك ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من الأقطار إلا واحد متحقق بهذا الحال . قال أبو عثمان الجري لا يكمل الرجل حق يستوى قلبه في لديه أشياء النع والنعاء والزوال والبلو مثل هذا الرجل يصلح بذلك الجاه والبدول فيما ذكرناه . قال سهل ابن عبد الله لا يستحق الإنسان الرئاسة حتى يجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف وجهه عن الناس ويجعل جهم الناس ويترك ما في أيديهم ويذل ما في يده لهم وهذه الرئاسة ليست عين الرئاسة التي زهد فيها وتبين الزهد فيها لفرورة صديقه وسلوكه ولها هذه

قد وضعه في غير موضعه فغنت ولا تمار حليا ولا سفيا فان الحليم يهلك والسفيه يؤذيك واذا ذكر أخاك
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه عما تحب أن يفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن
يملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالاحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقيمان الحكيم ما حكمتك
قال لأسأل عما كذبت ولا أنكف ما لا يعنيني . وقال موريق العجلي : أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يعنيني . وقال عمر رضي الله عنه
لا تعرض لما لا يعينك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى
الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلع على سره واستشر في أمرك الذين يخشون
الله تعالى . وحديث الكلام فيما لا يعينك أن تتكلم بكلام لو سكنت عنه لم تأنم ولم تستضر به في حال ولا مال .
مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع
وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تجببت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت
عنها لم تأنم ولم تستضر وإذا بالنت في الجهاد حتى لم يترج بحكمتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس
من حيث التفاخر بشهادة الأحوال العظيمة ولا اعتبارا لشخص ولا مديونة لشيء مما خلقه الله تعالى
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأتى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلتها أن تسأل غيرك
عما لا يعينك فأنت بالوسائل مضيع وقتك وقد ألبأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا
كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن
عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرًا لعبادته فيدخل عليه الزيادة وإن لم يدخل
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل بعبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبًا
وإن سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداخلة الجواب افقر إلى جهد وتعب فيه فقد
عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر
عبادته وكذلك سؤالك عن النماز وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك
فتقول له ماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرميا بمنعه مانع من
ذكره فان ذكره تأذى به واستعيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل
عن مسألة لا حاجة بك إليها وللشئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدري فيجب عن غير بصيرة
ولست أعني بالتكلم فيما لا يعين هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يعين
ما روى أن القيان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن راحا قبل ذلك اليوم
فيجل يتحجب عما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فئنت حكيمته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ
قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال القيان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من
غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك سر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا يعين
وتركه من حسن الاسلام فهذا حله . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه
أو بالبساطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك
كله أن يعلم أن اللوث بين يديه وأنه مشغول عن كل كلمة وأن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة
يقدر على أن يقتض بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبین هذا علاجه من حيث العلم
وأما من حيث العمل فالعزة أو أن يصح حصة في فيه وأن يعلم نفسه السكوت بها عن بعض ما يحينه
حتى يتاد اللسان ترك ما لا يحبه ويصطب اللسان في هذا على غير المعتاد شديد جدا .

وبأساة أقامها الحق
لصلاح خلقه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
وشكر نعمته لله
تعالى .

[الباب الحادي
والثلاثون في ذكر
الأدب ومكانه من
التصوف]

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « أدبى ربى
فأحسن تأديبى »
فالأدب تهذيب الظاهر
والباطن فإذا تهذب
ظاهر العبد واطمه
صار صوفيا أدبيا وإنما
سميت المأدبة مأدبة
لاجتماعها على أشياء
ولا يتكامل الأدب في
العبد إلا بتكامل مكارم
الأخلاق ومكارم
الأخلاق مجرعهما من
تحسين الخلق فالخلق

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يبنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من عينه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أرياح إن من كان قلبكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يبدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا معروف أو نهيًا عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في ميشتك التي لا بد لك منها أتذكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن الجين وعن الشياطين فيدل ما يلفظ من قول إلإله به رقيب عتيد . أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولادنياه . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكتب بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف ليعلم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للسكاب والجار اللهم اخذه وما أعبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل لهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله (١) » فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل اللسان وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الحفنة الغراء وأنت والباقى فقال قولوا قولكم ولا يستويكم الشيطان (٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخسر أن يستويبه الشيطان إلى الزيادة للاستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت إنه يقول أتباع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن بإبن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملسان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض غفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من اللائكة على رهوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يعاون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والتفاجر إنما لسانه رسلا . وقال الحسن من أكثر كلامه أكثر كذبه ومن أكثر ماله أكثر ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حدث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله البعوى وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب الصري وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البغوي لا أدري مع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا تعرف له حجة ورواه الزبيري من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د ن في اليوم والآفة بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ للصنع

مبودة الانسان
والخلق معناه فقال
بعضهم الخلق لاسييل
إلى تغييره كالخلق وقد
ورد « فرغ ربكم من
الخلق والخلق والرزق
والأجل » وقد قال تعالى
- لا تبدل خلق الله -
والأصح أن تبدل
الأخلاق يمكن مقدور
عليه بخلاف الخلق
وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « حسنوا
أخلاقكم » وذلك أن
الله تعالى خلق الإنسان
وهباً لقبول الصلاح
والفساد وجعله أهلاً
للأدب ومكارم الأخلاق
ووجود الأهلية فيه
كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى
ثم إن الله تعالى بقدرته
ألم الانسان ومكنه

« كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني قال أفأكان لك في ذلك ما يرد كلامك (١) »
وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أتى عليه فاستتر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه يعني من كثير من الكلام خوف اللباهة . وقال بعض
الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليستك وإن كان ساكنا فأعجبه السكوت فليتكلم
وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع كان وجده من
يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل
لسانه ورأى أبو البرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرسا كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك
الناس خلتان فضول للمال فضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه
وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا ينبغي .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في الماصي كحكاية أحوال النساء ومجالس المحر ومقامات الفساق وتمم الأغنياء وتعبير
اللوك ومراسمهم للقمومة وأحوالهم للكرهه فإن كل ذلك مما لا يحل الحوض فيه وهو حرام
وأما الكلام فيما لا ينبغي أو أكثر مما ينبغي فهو ترك الأولى ولا غريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما
لا ينبغي لايؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفريح بالحديث ولا يعدو كلامهم
التفكه بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنيها فذلك
لا غمض منها إلا بالاعتصار على ما ينشأ من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك
بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم
القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها
سخطه إلى يوم القيامة (٢) » وكان علقمة يقول كم من كلام منعه حديث بلال بن الحرث وقال
الذي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضجك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا (٣) »
وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم
بالكلمة ما يلقي لها بالا يرضه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم « أعظم الناس خطايا
يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل (٤) » وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخافضين -
وقوله تعالى - فلا تعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر
الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر
بمجلس لم يقول لهم توضعوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الحوض في الباطل وهو
(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك
من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلنا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٧) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . وقال حسن
صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضجك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبي
الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيعين وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا
يهوى بها سبعين خريفا في النار فقطت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة
أكثرهم خوضا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلنا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني
موثوقا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالتربية
إلى أن يصير النوى
عزلا . والنزاد بالعلاج
حتى يخرج منه نار وكا
يجلي في نفس الإنسان
صلاحية الخير جعل فيها
بصلاحية الشر حال
الإصلاح والإفساد
قال سبحانه وتعالى
- وقبض وما سواها
فألقها فحسورها
وقبضها - فقسوتها
بصلاحيتها فشيئين
جميعا . ثم قال عز
وجل - قد أفلق من
زكاهها وقد خاب من
دعاهها - فإذا تزكت
النفس تدرت بالمثل
واستقامت أحوالها
بالباطنة والباطنة
وتهتدب الأخلاق
وبكسوت الآداب
فالأدب استخراج ما في
القوة إلى الفعل وهذا

وراء ماسياتي من التوبة والقيمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع وللذهاب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصعابة على وجه يوم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بطلعه وكرمه .

(الآفة الرابعة للراء والجدال)

يكون لمن ركب
السجعة الصالحة فيه
والسجعة فصل الحق
لاقدرة للبشر على
تكويها كتكون
النار في الزناد إذ هو
فصل الله الخشن
واستخراجه بكسب
الآدمي فهكذا الآداب
منعها السجيا الصالحة
وللنح الإلهية ولماهايا
الله تعالى بواطن
الصوفية يتكبر
السجيا فيها تواسلوا
بحسن الممارسة والريضة
إلى استخراج ما في
النفوس وهو مركز
خلق الله تعالى إلى
الفعل فصاروا مؤدبين
مهدين والآداب تقع
في حق بعض الأشخاص
من غير زيادة بممارسة
ورياضة القوة ماؤدع
الله تعالى في غرائزهم كما

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تعارأ خالك ولا تمازحه ولا تعمد موعدا فتخلفه » (١) وقال عليه السلام « ذروا للراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم من ترك للراء وهو مبطل بنى له بيت في ريش الجنة (٣) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال » (٤) وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هدام الله إلّا أوثوا الجدل » (٥) وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء وإن كان حقا » (٦) وقال أيضا « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتحويل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على الصبيات وإسباغ الوضوء على الكاره وترك للراء وهو صادق » (٧) وقال الزبير لا ينة لأجدال الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التقل . وقال مسلم بن يسار يا كمو للراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يفتني الشيطان زلفه . وقيل ماضل قوم بعد أن هدام الله إلّا الجدل . وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا للراء يقسى القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لا ينة يا بني لأجدال العلماء فيمقتول وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا بمخاريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لوطا خالت أختي في رقانة فقال حلو فقلت حامضة فسلمي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالراء فليزمتك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أماري صاحبي فلما أن أكذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفي بك إغا أن لا تزال بمخاري

(الآفة الرابعة للراء والمجادلة)

(١) حديث لا تعارأ خالك ولا تمازحه ولا تعمد . موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم
(٢) حديث ذروا للراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة
وأنس بن مالك ووائله بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك للراء وهو محق بنى له بيت في أهل الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد روى ابن أبي الدنيا في الراشدين من حديث هروية بن رويم (٥) حديث ماضل قوم إلّا أوثوا الجدل تمن حديث أبي أمامة وصححه وزاده بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره للصف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يترك للراء وإن كان حقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن بالله بحق يترك الكذب في الزناحة والراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك للراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير الحديث .

وفل صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركتان (١) » وقال عمر رضي الله عنه لاتعلم العلم ثلاث ولا تترك ثلاث لاتعلمه تقصاري بول لا تنهي بول لا تراني بول لا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضاء الجهل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاهى بالرجاس سقطت سره وتومن كثرهمه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقيل ليسون بن مهران مالك لا تترك لا تترك لا تترك عن قلى قال لأنى لا أشارك بولاً أمار يوموا ورد في ذم الراء والجidal أكثر من أن يحصى . وحده الراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد التسليم وترك الراء بترك الانكار والاعتراض نكل كلام صمته فان كان حقاً فصدق به وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه والطنن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تخدم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور للفرقة وتارة يكون بطيئان اللسان وكيفما كان فلا وجه لظهور خلله وأما في المعنى فإن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصده فثل أن يقول هذا السلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجidal وهو أيضاً مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لاهى وجه العناد والنسكار أو التلطف في التعريف لاهى معرض الطعن وأما الجidal فبارة عن قصد إغلام الغير وتجزئه وتنقيسه بالفتح في كلامه ونسبه إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه لحق من جهة أخرى مكروها عند الجidal يجب أن يكون هو الظاهر خطأً لئلا يبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالكوت عن كل ما لا يأنم به لو سكت عن عموماً بالباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهمج على الغير باظهار قصصه وما شهوتان باطنتان للنفس قوتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى مافى العبد من طينان دعوى والو الكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن عزق غيره وينقصه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإغماقتهما الراء والجidal فالمراد بالمراد على الراء والجidal مقوله الصفات الهلكة وهذا تجاوز حد الكراهة بل هو مصيبتها حاصل فيه إبداء الغير ولا تنفك للماراة عن الإبداء وتبييض الغضب وحمل العترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدر في قائله بكل ما يتصور له في شور الشجار بين الباريين كاثور المرار بين السكابين بقصد كل واحد منهما أن بعض صاحبه عاها على نكاسة وأقوى في إغماقها والجامه وأما معالجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تقيص غيره كإسباتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم التضب فان علاج كل علة بما طقت سببها وسبب الراء والجidal ما ذكرناه ثم للواظبة عليه عادة وطبعها حتى يتسكن من النفس ويسر الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي لم آتت الأنزواء قال لأجاهد نفسي بترك الجidal فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكلم قال ففعلت ذلك لما رأيت مجاهدة أعدى له منها وهو كاذب لأن من مع الخفا من غيره وهو قادر على كشفه فسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك الراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يفتل ذلك في الذاهب والعائد فان الراء طبع فاذا ظن أن له عليه نوايا اشتد عليه حرمه وقمان الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغى للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف

(١) حديث تكفير كل لحاء ركتان الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الماراة لفحص قوى أصولها فى البرزة فلهاذا احتاج للبريدون إلى محبة الشايع لتكون الصبغة والتسليم عوناً على استخراج ما فى الطبيعة إلى القفل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما قهوم وأدبوم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بكمار الأخلاق فقال - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - » قال يوسف بن الحسين

وإيذاء قلمه ليس بهرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال معتذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وإذا هاج الغضب نسي للتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساء صاحبه ويحزن بمسرة وبطريق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة قد تضرع من هذه المذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشغل بمحاجة خصمه فلا يتيق الأمر على حد الواجب بالخصومة مبدأ كل شر وكذا الرأى والجدال فينبغي أن لا يفتح بابه إلا للضرورة وعند الضرورة يبنى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك معتذرا جدا فمن اتهم على الواجب في خصومته سلم من الأثم ولا تدم خصومته إلا لأنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيما خصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما ، نعم أقل ما يغوته في الخصومة والراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار اللوافة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فغوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم « يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام »^(١) وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فارده عليه السلام وإن كان محسوبا إن الله تعالى يقول - وإذا حيينم تحية طيبة أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لوقال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لفرطا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدھا الله تعالى لمن أطعم الطعام وآلان السلام »^(٢) وروى أن عيسى عليه السلام مر به خبز قال مر بسلام قيل يا روح الله أقول هذا لخزير قال أكره أن أعود لسانى الشر وقال نينا عليه السلام « السكامة الطيبة صدقة »^(٣) وقال « اتقوا النار ولو بشق تمره لأنم تجددوا فيكملة طيبة »^(٤) وقال عمر رضي الله عنه البر شيء وجهه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام اللين يسل الضغائن للستكنة في الجوارح . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسطر ربك إلا أنك ترضى به جايسك فلا تسكن به عليه شيلا فانه لعله يحوضك منه ثواب الحسين وهذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره اللوحش المؤذى لألقاب النقص للمعش للهيج للنضب والوغر للصدر نسال الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التعمر في الكلام بالتشديق وتكلف السجح والفضاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والقدمات وما جرت به عادة المتخاصمين للدمعين للخطابة وكل ذلك من التصنع الذموم ومن التكلف المقيوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا وأتقاء أمتي برأء من التكلف » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أنفكم إلى » وأبدكم من مجلسا الترتارون للتفهيون للتهدقون في الكلام »^(٥) وقالت فاطمة رضي الله عنها (١) حديث يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أهرقه وله من حديث هاني « أي تبرع باستاء جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام » (٢) حديث أنس إن في الجنة لفرطا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث السكامة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمره الحديث متفق عليه من حديث هدى بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التعمر في الكلام والتشديق)

(٥) حديث إن أنفكم إلى الله وأبدكم من مجلسا الترتارون للتفهيون للتهدقون أحد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحمل بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك آداب الخدمة أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكانت ربما أقعد هؤلاء السكامة وربما كنت أستلق وأمد رجل لجاءني عائشة للسكامة فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم قبل مني كلفة لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحي اسمك من ديوان القرب قال أبو عبيد وكانت من المرافات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار أمة الذين غدوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشققون في الكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات» (٢) والتنطع هو التعمق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن فحاشي الكلام من فحاشي الشيطان وجاء صهر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فكنم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخل البقرة الكلا» بألسنتها (٣) وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة للصنعة للتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاسيح الخارج عن حد المأدبة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات « إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة في الجنين قال بعض قوم الجناني : كيف ندعى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسجعا كسجع الأعراب» (٤) وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر على كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم الغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلهذا في اللفظ تأثير فيه فهو لائق به ، فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشديق والاشتغال به من التكلف للمذموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتعيز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويجزعه .

(الآلة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ونهى عنه ومصدره الحبث والقؤم . قال صلى الله عليه وسلم « إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا الفجس» (٥) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من الشركين فقال « لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يغسل إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لوم» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس للؤمن بالطمأن ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم

أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه باقظ إن أنفضكم إلى (١) حديث فاطمة شرار أمة الذين غدوا بالنعيم الحديث وفيه ويتشققون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك المتنطعون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال « لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسجعا كسجع الأعراب» (٤) حديث كيف ندعى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الثوري بن شعيب وأبي هريرة وأصلهما عند غيره أيضا .

(الآلة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو ورواه ابن جابر من حديث أبي هريرة (٦) حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن سب قتلى بدر من الشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات ولقناني من حديث ابن عباس باسناد صحيح إن رجلا وقع في أب للباس كان في الجاهلية فقلطه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس للؤمن بالطمأن ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ت باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه وروى موقوفا قال الدارقطني في الملل وللقوتف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبد مأثور بملازمة الأدب والنفس تجري بطباعها في ميسدان الخالفة والعبد يرد بها بجهده إلى حسن المطالبة فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ومهما أعانها فهو شرير كما وقال الخنيد من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه لأن العبودية ملازمة الأدب والطغيان سوء الأدب أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن أبي قالدانا أبو الفتح المصري قال أنا أبو النصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما به من الأذى يسعون بين الجحيم والجحيم يدعون بالويل والويل : رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذرة خبيثة فيستلها كما يستلث الرث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لماشة « يا ماشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال **عليه السلام** « البذاءة والبيان شعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشفها لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا للبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فإن إلقاء ذلك مجالا إلى أصواع العوام أولى من البالغة في بيانه إذ قد يشور من غاية البيان فيه شكوكه وسواس فإذا أجملت بادرت القلوب إلى التبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه فإن الأولى في مثله الإغماض والتخاضل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش التفتش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن مرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامة فقال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفتش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش للتفتش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس ألا أخبركم بأدول اللهاء اللسان البذي والحلق اللدن ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور للمستقيمة بالبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الواقع وما يتعلق به فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتعاضدون عنها بل يكونونها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقرها ويتناق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حيي كريم يعفو ويكفر ويحسن عن الجماع فالسب والسب والدخول والصعبة كناية عن الواقع وليس بذاحشة وهناك عبارات فاحشة يستحب ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أغشى من بعض ، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوالها مكروهة وأواخرها مخطورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يخص هذا بالكتابة قضاء الحاجة عن البول والفاظ أولى من لفظ التغوط والخرأ وغيرهما فإن هذا أيضا مما يغني وكل ما يخفى يستجيب منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه خفى وكذلك يستحسن في العادة السكانية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أومن وراء الستر أو قالت أم الأولاد لا تلتطف في هذه الألفاظ محمودة والتصرع فيها يغضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستجيب منها فلا ينبغي أن يبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري

من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما به من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستلث الرث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مائع واختلف في صحته فقد كره أبو نعيم في الصحابة وذكره حبيب في التائبين (٢) حديث يا ماشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن أبي ليثة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاءة والبيان شعبتان من النفاق ت وحسنه وله وضحه في شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا التفتش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضيف وله ولاطبراني من حديث أمامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش للتفتش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن مرة عن مرة إن الفحش والتفتش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .

قال ثنا تميم قال ثنا يحيى بن يحيى عن ناصح عن مالك عن جابر بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤذ ب الرجل ولده خير له من أن يستبدل بصاح » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما نحل والد ولا من تحلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو علي الدقاق البغدادي يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القصيري رحمه الله كان

جراه فالتصریح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلامة بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقة فخرج تحت إبطه خراج فأثنيه نساءه لئلا يرى ما يقول فقلنا من أين خرج فقال من بطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الإبداء وإما الاعتقاد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يمله فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وبالاً عليه وأجره لك ولا تبين شيئاً قال فما سببت شيئاً بعده (١) » وقال عياض بن حماد « قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال للفسان شيطانان يتعاونان ويتهاجان (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر (٣) » وقال صلى الله عليه عليه وسلم « للستبان ما قاله فعل البادية منها حق يستدعي للظلم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والده (٥) » وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أباً الرجل فيسب الآخر أباه » .

(الآفة الثامنة اللعن)

إما الحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بلعان (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتلعنوا جلنة الله ولا تنسبه ولا يجهنم (٢) » وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوها ماعلياً وأعروها فلها ملعونة (٣) » قال فسكناني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما من أحد الأرض إلا قالت لمن الله أعصانا لله . وقالت عائشة رضي الله عنها « مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولعائين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثاً (٤) » فأعق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يمله فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسم جابر بن سليم وقيل سلم بن جابر (٢) حديث عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال للستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاجان د الطيالسي وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث الستبان ما قاله فعل البادية حتى يستدعي للظلم ، م من حديث أبي هريرة وقال لم يتمد (٥) حديث ملعون من سب والده وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو بصير والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

(الآفة الثامنة اللعن)

(٦) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان الحديث قيل هذا بأحد عشر حديثاً وقترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعاناً (٧) حديث لاتلعنوا بلعنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعنتها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعائين وصدقين الحديث ابن أبي الدنيا في السمعت وشيخه نشار بن موسى الخفاف ضعه الجلود وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء فكان يوماً في جمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهري لأني رأيت غير مستند فتنتهي عن الوسادة قليلاً فتوهمت أنه توفي الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لأريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند إلى شيء أبداً . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توجد له والإيمان يوجب التسمية فمن لا تسمية له لا إيمان له ولا توجد له والتسمية توجب الأدب فمن لا أدب له لا تسمية له ولا إيمان له ولا توجد له . وقال بعضهم أزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعدو وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعائن لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » (١) وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحقه بئره فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون » (٢) وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اصف بصفة تجده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبدل للملوك وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلع الله عليه والصفات المتضمنة لللعن ثلاثة الكفر والبدة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر وللبتدعين والفسقة الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخواارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلى الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف البتدعة خطر لأن معرفة البتدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه المؤمن لأن ذلك يستدعي المعارضة بثله ويشتر زنا بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص اللعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا تجوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء مأثورا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص يمينه في زمانا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيصوت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه مملونا . فإن قلت يلحق لكونه كافرا في الحال كما يقال للسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبتته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر ولا لعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري والطلاق متردد بين الجاهل بينه وبينه وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد للبتدع أولى فلحق الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تغلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر وذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » (٣) وذكر جماعة قتالوا على الكفر يبدد حق إن من لم يعلم عاقبته كان بلفظه قهسي عنه إذ روى « أنه كان يلحق باللعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فأنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - أو يتوب عليهم أو يعذبهم فاتهم ظالمون » (٤) - يعني أنهم ربما يسلمون فن أن تعلم أنهم مملعون

(١) حديث إن اللعائن لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة من حديث أبي الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحقه بئره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحق باللعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فأنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قتت شهرا يدعو على رعل وذكو ان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القرابة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم لعن الحيان ورعلا الحديث

ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا . قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت إلى غلام أمره فظفر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال لتجدن فيها ولو بعد سنين قال فوجدت فيها بعد عشرين سنة أن أنسب التران . وقال سرى صليت وودي ليلقة من الليالي ومددت رجلي في الحسراب فتوديت بأسرى هكذا تجالس للوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لامتدت رجلي أبدا وقال الجنيدي في سنين سنة مامد رجله ليل ولا نهرا . قال عبد الله ابن المبارك من تهانون

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يحز
 كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد
 الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فضرب ابنه عمرو
 ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أذى حفاقة قال أبو بكر
 يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبي بكر فانصرف
 ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فصموا فانكم إذا خصصتم غضب الأنبياء
 للآباء فكفكف الناس عن ذلك (١) وشرب نهبان الحجر غد مرات في مجلس رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تسكن عونا
 للشيطان على أخيك (٢) وفي رواية لا تزل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا يدل على
 أن لمن فاسق بيته غير جائز وعلى الجملة في لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر في السكوت عن لمن
 إبليس مثلافلا عن غيره. فان قيل هل يجوز لمن زيد لأنه قاتل الحسين أو أسر به قلنا هذا لم يثبت أصلا
 فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أسر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير
 تحقيق، ثم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو ثلوة عمر رضى الله عنهما فان ذلك ثبت متواترا
 فلا يجوز أن يرمى، سلم بفسق أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمى رجل رجلا بالكفر
 ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣) وقال عليه السلام «ما شهد رجل على رجل
 بالكفر إلا بآء به أحدهما إن كان كافرا فهو كافرا قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه (٤)»
 وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أن مسلم فان ظن أنه كافر يعدمه أو غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله - ليس لك من الأمر شيء - لفظ (١) حديث أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على
 الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فضرب ابنه الحديث وفي الراشدين من رواية على بن ربيعة
 قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر
 ومعه ابنه سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن
 الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببت للشركين فسبوم جميعا
 (٢) حديث شرب نهبان الحجر غد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة
 لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكن عونا للشيطان على أخيك
 وفي رواية لا تزل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار
 من رواية محمد بن عمرو بن حزم ومرسلا ومحمد هذا ولدى حياته صلى الله عليه وسلم ومعه محمد وكنهه
 عبد الملك والبخاري من حديث عمر أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه
 عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده في الثراب فأتى به
 يوما فأمر به ففعل فقال رجل من القوم اللهم لعنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 لا تلعنوه فوافقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه
 لا تلعنوا عليه الشيطان وفي رواية لا تسكنوا عون الشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمى رجل رجلا
 بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والسياق للبخاري
 من حديث أبي ذر عن تقديم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما
 إن كان كافرا فهو كافرا قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بكفيره إياه أبو مصور الديلي في مسند الفردوس
 من حديث أبي سعيد بسند ضعيف.

بالأدب عوقب بحرمان
 السنن ومن تهاون
 بالسنن عوقب بحرمان
 القرائن ومن تهاون
 بالقرائن عوقب
 بحرمان العرفة. وسئل
 السري عن مسئلة
 في الصبر فجعل يشكك
 فيها فذهب على رجليه
 عقرب فجلست تضرعه
 بأربها فقيل له ألا
 تدفعا عن نفسك
 قال استحي من الله
 أن أتكلم في حال
 ثم أخالف ما أعلم فيه
 وقيل من أدب
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أنه قال
 «زيت لي الأرض
 فأريت مشارقتها
 ومغارها» ولم يقل
 رأيت. وقال أنس
 ابن مالك الأدب
 في العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتعرض للاموات
أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت ما فعل فلان لئنه الله قلت توفي قالت
رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فاتهم قد أقضوا
إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أيها
الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصحابي ولاتسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه
خيراً» (٤) فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لئنه الله أو الأمر يقتله لئنه الله؟ قلنا الصواب
أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لئنه الله لأنه يحتمل أن يموت بسد التوبة فان وحشياً
قاتل حزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر واقتل جميعاً ولا يجوز أن يلمن
والقتل كبيرة ولاتنتهى إلى رتبة الكفر فإذا لم يجيد بالثوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت
خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها وللؤمن ليس بلعان فلا
ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس للعرفين بأوصافهم دون
الأشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن في السكوت سلامة قال يحيى بن إبراهيم كنا
عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجمعوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن
عون إنما نذكرك لما ارتكب منك فقال إنما هما كلمتان يخرجان من صفيق يوم القيامة لا إله إلا الله
ولئن الله فلاتا فلان يخرج من صفيق لا إله إلا الله أحب إلي من أن يخرج منها لئنه الله فلاتا . وقال رجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أوصيك أن لاتكون لمانا» (٥) وقال ابن عمر: إن أبغض
الناس إلى الله كل طمان لمان . وقال بعضهم لمن للؤمن يمدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا
لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد
نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر
حق الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لا صلح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم
وفي الخبر «إن للظالم يدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له
طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فاتهم قد أقضوا إلى ما قدموا وخ ذكر الصنف في أوله
قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في الزهد والرفائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا
الأحياء الترمذي من حديث الثوري بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين القسيرة وبين
زيد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا
تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
حديث عياض الأنصاري احفظوني في أصحابي وأصحابي وإسناده ضيف ولشيوخين من حديث
أبي سعيد وأبي هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا
عائشة موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنساء من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده
جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لاتكون لمانا أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في
الآحاد والثاني من حديث جرير بن العلاء وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٦) حديث
لمن للؤمن كفته متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن للظالم يدعو على
الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف له على أصل والترمذي من حديث
عائشة بسد ضيف من دعا على من ظلمه فقد اسحق

العمل . وقال ابن
عطاء الأدب الوقوف
مع المستحسنات
قبل مامنه قال أن
تعامل الله سرا وعلا
بالأدب فإذا كنت
كذلك كنت أدياً
وإن كنت أهملها تم
أنشد :
إذا نطقت جاءت بكل
ملحبة
وإن سكنت جاءت
بكل ملبس
وقال الجري من
عشرين سنة مامدوت
رجلي في الخلوة فان
حسن الأدب مع الله
أحسن وأولى . وقال
أبو علي ترك الأدب
موجب للطرد في أساء
الأدب على البساطرد
إلى الباب ومن أساء
الأدب على الباب رد

(الآفة التاسعة الفناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من الفناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فسلام حسنه حسن وفيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ «لأن يتلى جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير له من أن يتلى شعرا» (١) وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك قال أنا أكره أن يوجد في صحيفة شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرًا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرماً إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» (٢) نعم مقصود الشعر للدس والتسم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في اللدس (٣) فانه وإن كان كذباً فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخياً كان كاذباً وإن كان سخياً فالباقة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يتخذ صورته وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تبتت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل يجيئه يرقى وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبغت فنظر إلى فقال مالك بهت قلت يارسول الله نظرت إليك فجعل يجيئك يرقى وجعل عرقك يتولد نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لعم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرأ من كل غبر حيلة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفناء يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره :

وما مكان يدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تمنع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة الفناء والشعر)

(١) حديث لأن يتلى جوف أحدكم قبحاً حتى يريه خير من أن يتلى شعراً مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص وأصحق عليه الشيطان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر، ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السباع (٣) حديث أمره حساناً أن يهجو الشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لسان أهجم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل يجيئه يرقى وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرأ من كل غبر حيلة وفساد مرضعة وداء مغيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتلل

إلى آخر الحديث ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سياسة الدواب .

[الباب الثاني

والثلاثون في آداب

الحضرة الالهية لأهل

القرب]

كل الآداب تتلئ من

رسول الله صلى الله

عليه وسلم فانه عليه

السلام مجمع الآداب

ظاهراً وباطناً وأخبر

الله تعالى عن حسن

أدبه في الحضرة بقوله

تعالى - مازاغ البصر

وما طنى - وهذه

غامضة من غوامض

الآداب اختص بها

رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخير الله

تعالى عن اعتدال

قلبه للقدس في

الاعراض والالجاب

أعرض عما سوى الله

وتوجه إلى الله وترك

وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أرضي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أقول في الشعر فجعل يستدريه ويقول باني أنت وأمي إني لأجد للشعر دينيا على لساني كديب الخمل ثم قرصني كافر من الخمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تبع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين^(١).

(الآفة العاشرة للزاح)

وأصله منموم منهى عنه الإقذار يسير يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم «لا تعار أخاك ولا عازحه»^(٢) فان قلت المارة فيها إيذاء لأن فيها تكذيبا للأخ والصديق أو مجبلا له ، وأما الزاح لمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه ؟ فاعلم أن النبي عنه الإفراط فيه أو الدأومة عليه أما للدأومة فلا أنه اشتغال باللعب والمزول فيه واللعب مباح ولكن للواطبة عليه مذموم وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تبيث القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط لها باله والوقار فما غلو عن هذه الأمور فلا ينم كما روى النبي ﷺ أنه قال «إني لأمزح ولا أقول إلا حقا»^(٣) إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا فزع باب الزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من التريا»^(٤) وقال عمر رضي الله عنه : من كثرت ضحكته قلت هيئته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على التفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لبسكنتم كثيرا ولضحكنم قليلا»^(٥) وقال رجل لأخيه يا أخي هل أتاك أنك وارتد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك ؟ قيل فمارى صاحبك مات. وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم يفرهم فما هذا فعل الخافقين . وكان عبد الله بن أبي جلي يقول أنضحك ولعل أكفاناك

(١) حديث لما قسم الغنائم أمر لعباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شره :

وما مكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن قنع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عن لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينه بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الأبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجمل نهي ونهي العيب د بين هيئة والأقرع

وما مكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن قنع اليوم لا يرفع

قال فأثم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة اقطعوا عن لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة للزاح)

(٢) حديث لا تعار أخاك ولا تمازحه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إني لأمزح ولا أقول إلا حقا

تقدم (٤) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا تقدم.

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبسكنتم كثيرا متفق عليه من حديث أنس وعائشة .

والدار العاجلة يحفظونها
والسموات والدار
الآخرة يحفظونها فما
التفت إلى ما عرض
عنه ولا لحقه الأسف
على التراب في إعراضه
قال الله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم -
فهذا الخطاب للموم
وما زاح البصر إخبار
عن حال النبي عليه
السلام بوصف خاص
من معنى ما خاطب به
الموم فكان ما زاح
البصر حاله في طرف
الأعراض وفي طرف
الاقبال علق ما ورد
عليه في مقام قاب
قوسين بالروح والقلب
ثم فر من الله تعالى
حياء منه وهيبة
وإجلالا وطوى نفسه
بفراره في مطاوي
انفساره والفتارة

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يضحك وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلاً يضحك ألسنته تعجب من بكائه ؟ قيل بلى قال فالتى يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أهيب منه فهذه آفة الضحك والمموم منه أن يستترق ضحكاً والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قفوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مراراً ثم وقصه فقتله قيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قفوصه وقدهلك فقال نعم وأفواهم ملائ من دمه ^(٢) وأما أداء الزاح إلى سقوط القوار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قالت لى أمى يابنى لا تمزح الصبيان قيون عندهم وقال سعيد بن العاص لانه يابنى لا تمزح الشريف فيحدث عليك ولا الدنى فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والزاح فإنه يورث الضغينة ويخرج إلى القبيح محمد بن القرقان وتجالسوا به فان قتل عليكم فحدث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أندرون لم يمتى الزاح مزاحاً ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شئ بذور وبذور الدواة الزاح ويقال الزاح سلبه لئى مقطعة للأصدقاء . فان قلت قد قتل الزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذى قلباً ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على التدور فلا خرج عليك فيه ولكن من القلط العظيم أن يتخذ الإنسان الزاح حرفة يوظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغار ما يصير كبيرة بالأصرار ومن اللبائح ما يصير صغيرة بالأصرار فلا ينبغي أن يفطن عن هذا ^(٣) ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا «يا رسول الله إنك تدعينا فقال إني وإن داعيتكم لأقول إلا حقاً ^(٤)» وقال عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال لم قال كما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسما فقال لها البسيه واحدى وجرى منه ذيل كذيل العروس ^(٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكك الناس مع نسائه ^(٦) وروى أنه كان كثير التبسم ^(٧) وعن الحسن قال أمت هجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة هجوز فبكت فقال إنك لست بهجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاء ففصلناهن ابتكاراً - ^(٨)» وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قفوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله قيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قفوصه ففعلك قال نعم وأفواهم ملائ من دمه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل (٣) حديث فإنه لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبو هريرة قالوا إنك تدعينا قال إني وإن داعيتكم فلا أقول إلا حقاً الترمذى وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث فذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحدى وجرى منه ذيل كذيل العروس لم أقف عليه (٦) حديث أنس قال من أفكك الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة هجوز

لكيلا تنبسط النفس
فتطنى فان الطغيان
عند الاستثناء وصف
النفس قال الله تعالى
- كلا إن الإنسان
ليطغى أن رآه استغنى-
والنفس عند الواهب
الواردة على الروح
والقلب تسترق السمع
ومنى نالت قسطاً من
النتج استغنت وطغت
والطغيان يظهر منه
فرط البسط والإفراط
في البسط يمد باب.
للزيد وطغيان النفس
لنيسق وغائها عن
الواهب فوسى عليه
السلام صح له في
الحضرة أحد طرفي
ما زال البصر وما التفت
إلى ما لاهه وما طغى
مثنافاً لحسن أدبه
ولكن امتلاً من النتج
واستترت النفس السمع

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بينه ياض
قالت والله ما بينه ياض فقال بلى إن بينه ياضا فقالت لا والله قال صلى الله عليه وسلم : ما من أحد
إلا وبينه ياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة ^(١) وجاءت امرأة أخرى فقالت : يا رسول الله احملني
على بئر قال بل حملك على ابن البئر فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال ^(٢) : ما من بئر إلا وهو ابن
بئر ^(٣) فكان يزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن قتادة أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه
وسلم يأتيهم ويقول : يا أبا عمير ما فعل النخيل ^(٤) فغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة
رضي الله عنها : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشدت
درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال هذه مكان ذى الحجاز ^(٥) وذلك أنه
جاء يوما ونحن بذى الحجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطيه فأتيت وسعيت ومعي في أري
فلم يدركني وقالت أيضا : سأفنى رسول الله ^(٦) فسبقته فلما حملت اللحم سابقي فسبقني وقال هذه
بتلك ^(٧) وقالت أيضا رضي الله عنها : كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة
فصنعت حريرة وجثته قلت لسودة كلى فقالت لأجبه قلت والله لنا كلى أو لألطنن به وجهك
قالت ما أنا بذاتته فأخذت يدي من الصفحة شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس بيني وبينها غفص لها رسول الله ركبته لتستفيد مني فتناولت من الصفحة شيئا فمسحت
به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ^(٨) وروى : وأن الضحاك بن سفيان السكاني
كان رجلا دميًا قبيحا فلما باهه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء
وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قالت أمي
أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه
لأنه كان دميًا ^(٩) . وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن
ابن علي عليها السلام فيرى الصبي لسانه فيمش له فقال له عينة بن بدر القزاري والله ليكون
الترمذي في الشائل هكذا مرسلًا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بينه
ياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفسكة والزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عينة بن
سهم الفهرى مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استعملته بحملك على ابن البئر الحديث أبو داود
والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الناقة (٣) حديث أنس أبا عمير ما فعل
النخيل متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مساقته صلى الله عليه وسلم في غزوة
بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى الحجاز لم أجده أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث
عائشة سأفنى فسبقت النساء وابن ماجه وقد تقدم في النكاح (٦) حديث عائشة في لطم وجه سودة
بحريرة ولطم سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفسكة
وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان السكاني قال عندي امرأتان أحسن من
هذه الحميراء أفلا أزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت
أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميًا
الزبير بن بكار في الفسكة من رواية عبد الله بن حنن مرسلًا أو معضلًا وللدارقطني نحو هذه
القصة مع عينة بن حصن القزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

ونطقت إلى القسط
والخط فلما حظيت
النفس استغنت وطفح
عليها ما وصل إليها
وضاق لطاقها فتجاوز
الحد من قرط البسط
وقال أرني أنظر إليك
فنع ولم يطلق في قضاء
للزيد وظهر الفرق
بين الحبيب والسكيم
عليها السلام وهذه
دقيقة لأرباب القرب
والأحوال السنية فسل
قبض يوجب عقوبة
لأن كل قبض سدى في
وجه باب الفتوح
والعقوبة بالقبض
أوجب الإفراط في
البسط ولو حصل
الاعتدال في البسط
ماوجب العقوبة
بالقبض والاعتدال في
البسط بإيقاف النازل
من اللع على الروح

لى الابن قد تزوج وقبل وجهه ومابلقه قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) فأكثر هذه المطايات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معاملة لصف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصبيب وبه رمد وهو يأكل تمرًا « أأأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل بالشق الآخر يارسول الله فقبس صلى الله عليه وسلم » (٢) قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجره . وروى « أن خوات بن جبير الأنصاري كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتن صغيرا جللى شروذ قال فعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أقصر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت للدينة وبعد ما قدمت للدينة قال فرأتني في المسجد يوما أصلى فجلس إلى فطولت فقال لا تطول فاني أنتظرك فلما سلت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أقصر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد قلت والذي يهلك بالحق ما شرد منذ أسلت قال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال حسن إسلامه وهده الله » (٣) وكان ثعبان الأنصاري رجلا مزاحا فكان يهرب الجمر في المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بتمله ويأمر أصحابه فيضربونه بتملهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لئنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تضل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها شيء ثم بها النبي ﷺ فيقول يارسول الله هذا قد اشترته لك وأهدته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالنجم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يارسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بتمنه (٤) فهذه مطايات

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلح لسانه للحسن بن علي فري الصبي لسانه فيرش إليه فقال عينة بن بدر القزاري والله ليكونن لى الابن رجلا قد خرج وجهه ومابلقه قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما لى آخره من قول عينة ابن بدر وهو عينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب في اللغات قولين في قائل ذلك أحدهما أنه عينة بن حصن والثاني أنه الأقربع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقربع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحسن فقال إن لى عشرة من الولد مابقات واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (٢) حديث قال لصبيب وبه رمد أأأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل على الشق الآخر فقبس النبي صلى الله عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صبيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خوات بن جبير كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتن صغيرا جللى شروذ الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة ابن عمرو (٤) حديث كان ثعبان رجلا مزاحا وكان يهرب الجمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بالحديث وفيه أنه كان يشتري الشيء ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحيى بصاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار في الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا وقد تقدم أوله .

والقلب والإتياف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي عليه السلام من تعقيب النفس في مطاوى الانتكاس فذلك القرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظي به رسول الله عليه الصلاة والسلام لما قوبل بالقبض فدام مريده وكان قلب قوسين أو أدنى وبشاكل التمرح الذي شرعناه قول أبي العباس بن عطاء في قوله تعالى - مازغ البصر وما طنى - قال لم يره بطغيان عيل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاهد نفسه

يأبى مثلها على الدور لاطى الدوام والواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك للميت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا عزم مهمما كان مؤذيا كقَالَ تعالى - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبية على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالهاكة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والابعاء وإذا كان بحضرة السخرى به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى التنية قالت عائشة رضى الله عنها حاكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أنى حاكبت إنسانا ولى كذا وكذا »^(١) وقال ابن عباس في قوله تعالى - يا وليتنا مال هذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة التهقبة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة اللذونوب والكبائر . وعن عبدالله بن زعمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف فروعهم في ضحكهم من الضربة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن السخرين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجى بكربى وخم فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال لهم لهم فيجى بكربى وخم فاذا أتاه أغلق دونه فيزال كذلك حتى إن الرجل يفتح له الباب فيقال له لهم فلا يأتى »^(٣) وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله »^(٤) وكل هذا يرجع إلى إسحاق التبر والضحك عليه استهانة به واستصغار له وعليه نبه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لا تستعزقه استصغارا فله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به حكيات السخرية في حقه من جملة الزواح وقد سبق ما يدم منه وما يدح وإنما الحرم استصغار يتأذى به للسخرى به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا خبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوغة كالضحك على خطه وعلى صنعه أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لئيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية للنبي عنها .

(الآفة الثانية عشرة إنشاء السر)

وهو منهى عنه لما فيه من الابداء والتهاون بحق المارفين والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم ما يسننى أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا أبو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبدالله بن زعمة وعظمى في الضحك من الضربة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث ابن السخرين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجى بكربى وخم فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا فى الصمت من حديث الحسن مرسل وروياه فى ثمانيات النجيب من رواية أبى هدبة أحد المالكيين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إنسانه بمتمصل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إنشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكتبه لربه يشاهد ما يظن عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرعناه برمز فى ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصغار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلى قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن على

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فمى أمانة^(١) » وقال طلقا « الحديث بينكم أمانة^(٢) » وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسرى إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسرى إلى حديثا وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كنتم سره كان الحيار إليه ومن أفشاء كان الحيار عليه قال قلت يا أبت وإن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال فأبيت معاوية فأخبرته فقال ياولد أعتك أبوك من رقى الخطأ إفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار ولؤم إن لم يكن فيه إضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتاب السر في كتاب آداب الصبغة فأغنى عن الإعادة .

(الآلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمع بالوفاء فيصير الوعد خلقا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « المدة عيلة^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل^(٤) » والوأي الوعد وقد أئى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد قيل إنه وعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره . ولما حضرت عبدالله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابني رجل من قريش وقد كان مئى إليه شبه الوعد فوالله لا أتى الله بثلاث النفاق أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى وعن عبد الله بن أبي الحنفية قال « يا بعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدهت أن آتية بها في مكانه ذلك ففسيت يومى والتقد فأتيت اليوم الثالث وهو في مكانه فقال باقى لقد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر^(٥) » وقيل لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل اليماد فلا يحمى قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجبى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى^(٦) وكان ابن مسعود لا يبدو وعدا إلا يقول إن شاء الله فهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجرم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يمتدرفان كان عند الوعد ما على أن لا يبق فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان^(٧) » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أروع من كن فيه كان منافقا

(١) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فمى أمانة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا .

(الآلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث المدة عيلة الطبرانى في الأوسط من حديث قبات بن أشيم يستدفعه فبأبو نعيم الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائع في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأى يبنى الوعد ورواه أبو منصور الديلى في مسند القردوس من حديث على بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنفية بايت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدهت أن آتية بها في مكانه ذلك ففسيت يومى والتقد فأتيت اليوم الثالث وهو في مكانه قال يا بني قد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر^(٦) رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلا (٧) حديث أبو هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا أبو الطيب السكى عن أبي محمد الجبرى قال التسرع إلى استدراك علم الاقطاع وسية والوقوف على حد الانحصار نجاة واللباز بالحرب من علم الدنو وصلة واستقباح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة القم في حيز الإقبال مساءة والإسفاء إلى تلقى ما ينفصل عن معدته وبدو الاستسلام عند التلاقي جراءة والاتبساط في محل الأئس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها وفي قوله تعالى - ساذغ

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدو وإذا خاصم فجر (١) وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يمتزج من صورة النفاق أيضا كما يمتزج من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل قسه معلوما من غير ضرورة حاضرة قد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التبان خادما فأتى بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقي واحد فأعطت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أن الرحي يدي قد ذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم (٢) » فأثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدبر الرحي يدعها الضيفة وقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن فحين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يارسول الله قال صدقت فاحتكم ماشرت فقال احتكم ثمانين ضائنة ورابعها قال هي لك وقال احتكت بسيرا (٣) ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكما موسى عليه السلام قالت : حكى أن تردني خابة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يضمنون ما احتكم به حتى جعل مثاقيل أشع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) » وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه في نيته أن يفي فلم يعد فلا إثم عليه .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول والعين)

وهو من قبائح القنوب وفواحش الصيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يضبط بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب فإنه مع التجور وما في النار (٥) » وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) » وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والدخل والمخرج وإن الأصل الذي يبنى عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن في كان منافقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التبان خادما فأتى بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقي واحد فباعت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة فتقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن فحين فوقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشرت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يعد فلا إثم عليه أبو داود والترمذى وضعه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني إلا أنهما قالوا فلم يفي .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول والعين)

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجعله للصف من رواية اسمعيل بن أوسط عن أبي بكر وإمامه هو أوسط بن اسمعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طفى -
وجه آخر اللفظ عما
سبق : ما بلغ البصر
حيث لم يتخلف عن
البصرة ولم يتجاوز
وما طفى لم يسبق البصر
البصرة فيتجاوز حده
ويتعدى مقامه بل
استقام البصر مع
البصرة والمظاهر
مع الباطن والقلب مع
القلب والنظر مع القدم
ففي تقدم النظر على القدم
طمان ولعمري بالنظر
علموا بتقدم حال القلب
فلم يتقدم النظر على
القدم فيكون طمانا
ولم يتخلف القدم عن
النظر فيكون تقصيرا
فلما اعتدلت الأحوال
وصار قلبه كقالبه
وقالبه كقلبه وظاهره
كباطنه وباطنه
كظاهره وبصره
كبصرته وبصرته

النفاق الكذبة وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب» (١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (٢) . «ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أتقصم من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيد على كذا وكذا فرب الشاة وقد اشترها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة» (٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار قيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال نعم ولكنهم يخلفون فيما عاون ويخدون فيكذبون» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : اللذان يعطيته ولانفق سلته بالخلف الفاجر والسبل إزاره» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بموضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة» (٧) وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يجهم الله رجل كان في فئة نصب عمره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جارسوء يؤذيه فصر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أوسرية فاطلوا السرى حتى أمهم أن عسوا الأرض فزلوا فقتلهم يسلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤم الله التاجر أو البائع الخلف والفقر المحتال والبخل اللذان» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي قم فقممت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يسد القائم كلوب من حديد يلقيه في شق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله الوجهي ضيف جداً ويخفى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما وإذا حدث كذب وها في الصحيحين وقد تقدم في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخاري في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضحه ابن عدى ورواه أحمد والطبراني من حديث الثواس بن سيمان بإسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً متفق عليه (٣) حديث مر رجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة أبو الفتح الأزدی في كتاب الأسماء للفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناهما في أمالي ابن ميمون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصميين من حديث أبي هريرة ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويخدون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم للثان ببطيته وللثاني بسلته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بموضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصححه وإسناده من حديث عبد الله بن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يجهم الله التاجر أو البائع الخلف والفقر المحتال والبخل اللذان (٩) حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البيع الخلف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية جهن بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبره غث انرى
نظره وعله قارنه
قدمه وحاله ولهذا المعنى
انعكس حكم معناه
ونوره على ظاهره وآتى
البراق ينتهى خطوه
حيث ينتهى نظره
لا يتخلف قدم البراق
عن موضع نظره كما
جاء في حديث للعراج
فكان البراق يتابعه
مشاكل لمنه ومتصفا
بصفته لقوة حاله ومعناه
وأشار في حديث للعراج
إلى مقامات الأنبياء
ورأى في كل معناه
بعض الأنبياء إشارة
إلى تمويقهم وتخليقهم
عن شأوه ودرجته
ورأى موسى في بعض
السماوات فمن هو في
بعض السماوات يكون
قوله سأرى أنظر إليك
تجاوزاً للنظر عن حد

ثم يجده يلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا رجع الآخر كما كان قلت للذي أقادني ما هذا ؟ فقال هذا رجل كذاب يذب في قبره إلى يوم القيامة ^(١) وعن عبد الله بن جرادة قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله هل يزني المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك قال يا بني هل يكذب المؤمن ؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى - إنما يغفرى للكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - ^(٢) » وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب ، ومعال مستكبر ^(٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألب فقلت أمي يا عبد الله تعالى حق أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت إنما قال أما إنك لو لم تعمل لكنت عليك كذبة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نساء عدد هذا الحصى قسمتها بينكم ثم لا يجدوني غيلا ولا كذبا ولا جبانا ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإصرار بالله وعقوق الوالدین ثم صدقوا قال : ألا وقول الزور ^(٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد للالك عنه مسيرة ميل من ثن مجاه به ^(٨) » وقال أنس قال صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست أنجيل لكم بالجنة فقالوا وما هن ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا اتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقلت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يد القائم كلوب من حديد يلقمه في شق الجالس الحديث البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جرادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التهذيب بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سميذ وأما عن أم سعيد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجني من الزنا وزاد وعمل من الرياء وعين من البخانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألب فقلت أمي يا عبد الله تعالى أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت إنما قال إن لم تعمل لكنت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يمس وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه - قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجلها قات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نساء عدد هذا الحصى قسمتها بينكم ثم لا يجدوني غيلا ولا كذبا ولا جبانا رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد للالك عنه مسيرة ميل من ثن مجاه به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أنجيل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والخراطي في مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعه أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

القدم وتخلقا للقدم عن النظر وهذا هو الاختلاف بأحد الوصفين من قوله تعالى - ما زانغ البصر وما طغى - فرسول الله صلى الله عليه وسلم قدومه ونظره في حجال الحياء والتواضع ناظرا إلى قدمه قاعما على نظره ولو خرج عن حجال الحياء والتواضع وتناول بالنظر متمديا حد القدم تموي في بعض السموات كتموي غيره من الأنبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم متجاس حجاله في خفارة أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب الصبايا واشتمت عنه معائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام حتى

« إن للشيطان كلا ولعوا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالنصب وأما كله فالنوم »^(١)
 وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقياي هذا فيكم فقال
 « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يولونهم ثم يغشوا الكذب حتى يحلف الرجل على العين ولم يستحلف
 ويشهد ولم يستشهد »^(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عن حديث وهو يرى أنه كذب
 فهو أحد الكاذبين »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على عين يأنم ليقطع بها مال امرئ
 مسلم بنير حتى لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان »^(٤) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها
 السلم إلا الحيانة والكذب »^(٦) وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل
 من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث ثوبة لله عز وجل منها »^(٧)
 وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه
 ولا يزني فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شئ كلهم الصفور مما قيل قتلاه
 صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرّك ما فاتك من الدنيا
 صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه »^(٨) وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة
 بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى
 وقال « عليكم بالصدق فانه البر وما في الجنة »^(٩) وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهود وبذل السلام وخفض الجناح »^(١٠)

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولعوا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند
 ضيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجاية الحديث وفيه ثم يغشوا الكذب الترمذي وصححه
 والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب
 فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على
 عين ما أنم ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسل وموسى
 روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن
 إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في اللصف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدى في مقدمة الكامل
 من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من
 حديث سعد مرفوعا وموقوفًا وللوقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في الملل (٧) حديث ما كان
 من خلق الله شيء أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على
 الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث ثوبة الله منها ثم أحسن
 حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطيبات
 فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنّ فيك فلا يضرّك ما فاتك
 من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخراطي في مكالم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو
 وفيه ابن لهيعة (٩) حديث أبي بكر عليك بالصدق فانه مع البر وما في الجنة ابن ماجه والنسائي في
 اليوم والليلة وقد تقدم بضم في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق
 الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - ما زاد البصر
 وما طوى - فدر كالبرقي
 الخاطف إلى غرض
 الوصل والظانف وهذا
 غايه في الأدب ونهاية في
 الأرب . قال أبو محمد
 ابن روم حين سئل
 عن أدب السافر فقال
 لا يجاوزهم قدمه ملط
 وقب قلبه يكون مقره
 أخبرنا شيخنا ضياء
 الدين أبو النجيب إجازة
 قال أنا عمر بن أحمد قال
 أنا أبو بكر بن خلف
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 السلي قال ثنا القاضي
 أبو محمد يحيى بن
 منصور قال حدثنا
 أبو عبد الله محمد بن
 علي الترمذي قال حدثنا
 محمد بن زمام الأيلي قال
 حدثنا محمد بن عطاء
 الهجيمي قال حدثنا
 محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبكم إلينا مالم تركم أحسنكم إسما فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأثبت على حرف إن أنا كتبت به زيفت الكتاب وكنت قد كذبت فغضبت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أهد هورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السكيت ما رأيت أوجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أفة ، وقيل لحاد بن صبيح أبسنى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطيبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بقماري من نار كما قرضنا نبتنا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فإن أقل درجاته أن يستفد الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق بضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض اللواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سمى خافا باللسان بالسيف لقتله فدخل دارا فأنهى إليه فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألسنت تقول لم أراه وما تصديق به وهذا الكذب واجب . فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم السلم واجبة فمما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختلف من ظالم الكذب فيه واجب وممما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استألة قارب المحنى عليه إلا بالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يهتزم منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخفى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها » وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو غي خيرا »^(١) وقالت أسماء بنت زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين يصلح بينهما »^(٢) وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فقلت أحدهما مالك ولقلان فقد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « تبارك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية تدرب أرى أنظر إليك - قال : قال يا موسى إنه لا يراني حتى إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم » . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلي الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يخص بعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالسلامة وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للسراب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي فيه عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت زيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد زيادة فيه وهو عند الترمذي مختصرا وحسنه .

صحته يحسن عليه الشاء ثم لفت الآخر فقلت له مثل ذلك حق اصطلاحاً قلت أهألكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس ^(١) أي ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل لني صلى الله عليه وسلم : « أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ^(٢) » وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يطلع النساء اللاتي يتزوج بين فطارت له في الناس من ذلك أحدهن يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لا نشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال إنكم تتحدثون أني أظلم النساء وأخلمين فأسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعصمها فقال أنت التي تحدثين فزوجك أنك تبغضينه فقالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فخرجت أن أ كذب فأ كذب يا أمير المؤمنين ^(٣) قال نعم قال كذبت فان كانت إحداكن لأحب أحدنا فلا تحبته بذلك فان أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاضون بالاسلام والأحساب ، وعن النواس بن معان الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت القرائش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدمة ما يكون بين الرجلين شتاء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته برضاها ^(٤) » وقال ثوبان الكذبي كله إثم إلا ما تقع به مسلماً أو دفع عنه ضرر أو قال على رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تن آخر من السماء أصب إلى من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو نفيه . أما ما له فقل أن يأخذهم ظالم يسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاشحة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زينت وما سرقت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه التافذورات فليستر بستر الله ^(٥) » وذلك أن إظهار الفاشحة فاشحة أخرى فللرجل أن يحفظ ماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيبا لقلبها أو يتندر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحديث أن الكذب محذور ولو صدق في هذه للواضع توبه منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر وبأن يلزمان القسط فإذا علم أن المحذور الذي يحصل

(١) حديث أي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل لني صلى الله عليه وسلم أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسل وهو في اللواط عن صفوان ابن سليم مفضل من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن معان مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت القرائش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ تتابعون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبراني وفيها شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه التافذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه التافذورات التي نهى الله عنها فمن ألم شيء منها فليستر بستر الله وإسناده حسن .

والحاجات الدينية
حق رضى الحق مقاما
في القرب وأذن له في
الانبساط وقال اطلب
منى ولو لمحا لمجيك
فلما بسط انبسط وقال
- رب إني لما أنزلت
إلى من خير فقير -
لأنه كان يسأل حوائج
الأخرة ويستعظم
الحضرة أن يسأل
حوائج الدنيا لحقارتها
وهو في حجاب الحشمة
عن سؤال المحقرات
ولهذا مثال في الشاهد
فإن الملك الأعظم يسأل
للمظلمات ويحتمل في
طلب المحقرات فدارف
بساط حجاب الحشمة
صار في مقام خاص من
القرب يسأل الحفيرة كما
يسأل الحفيرة قال
ذو النون المصري أدب
العارف فوق كل أدب

بالصدق أهد وقفا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يساح للضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ولو لأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أعراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بضرر غيره فلا يجوز للساهة لحق الغير والأضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحفظ أنفسهم فهو لزيادات السالو والجاهل وأمور ليس فوائدها عذورا حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تضر به وتكذب لأجل مراعاة الضررات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإني أنكرت من زوجي عا لم يفعل أمأرها بذلك فهل على شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: لا تشع بمالم يعط لايس ثوب زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوب زور يوم القيامة ويدخل في هذا قولي العالم بما لا يتحققه (٢) » وروايته الحديث الذي لا يتبته إلا غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكف من أن يقول لأدري وهذا حرام ومما يلحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في الكذب إلا بوعد أو وعيد أو تخوف كاذب كان ذلك مباحا ، ثم روي في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا وإن كان الكذب الباطح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب بتصحيح قصده فيه ثم يفي عنه لأنه إنما أيسح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فإنه قد يكون الباطح له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنما يشمل ظاهرا بالإصلاح فلماذا يكتب وكل من أتى بكذبة قد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا وذلك فامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن قانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه تصحيح وهو خطأ بعض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا للضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فقد ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه وما هو جديد وقعه أعظم فهذا هو الس إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح باب إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شيء أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا تقاومها شيء . نسأل الله الدفو عنا وعن جميع المسلمين .

(بيان الحل من الكذب بالماريض)

قد هل عن السلف أن في الماريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه أما في الماريض ما يكتفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جعلا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روى أن مطرفا دخل على زياد فآب ببطأ فتعلل بعرض وقال ما رفقت جنبي منذ رفقت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإني أنكرت من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط كان كلابس ثوب زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طريق وقد تقدم في العلم .

لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أزمته القيام مع أسأئي وصفائي أزمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذات أزمته السلب . فاشتر أحبا شئت الأدب أو السلب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأسماء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لمعان نور عظمة الذات تتلأى الآثار بالأنوار ويكون معنى السلب التذوق الفنا وفي ذلك السلب هاية الأرب . وقال أبو عيسى السدة في قوله تعالى - وأيوب

الأمر إلا ما رضى الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قتل إن الله تعالى يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند الاستماع وعنده للإيهام. وكان معاذ بن جبل عاملا لم يرض الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العداء إلى أهلهم وما كان قد أتانا بشيء فقال كان عندى ضاغط قالت كنت أمتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضى الله عنه فبثت عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائهما واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بثت معك ضاغطا قال لم أجد ما أعترض به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا يحرقها وأراد بالله تعالى وكان النخعي لا يقول إلا بقلته واشترى لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولى له اطلبه في المسجد ولا تخولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي إذا طلب في للزلزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضمى الأصبع فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وعلى ثوب لجلل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فنكتت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يا بني اتق الكذب وما أشبهه فتهاه عن ذلك لأن فيه تفريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض الفارقة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه . ثم للمعارض تباح لغرض خفيف كتنطيط قلب النير بالمزاج كقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة هجوز»^(١) وقوله للآخرى «الذى في عين زوجك يياض» وللآخرى «نعملك على ولد البعير» وما أشبهه وأما الكذب الصريح كقائه نبيان الأنصارى مع عثان في قصة الضرب إذ قال له إنه نبيان وكما يتبادر للناس من ملاعبة الحق بتزويرهم بأن أمراة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدى إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطابقتها فلا بوصف صاحبها بالله حق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم «لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢) وحق يجهت الكذب في مزاحه^(٣) وأما قوله عليه السلام «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من التريا»^(٤) أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح . ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مرة فانه لا يريد به تفهيم الرات بددها بل تفهيم المبالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يتعد مثلا في الكثرة لا يأتى وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يتبادر الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام يقول لا أشنبه وذلك منبى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عيسى «كنت صاحبة عاتشة في الليلة التى هيأتها وأدخلها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة هجوز وحديث في عين زوجك يياض وحديث نعملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحق يجهت الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة النصارى وقال فيه نظر وللشيعين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وللدارقطنى في المؤلفات والمختلف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها أبعد من التريا تقدم في الآفة الثالثة .

إذ نادى ربه أن
مضى الضرب وأنت
أرحم الراحمين لم يقل
أرحمى لأنه حفظ أدب
الخطاب وقال عيسى
عليه السلام إن كنت
قلته فقد علمته - ولم
يقُلْ لم أقل رعاية لأدب
الحضرة . وقال
أبو نصر السراج أدب
أهل الخصوصية من
أهل الدين في طهارة
القلوب ومراعاة
الأسرار والوفاء بالعهود
وحفظ الوقت وقلة
الالتفات إلى الخواطر
والعوارض والبوادر
والموائق واستواء
السر والعلانية وحسن
الأدب في مواقف
الطلب ومقامات القرب
وأوقات الحضور .
والأدب أدبان أدب
قول وأدب فعل فن

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قري إلا قد حامن لبن فشرب ثم قالوا عائشة قالت فاستحييت الجارية فقلت لأردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحك فقلن لا نشتيه فقال لا تجعنن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشبهه لأشتيه أهد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليس يكتب كذبا حتى يكتب الكندية كندية (١) » وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السيب رمس حتى يبلغ الرمس خارج عينه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لأمس عينك فأقول لأفعل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه أنسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشمر. وعن خوات التي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضنيته قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخى فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيها لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم الحالا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام أو في شيء عظيم أو قال عليه السلام « إن من أعظم القربة أن يدعى الرجل إلى غيره أو يرى عينه في المنام ما لم ير أو يقول على ما لم أقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يقذف بين شعيرتين وليس يعاد بينهما (٣) ».

(الآفة الخامسة عشرة النية)

والنظر فيها طويل فلندكر أولا مذمة النية وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم اللية فقال تعالى - ولا ينتب بضمك بعضا يحب أحدا كأن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل للسلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والنية تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو رزرة قال عليه السلام « لا تهاسدوا ولا تباغضوا ولا تتاجشوا ولا تدابروا ولا ينتب بضمك بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والنية فإن النية أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب النية لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجعنن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد وهو الصواب لأن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالبحشة لكن في طبقات الأصميين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث ابن من أعظم القربة أن يدعى الرجل إلى غيره أيه أو يرى عينه في المنام ما لم ير أو يقول على ما لم أقل البخاري من حديث وثاقه بن الأشعث وله من حديث ابن عمر من أفرى القرى أن يرى عينه ما لم ير (٣) حديث من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يقذف بين شعيرة البخاري من حديث ابن عباس .

(الآفة الخامسة عشرة النية)

(٤) حديث كل للسلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تهاسدوا ولا تباغضوا ولا تنتب بضمك بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا ينتب بضمك بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والنية فإن النية أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير.

تقرب إلى الله تعالى بأوب فعل منحه محبة القلوب. قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف وقال الثوري من لم يتأدب للوقت فوقعه مقت وقال ذو النون إذا خرج الريد عن حد استعمل الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجبهالات وترك الأدب من ضامرة الجهل فإذا عرف النفس صادف نور الرفان على ما ورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مرت ليلة أسرى في على أقوام يمحشون وجوههم بأظفارهم قلت بإجبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يتناوبون الناس ويقعون في أعراضهم»^(١) وقال سليم بن جابر «أثبت النبي عليه الصلاة والسلام قلت علفي خيرا أتضع به فقال لا تعقرن من المعروف شيئا ولو أن صب من ذلك في إناء للستقى وإن نلقى أخاك يبشر حسن وإن أدبر فلا تهابنه»^(٢) وقال البراء «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العوائق في بيوتهم فقال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»^(٣) وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تالبا من النبية فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحجى فيقول يا رسول الله ظلت صائما فاذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فأتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما يستحجان أن يأتيك فاذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب فرما إن كانتا صائمتين أن تستغثا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاة تقاوت كل واحدة منهما علة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتما النار»^(٤) وفي رواية «أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم اتقوني بهما فجدتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح فقال لإحدهما فقي قفاوت من قبيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى فقي قفاوت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فجمعلتا تأكلان لحوم الناس»^(٥) وقال أنس «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية ينهاها الرجل وأرى الربا عرض للسلم»^(٦) وقال جابر «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يذب صاحباه فقال إنهما يذبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يضرب الناس وأما الآخر فكان لا يستتره من يوله فدا بجر يدره رطبة أو جريدتين

(١) حديث أنس مروت ليلة أسرى في على قوم يمحشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت علفي خيرا ينفعني الله به الحديث أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يضاهيه وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا للمسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برة باسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس الحديث في ذكر للرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما قفاوت كل واحدة منهما علة من دم ابن أبي الدنيا في الصحة وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف (٥) حديث الرأتين للذكوريتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل الهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرى الربا عرض الرجل للسلم ابن أبي الدنيا يمسد ضعيف .

« من عرف نفسه فقد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجمالة إلا ويقعها بصريح العلم وحينئذ يتأهب ومن قام بآداب الحضرة فهو يبرها أقوم وعليها أقدر .

[البسب الثالث]
والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا ومن الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكشي هو غسل الأديار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرها ثم أمر بكل كسرة فحسرت على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم ييسا (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقص كما يقص السكب فر صلى الله عليه وسلم وهما معه بحيفة فقال انهما منها قتالا يارسول الله ننش حيفة فقال ما أصبنا من أخيك أثنى من هذه (٢) » وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يجتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافة عادتنا الناقبين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فأكله فينجح ويكبح (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلا كان قاعد بين عذاب من أبواب السجدة فرجها رجل كان غثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيمنه شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا فصليا مع الناس لحاك في أنفسهما ما قالنا فأتينا عطاء فسأله فأمرهما أن يعيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - المهمزة الطمان في الناس والمهمزة الذي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أملاث ثلث من التيقن ثلث من القيمة وثلث من البول وقال الحسن والله للنية أسرع في دين الرجل للؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يزون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في السكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يصر الجنب في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة إلا يسان حتى لا تصيب الناس بيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا ضللت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بحيفة كلب فقال الحواريون : ما أثنى ربح هذا السكب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أشدّ يابض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهم عن غيبة السكب ونهم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضى الله عنهما رجلا ينتاب آخر فقال له إياك والغيبة فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى الغيبة وحدودها)

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغه سواء ذكرته بنقص في دينه أو نسيبه أو في خلقه أو في فله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودينه . أما البدن فكذلك العيش والحول والقرع والقمير والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به بما يكرهه كيما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال أما إنهما ليمدبان وما يمدبان في كبير أما أحدهما فكان ينتاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في الصحة وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب بأسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه القيمة بدل الغيبة . وللطالبي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكرة نحوه بأسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق للمحرم هذا أقص كما يقص السكب فرجها بحيفة فقال انهما منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه بأسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن إسحاق رواه بالسنن .

الجنباء . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما زلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أتى عليكم في الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى زلت الآية في أهل قباء . قيل لسان قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الحجارة فقال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي بالمخس أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي بربيع أو

وأما النسب فبان تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خبيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كنهما كان . وأما الخلق فبان تقول هو سيء الخلق يغفل متكبر مراد شديد التضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يغري مجراه . وأما في إضالة المتعاقبة بالدين فسكفوك هوسارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من التجاسات أو ليس باراً بالديه أو لا يضيغ الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس مومنه عن الرقت والقتية والتمرض لأعراض الناس . وأما فعله للتلحق بالدين فسكفوك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل تنوم بنام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فسكفوك إنه واسع السكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لاغية في الدين لأنه ذم ماذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال « هي في النار »^(١) وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها نجيلة فقال « فما خيرها إذن »^(٢) فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التفتيش ولا احتج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مفتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد القية وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مفتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر أخاك بما يكرهه قيل أريدت إن كان في أخى ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته »^(٣) وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتهم أخاكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه »^(٤) وعن حذيفة عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتها »^(٥) وقال الحسن ذكر القير ثلاثة القية والهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالقية أن تقول ما فيه والهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بلفك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الأسود ثم قال استغفر الله إنى أراى قد اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يفتان أحدكم أحداً فأنى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه طويلة الذيل فقال لى « الفظى الفظى فلفظت مضعة لحم »^(٦)

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذي جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم ومحمد بن حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها نجيلة قال فما خيرها إذن الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويناه في أمالي ابن جهمون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه الحديث الطبراني بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند الصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصمت لا ين في الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كاعند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظى فلفظت بضعة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لأعرافها .

عظم . حدثنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
إسلام قال أنا
أبو منصور الحريري
قال أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمر والهاشمي
قال أنا أبو علي اللؤلؤي
قال أنا أبو داود قال
حدثنا عبد الله بن محمد
قال حدثنا ابن المبارك
عن ابن هبلان عن
القنقاع عن أبي صالح
عن أبي هريرة رضى
الله عنه أنه قال : قال
صلى الله عليه وسلم
« إنما أنا لكم بمنزلة
الوالد أعلمكم فإذا
آتى أحدكم الفاط
فلا يستقبل القبلة
ولا يستديرها ولا
يستطيب يمينه » وكان
بأمر بثلاثة أحجار
ويهي عن الروث
والرمة . والرض في

(بيان أن النية لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الله ذكر باللسان إنما حرم لأن فيه شهيم الغير هتسان أخيك وتعرفه بما يكرهه فاتعريض به كالتسريح والقلم فيه كالقول والإغارة والإيماء والتمزج والمزج والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في النية وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام «اغتنبتا»^(١) ومن ذلك الهاكة كأن يمشي متعرجا أو كما يعنى فهو غيبة بل هو أعمد من النية لأنه أعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال «ما يبرى أنى حاكمت إنسانا ولى كذا وكذا»^(٢) وكذلك النية والكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر للصف شخصاً معنا وتجهين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الأعداء الموحجة إلى ذكره كما سيأتى بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما النية للعرض لشخص معين إما محي وإماميت ومن النية أن تقول بعض من مربنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب بفهم منه فحسباً معنا لأن المحدثون شهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عنه جاز - كان رسول الله ﷺ إذا ذكره من إنسان شيئاً قال «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»^(٣) فكان لا يبين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهى غيبة وأخبت أنواع النية غيبة القراء للرايين فانهم يفهمون للقعود على صفة أهل الصالح ليطهروا من أغصم الخلف عن النية ويفهمون المقصود ولا يدرون بمجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين النية والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره فيضمن ذلك ومدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون متشابهاً ومراثياً وزكياً نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو مجهول يظن أنه من الصالحين للتفهمين عن النية ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتهمهم ويحيط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يقبته له بعض الحاضرين فيقول سبحانه الله ما أعجب هذا حتى يصنى إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله ﷻ ويستعمل اسم آله في تحقير شئته وهو يفتق على الله عز وجل يذكره لجهالة من وعزورا وكذلك يقول سادى ماجرى على صدقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاتقان وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخذه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يتم به لاغتم أيضاً بإظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك للسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو بلى كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفى قصده وهو لجهل لا يدري أنه قد تعرض لثقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهاوا - ومن ذلك الإصفاء إلى النية على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط القلب

الاستنجاء شيئاً إزالة الخبث وطهارة للزبل وهو أن لا يكون رجيعاً وهو الروث ولا مستعملاً مرة أخرى ولا مرة وحى عظم النية ووتر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمل الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يهينون أن يطهروا - وما استلوا من ذلك قالوا كنا نتبسط للساء الحجر والاستنجاء بالرجال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضاً طاهرة وتراباً طاهراً - وهكذا الاستنجاء أن يأخذ الحجر يساره ويضعه على مقدم المخرج قبل

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أى قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتنبتا ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن عمارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقين تمت (٢) حديث ما يبرى أنى حكيت ولى كذا وكذا غدم في الآفة الحادثة عشرة (٣) حديث كان إذا كرم من إنسان شيئاً قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يبره ورجاله رجال الصحيح -

في القية فيندفع فيها وكأنه يستخرج القية منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفت
إلى الآن إلا بالحير وكنت أحسب فيه غير هذا عاظنا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمقتاب
والتصديق بالقية غيبة بل الساكت شريك للتائب قال صلى الله عليه وسلم « المستمع أحد
الفتاين » (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لنشوم
ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ ليا كلاً به الحيز فقال صلى الله عليه وسلم « قد اتدتما ؟ فقالا
ما نعلمه قال بل إنكما أكلتما من لحم أخيكما » (٢) فالنظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر
مستمعا وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقصص الرجل كما يقصص الكلب « أتشام من هذه الحيلة » (٣)
فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم القية إلا أن يشكر بلسانه أو يقبله إن خاف وإن قدر على القيام
أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه أسكت وهو مشته لذلك قبله فذلك فاق
ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه قبله ولا يكتفي في ذلك أن يشير باليد أي أسكت أو يشير بحاجبه
وجبينه فإن ذلك استعقار للمذكور بل ينفى أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه
وسلم « من أذل عند مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس
الخلائق » (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رد عن عرض أخيه بالتيب
كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة » (٥) وقال أيضا « من ذب عن عرض أخيه
بالتيب كان حقا على الله أن يثقه من النار » (٦) وقد ورد في نصرة المسلم في القية وفي فضل ذلك
أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصلوة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها .

(بيان الأسباب الباعثة على القية)

اعلم أن البواعث على القية كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة
وثلاثة تخص بأهل الدين والخاصة : أما الثمانية : فالأول أن يشق التيط وذلك إذا جرى سبب
غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشق بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم
دين وازع وقد يمنع تشق التيط عند الغضب فيحتن الغضب في الباطن فيصير حقا ثابتا فيكون
سببا دائما لذكر المساوي فالخقد والغضب من البواعث العظيمة على القية . الثاني مواقفة الأقران
وعجالة الرقاة ومساعدتهم على الكلام فأنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر
عليهم أو قطع المجلس استقلوا وضروا عنه فيساعدون ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه

(١) حديث المستمع أحد الفتاين الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم
عن القية وعن الاستماع إلى القية وهو ضيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن
فلانا لنشوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتما ؟ فقالا ما نعلمه فقال بل
ما أكلكما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلناه
(٣) حديث أتشام من هذه الحيلة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقصص كما يقصص الكلب تقدم
قبل هذا بآتي عشر حديثا (٤) حديث من أذل عند مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره
أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن أبي عمير (٥) حديث
أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا
في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ ردائه عن وجهه النار يوم القيامة
وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاما ضيف (٦) حديث من ذب عن عرض أخيه بالتيب كان
حقا على الله أن يثقه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد .

ملاقاة التجاسة وبمره
بالمسح وبدير الحجر
في مره حتى لا يتقبل
التجاسة من موضع إلى
موضع بفعل ذلك إلى
أن ينتهي إلى مؤخر
المخرج وبأخذ الثاني
ويشتمه على المؤخر
كذلك ويمسح إلى
المقدمة وبأخذ الثالث
ويديره حول للسربة
وإن استجمر بحجر
ذو ثلاث شعب جاز
وأما الاستبراء إذا
انقطع البول فيمد
ذكره من أصله ثلاثا
إلى الحشفة بالرفق ثلاثا
يندلق بية البول ثم
يشتره ثلاثا ويحاط في
الاستبراء بالاستبراء
وهو أن يتجنب ثلاثا
لأن العروق ممتدة من
الحلق إلى الذكرك
وبالتجنب تتحرك

حجارة في الصخرة وقد يضرب رقاؤه فيحتاج إلى أن يضرب لضربهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر السيوب وللأساوي . الثالث أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند عتكم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يقبح هو حاله ويطن فيه ليستقط أثر شهادته أو يبتدىء بذلك ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن عاذني الكذب فاني أخبركم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يثبته فذكر الذي فعله وكان من حقه أن يري نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليعمد بذلك عند نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتقصيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويربهم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونهم فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يشغل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير النضب والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من النضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الوافي . السابع اللعب والهزل واللطاية وتركبة الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المازحة ومنشؤه التكبر والحب . الثامن السخرية والاستهزاء واستحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستعظام النفس . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي اغضبها وأدقها لأنها شرور خبايا الشيطان في معرض الحيرات وفيها خير ولكن شباب الشيطان بها التمر . الأول أن تنبئ من الدين داعية التعجب في إنكار للتكبر والحطأ في الدين فيقول ما أحب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من النسر ولكن كان حقه أن تعجب ولا يذكر اسمه فيسبل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غنى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا في دعوى الإهتمام ولبية التمسع عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والإهتمام يمكن دون ذكر اسمه فيعجه الشيطان على ذكر اسمه ليبتل به ثواب الإهتمام وترحمه . الثالث النضب لله تعالى فإنه قد يضرب على منكر قاربه إنسان إداراة وأمره فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يقتضى دركها على العلماء فضلاء العوام فاتهم بظنونهم أن التعجب والرحمة والنضب إذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل للرخص في التوبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن عامر بن واثله أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس ليس ما قلت والله لنبتغيه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأذكره وأخبره بما قال فأذكره رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي له ما قال وسأله أن يدعو له فقدمه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتقدم ما لي يجري
البسول فإن متى
خطوات وزاد في
التنصع فلا بأس
ولكن براعي حذالم
ولا يجمل للشيطان
عليه سبيلا بالوسوسة
فيضيع الوقت ثم يمسح
الله كثر ثلاث مسحات
أو أكثر إلى أن لا يرى
الطوبة وفيه يضرهم
الله كثر بالفرع وقال
لا يزال تظهر منه
الطوبة مادام يجد
فبراعى الحد في ذلك
وبراعى الوتر في ذلك
أيضا للسحات تكون
على الأرض الطاهرة
أو حجر طاهر وإن
احتاج إلى أخذ الحجر
لصفه فليأخذ الحجر
باليدين والله كبرياوس
ويعمسح على الحجر
وتصكون الحركة

قال صلى الله عليه وسلم لم تبتضه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خاب والله ما رأيت يصلي صلاة قط إلا هذه للكنوبة قال فأسأله يارسول الله هل رأيت آخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله قتل لا فقال والله ما رأيت يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فأسأله يارسول الله هل رأيت قط أفطرت فيه أو قصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله ما رأيت يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيت ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤدوها البر والفاجر قال فأسأله يارسول الله هل رأيت قصت منها أو ما كست فيها طالبا الذي يسأله فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فقله خير منك (١) .

(بيان الملاح الذي به ينزع اللسان عن التوبة)

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلهنقص عن سببها . وعلاج كف اللسان عن التوبة على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى فيبغته بهذه الأخبار التي رويها وأن يعلم أنها عبطة لحسناته يوم القيامة فأنها تنقل حسناته إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لقتل الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد الخاصة وللطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في اليأس بأسرع من التوبة في حسنات العبد (٢) » وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تفتنني فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحسبك في حسناتي فهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في التوبة لم يطلق لسانه بما خاف من ذلك ونفعه أيضا أن يتدر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بسبب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغل عيه عن عيوب الناس (٣) » ومهما وجد عيا فيبغى أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن هجر غيره عن نفسه في التزهر عن ذلك العيب كعجزه وهذا إن كان ذلك عيا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالدم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعل أن ظنه بنفسه أنه بري من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب ونفعه أن يعلم أن ظن غيره بغيره كتمان بنية غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يفتن فيبغى أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على التوبة فإن علاج العلة يقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما الغضب فيعالج بمساكنة في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إنى إذا أمضيت غضبي عليه ففعل الله تعالى عني غضبه على سبب التوبة إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

(١) حديث طائر بن وائلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزه قال رجل منهم إنى لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فقله خير منك أحمد باسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليأس بأسرع من التوبة في حسنات العبد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغل عيه عن عيوب الناس البرار من حديث أنس بسند ضعيف .

باليسار لا باليمين ولا
يكون مستنجيا باليمين
وإذا أراد استعمال الماء
انتقل إلى موضع آخر
ويقع الحجر ما لم ينتشر
البول على الحشفة وفي
ترك الاستنقاء في
الاستبراء وعيد ورد
في رواه عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما
قال « مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
قبرين فقال لهما
ليعذبان وما يعذبان في
كبير أما هذا فكان
لا يستبرئ أولا يستنزه
من البول وأما هذا
فكان يمشي بالقيمة ثم
دعا بعصير وطب فشفاه
اثنتين ثم غرس على
هذا واحدا وعلى هذا
واحدا وقال لعله يخفف
عنهما ما لم ييسا »
والعصير الجريد وإذا

جزعه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقى غيظه بمصيبة الله تعالى » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يفضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء » (٢) وفي بعض الكتب للنزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم أذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعفك فيمن أعفك . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه فرضا الخلقين فكيف رضى لنفسك أن توفرك خيرك وتغمر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للضروب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رقائك إذا ذكروه بالسوء فاتهم عصوا ربك بأغشى الذنوب وهي التوبة . وأما تزكية النفس بنسبة الغير إلى الحيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير تعالجه بأن تعرف أن التعرض لقت الحاقك أهد من التعرض لقت الخلقين وأنت بالتوبة معرض لسخط الله بقينا ولا تدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا تتخلص نفسك في الدنيا بالتورم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى تقدا وتنتظر دفع ذم الخلق لسيئة وهذا غاية الجمل والخذلان . وأما تذكر كقولك إن أكأت الحرام فقلان بأكله وإن قبلت مال السلطان فقلان بقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاعتقاد بمن لا يجوز الاعتداء به فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كالنا من كان ولودخل غيرك النار وأنت تهدر على أن لا تدخلها لم تواقه ولو واقفته لسفه عقلك فيها ذكرته غيبة وزيادة مصيبة أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين للصبيتين على جهلك وغيابك وكنت كالشاة تنظر إلى المزي تردى نفسها من قلة الجبل فهي أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعدو وصرح بالعدو وقالت انزأ كي منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفضل لكنت تصحك من جهلك وحالك مثل حالها ثم لا تصحب ولا تصحك من نفسك . وأما قصدك البهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تهدح في غيرك فيبغى أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قص اعتقادهم فيك إذا عرفوك ثلب الناس فتكون قد بنت معاند الخالق بقينا بما عند الخلقين ولما وحصل لك من الخلقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يبنون عنك من الله شيئا . وأما التوبة لأجل الحسد فهو جمع بين عداوين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما نعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصرت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكابين قد قصدت محسودك فأصبحت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديقه وعدو نفسك إذ لا تصرفه فيبتك وتفرك وتفهمه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك ميثاقه ولا تتفكك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كقيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتباع لها لسان حشود

وأما الاستهزاء فمحسودك منه إغواء غيرك عند الناس بإغواء نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حديث إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شقى غيظه بجميع الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف وروياه في الأربعين البدائية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أسد .

كان في الصحراء يعد
عن العيون . روى
جابر رضى الله عنه « أن
النبي عليه السلام كان
إذا أراد البراء انطلق
حتى لا يراه أحد » وروى
العمري بن حبة رضى
الله عنه قال : « كنت
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فأتى
النبي عليه السلام
حاجته فأبعث الذهب »
وروى « أن النبي عليه
السلام كان يمسوا
لحاجته كما يتبوأ الرجل
للنزل ، وكان يستر
بالحائط أو تنز من
الأرض أو كوم من
الحجارة » ويجوز أن
يستتر الرجل براحلته
في الصحراء أو بذيئه إذا
حفظ التوب من الرعاس
ويستعجب البول في
أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت في حسرتك وجنائتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به ونسأت إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولوعرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند قرق قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسرقك تحت سيئاته كإساق الحمار إلى النار مستهزأ بك وفرحاً بخزيك ومسروراً بضرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إيمانه حسن ولكن حسدك إبليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسانتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم اللحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسانتك وكذلك النية لله تعالى لا يوجب النية وإنما الشيطان حبيب إليك النية ليحبط أجر غضبك وتسير معرّضاً لقتل الله عز وجل بالنية . وأما التعجب إذا أخرجك إلى النية فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك وبدن غيرك أو ديناه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله سرك كما هكتك بالتعجب سر أخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة قط والنهق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن النية لأعماله .

(بيان تحريم النية بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك وسوء الظن بأخيك ولست أعي به لإعقد القلب وسكبه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه ولكن انتهى عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويعمل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يطلعها إلا أعلام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سواء إلا إذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بينك ولم تسمه بأذنك ثم وقع في قلبك فأما الشيطان يلقى إليك فينبي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم غيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحدث إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر وبجها وما شربها أو حمل عليه قهراً فشكل ذلك لأعماله دلالة هتمة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء »^(١) فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بيئة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخفرك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليه أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيت منه يجهل الخير والشر . فان قلت فإذا عرف عقد الظن والشكوك تخلل والنفس تحدث . فقول : أمارة عقد سوء الظن أن تغير القلب مما كان فينفر عنه فتور ما يستقله ويتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاعتناء بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :
« كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يول فأني دمت في أصل جدار فبال ثم قال : إذا أراد أحدكم أن يول فليرد ليله » ويذني أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة في البنيان والأولى احتناؤه للدهاب بعض الفقهاء إلى كراهية ذلك في البنيان أيضاً ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهاب الريح احترازاً من الرشاش قال رجس لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه لأحسبك تحسب الحرارة فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن» خرج فخرج من سوء الظن أن لا يحققه (١) أي لا يحققه في نفسه بمقدور أفضل لافي القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فينتبه إلى النفرة والكرهه، وأما في الجوارح فالعمل بوجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى محبة مساء الناس ويقل إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وكذا لك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بنور الشيطان وظلمته ، وأما إذا أخبرك به عدل فالظن لك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبت لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسوء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحادة وتحت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل الولد للتهمة ورد شهادة العدو (٢) فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العادلة ولا محاسبة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وكمرنا بهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فإن للفتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتناء تساهلوا في أمر النية ولم يكثروا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوءه على مسلم فينبغي أن تزيد في مراقبته وتدعوله بالخير فإن ذلك يسيئ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخطأ السوء خيفة من اشتغاك بالبداء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فاصحه في السر ولا تجذعك الشيطان فبدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على قصصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وترفع عليه بأبداء الوعظ وليكن قصصك غليظة من الإنم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك وبنيت أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالصبغة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر التعم بصيئته وأجر الإحسان له على دينه ، ومن عثرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالنية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فينوصل إلى الإطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد كرنا في كتاب الأُمى بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

(بيان الأعداء للرخصة في النية)

اعلم أن للرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا بهد فبذلك أتم النية وهي ستة أمور : الأول التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والحياة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما ، أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إلا لا يمكنه استيفاء حقه إلا به صلى الله عليه وسلم «إن صاحب الحق مقال» (٣) وقال عليه السلام

- (١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن فخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف
(٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، ومنه فلا يجوز شهادة خائن ولا خاتنة ولا جلود حدا ولا ذئ غمر لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا اقرباء ولا بن داود وابن ماجه باسناد جيد من رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم رد شهادة الخائن والخاتنة وذئ القمر على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة .

بلى وأيسك إني بها لحاذق قال صفها لي فقال أريد البشر وأعد للدرو أستقبل الشيخ وأستدبر الريح وأقمي إقصاء الظبي وأجفل إجمال النعام يعني أستقبل أصول النبات من الشيخ وغيره وأستدبر الريح احترازا من الرعاش والإقصاء ههنا أن يستوفى على صدور قديمه والأجفال أن يرفع حمزه . ويقول عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبي من الرياء وحسن فرجي من الفواحش وبكره أن يبول الرجل إلى للفنسل . روى عبد الله ابن مفضل أن النبي عليه السلام : «نهى أن

«مطل الغنى ظلم» (١) «وقال عليه السلام» «لِيَ الْوَاجِدُ يَحِلُّ عَقُوبَتُهُ وَعَرَضُهُ» (٢) «الثاني الاستعانة على تغيير التكرار ورد العاصي إلى منبج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبي بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد طاف الحرة بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم حم تزييل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم يرد ذلك عمر ممن أبالنه غيبة إذ كان قصده أن ينسكرك عليه ذلك فينفعه نسكه ما لا ينفعه نصحه غيره وإعنا بإحاطة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للمنفق ظلمي أني أزوجني أو أخى فكيف طريقي في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظله أبوه أو أخوه أو زوجته ولو لكن التبيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت لنبى صلى الله عليه وسلم : «إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكنى أبنا وولدي أناخذ من غير علمه فقال : خذنى ما يكفيك وولدك بالمعروف» (٣) «فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء . الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت قريبا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تعدى إليه بدعته وفسقه ذلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سرية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الثرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الملقى وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو ببسب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوته ضرر للشرى وفي ذكره ضرر للعبد وللشرى أولى بمراعاة جانبه وكذلك الذكرى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم موطنا وكذلك للمستشار في التزويج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصيح للمستشير لائى قصد الوعيه فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه السكينة وإن علم أنه لا يزوج إلا بالتصريح ببيعه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس» (٤) «وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الإمام الجائر واللبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بقلب يرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا لثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان عن الأعمش وما يجرى مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكره صاحبه لو علمه بدأن قد صار مشهورا به ، ثم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولا عن اسم النفس . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالتفت وصاحب الساخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا لثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطل الغنى ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لِيَ الْوَاجِدُ يَحِلُّ عَرَضُهُ وعقوبته أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هذا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث أرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذر الناس الطبراني وابن حبان في الفضلاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت .

يؤول الرجل في مستحبه وقال : إن عامة الوسواس منه وقال ابن البارك : يوسع في البول في المستحبه إذا جرى فيه الساء وإذا كان في البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاه ويقول قبل الدخول : باسم الله أعوذ بالله من الخبث والحياث . حدثنا شيخنا شيعي الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا أبو منصور المقرئ قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو طي الاوثي قال أنا أبو داود قال حدثنا عمر وهو ابن مرزوق البصري قال حدثنا شعبه عن قتادة عن النضر ابن أنس عن زيد

« من أتى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له ^(١) » وقال عمر رضي الله عنه ليس الفاجر حرماً مؤثراً بده الجاهر بفسقه دون الستر إذ الستر لابد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت لأحد من الرجل الفاسق العلن فيجوره ذكرى له بما فيه غيبة له ؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق العلن بفسقه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به ويرى ما يتفخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهرون به ، وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتقم من الحجاج عن غيبته كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك إذا قتلت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصاب به الحجاج .
(بيان كفارة النية)

اعلم أن الواجب على الغائب أن يتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل للكتاب لبعده فيخرج من مظلمته وينبئ أن يستحل وهو حزين متأسف تادم على فعله إذ الرأي قد يستحل يظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادماً فيكون قد قارب مصيبة أخرى . وقال الحسن يكفيك الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبت أن تستغفر له ^(٢) » وقال مجاهد كفارة كلك لم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال أن تثنى إلى صاحبك تقول له كذبت فما قلت وظلمتك وأسأت فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأنصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في المرض حد القذف وتثبت للطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روى أنه ^(٣) قال « من كانت لأخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليست حللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إن عساير خدمين حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزبدت على سيئاته ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة الدليل قد اغتبتني فاستحلها فاذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائباً أو ميتاً فينبغي أن يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات . فإن قلت فالجليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل للتعذر أن يبلغ في الشاء عليه والتودد إليه ولا يلزم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطيب قلبه كان اعتداده وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة النية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحلل . قال سعيد بن المسيب لا يحلل من ظفني وقال ابن سيرين إن لم أحرماً عليه فأحلها له إن الله حرّم القسيه عليه وما كنت لأحل ما حرّم الله أبداً . فإن قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرّم الله تعالى غير ممكن . فنقول المراد به السقوط عن الظلمة لأن ينقلب الحرام حلالاً وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل النية فإنه لا يجوز له أن يحلل لها . والنية . فإن قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيسر أحدكم أن يكون كأبي مخضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد صدقت بعرضي على الناس ^(٥) »

(١) حديث من أتى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبت أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمم والحارث بن أبي أمامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظنة من عرض أو مال فليست حللها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيسر أحدكم أن يكون كأبي مخضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد صدقت بعرضي على الناس البزار وابن السني في اليوم والليقة والعيلي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الغلاء فليقل أعود بالله من الخبيث والخباثات » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكنف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة أي يحضرها الشياطين وفي الجاوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولج يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم فقد ورد أن رسول الله صلى الله

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته لما معنى الخش عليه
فقول معناه اني لا اطلب مظلة في القيامة منه ولا اخافه ولا افتصير القصة حالاً به ولا تسقط للمظلة
عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا خاصم فان رجح وخاصم كان القياس
كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حكمه من حد القاذف ومظلة
الأخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جثت الأم بين يدي الله عز وجل
يوم القيامة نودوا ليقيم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى
- خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین - قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ماهذا
العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ^(١) » .
وروي عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتابك فبث إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك
أهديت إلى من حسناتك فأردت أن أكفئك عليها فأعذرنى فاني لا أقدر أن أكفئك على التمام .
(الآفة السادسة عشرة النجعة)

قال الله تعالى - هاز مشاء بنميم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنيه قال عبد الله بن المبارك الزنيه ولد الزنا
الذي لا يكم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكم الحديث ومشي بالنجعة على أنه ولد زنا استباحا
من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنيه - والزنيه هو الدمى ، وقال تعالى - وبل لكل همز قلزة - قيل
الهمزة التمام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت حمالة للحديث وقال تعالى - غلاتها
فلم يخنيا عنها من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان وامرأة نوح تخبر أنه جنون وقد
قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام ^(٢) » وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو
النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبك إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطون
أكفأ الذين يألون ويؤلفون وإن أضعفكم إلى الله للشاؤون بالنجعة للفرقون بين الإخوان للتمسكون
للبراء المثرات ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنجعة
للفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب ^(٤) » وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من
أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ^(٥) » وقال أبو الدرداء قال
رسول الله ﷺ « أيسر رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برى ليشينه بها في الدنيا كان حقا على
الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ^(٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي صفهم في الصحابة قلت وإتساهم ورجل عن كان
قبلنا كما عند البراز والقبلي ^(١) حديث نزول - خذ العفو - الآية فقال يا جبريل ماهذا فقال إن الله
يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث
أبي هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطون أ كفا الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في
آداب الصعبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنجعة الحديث أحمد من حديث
أبي مالك الأشعري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله
بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في مكارم الأخلاق وقبعه عبد الله بن سيمون
فان يكن القداد فهو مترك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء أيسر رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برى
ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء ،

عليه وسلم قال « لا يخرج
الرجلان كاشفين
القائط كاشفين
عورتها يشدان
فان الله تعالى بعث
على ذلك » ويقول عند
خروجه غفرانك الحمد
له الذي أذهب عني
ما يؤذي وأبقى علي
ما ينفعني ولا يستصحب
معه شيئاً عليه اسم الله
من ذهب وخاتم وغيره
ولا يدخل حاسر الرأس
روت عائشة رضى الله
عنها عن أبيها أن بكر
رضي الله عنه أنه قال :
استحيوا من الله فاني
لأدخل الكنيف
فأزق ظهري وأعطى
رأسي استحياء من
ربي عز وجل .
[الباب الرابع
والثلاثون في آداب
الوضوء وأسراره]
إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار (١) » ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النجعة. وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق الجنة لها تسكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية هزم من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصرى على الزنا ولا قتات وهو الخسام ولا ديوث ولا شرطى ولا خنثى ولا قاطع رحم ولا أذى يقول على عهد الله إن لم أفضل كذا وكذا ثم لم يف به (٢) » وروى كعب الأجار أن نبى إسرائيل أصابهم تحط فاستقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنى لأستجيب لك ولن ملك وفيكم نمام قد أصبر على النجعة قال موسى يارب من هو دلى عليه حتى أخرجه من بيتنا يا موسى أنها كم عن النجعة وأكون نماما فتأبوا جميعا فسقوا. ويقال اتبع رجل حكما سبعة فرسخ في سبع كليات فلما قدم عليه قال: إنى جئت لك لذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أتل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن التيم وما أذل منه قال له الحكيم: البتة على البرء أتل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرس والحسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقى من الحجر والحمام إذا بان أمره أذل من التيم.

(بيان حد النجعة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم النجعة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى اللؤلؤ فيه كما تقول فلان كان يشكم فيك بكذا وكذا. وليست النجعة مختصة به بل حددها كصف ما يكره كصفه سواء كرهه للقول عنه أو للقول إليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالسكت أو بالزمر أو بالأجاء وسواء كان للقول من الأعمال أو من الأحوال وسواء كان ذلك عيا ونقصا في القول عنه أو لم يكن بل حقيقة النجعة إقضاء السر وهتك السر مما يكره كصفه بل كل مارة الإنسان من أحوال الناس بما يكره فينبغى أن يسكت عنه إلا ما في حكاية فائدة لمسلم أو دفع لمصلحة كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق للشهود له فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه فقد كره فهو نجعة وإنشاء السر فإن كان ما ينم به قصا وعيا في المحكى عنه كان قد جمع بين التبية والنجعة فالباعث على النجعة إما إزادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه النجعة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في عمالة عدوك أو تضييع حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور: الأول أن لا يصدق لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قوما يجهلون - الثاني أن ينهض عن ذلك وينصح له ويصح عليه فله قال الله تعالى - وأمر بالمعروف ونه عن المنكر - الثالث أن يعضد في الله تعالى فإنه يبيض عند الله تعالى ويجب بفض من يعضد الله تعالى. الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم الخامس أن لا يعملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقيق اتباعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نيته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به نماما ومفتا وقد تكون

ينتدى بالسوء.

حدثنا شيخنا

أبو النجيب قال أنا

أبو عبد الله الطائي

قال أنا الحافظ القراء

قال أنا عبد الواحد بن

أحمد الليثي قال أنا

أبو منصور محمد بن

أحمد قال أنا أبو جعفر

محمد بن أحمد بن عبد

الجبار قال ثنا حيد بن

زنجويه قال ثنا يلى

ابن عبيد قال ثنا محمد

بن إسحق عن محمد بن

إبراهيم بن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن عن

زيد بن خالد الجوهري

قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « لولا

أن أشقى على أمتي

لأخربت المشاء إلى ثلث

الليل وأمرتهم بالسوء

عند كل مكتوبة »

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١). حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢). حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تسكلمي

فَدُ اثْبِتَ مَا عَنَتْ نَهَيْتَ . وَقَدْ رَوَى عَنْ حَمْرٍاءَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَذَكَرَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ حَمْرٍاءُ إِنَّ شَيْئًا نَظَرْنَا فِي أَمْرِكَ فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ - وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ - هَازِمٌ شَاعِرٌ بِنَمِيمٍ - وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ فَقَالَ الْعَفْوُ يَا أُمَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَعُودَ إِلَيْهِ أَبَدًا . وَذَكَرَ أَنَّ حَكِيمًا مِنَ الْحُكَمَاءِ زَارَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ قَدْ أَبْطَأَتْ فِي الزَّيَارَةِ وَأَنْتَ بِثَلَاثِ جَنَابَاتٍ بَعْضُ أَخِي إِلَيَّ وَشَغَلَتْ قَلْبِي الْفَارِغُ وَانْهَمَتْ نَفْسُكَ الْأَمِينَةُ . وَرَوَى أَنَّ سَلِيحًا بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ جَالِسًا وَعِنْدَهُ الْهَرِيُّ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ سَلِيحٌ بَلَنِي أَنْتَ وَهَمْتُ فِي "وَقُلْتُ كَذَا وَكَذَا" فَقَالَ الرَّجُلُ مَا قُلْتُ وَلَا قُلْتَ فَقَالَ سَلِيحٌ إِنِّي الَّذِي أَخْبَرْتَنِي صَادِقٌ فَقَالَ لَهُ الْهَرِيُّ لَا يَكُونُ النَّجَامُ صَادِقًا فَقَالَ سَلِيحٌ صَدَقْتُ ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ أَهْذَبَ بِسَلَامٍ وَقَالَ الْحَسَنُ مِنْ "نَمْ" إِلَيْكَ "نَمْ" عَلَيْكَ وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ النَّجَامَ يَنْبَغِي أَنْ يَفْضَلَ وَلَا يَتَوَقَّعُ بَقُولُهُ وَلَا بِصِدْقَتِهِ وَكَيْفَ لَا يَفْضُلُ وَهُوَ لَا يَنْفَكُ عَنِ السَّكْدِ وَالْقِيَةِ وَالْبَدْرِ وَالْحَيَاةِ وَاللَّيْلِ وَالْحَسَدِ وَالْتِفَاقِ وَالْإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْحَدِيثِ وَهُوَ مِمَّنْ يَسْعَوْنَ فِي قَطْعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ وَيُسَدَّدُونَ فِي الْأَرْضِ وَقَالَ تَامِلِي - إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَخُونُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ - وَالنَّجَامُ مِنْهُمْ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ أَتَاهُ النَّاسُ لَشَرِّهِ" (١) "وَالنَّجَامُ مِنْهُمْ" وَقَالَ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قِيلَ وَمَا الْقَاطِعُ ؟ قَالَ قَاطِعُ بَيْنَ النَّاسِ (٢) «وَهُوَ النَّجَامُ وَقِيلَ قَاطِعُ الرَّحِمِ وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا نَحْنُ نَسْأَلُ عَمَّا قُلْتَ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا مَقْتَنَّاكَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبْنَاكَ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَبْلُغَ أَفْئِدَتَكَ فَقَالَ أَتَقُولُ يَا أُمَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَقِيلَ لِمَ جَدُّكَ كَتَبَ الْقُرْطُبِي أَمْرًا خَصَالُ الْمُؤْمِنِ أَوْضَعُ لَهُ ؟ فَقَالَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَإِفْشَاءُ السِّرِّ وَقَبُولُ قَوْلِ كُلِّ أَحَدٍ وَقَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ وَكَانَ أَمِيرًا بَلَنِي أَنَّ فَلَانًا أَعْلَمَ الْأُمَيْرَ أَمْرًا ذَكَرْتَهُ بِسُوءٍ قَالَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ قَالَ فَأَخْبَرْتَنِي بِمَا قَالَ لَكَ حَقٌّ أَظْهَرَ كَذِبَهُ عِنْدَكَ قَالَ مَا أَجِبُ أَنْ أَشْتُمَ نَفْسِي بِلِسَانِي وَحَسْبِي أَنِّي لَمْ أَصْدَقْهُ فَإِنِّي قَالُوكَ وَلَا أَقْطَعُ عَنْكَ الْوَصَالَ وَذَكَرْتُ السَّعَايَةَ عِنْدَ بَعْضِ الصَّالِحِينَ فَقَالَ مَا ظَنُّكُمْ بِقَوْمِ مُحَمَّدٍ الصَّدِيقِ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْهُمْ وَقَالَ مُصَافٍ بْنُ الْيَزِيدِ نَحْنُ نَرَى أَنَّ قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرٌّ مِنَ السَّعَايَةِ لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ وَالْقَبُولُ إِجَازَةٌ وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ شَيْءٌ فَأَخْبَرَهُ بِكَفِّهِ وَأَجَازَهُ فَأَتَوْهُ السَّاعِي فُلُوكَ كَانَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ لَكُنَّا لَكُمْ فِي صَدَقَةٍ حَيْثُ لَمْ يَحْفَظْ الْحَرَمُ وَلَمْ يَسْتَرْ الْعَوْرَةَ وَالسَّعَايَةُ هِيَ الثَّيْمَةُ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ إِلَى مَنْ يَخَافُ جَانِبَهُ سَمِيَتْ سَعَايَةً وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «السَّاعِي بِالنَّاسِ إِلَى النَّاسِ لِيُغَرِّبَهُمْ» (٣)

قَالَتْ سَمِعْتُ مِنْ دَخْلِي قَالَ الْجَبَّارُ وَعَزَى وَجَلَالِي لَا يَسْكُنُ فِيكَ ثَمَانِيَةٌ فَذَكَرَ مِنْهَا وَقَالَ تَمَّتْ وَهُوَ النَّجَامُ أَنْجَدَهُ هَكَذَا بِتَمَامِهِ وَلِأَحَدٍ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقِلًا وَلَا أَدَبِيًّا وَلَا دُبُورًا وَلِلنَّسَائِي مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْرٍاءَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَانَ وَلَا عَاقٍ وَلَا مَدْمَنٍ خَمْرٍ وَلَا شَرِبَ خَمْرٍ مِنْ حَدِيثٍ حَذِيفَةٍ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَقَاتٌ وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ جَبْرِ بْنِ مُطْعَمٍ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ وَذَكَرَ صَاحِبُ الْقُرْدُوسِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لَهَا تَسْكُمِي تَزِينُ قَزِينَتُ فَقَالَتْ طَوْبِي لِمَنْ دَخَلَنِي وَرَضِي عَنْهُ إِلَهِي فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا سَكَنَكَ مَحْنَتٌ وَلَا نَاعِمَةَ (١) حَدِيثٌ لَنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ أَتَاهُ النَّاسُ لَشَرِّهِ مُتَقَيِّعًا عَلَيْهِمْ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ نَهَوهُ (٢) حَدِيثٌ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ مُتَقَيِّعٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ جَبْرِ بْنِ مُطْعَمٍ (٣) حَدِيثٌ السَّاعِي بِالنَّاسِ إِلَى النَّاسِ لِيُغَرِّبَهُمْ رَشَدَةُ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى مِنْ سَعَى بِالنَّاسِ فَهُوَ لِيُغَرِّبَهُمْ رَشَدَةُ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا وَقَالَ لَهُ أَسَانِيدٌ هَذَا أَثْمَانُهَا قَالَتْ فِيهِ سَهْلٌ بْنُ عَطِيَّةٍ قَالَ فِيهِ ابْنُ طَاهِرٍ فِي التَّذَكُّرَةِ مُشْكِرُ الرِّوَايَةِ قَالَ وَالْحَدِيثُ لَا أَصْلَ لَهُ وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَبَانَ فِي الثَّقَاتِ سَهْلُ بْنُ عَطِيَّةٍ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِلَفْظٍ لَا يَسْمَعُ عَلَى النَّاسِ إِلَّا وَلَهُ بَنِي - وَإِلَّا مِنْ فِيهِ عَرَقٌ مِنْهُ وَزَادَ بَيْنَ سَهْلٍ وَبَيْنَ بَلَالٍ - ابْنُ بَرْدَةَ أَبَا الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ .

وروت عائشة رضي الله
تعالى عنها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال «السواك مطهرة
للهم مرضاة للرب»
وعن حذيفة قال «كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا قام من الليل
يشوص فاه بالسواك»
والشوصى : اللهالك
ويستحب السواك عند
كل صلاة وعند كل
وضوء وكلما تغير القم
من أزم وغيره وأصل
الأزم إمساك الأسنان
بعضها على بعض وقيل
للاسكوت أزم لأن
الأسنان تنطبق وبذلك
يتغير القم ويكره للصائم
بعد الزوال ويستحب
له قبل الزوال أو أكثر
استحبابه مع غسل
الجمجمة وعند القيام
من الليل ويندى

يعني ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في السلام وقال إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما عجب إن قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين إنه قد اكتشفك رجال ابتاعوا دنياك بدنياهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما تمنك الله عليه ولا تصح إليهم فيما استخفك الله إياه فانهم لن يألوا في الأمة خسفا وفي الأمانة تضيقا والأعراض قطعاً وانهاكا أعلى قربهم البغي والخيلة وأجلّ وسألهم القبية والوقية وأنت مسئول عما أجمعوا وليسوا المسؤولين عما أجمعت فلا تصلح دنياهم فساد آخرتك فإن أعظم الناس غيبا من باع آخرته بدنيا غيره ، وسعى رجل بزياد الأثر إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما التمنتك خاليا نحت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والاثم

وقال رجل لمعمر بن عبيد بن الأسودى ما زال يذكر في قصصه بشر فقال له عمرو يها ما رعبت حتى بحالة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولأدبت حتى حين أغضيت عن أخى ما أكره ولكن أعده أن ألوت يمنا ، والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة فيه فيها على مال يتم عمله على أخذه لكثرة وقوعه على ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجربتها مجرى النصح فسرانك فيها أفضل من الرغ ومعاذ الله أن قبل ميتوكا في مستور ولولا أنك في خفارة شيتك لقابلناك بما يقتضيه فضلك في مثلك فتوى ياملعون العيب فإن الله أعلم بالقيب ، الليت رحمه الله واليتم جبره الله والسال ثمره الله والساحى لئنه الله . وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلاف إن تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم والاثم واحفظ إخوانك وصل أقر ربك وآمنهم . من قبول قول ساع أو مباح باع يريد فسادك وروم خداعك وليكن إخوانك من إذا قرأهم وفارقوك لم تعبه ولم يسيوك . وقال بعضهم النخمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثنى الدل وقال بعضهم لو صبح ما نهه النمام إليك لكان هو المجترى بالشم عليك والنقول عنه أولى بحكك لأنه لم يقابلك بشتمك وعلى الجلة فسر النمام عظيم يبنى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للدشترى ما فيه عيب إلا النخمة قال قد رضيت فاشتراه فكش الغلام أيامهم قال زوجته مولاه إن سيدى لا يحبك وهو يريد أن يسرى عليك غذى الوسى واحلقى من شعر رقاه عند نوم شعرات حتى أسحره عليها فيجبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خيلا وتريد أن تنفك فتناوم لها حتى تمرر ذلك فتناوم لها فاجأت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها قتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القيتلين ، ففسأل الله حسن التوفيق :

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذي اللسانين الذى يتردد بين المتدابين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلنا يخاولونه من يشاهد متدابين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآفة السابعة عشرة : كلام ذي اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر . من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخارى في كتاب الأدب للترمذى وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء
ويستاك عرضا وطولا
فإن اقتصر فمرضا فإذا
فرغ من السواك فصله
وجلس لغوضه
والأولى أن يكون
مستقبل القبلة ويتدب
بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول سبأ عوذ بك
من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن
يحصروني ويقول عند
غسل اليد : اللهم إني
أسألك الجن والبركة
وأعوذ بك من الشؤم
والهلكة ويقول عند
الاضمضة : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأعني على تلاوة
كتابك وكثرة الذكر
لك ويقول عند
الاستنشاق : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأرشدني لأخيه

صلى الله عليه وسلم «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بغير الهوى»^(١) وفي لفظ آخر «الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» وقال أبو هريرة لا ينبغي لفتى الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم «أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون وللمتكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخواتهم في صدورهم فاذا لقواهم خلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء» وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا.^(٢) وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة؟ قال الذي يجري مع كل ريح وانفقوا على أن ملاقة الاثنين بوجهين ثقاتي وللتفاق علامات كثيرة وهذه من جملة ما وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر: يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يأمر للؤمنين إنه منهم فقال نصدتكم الله أنا منهم أم لا؟ قال اللهم لا ولا يؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن مناقا ولا ذا لسانين فإن الواحد قد يصادق متعادين ولكن صدقة ضعيفة لا تنتمي إلى حد الاخوة إذ لو تحققت الصدقة لاقتضت معاداة الأعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصجبة والاخوة، نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النجاسة إذ يصير غماضا بأن ينقل من أحد الجانبين قطعا فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من للمادة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه ، قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إن تدخل على أمرأتنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا نقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) وهذا نقا مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نقا لأنه الذي أحوج نفسه إلى ذلك فإن كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك السال والجاء فدخل لضرورة الجاء والثنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «حب المال والجاء يثبتان التفاق في القلب كما يثبت الماء البقل»^(٤) لأنه يروج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراأتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور فإن اتقاء الشر حاز قال أبو البرداء رضي الله عنه إنا لنكسر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخاري وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون وللمتكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخواتهم في صدورهم فاذا لقواهم خلقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرأتنا . فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من طريق (٤) حديث حب الجاه والسال يثبتان التفاق في القلب كما يثبت الماء البقل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الثناء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض
ويقول عند الاستقثار:
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ
بك من روائح النار
وسوء الدار ، ويقول
عند غسل الوجه: اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد ويصلي
وجهى يوم تبيض
وجوه أوليائك
ولا تسود وجهى يوم
تسود وجوه أعدائك،
وعند غسل العين:
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وآتي كتابي
يمينى وحاسبتى حسابا
يسيرا ، وعند غسل
الشال : اللهم إني أعوذ
بك أن تؤثني كتابي
بشائى أو مسن وراء
ظهري ، وعند مسح
الرأس : اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذنوا له فبئس رجل العشرة هو ثم لما دخل آلان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أئتته له القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم انتقاء شره ^(١) » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكثير والتبسم فأما التناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثلها كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز التناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

(الآفة الثامنة عشرة للمدح)

وهو منهي عنه في بعض الواضع ، أما التمدح فهو التنية والوقعة وقد ذكرنا حكمها . والمدح بدخله ست آفات أربع في السادح واثنان في للمدوح . فأما السادح : فالأولى أنه قد يفرط في تسمي به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على ردوس الأَشهاد بمثل الله يوم القيامة يتعثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا متعديا لجميع ما يقوله فيحير به مرأيا منا قفا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعنا ما أقولك ثم قال إن كان أحدكم لا بد ما دعا أخاه ليقبل أحب فلا يوافق إلا ما كان يري أنه كذلك ^(٢) » وهذه الآفة تطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متقى وورع وزاهد وخير وما يجري مجراها إذا قال رأيتني صلى بالليل ويتصدق ويحج فيه أمور مستحقة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يحزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . مع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أخالطته في البياضة والماملة قال لا ، قال فأنت جاره صباحا ومساء قال لا ، فقال والله الذي لا إله إلا هو لا أراكَ تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح للمدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعضب إذا مدح الفاسق ^(٣) » وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليعتم ولا يمدح ليفرح . وأما للمدوح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه : كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن النضر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمرو بن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خففه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها قال خشيت أن يغالط قلبك منها شيء فأجبت أن أطأ طمرك . الثاني هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتور ورضى عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذنوا له فبئس رجل العشرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذي يكرم انتقاء شره متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها .

(الآفة الثامنة عشرة للمدح)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بسجوه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ الصنف

(٣) حديث إن الله يعضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت والبهيق في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى اللؤلؤي وابن عدي بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في اللزآن منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشى رحمتك وأزل على من ركناك وأطلى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند مسح الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أصعب منادى الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فك رقبتي من النار وأعسود بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدم المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل

ومن أحبب نفسه قلّ تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو » أما أفلع وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فسكتا أمررت على حلقه موسى وميضاً (١) » وقال أيضاً لمن مدح رجلاً « عقرت الرجل عقرك الله (٢) » وقال مطرف ما سمعت قطنا ولا مدحة إلا تصاعرت إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا ترامى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلامها أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لومثى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه (٣) » وقال عمر رضى الله عنه المدح هو الذبح وذلك لأن الذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أو لأن للذبح يورث العجب والسكبر وهما مهلكان كالذبح فذلك شبه به فإن سلم للذبح من هذه الآفات في حق السادح والمدح يمكن أن يكون به بأس بل ربما كان مندوباً إليه ولذلك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح (٤) » وقال في عمر « لو لم أبست لبشت يا عمر (٥) » وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبراً وهجاً وفتوراً بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذا قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر (٦) » أى لست أقول هذا تفاخراً كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن للقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفترض قبوله بإياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تنهد على الجمع بين ذم المدح وبين الحديث عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت (٧) » لما أثنا على بعض اللوى وقال مجاهد إن لبنى آدم جلساء من لللائكة فإذا ذكر الرجل للعلم أخاه المسلم غير قالت لللائكة ولك بمثل وإذا ذكره بسوء قالت لللائكة يا ابن آدم للستور عورتك أربع على تفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح -

(بيان ما على المدوح)

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة التكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الحائمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه السادح ولو انكشف له جميع أسرارته وما يجرى على خواطره لكف السادح عن مدحه وعليه

(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فسكتا أمررت على حلقه موسى وميضاً ابن المبارك في نثر الهد والرفائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلاً لم أجده أصلاً (٣) حديث لو مثى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه لم أجده أيضاً (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح تقدم في المسلم (٥) حديث لو لم أبست لبشت يا عمر في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والعرف من حديث عقبة بن عامر لو كان يمدى بي لسكان عمر بن الخطاب يرواه الترمذى وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا غر ، والمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لما أثنا على بعض اللوى متفق عليه من حديث أنس .

فدى عن الصراط يوم
تزل فيه أقدام الناقين .

وإذا فرغ من الوضوء
يرفع رأسه إلى السماء

ويقول : أعهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك

له وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله سبحانه

عليهم وبعده لا إله
إلا أنت حملت سودا

وظلمت نفسي أستغفرك
وأتوب إليك فاغفر لي

وبعد على إنك أنت
التواب الرحيم اللهم

صل على محمد وعلى
آل محمد واجعلني من

التوابين واجعلني من
المطهرين واجعلني

صبوراً شكوراً واجعلني
أذكرك كثيراً وأبشرك

بكرة وأصيلاً .

وفرائض الوضوء :

النية عند غسل

الوجه . وغسل الوجه

أن يظهر كراهة للدخ بالذلل للمصح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوهكم للمدينين ^(١) » وقال سفيان بن عيينة لا يضرّ للدخ من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إلى مبتغاك وأنا أشهدك على مقته . وقال رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أهلكني وتهلك نفسك وأثنى رجل على علي رضي الله عنه في وجهه وكان قد بلنه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك .

(الآفة التاسعة عشرة)

الفظة عن دقائق الخطأ في غوى الكلام لاسيا بما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمر الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يصفو عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت ^(٢) » وذلك لأن في العطف للطلق أثر يكاد يسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلني لله عديلا بل ماشاء الله وحده ^(٣) . » وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصبم فقد غوى فقال قل : ومن يصبم الله ورسوله فقد غوى ^(٤) » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصبم لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم اعفنا من النار وكان يقول المتق يكون بعد الورود وكانوا يستجبرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصفيه شفاعته محمد ﷺ فقال حذيفة إن الله يفي المؤمنين عن شفاعته محمد وتكون شفاعته للمؤمنين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حماد يا خنيزر قيل له يوم القيامة حماد رأيتني خلقتك ، خنيزر رأيتني خلقتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم يشرك حتى يشرك بكابه فيقول لولاه لسرقنا الليلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت ^(٥) » قال عمر رضي الله عنه فو الله ما حلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتسموا العنب كرمًا إنما الكرم الرجل المسلم ^(٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقول أحدكم عيدي ولا أمي كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليقل غلامي وجاريي ونثاي وفتاي ولا يقول الملوكة ربّي ولا ربّي وليقل سيدي وسيدي فكلكم عبيد الله والزب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا في وجوه للمدينين التراب مسلم من حديث القداد .

(الآفة التاسعة عشرة في الفظة عن دقائق الخطأ)

- (٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلّمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال اجعلني لله عديلا وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصبم فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدي بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لاتسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وحد الوجه من مبتدأ
تسطيع الوجهه إلى
منتهى الدفن وما ظهر
من الحجة وما استرسل
منها ومن الأذن إلى
الأذن عرضا ويدخل في
الفعل البيضاء الذي
بين الأذنين والحجة
وموضع الصلح
وما أغمر عنه الشعر
وهما التزعان من الرأس
ويستحب غسلهما مع
الوجه ويوصل الماء
إلى شعر التحذيف وهو
القدر الذي زيله للنساء
من الوجه ويوصل
للساء إلى العنقصة
والشارب والحاجب
والمدار وما عدا ذلك
لا يجب ثم الحجة إن
كانت خفيفة يجب
إيصال الماء إلى البشرة
وحد الخفيف أن ترى
البشرة من تحت وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا للفاقد سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد استغنكم ربكم»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الإسلام سالما»^(٢) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يعلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما»^(٣) لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعايب وهي على طريق التكلم فإن سكنت سلم من الكل وإن تطلق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يواقع لسانه فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة وتقل من الكلام فساء يعلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لاتقدر على أن تكون ممن تكلم فتمت فكمن ممن سكنت فسلم فالسلامة إحدى التيمنين .

(الآفة الثمرون)

كانت كسفة فلا يجيب ويجهدي في تنقية مجتمعي السكل من مقدم العين . الواجب الثالث : غسل اليدين إلى الرقبتين ويجب إدخال الرقبتين في الغسل ويستحب غسلهما إلى أنصاف العضدين ، وإن طالت الأظفار حتى خرجت من رؤوس الأصابع يجب غسل ماؤها على الأصح .

الواجب الرابع : مسح الرأس ويكتفى ما يغطي عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلمس رأس أصابع اليمين باليسرى ويضمهما على مقدم الرأس ويمد يدهما إلى الخفاف ثم يرد يدهما إلى اللوضع الذي بدأ منه وينصف

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه عن الحروف وأنها قد عدا ومعدومة ومن حقهم الاشتغال بالعلم بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل على النفوس والنشوق خفيف على القلوب والعالي يفرح بالحوش في العلم إذا الشيطان يغيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يجيب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العالي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاعتغال بالعبادات والأعيان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به اللقت من الله عز وجل ويشترطون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه أعلى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثر سؤالهم واخلأفهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاتجنّبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»^(٤) وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبو بكر الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فغارأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحلك الله إنك ما علمت لوفقي»^(٥) وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للفاقد سيدنا الحديث أبو داود من حديث ريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل، الحديث النسائي وابن ماجه من حديث ريدة بإسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآفة الثمرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر ، وسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أبي فقال أبو بكر سالم مولى شيعة . (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبه .

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك ققولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تخموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما زلت آية للتلاعين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصص موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على اللعن من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تأخذني بما نسيت ولا تحزني من أمري عسرا - فلما لم يصبر حتى سألت ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لاهماله فكذلك تضييع العاى حدود القرآن واشغاله بحروفه أم قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لا يتكلم على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحد عن سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون ، الذى استدرج عباده من حيث لا يملكون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فبما ينضبون ، ثم حفهم بالمكاره والملمات وأملى لهم لينظر كيف يعملون ، وامتنح به حبه ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يملكون ، وحذرهم أن يأخذهم بغفوتهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسر تحت لوائه النبيان ، وعلى آله وأصحابه الأئمة للدينين ، والسادة للرضيين ، صلاة يوازي عددها عددا كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى بركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله اللويدة التى تطلع على الأئمة ، وإنها مستكنة فى طي الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدينين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للتأطرين بنور اليقين ، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان العين ، فمن استغفرت نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقتنى من نار وخلقته من طين - فان هأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاعتزاز ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مفضة إذا صلحت صلح معها عاى الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويعيطه عن القلب إن كان وينفيه ، ويصالحه إن رسخ فى قلبه وبدأويه ، فان

بل السكفين مستقبلا
ومستدبرا . والواجب
الخامس : غسل القدمين
وبجب إدخال السكبين
فى الفصل ويستحب
غسلهما إلى أنصاف
الساقين ويقنع غسل
القدمين من السكبين
ويجب تغليل الأصابع
لللثة فيخلل بخنصر
يده اليسرى من باطن
القدم ويبدأ بخنصر
رجله اليمنى ويختم
بخنصر اليسرى وإن
كان فى الرجل شقوق
يجب إرسال الماء إلى
باطنها وإن ترك فيها
ههنا أو شجما يجب
إزالة عين ذلك الشيء .
الواجب . السادس :
الترتيب على النسق
للكور فى كلام الله
تعالى . والواجب السابع :
التتابع فى القول القديم

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث
أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال الدواه الزار باسناد جيد

(كتاب الغضب والحقد والحسد)

من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فاقبة لا تكفيه . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر وقصيه . ونحن نذكر ذم النضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وبجمعها يان ذم النضب ثم بيان حقيقة النضب ثم بيان أن النضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب الهيجية للنضب ثم بيان علاج النضب بدهيجانه ثم بيان فضيلة كظم النبط ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتفتي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وتناجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني الم والأقارب وتأكده وقتلته في غيرهم وضغفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(يان ذم النضب)

قال الله تعالى - إذ جعل الدين كفروا في قلوبهم الحية حية الجاهلية فأقر الله سيئته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ذم الكفار بما ظاهروا به من الحية الصادرة عن النضب بالباطل ومبع المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السيئة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقلله لعل أعقله فقال لا تنضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك رجع إلى لا تنضب (٢) » وعن عبد الله بن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يتقذى من غضب الله قال لا تنضب (٣) » وقال أن مسعود قال النبي ﷺ « ما تصدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٥) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كلف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى وسعيدا وحسورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دني على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب (٧) » وقال يحيى لميسر عليهما السلام لا تنضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال : لا تقبل ما قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أخفى على جهنم (٩) » وقال له رجل « أي شيء أشد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلله الحديث نحوه أبو جيل بإسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدني من غضب الله قال لا تنضب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ما تصدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كلف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم النضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دني على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن (٨) حديث النضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم الزبارة وابن عدى من حديث ابن عباس للتار باب لا يدخله إلا من شفي غيظه بمصية

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحداً للتفرق الذي يقطع التابع نشاف الموضوع اعتدال الهواء .

[ومن الوضوء ثلاثة عشر]

التسمية في أول الطهارة . وغسل اليدين إلى الكوعين والمضمضة والاستنشاق وباللغة فيها فيغرغر في الضمضة حتى يرد الماء إلى الفاصمة ويستند في الاستنشاق إلى السوء بالنفس إلى الحياشيم ويرفق في ذلك إن كان صائماً وتخليل اللحية السكنة وتخليل الأصابع للفرجة والبسادة باليافين وإطالة الفرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال لما يمدنى عن غضب الله قال لا تغضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت وبوشك أن تثب وثية فتقع في النار وعن ذى القرنين أنه لقي ملكا من اللائكة فقال علمي علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالثؤدة وإياك والمجلة فانك إذا مجلت أخطأت حظك وكن سهلا لنا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومته أفراد الشيطان أن يضله فلم يستطع لحاقه حتى ناداه فقال له اتق فم يجبه فقال اتق فإني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه فقال إني أنا السبع قال الراهب وإن كنت السبع فما صنع بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بنير لم تقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجتيتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولي مدبر اقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بي آدم أعون لك عليهم قال الحدة إني الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما قلب السبيان السكره وقال خيشمة الشيطان يقول كيف يغلبي ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرحت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استخى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجمل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يسجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا غزامة قد ندها حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يملو وعمل بما يندم ونجعله بما في يديه ونعنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما أملك فلا لنفسه قال إذا لاندله الشهوة ولا يصصره الهوى ولا يغلبي الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر الصل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طعمه وما عليك مجله إذا لم يغضب وما عليك بأمانته إذا لم يطعم وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فأخرجه فاقبكه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال على بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغفرني الشيطان بعز السلطان فأنا لك منك اليوم ماتت له مني غدا وقال بعضهم لا يهني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى في التائير للسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدينا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان حلا وعلما فقد قبل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات السلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبي الغضب ولا تجمع به الحمية ولا قلبه شهوة ولا تضعفه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فيصير للظلم ورحم الضعيف ولا يخل ولا يندرو ولا يسرف ولا يقر بغيره إذا ظلم ويفعو عن الجاهل نفسه منه في عناه والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون الله وإسناده ضيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أى شيء أشد على قال غضب الله قال لما يمدنى من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشعر الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

والثالث ، وفي القول الجسدي التابع ويحتمل أن يزيد على الثلاث ولا ينفذ اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا ياطم وجهه بالماء لظما ومجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصل بالوضوء ما تيسر وإلا فأكروه .

[الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء]
آداب الصوفية بعد القيام بعمرة الأحكام أدبهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

معى فى درجتي ويكون بسدى خليفى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا وفى به فلا مات كان فى منزله بسده وهو ذوالكفل معى به لأنه تشكل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منه للكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرّضاً للفساد والوئان بأسباب فى داخله منه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحويه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم معاه فى كتابه . أما السبب الداخلى فهو أنه ركب من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها حتى تصير أجزأها بخاراً يتصاعد منها فلولم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبرها لتعمل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان غلظ الله الغذاء للوافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تجتبه على تناول الغذاء كالكلوبه به فى خير ما تكسر وسد ما لتلبيكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الإنسان فكالسيف والسنن وسائر للهلكات التى يقصد بها فانقرض إلى قوة وحية تنور من باطنه فتدفع للهلكات عنه غلظ الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الإنسان وهبتها ليطهت فيها صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشعلت نار الغضب وتآثرت ثوراتها بطن به دم القلب ويتكرر فى العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الساء الذى يطن فى القدر فذلك ينصب إلى الوجه فيحترق الوجه والعين والبشرة لصفاتها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وإما ينسب الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه رأس من الانتقام تولد منه اقتباس الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفى اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين اقتباس وانقباض وانقباض فيحمر ويسفر ويضطرب وبالجملة قوة الغضب عليها القلب ومعناها غلبان دم القلب بطلب الانتقام وإعانتها توجه هذه القوة عند ثوراتها إلى دفع اللؤايا قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول القطر من التفريط والافراط والاعتدال . أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذبذوم وهو الذى يقال فيه إنه لاجمية له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والجمية أصلاً فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وآله بالشدة والجمية فقال السأداء على الكفار رحماً بينهم - وقال لنبه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغْلظْ عَلَيْهِم - الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الجمية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعة ولا يلقى لمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة للضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب انسان هو بالقطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته فى القطرة صورة غضبان ويصير على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإنما برودة الزلاج لطفته وتكسر سورته . وأما الأصحاب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً يتبعون بتشفى القيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعاً وتورج لية فتقول الواحد منهم أنا الذى لأسير على السكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمراً ومعناه لا عقل فى ولا حلم ثم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضعيف الغضب جرة فى قلب ابن آدم ولأبى داود من حديث عطية السمدى أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار .

الوسوسة فى الصلاة
ومن آدابهم استدامة
الوضوء والوضوء سلاح
للمؤمن والجوارح إذا
كانت فى حماية الوضوء
الذى هو أثر شرعى يقل
طروق الشيطان عليها .
قال عدى بن حاتم
ما بقيت صلاة منذ
أسلمت إلا وأنا على
وضوء . وقال أنس
ابن مالك « قدم النبى
عليه الصلاة والسلام
للدنية وأنا يومئذ
ابن ثمان سنين فقال
لى : يا بنى إن استطعت
أن لا تزال على الطهارة
فاقل فإنه من آتاه
الموت وهو على الوضوء
أعطى الشهادة » فشان
العاقل أن يكون أبداً
مستعداً للموت ومن
الاستعداد لزوم الطهارة
وحكى عن الحصرى

في معرض الفجر يجهله فمن سمعه رشح في نفسه حسن الغضب وحسب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب
ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأسمته عن كل موعظة فاذأ وعظم لم يسمع
بل زاده ذلك غضبا وإذا استغناء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطق بنور العقل وينمحي في الحال
بدخان الغضب فإن معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غلبان دم القلب بدخان مظلم
إلى الدماغ يستولى على معدن الفكر وربما يمتد إلى معدن الحسن فتظم عينه حتى لا يرى بينه
وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود جوده وحسب مستقره
وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضئيف فاعمى أو انطفأ نوره فلا ثبت فيه قدم ولا يسمع
فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر إلى
أن يمتدق جميع ما قبل الاحتراق فكذلك يقبل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى
الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيشتق وتهدأ أعاليه على
أسفله وذلك لا يظال النار ما في جوانبه من القوة المسككة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الغضب
وبالحقيقة فالسفينة في ملطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة
من النفس للضطربة غيظا إذ في السفينة من يحتمل لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب
فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عمه الغضب وأصممه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير
اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأضال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى
يظهر الربد على الأشداد ونحمر الأحداق وتقلب الناخر وتستحيل الحلقة ولورأى الغضبان في حالة
غضبه قببح صورته لكن غضبه سياء من قببح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قببح
ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن وإنما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا فتغير
الظاهر ثمرة تغير الباطن قمى الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد - وأما أثره في اللسان فانهطلة بالشتم
والفحش من الكلام الذي يستجى منه ذوالعقل ويستجى منه قائله عند ثور الغضب وذلك مع
تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهميم والتمزيق والقتل والجرح عند
التفكير من غير مبالاة فإن هرب منه للفضوب عليه أوفاته بسبب وهجز عن التثني رجع الغضب
على صاحبه فزق ثوب نفسه ويطلم نفسه وقد يضرب يده على الأرض ويسعدو الواله السكران
والدهوش التحير وربما يسقط سريعا لا يطق المدو والهوش بسبب شدة الغضب ويحتربه مثل
النشبة وربما يضرب الجذات والحيوانات فيضرب القصة مثلا على الأرض وقد يكسر للسائدة إذا
غضب عليها ويتماطلى أفعال المجانين فيشتم البهجة والجنادات ويخطبها ويقول إلى متى منك هذا
يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفته دابة فيرفض الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في
القلب مع القضوب عليه فالخقد والحسد وإضمار سوء والشامة بالمسآة والحزن بالسرور والعزم
على إقضاء السروتهك السر والاسهزاء وغير ذلك من التبايع فبهذه ثمرة الغضب للفرط وأما
ثمرت الحمية الضعيفة فتلة الأثرة مما يؤفف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من
الأخساء وصفر النفس والقماء وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الثيرة على الحرم وهو خونة
قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لتيور وأنا أغبر من سعد وإن الله أغبر مني» (١) وإنما خلقت
الثيرة لحفظ الأنساب ولو تسمع الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الثيرة

أنه قال مهما أتت من
اللبل لا يخلنى النوم
إلا بسد مأقوم
وأجدد الوضوء لثلا
يسود إلى النوم
وأنا على غير طهارة
وسمعت من صاحب
الشيخ بن الهيثمي
أنه كان يقعد الليل
جميعه فإن غلبه النوم
يكون قاعدا كذلك
وكما أتت به يقول
لا أكون أسأت الأدب
فيقوم ويجدد الوضوء
ويصل ركعتين .
وروى أبو هريرة أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لبلال
عند صلاة الفجر «يا بلال
حسنتي بأرجى عمل
عملته في الإسلام فاني
سمعت دفت لعليك بين
يدي في الجنة» قال ما
عملت عملا في الإسلام

(١) حديث إن سعدا لتيور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث الثيرة
بنحوه وتقدم في التسليم

في رجاها وضعت الصيانة في نساها ومن ضعف الغضب الحور والسكوت عند مشاهدة للنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها ^(١) » يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما أرغفل دين الله - بل من قد الغضب عجز عن رياضة نفسه إذ لا تم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الحسية ففقد الغضب مذموم وإنما الممدود غيب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث يجب الحجة وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها ^(٢) » فمن مال غضبه إلى الفتن حتى أحس من نفسه بضعف الصيرة وخسة النفس في احتال الذل والضم في غير عمله فينبغي أن يبالغ نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام القواش فينبغي أن يبالغ نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولئن تستطيعوا أن تمدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل ليل فتزودوا كالمعلقة - فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور هو الغضب بالسكينة وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تصدوغلن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالحق وكلامه لا يقبل التخيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما ذكره وهو أنه ما بقى الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يغلو من الغيظ والغضب وما دام يوافق شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافق ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لأعالة وإذا قصد بتركه غضب لأعالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لمطشه فيهذه ضرورات لا يغلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاء والمالك الكثير والنفان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والميل بقاصد الأمور حتى صار الذهب والنضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستخيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاء والصيت والتصدر في المجالس والبياهات في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا حرم من التصدر في المجالس ومن لا يحب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف الثعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكراهه فأكثر غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن سعيد ضعيف وزاد الدين إذا غضبوا رجحوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد هدم.

أرجى عندي أي لم
أظهر طهرا في ساعة ليل
أونهار لإصليت لربي
عز وجل بذلك الطهور
ما كتب لي أن أصلي
ومن أدبهم في الطهارة
ترك الاسراف في الباء
والوقوف على حد العلم.
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المروسي قال أنا أبو نصر
الترقي قال أخبرنا
أبو محمد الجراسي قال
أنا أبو العباس اللجوي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
محمد بن بشار قال حدثنا
أبو داود قال حدثنا
خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد
عن الحسن بن يحيى
ابن شمسة السعدي عن
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أخطر رتبة وأخص لأن الحاجة صفة نفس فيها كثرت كثرت النفس والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب القم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعمادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يفضى لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجرى هذا من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن جبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيغضب على من يحرقه ويفرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق السكتسب الذي لا يمكن التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوها وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه معاني في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ^(١) » ومن كان بصيرا بآفاق الأمور وسلم له هذا الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلندكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكسيف الحلم والاحتياط لمدة حتى يصير الحلم والاحتياط خلقا راسخا فأما منع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سوره وتضعيفه حتى لا يشتد هيجهان الغيظ في الباطن وينتهي ضغفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا ينعمه من الغيظ استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجهان في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا ممر يمر عليها ويترود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبا عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يهجه لا يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قلع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بعوجبه وهو أهون . فان قلت : الضروري من القسم الأول التألم بغوات الاحتياج إليه دون الغضب فن له شاة مثلا وهي قوته فمات لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الإنسان يتألم بالقصد والحجامة ولا يغضب على القصد والحجامة فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يرام مسخرين في قبضة قدرته كالتلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الذبح واللوث من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويتدفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يخذل له إلا ما فيه الحيرة وربما تكون الحيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على القصد والحجامة لأنه يرى أن الحيرة في قول الله في هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف قلب في أحول عطفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر تصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معاني في بدنه عند قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن حصن دون قوله بحذافيرها قال الترمذي حسن غريب.

صلى الله عليه وسلم أنه قال « للوشوء شيطان يقال له الهمان فاتقوا وسأوس الساء » قال أبو عبد الله الروادباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يئلى أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فها أمروا به أو يقصوا عنه . وحكى عن ابن الكركني أنه أصابه جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقمة فحين غلبته فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحرت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع الرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أزعجا من بدني حتى نجف على فكسكت

فانه كان يغضب حتى تحمر وجهه (١) حتى قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأعسا مسلم سيئته أولمته أوضرت فاجعلها منى صلاة عليه و زكاة و قربة تقربه بها إليك يوم القيامة (٢) » وقال عبدالله بن عمرو بن العاص « يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالذي بعثني بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق » وأشار إلى لسانه (٣) فلم يقل إنى لا أغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أى لا أحمل بموجب الغضب « وغضبت عائشة رضى الله عنها مرة فقال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاننى عليه فأسلم فلا يأمرى إلا بالخير (٤) » ولم يقل لا شيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يعلمنى على الشر ، وقال على رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدين فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يتم غضبه شئ حتى ينتصره (٥) » فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو الثفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرر وقوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأغضب غضب الله فلا يمكن الاضكاك عنه . نعم فدينه أصل الغضب فيا هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لا اشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض اللحظات يمنع الاحساس بمعاذاه ، وهذا كما أن سلبان لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن قلت موازيني لم يضرنى ما تقول فقد كان همهم صرفوا إلى الآخرة فلم يثأر قلبه بالضم . وكذلك شتم الريح بن خيثم فقال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرنى ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولاً بالنظر في قصير نفسه عن أن يتق الله حق ثقته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يامرائى فقال ما عرفنى غيرك فكأنه كان مشغولاً بأن يبنى عن نفسه آفة الرياء ومنكراً على نفسه ما يليق الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل النبي فقال إن كنت صادقاً فضر الله لى وإن كنت كاذباً فضر الله لك فنهذه الأثواب دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يستغفوا به واستغفوا بما كان هو الأغاب على قلوبهم فإذا اشتغال القلب ببعض اللحظات لا يمد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض الهباب فإذا يتصور قد الغضب إمباشتهال القلب بهم أو قبلة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغضب فيبقى شدة حبه لله فيغظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجهه مسلم من حديث جابر كان إذا غضب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما تم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجهه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جهته بدل ضرت وفي رواية اللهم أنا محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وقد مسلم من حديث أنس إنما أنا بشر أرى كأي بشرى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد أوضرت به (٣) حديث عبدالله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لا يغضب للدين الحديث الترمذى في المعجم وقد تقدم.

عليه شهراً لمخاطبها
وغفلها أدب بذلك
نفسه لما حرت عن
الالتزام لأمر الله تعالى
وقيل إن سهل بن
عبسده الله كان بحث
أصحابه على كثرة شرب
الماء وقلة صبه على
الأرض وكان يرى أن
في الإكثار من شرب
الماء ضعف النفس
وإماتة الشهوات وكسر
القوة ومن أفعال
الصوفية الاحتياط في
استبقاء الماء للوضوء
فيل كان إبراهيم
الخوارج إذا دخل
البادية لا يحمل معه
الاركوكة من الماء وربما
كان لا يشرب منها
إلا القليل يحفظ الماء
للوضوء وقيل إنه كان
يخرج من مكة إلى
السكوة ولا يحتاج إلى

موجب الدنيا على القلب وذلك معرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب دمه الدنيا ومن أخرج حب الزايع من القلب تخلف من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعفه فيضف الغضب بسببه ويهون دفعه ، نسأل الله حسن التوفيق بطلقه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

(بيان الأسباب المبرجة للغضب)

قد عرفت أن علاج كل علة جسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب ، وقد قال يحيى لميسر عليها السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال لما يدي الغضب وما يثبت قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحق والاسباب المبرجة للغضب هي الزهو والمجب والمزاج والمزل والمزء والتعير والمماراة والمضادة والتندر وشدة الحرص على فضول اللال والمجاهد وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع وتمت العجب بعرفك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأفك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانقباب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل اشتبا فبنوا آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلو فتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما المزاج فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تملكك إلى سعادة الآخرة . وأما المزء فتزيله بالكبر من إيداء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهرك . وأما التعير فالخدر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على زبال العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترها عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة وتعمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها والترغب النفس عنها وتفر عن قبحها ثم للوافية على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير العادة مألوقة هيئة على النفس فإذا انمحت عن النفس قد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهية وتلقية بالانقلاب المحموده عباوة وجهلا حتى يعمل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض اللدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فنبج الغضب إلى القلب بسببه وتسحق هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان عقل وهو لضعف النفس وتقصانها وآية أنه لضعف النفس أن المرض أسرع غضبا من الصحيح وللرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل وذو الحلق السيء والرذائل السيئة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته القصة وليخله إذا فاتته الحبة حتى إنه يضرب أهله وولده وأصحابه بل القوي من علك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (١) بل ينبغي أن يصلح هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحس منهم من كظم التيط فان ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والملاود أكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأكرواد والأمراك والجليلة والأغنياء الذين لا يقول لهم ولا فضل فيهم .

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله

التيمم يحفظ الماء
لوضوءه ويقنع بالقليل
لشرب . وقيل إذا
رايت الصوفى ليس معه
ركوة أو كوز فاعلم أنه
قد عزم على ترك الصلاة
شاه أم أبى . وحكى عن
بعضهم أنه أدب نفسه
في الطهارة إلى حد أنه
أقام بين ظهراني جماعة
من التسالك وم
يجمعون في دار فآركه
أحد منهم أنه دخل
الحلاء لأنه كان يقضى
حاجته إذا خلا للوضع
في وقت يريد تأديب
نفسه ، وقيل مات
الخواص في جامع
الرى في وسط الماء
وذلك أنه كان به علة
البطن وكما قام دخل
الماء وغسل نفسه
فدخله مرة ومات فيه
كل ذلك لحفظه على

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه)

ما ذكرناه هو جسم لود الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه للمدوم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بجميعون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتياط في غيب في ثوابه تمنحه شدة الحرس على ثواب الكظم عن الشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب حمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أيها المؤمن - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان واقفاً عند كتاب الله مهماتى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخطى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى - والكاظمين الغيظ - فقال لعلامه خل عنه . الثاني أن يخوف نفسه بقاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمضيت غضي عليه لم آمن أن يعضي الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما يكون إلى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين أغضب فلا أمحتك فيمن أمحت . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاً إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك الاومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم للسكين واخشى للوث واذا ذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمم العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشيانة بمصابيه وهو لا يخاف عن المصاب فخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تشوش عليه في الدنيا فراغته لاهل والعمل وما يبينه على الآخرة فيسكون مثاباً عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للسكب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبيا والأولياء والعلماء والحكماء وغيرهم نفسه يبين أن يتشبه بالسكالب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعماء والأنبياء في عاداتهم لتبيل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وضعف النفس والقلة وللهانة ونصير حقيراً في أعين الناس فيقول لنفسه ما عجيبك تأفنين من الاحمال الآن ولأنا تأفنين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا يدك وانتقم منه وتحذرين من أن تنصري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تنصري عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه الله وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذلك من ظلمه يوم القيامة أعيد من ذلك لو انتقم الآن أفلا يجب أن يكون هو القائم إذا تودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان فينبغي أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تسجيته من جريان الشيء على وفق مراده لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراده الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فإن تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

الوضوء والطهارة وقبل
كان إبراهيم بن آدم به
قيام مقام في ليلة
واحدة نيفا وسبعين
مرة كل مرة يجدد
الوضوء ويصلي ركعتين
وقيل إن بعضهم أدب
نفسه حتى لا يفرج
منه الريح إلا في وقت
البراز يراعى الأدب
في الحركات واتخاذ
التدليل بعد الوضوء
كرهه قوم وقالوا إن
الوضوء يوزن وأجازه
بعضهم ودليلهم
ما أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
الهروي قال أنا أبو نصر
قال أنا أبو محمد قال
أنا أبو العباس قال
أنا أبو عيسى الترمذي
قال حدثنا سفيان بن
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند القبط (١)
 « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأُذنها وقال يا عيش قولى اللهم رب النبي
 محمد اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن » فيستحب أن تقول ذلك فان
 لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التى فيها خلقت
 لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب
 الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جرة توقد فى القلب » ثم اتوا
 إلى انتفاخ أو داجه وحرمة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فان كان قائماً فليجلس وإن كان
 جالساً فليتم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يفتسل فان النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال
 صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار » (٢) وفى رواية إن
 الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ
 وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت » وقال أبو هريرة
 « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب
 غضبه » (٣) وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جرة فى قلب
 ابن آدم » (٤) ألا ترون إلى حرمة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده
 بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل اللواضع وهو التراب لتستشعر
 به النفس اللد وتزایل به العزة والزهو الذى هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً فدمعا
 بعاء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد استعملت
 على الجفن قال لى أبى أو ليت نعم قال فاذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم
 عظم خاتمتها . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحراء فى خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

(١) حديث الأمر بالتموذ بالله من الشيطان الرجيم عند القبط متفق عليه من حديث سليمان بن صرد
 قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه
 الحديث وفيه لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث إن الغضب جرة توقد فى القلب الحديث
 وقال ياعيش قولى اللهم رب النبي محمد اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى الحديث ابن السنى فى اليوم
 واليلة من حديثها وتقدم فى الأذكار والدعوات (٣) حديث إن الغضب جرة توقد فى القلب الحديث
 الترمذى من حديث أبى سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهسنة اللفظ البيهقى فى الشعب
 (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السمدى دون
 قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التى ذكرها للصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا
 غضبت فاسكت أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى واللفظ لها والبيهقى فى شعب الإيمان وفيه لىث بن
 أبى سليم (٦) حديث أبى هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع
 فذهب غضبه ابن أبى الدنيا وفيه من لم يسم لأحمد بإسناد جيد فى أثناء حديث فيه وكان أبو ذر
 قائماً فجلس ثم اضطجع قبل له لم تجلس ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا
 إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع وللرفع عند أبى داود
 وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبى سعيد ألا إن الغضب جرة فى قلب ابن آدم
 الحديث الترمذى وقال حسن .

ابن وهب عن زيد
 ابن حباب عن أبى
 معاذ عن الزهرى
 عن عمرو بن عائشة
 رضى الله عنها قالت
 كان لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم خرقة يشف
 بها أعضاء جسده
 الوضوء . وروى معاذ
 ابن جبل قال رأيت
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إذا توضأ مسح
 وجهه بطرف ثوبه
 واستنصاه الصوفية فى
 تطهير البواطن من
 الصفات الرديئة
 والأخلاق الذمومة
 لا الاستنصاف فى طهارة
 الظاهر إلى حد يخرج
 عن حد العلم وتوضأ عمر
 رضى الله عنه من جرة
 نصرانية مع كون
 النصراني لا يمتزجون
 عن الحروا جرى الأمر

صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلغني أنك اليوم عيرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فلم عليه فقد ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحر فيها ولا أسود إلا أن فضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد وإن كنت قاعدا فاتسك. وإن كنت متكئا فاضطجع (١) وقال للمتعبين سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الأولى فاذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست ياله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بضعك بضا فسكن غضبه فأعطى الثانية فاذا فيها ارحم من في الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يسلمهم إلا ذلك أي لا تطل الحدود. وغضب للهدى في رجل قال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سيئه .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض للدخ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتد إلى ربه قبل الله عنه ومن خزن لسانه ستر الله عورته » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم عفا عند القدرة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملائكة قبله يوم القيامة رضا - وفي رواية ملائكة قبله أمنا وإيمانا » (٤) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى » (٥) وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن جهنم بابا لا يدخله إلا من غنى

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل يأبى الجراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في الفوائد الغضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمة أعجمية فغرت به بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر إنك امرؤ فبك جاهلية ولا وحدته صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحر ولا أسود إلا أن تغضبه بتقوى ورجاله هتات .

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الأعيان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولا ين إلى أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحكمكم عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرصلا باسناد جيد وللإزار والطبراني في معارج الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وفيه عمر أن القطن مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملائكة قبله يوم القيامة رضا وفي رواية أمنا وإيمانا ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمرو في سكن بن أبي سراج تسلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه .

على الظاهر وأسلم
الطهارة وقد كان
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يسلمون على الأرض من
غير سجادة وعشرون
حفاة في الطريق وقد
كانوا لا يعمدون وقت
النوم بينهم وبين التراب
حائلا وقد كانوا
يقنعون على الحجر
في الاستنجاء في بعض
الأوقات وكان أمرهم في
الطهارة الظاهرة على
التساهل واستصاؤهم
في الطهارة الباطنة
وهكذا شغل الصوفية
وقد يكون في بعض
الأشخاص قصد في
الطهارة ويكون مستند
ذلك رغبة النفس فلو
اتسع توبه تخرج ولا
يأله بما في باطنه من
الغل والحقد والكبر

غظله بمصيبة الله تعالى (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إسمانا (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينقذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويغيره من أي الحور شاء (٣) « الآثار : قال عمر رضي عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير مأزون . وقال لقمان لابنه : يا بني لاتذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تفمك معيشتك . وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا ، واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة البر بوعى والفضيل بن عياض فثنا كروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع . وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول -خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت ناراً فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الإيमान بالله إذا رضى لم يدخله رضاءه في الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وجاء رجل إلى سلمان قال يا عبد الله أوصني قال لا تغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فأمسك لسانك ويدك .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من حاج غيظه ومحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تمود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يسهج الغيظ وإن حاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطيب وهو دلالة كاله العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن اتداء التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم « إنما العالم بالعلم والحلم بالتحلم ومن يتغير الخبر يبطه ومن يتوق الشر يوقه (٤) « وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كآناً ككتساب العلم طريقه التحلم . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكنة والحلم لينوا لمن تعلمون ولن تعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيقلب جهنم حلسكم (٥) « وأشار بهذا إلى أن التكبر والتعجب هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين ، وكان من دعائه عليه السلام « اللهم أغني بالعلم وزي بالعلم وأكرمني بالقوى وجملي بالعافية (٦) « وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم من جمل عليك (٧) «

(فضيلة الحلم)

(٤) حديث إنما العالم بالعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٥) حديث أبي هريرة أطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكنة والحلم الحديث ابن السني في رياضة التملين بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم أغني بالعلم وزي بالعلم وأكرمني بالقوى وجملي بالعافية لأجله أصلا (٧) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي ؟ قال تصل من قطعك الحديث الحاكم والبيهقي وقد تقدم .

والعجب والرياء والنفاق ولعله ينصكر على الشخص لو داس الأرض خافيا مع وجود رخصة الشرع ولا ينكره عليه أن يتكلم بكلمة غيبة يخرّب بها دينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأديب بصحة الصادقين من العلماء الراشدين وكانوا يكرهون كثرة الدلائل في الاستبراء لأنه ربما يسترخى المشرق ولا يمسك البول ويثول منه القطر للفرط . ومن حكايات التصوفة في الوضوء والطهارات أن أبا عمرو وأبا جابي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا ينفوط في الحرم ويخرج إلى الحل وأقل ذلك فرسخ . وقيل كان بعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم «خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتطهر» (١) «وَلَمْ
 عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ الرَّجُلَ لِلْحَلَمِ دَرَجَةُ الصَّامِ الْقَائِمُ وَإِنَّمَا
 لَيْسَ كَتَبَ جَبْرًا عَنِيْدًا وَلَا عِلَّكَ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِهِ» (٢) «وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ «إِنْ رَجُلًا قَالَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِنَّ لِي قُرَابَةً
 أَسْلَمُهَا وَيَقْطَعُونِي وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَوْنِي إِلَى وَجْهِهِمْ عَلَى وَأَحْلَمُ عَنْهُمْ قَالَ إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُونَ فَكُنَّا
 تَسْمَعُ لِلَّهِ وَلَا يَرَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهْرٌ مَادَمْتُ عَلَى ذَلِكَ» (٣) «لِلَّهِ يَنْفِي بِهِ الرُّمْلُ وَقَالَ الرَّجُلُ مِنَ السَّلَامِيْنَ
 «اللَّهُمَّ لَيْسَ عِنْدِي صَدَقَةٌ أَتَصَدَّقُ بِهَا فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَصَابَ مِنْ عَرَضِي شَيْئًا فَهُوَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى
 إِلَى النَّبِيِّ ﷺ «إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ» (٤) «وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَيُّكُمْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ
 قَالُوا وَمَا أَبُو ضَمْضَمٍ قَالَ رَجُلٌ مِنْ كَانَ قَبْلَكَمْ كَمَا إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي تَصَدَّقْتُ الْيَوْمَ بِمَرْضَى عَلَى
 مِنْ ظَلْفِي» (٥) «وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - رِبَانِيْنَ - أَيُّ حُلَاءٍ عَفَاءٍ وَعَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
 الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا - قَالَ حُلَاءُ إِنْ جِئْتُمْ عَلَيْهِمْ لِيُجَاهِلُوا. وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبِيعٍ - يَعْشَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ
 هَوْنًا - أَيُّ حُلَاءٍ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَبِيبٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَكَهَلَا - قَالَ السَّكَنِيُّ مَتْنَهُ الْحَلَمُ. وَقَالَ جَاهِدٌ
 - وَإِذَا سَرَوْا بِالْقَوْمِ أَوْ كَرَامَاتُ إِذَا أَوْضَاعُوهَا. وَرَوَى «أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ مَرَّ بِقَوْمٍ مَرْضًا قَالُوا رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَمْسَى كَرِيمًا» (٦) «ثُمَّ تَلَّى إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ وَهُوَ الرَّؤْيِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى
 - وَإِذَا مَرُّوا بِالْقَوْمِ مَرُّوا كَرَامًا - وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللَّهُمَّ لَا يَدْرِكُنِي وَلَا أَدْرِكُ زَمَانًا
 لَا يَتَّبِعُونِي فِيهِ الْعِلْمُ وَلَا يَسْتَحْيُونِي فِيهِ مِنَ الْحَلَمِ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْمَجْمُوعِ وَالسُّنَّةُ الْعَرَبِ» (٧) «وَقَالَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لِيُنِيْ مِنْكُمْ ذُووُ الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ وَلَا تَخْتَلِفُوا
 فَيَتَخَلَّفَ قُلُوبُكُمْ وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَأِ» (٨) «وَرَوَى «أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَشْجُ فَاذْخَرَ
 رَاغِلَتَهُ ثُمَّ عَقَلَهَا وَطَرَحَ عَنْهُ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ وَأَخْرَجَ مِنْ الْعِيَةِ ثَوْبَيْنِ حَسَنَيْنِ فَلَبِسَهُمَا وَذَلِكَ بَيْنَ

(١) حَدِيثُ خَمْسٍ مِنْ سُنَنِ الرُّسُلَيْنِ الْحَيَاءِ وَالْحَلَمِ وَالْحِجَامَةِ وَالسَّوَاكِ وَالتَّطَهُّرِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ
 فِي الثَّانِي وَالْأَحَادِ وَالتِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي نَوَاهِدِ الْأَمْوَالِ مِنْ رِوَايَةِ مَالِيحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَطْمِيِّ عَنْ
 أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ أَرْبَعٍ فَأَسْقَطَ الْحَلَمَ وَالْحِجَامَةَ وَزَادَ التَّكَاثُفَ
 (٢) حَدِيثٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ لِلْحَلَمِ دَرَجَةُ الصَّامِ الْقَائِمِ الْحَدِيثُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِسَنَدٍ
 ضَعِيفٍ (٣) حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِنَّ لِي قُرَابَةً أَسْلَمْتُهَا وَيَقْطَعُونِي وَأَحْسَنَ
 إِلَيْهِمْ وَيَسْتَوْنِي إِلَى وَجْهِهِمْ عَلَى وَأَحْلَمُ عَنْهُمْ الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤) حَدِيثٌ قَالَ رَجُلٌ مِنَ السَّلَامِيْنَ
 اللَّهُمَّ لَيْسَ عِنْدِي صَدَقَةٌ أَتَصَدَّقُ بِهَا فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَصَابَ مِنْ عَرَضِي شَيْئًا فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ
 أَبُو تَعْمِيْرٍ فِي الصَّحَابَةِ وَالبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْمَحِيدِ بْنِ أَبِي عَيْسَى بْنِ جَبْرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ
 بِإِسْنَادٍ لِيْنَ زَادَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيَّةِ بْنِ زَيْدٍ وَعَلِيَّةُ هِيَ الَّتِي قَالَ ذَلِكَ كَمَا فِي أَثْنَاءِ الْحَدِيثِ وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ
 فِي الْإِسْتِيعَابِ أَنَّهُ رَوَاهُ ابْنُ عَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ
 السَّلَامِيْنَ وَلَمْ يَسْمَعْهُ وَقَالَ أَظُنُّهُ أَبَا ضَمْضَمٍ قُلْتُ وَلَيْسَ بِأَبِي ضَمْضَمٍ إِنَّمَا هُوَ عَلِيَّةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَبُو ضَمْضَمٍ
 لَيْسَ لَهُ حَبَّةٌ وَإِنَّمَا هُوَ مُتَقَدِّمٌ (٥) حَدِيثٌ أَيْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ الْحَدِيثُ قَدَّمَ فِي
 آفَاتِ الْإِسْنَانِ (٦) حَدِيثٌ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ مَرَّ بِقَوْمٍ مَرْضًا قَالُوا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ
 وَأَمْسَى كَرِيمًا ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الْبَرِّ وَالصَّلَةِ (٧) حَدِيثُ اللَّهِ لَا يَدْرِكُنِي وَلَا أَدْرِكُ زَمَانًا لَا يَتَّبِعُونِي فِيهِ
 الْعِلْمُ وَلَا يَسْتَحْيُونِي فِيهِ مِنَ الْحَلَمِ الْحَدِيثُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ (٨) حَدِيثٌ
 لِيُنِيْ مِنْكُمْ ذُووُ الْأَحْلَامِ وَانْتَهَى الْحَدِيثُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ دُونَ قَوْلِهِ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَتَخَلَّفَ
 قُلُوبُكُمْ فَهِيَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَحَسَنُهُ وَهِيَ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ آخِرِ ابْنِ مَسْعُودٍ .

قرح لم يسدمل اثني
 عشرة سنة لأن الماء
 كان يضره وكان مع
 ذلك لا يدع تجديد
 الوضوء عند كل
 فريضة وبعضهم يزل
 في عينه للسواك
 إليه اللدوي ويبلوا
 له ملا كثيرا لداويه
 فقال للداوي يحتاج
 إلى ترك الوضوء أياما
 ويكون مستلقيا على
 قناه فلم يفعل ذلك
 واختار ذهاب بصره
 على ترك الوضوء .
 [السبب السادس
 والثلاثون في فضيلة
 الصلاة وكبر شأنها]
 روى عن عبد الله بن
 عباس رضي الله عنهما
 أنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 «لما خلق الله تعالى
 جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما ينعى ثم أقبل يعنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أشجع خاتين مجهما الله ورسوله قال ماها بأني أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة فقال خلتان تخلتفا أو خلتان جبلت عليهما فقال بل خلتان جبلت الله عليهما فقال الحمد لله الذي جباى على خلتين مجهما الله ورسوله (١) وقال عليه السلام «إن الله يحب الحلم الحلي التقي للنفق بأب العيال التقي» ويغض الفاحش البذي السائل للخصم التقي (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تتدوا بشيء من عمله تقوى تهجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفية وخلق يبش به في الناس» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتلقاهم للامسكة فيقولون لهم إننا راكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا دخلنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العالمين (٤) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكين والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولده ولكن الخير أن يكثر عملك ويصظم حملك وأن لا تبايى الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزيّنوه بالوقار والحلم . وقال أكنم بن صبيح دامة العقل الحلم وجامع الأمر الصبر . وقال أبو البرداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرقتهم هذول وإن تركهم لم يتركوا قالوا كيف نصنع ؟ قال تقررهم عن عرضك ليوم تقرر . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عاوض الحلم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغاب حلمه جهله وعبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن أبي العاص أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا التقى بينك وبينه عداوة كأنه ولي - حليم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا ففقر الله لك وإن كنت صادقا ففقر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعروة بن أوس بن سعد قومك يا عروة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى في حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزني فهو أفضل منى ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عمره هل للرجل حاجة فتفضها فنكس الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمود : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يعيد من الله عز وجل وحمله على التمد والتوبة

(١) حديث يا أشجع إن فيك خصلتين مجهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحلم الحلي التقي للنفق بأب العيال التقي الحلي (٣) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تتدوا بشيء من عمله تقوى تهجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفية وخلق يبش به في الناس (٤) حديث إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتلقاهم للامسكة فيقولون لهم إننا راكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا دخلنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العالمين (٤) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكين والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولده ولكن الخير أن يكثر عملك ويصظم حملك وأن لا تبايى الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزيّنوه بالوقار والحلم . وقال أكنم بن صبيح دامة العقل الحلم وجامع الأمر الصبر . وقال أبو البرداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرقتهم هذول وإن تركهم لم يتركوا قالوا كيف نصنع ؟ قال تقررهم عن عرضك ليوم تقرر . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عاوض الحلم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغاب حلمه جهله وعبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن أبي العاص أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا التقى بينك وبينه عداوة كأنه ولي - حليم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا ففقر الله لك وإن كنت صادقا ففقر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعروة بن أوس بن سعد قومك يا عروة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى في حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزني فهو أفضل منى ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عمره هل للرجل حاجة فتفضها فنكس الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمود : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يعيد من الله عز وجل وحمله على التمد والتوبة

ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمي فقالت - قد أفلق المؤمنون الدين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن الحميد بالصلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل لدولك الشمس حين زالت وصلى في الظهر» واشتاق الصلاة قبل من الصل وهو النار والحشبة للعوجة إذا أرادوا ثوبها تعرض على النار ثم قوم وفي البعد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء وسبجات وجهه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها

و يرجع إلى مدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسرو وقال رجل الجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لي إن تركته له ذل فقال جعفر إنما الدليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه فقد جعل له حاجز من قلبه يرد عنه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم يرحم ومن يهمل يهمل ومن يهمل يهمل ومن يعجل يخطئ ومن يعرض على الشر لا يسلم ومن لا يدع الرأى يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله ينجى ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعين بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من نفسي إنني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسنة . وقال بعض العلماء العلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمي به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبئك سبا يدخل معك في قبرك فقال ملك يدخل لامي ومرت للشيخ ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرأ فقال لهم خيرا قليل له أنهم يقولون شرأ وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق عما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند النضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأغنياء إلا عند الحاجة إليه . ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاما غرقت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرقت السائدة وأقيبت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نعلم ففقط دجاجة على السائدة فأفسدت ماءها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صديق الحكيم العلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجسه فلم يغضب قليل له في ذلك قال أفنته مقام حجر ثم ثرت به فذبحت النضب وقال محمود الوراق :

سأزم نفسي الصنع عن كل مذهب وإن سكثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلى مقام
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لأنم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا فضلت إن الفضل بالعلم حاكم

(بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلة بتهمة فلا يجوز مقابلة القية بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المصاير وإنما القصص والقرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بتهمة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه » (١) وقال « للستبان ما قالوا فهو على البادي ما لم يستد الظالم » وقال « للستبان شيطانان يتأثران » (٢) « وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكتا لما شتمني فلما تسكمت قلت قال لأن اللئيم كان يجب عليك فلما تسكمت ذهب للئيم وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان » (٣)

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم
(٢) حديث للستبان شيطانان يتأثران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري للرسول أصح .

الصلى من وهج

السلوة الإلهية

والعظمة الربانية

ما يزول به أعوجاجه

بل يتحقق به مساجه

فالمصل كالمصل بالدار

ومن اصطفى بثار الصلاة

وزال بها أعوجاجه

لا يرضى على نار جهنم

إلا تحلة القسم . أخبرنا

الشيخ العالم رضى

الدين أحمد بن إسماعيل

القزويني إجازة قال أنا

أبو سعيد محمد بن أبي

العباس بن محمد بن أبي

العباس الخليلي قال أنا

أبو سعيد الفرخزادى

قال أنا أبو إسحق أحمد

ابن محمد قال أنا

أبو القاسم الحسن بن

محمد بن الحسن قال أنا

أبو زكريا يحيى بن محمد

المنبرى قال ثنا جعفر

ابن أحمد بن الحافظ

وقال قوم يجوز القابلة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بعثله
نهى تزبه والأفضل تركه ولكنه لا يصح به والذي يرخس فيه أن يقول من أنت وهل أنت إلامن
بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلامن بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلامن بنى
أمية ومثل قوله بأحق قال مطرف كل الناس أحق قبا بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حقا
من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله
يا جاهل إذا من أحد إلا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله ياسي الخلق يا صفيق الوجه
يا نكالا للأعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تسكمت وما أحقر لك في عيني بما
فعلت وأخزأك الله وانتقم منك . فأما النجاسة والنجاسة والكذب وسب الوالدين غرام لا اتفاق لما روى
أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد ما إن ما بيننا لم يبلغ
ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقول والدليل على جواز ما ليس
بكذب ولا حرام كالنسيئة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها « أن أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك بسألك العدل في
أبنة أبي حنيفة والنبي صلى الله عليه وسلم تأثم فقال يا بنة أحمين ما أحب قالت نعم قال فأجبي هذه فرجعت
إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغضبت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني
في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسميتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) » يعني أنك لا تخافون منها في الكلام فتعوقوها بسبها ليس المراد به الفحش
بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « للستبان ما قالوا لفضي
البادي » منها حتى يعتدي للظلم (٣) » فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يعتدي فهذا القدر هو الذي أباحه
هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبدل الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل
تركه فإنه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه أو السكوت عن أصل الجواب لئلا يفسر
من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه
في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الانتداء ولكن يحقد على الدوام والناس
في الغضب أربعة بعضهم كالخفاف سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالنضاب بطيء الوقود بطيء الخمود
وهذا هو بطيء الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم ينته إلى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود
بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فلهذا بتلك (٤) » وقال
الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال
أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى
فهم بطيء الغضب سريع النوى ومنهم سريع الغضب سريع النوى فذلك بتلك ومنهم سريع
الغضب بطيء النوى ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع النوى وشرهم السريع الغضب البطيء النوى (٥) »

قال أنا أحمد بن نسير
قال ثنا آدم بن أبي
إياس عن ابن صمان
عن السلاء بن
عبد الرحمن عن أبيه
عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال « يقول
الله عز وجل قسمت
الصلاة بيني وبين
عبدى نصفين فإذا قال
العبد بسم الله الرحمن
الرحيم قال الله عز وجل
عبدى عبدى فإذا
قال الحمد لله رب العالمين
قال الله تعالى حمدى
عبدى فإذا قال
تعالى أثنى على عبدى
فإذا قال مالك يوم
الدين قال فوض إلى
عبدى فإذا قال إياك
نعبد وإياك نستعين
قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حتى في ذات الله عز وجل تقدم في العلم
- (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني أزواجك بسألك العدل في أبنة أبي حنيفة الحديث رواه مسلم (٣) حديث للستبان ما قالوا لفضي البادي الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تقدم .
- (٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يتعدى الواجب ولأنه ربما يكون مغظيا عليه فيكون متشفيا لنيظه وصرحا نفسه من ألم الغضب فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويسزره فشتمه السكران فرجع عمر قذيل له يأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عزرت له لكان ذلك لغضبى لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبني لولا أنك أغضبتني لمأقتبك .

(القول في معنى الحقد وتأثيره وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا لم كظمه لمجزع عن التشنج في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استنقاله والبغضة له والنفاذ عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بمحقود » (١) فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر عناية أمور الأول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتقم بئعة إن أصابها ونسر عصيئة إن نزلت به وهذا من فعل اللئاعين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشتم بما أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارًا له . الخامس أن تسكلم فيه بما لا يجل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استنزاه به وسخرية منه . السابع إبداءه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترق من الآفات الخسائية للذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تنهى الله به ولكن تستقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النعمة له وأوبرك الداء له والثناء عليه أو التحريض على به ومواساته فهذا كله مما يقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يضررك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينق على مسطح وكان قريبه لسكونه تسكلم في واقعة الإفك زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم فحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغامًا للشيطان فلذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال للقرينين فلمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة وقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذلك ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيستطه ويرى عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

(فضيلة العفو)

(١) حديث المؤمن ليس بمحقود تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينق على مسطح زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

عدي فاذا قال - اهدنا
السرراط للستيم
صراط الدين أنمت
عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين -
قال الله تعالى هذا
لمبدي ولعبدى مسائل
فالصلاة صلة بين الرب
والعبد وما كان صلة
بينه وبين الله خلق
العبد أن يكون خاشعا
لصلاة الربوبية على
العبودية وقد ورد أن
الله تعالى إذا تجمل
لشيء خضع له ومن
يتحقق بالصلاة
تبع له طوابع التجلي
فيخشع والقلاح للذين
هم في صلاتهم خاشعون
وبانتفاء الخشوع ينتفي
القلاح وقال الله تعالى
- وأقم الصلاة لذكري -
وإذا كانت الصلاة
لذكر فكيف يقع

الفيظ فذلك أفرده الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وقال الله تعالى - وأن تنفوا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلالاً لحلفت عليهن ما نهى الله عنهن من صدقة تصدقوا ولا عفا رجل عن مظلة يبتغي بها وجه الله إلا أزاله الله بها عزاً يوم القيامة ولا تنفع رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رتبة فواضعوا برفقكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا بيزكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا برحمتكم الله ^(٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قط ما لم يتهكم من محارم الله فإذا اتهم من محارم الله شيء كان أعظم في ذلك غضباً وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن أحماً ^(٣) » وقال عقبه « لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فابتدرته فأخذت بيده أوبدني فأخذ يدي فقال : يا عقبية ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتمطي من حرملك وتمفو عمن ظلمك ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا ^(٥) » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يصفو إذا قدر فاعفوا بيزكم الله ^(٦) » وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن للظالمين هم للفالحون يوم القيامة ^(٧) » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بث الله الخلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بفضلكم عن بعض ^(٨) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها النسيان قال الله تعالى - لا تنموا بالصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلي وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والتأفلن يصلي لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غراب التفسير في قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى - قيل فليكن حرك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بفير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون عينا وشمالاً فلما زلت

(١) حديث ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت حلالاً لحلفت عليهن ما نهى الله عنهن من صدقة من مال الحديث الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ومسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد العبد إلا رتبة فواضعوا برفقكم الله الأصمغاني في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط الحديث الترمذي في الشائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبية بن عامر يا عقبية ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا الخبر الطائفي في معارج الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن أبي شيبة (٦) حديث إن للظالمين هم للفالحون يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب العفو من رواية أبي صالح الحنفي مرسل (٧) حديث أنس إذا بث الله عز وجل الخلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بفضلكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الترمذي في كتاب البصرة والتذكرة بلفظ يدي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم فقد رهبت لكم وقيت تبعات هواها وادخلوا الجنة برحمتي وإسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تارحكو الظالم ينسكم وتوابكم على وله من حديث أم هانئ يادي مناد يا أهل التوحيد ليحب بفضلكم عن بعض وطى الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى السكبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا تقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) قال غر جوا كأنما نتمروا من القيور فدخلوا في الاسلام . وعن سهيل بن عمرو قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب السكبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله تقول خيرا ولنظن خيرا أنعم كريم وابن عم رحيم وقد قدمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم - (٢) ومن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليتم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل ومن ذا الذي على الله أجر ؟ قال العاؤون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بصير حساب (٣) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بمجد إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ - وليفوا وليفحوا - الآية (٤) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أذى ديننا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو أحدها من يارسول الله قال أو أحدها من (٥) . الآثار : قال إبراهيم التيمي إن الرجل ليظلم فأرحمه وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بجره لمصية الله تعالى بالظلم وأنه يطلب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتعف عبدا قضى له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيصعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أتى الله ومظلمتك كماهى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصمتها . وقال يزيد بن مسيرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكا إلى يوم القيامة فيسبكا عفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعاك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقل أن لا يعمل . وعن ابن عمر عن أبى بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى بأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن المنذر رجلاين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما ففما عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فتابقه وقال :

تعفو للملوك عن المظلمين من الذنوب بمفضلها
وقتصد صاحب في اليسير وليس ذاك لجملها

(١) حدث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى السكبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون والحديث رواه ابن الجوزى في الوفا من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب السكبة والحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليتم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى أجره على الله قاله العاؤون عن الناس الحديث الطبري في مكارم الأخلاق وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بمجد إلا أقامه والله عفو يحب العفو الحديث أحمد والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبراني في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف .

- الذين هم في صلاحهم
خالسون - بموا
وجوههم - حيث
يسجدون وما روى بعد
ذلك أحد منهم ينظر
إلا إلى الأرض وروى
أبو هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« إن العبد إذا قام إلى
الصلاة فانه بين يدي
الرحمن فإذا تلفت قال
له الرب إلى من تلفت
إلى من هو خير لك منى
ابن آدم أقبل إلى فأنا
خير لك منى تلفت
إليه » وأبصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يمشى ببعيته في
الصلاة فقال لو خشع
قلب هذا خشعت
جوارحه » وقد قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا صليت

إلا لمصرف حلها وخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقامت يأمر المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسبهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خيلنا عنه . وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتفال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنكم فعليكم بالصفح والإفضال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أ رأيت ذا القرنين ؟ كان نبيا ؟ قال لا ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لقد . وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بمعنى الحق والفضيل . وأتى هشام رجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتكلم أيضا ؟ فقال الرجل يأمر المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفجادل الله تعالى ولا تتكلم بين يديك كلاما . قال هشام بل ويحك تكلم . وروى أن سارقا دخل خباء همار بن ياسر بصفتين فقيل له اقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدرهم وكانت في حمامته فوجدتها قد حلت فقال لقد جلست وإياها لم يفعلا ويدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افضل به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ما رأيت أزهده من رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنائير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدناير تبكي ؟ فقال لا ولكن مثلتي وإياها بين يدي الله عز وجل فأشرف عني على إحداض حجة فبكأت رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزلا الحكم ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فساكننا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فدكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من يبيعهم إياه وطردهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالتى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال أباه الأمير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأطى كفته وجعله على خزائن الأرض فسادا فصنع الله بهم ما أرادهم وجمع له أهله - قال لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - بعرض الحكم بالغفو عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول لا تشرب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبي هذا لو أريتمكم تحت وكتب ابن التلعق إلى صديق له يسأله الغفو عن بعض إخوانه فلان هارب من زلتة إلى غفوك لا لذ منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظم إلا ازداد الغفو فضلا . وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ماترى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما يحب من الظفر فأعط الله ما يحب من الغفو صفاء عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأقفلت منه فأخذ أخاه فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أ رأيت إن جئت بك كتاب من أمير المؤمنين بخل صليل قال نعم قال فأنا أتيتك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم يبنأ بما في صحب موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزروا زرة وزر آخرى - فقال زدنا دخلا سيده هذا رجل قد لقن حجة . وقيل مكتوب في الإنجيل من استعمر لمن ظلمه قدهزم الشيطان .

فضل صلاة مودع »
فالمصلى سائر إلى الله تعالى قلبه يودع هواه ودنياه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فكان للصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصار أعضاؤه كلها السنة يدعوها ظاهرها واطنا وبشارك الظاهر الباطن بالتضرع والقلب والهيئات في تعلقات متضرع سائل محتاج فإذا دعا بكيته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادع - وى استجب لكم - كان خاله الرضى يقول عجب لهذه الآية - ادعوى استجب لكم - أمرم باللهاء ووعدهم بالإجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والإجابة

(فضيلة الرقي)

اعلم أن الرقي محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرقي واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من التثبت فالرقي في الأمور موعظة لا شمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بتبسط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرقي وبأن فيه قال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرقي فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله ليمطى على الرقي ما لا يمطى على الحرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرقي وما من أهل بيت يحرمون الرقي إلا حرموا عبة الله تعالى»^(٣) وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رفيق يحب الرقي ويمطى عليه ما لا يمطى على العنف»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة ولهم على باب الرقي»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من يحرم الرقي يحرم الخير كله»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «أبناؤا والى فرقي ولان رفق الله تعالى بيوم القيامة»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل حين لين سهل قريب»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بين والخرق شؤم»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «الثاني من الله العجبة من الشيطان»^(١٠) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجل فقال يارسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك بغير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوسم مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأَمْضِهِ وإن كان سوى ذلك فاتته»^(١١)

(فضيلة الرقي)

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والبخاري في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر اللبكي وضعفه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرقي في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله ليمطى على الرقي ما لا يمطى على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بن سنان ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحب الرقي الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة ارفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة ولهم على باب الرقي أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة ارفقي (٦) حديث من يحرم الرقي يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير بن رددون قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أبنا والى فرقي حديث رفق الله بيوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولى من أمر أمي شيئا فرقي بهم فارقي به (٨) حديث تدرون على من تحرم النار على كل حين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وقد تقدم في آداب الصلوة (٩) حديث الرقي بين والخرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلامها ضعيف (١٠) حديث الثاني من الله العجبة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الآتية من الله وقد تقدم (١١) حديث أنه رجل فقال يارسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأَمْضِهِ الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر

هي قنود دعاء العبد
فإن الداعي الصادق
العالِم بمن يدعو بنور
يقينه فتخرق الحجب
وتشف الدعوة بين
بدي الله تعالى متقاربة
للحاجة وخص الله
تعالى هذه الأمة بازال
فاتحة الكتاب وفيها
تقديم الثناء على الدعاء
ليكون أسرع إلى
الاجابة وهي تعليم الله
تعالى عباده كيفية
الدعاء وفاتحة الكتاب

هي السبع الثاني
والقرآن العظيم قيل
سميت مثنى لأنها زلت
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
بكل مرة زلت منها فهم
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه بيننا وفحلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا زانه (١) » . الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عمله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالتيب والمأونة على الخير ، أيها الرعاة إن الرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهره يرزق العافية بمن هودونه . وقال وهب بن منبه الرقيق في الحلم ، وفي الخير موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للمؤمن والحلم وزير العقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده (٢) » . وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينه العلم وما أحسن العلم بزينه العمل وما أحسن العمل بزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله : ما الرقيق ؟ قال أن تكون ذا أناة فلا ين الولاء ، قال فما الخرق ؟ قال معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرقيق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في مواضعها واللين في موضعه والسيوف في موضعه والوسط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج النظة باللين والفظاظ بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلل مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالحمود وسط بين العنف واللين كافي سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة قائلين كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فذلك كثرت الشرائع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في عمله حسنا كما أن الرفق في عمله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فقد توافق الحق المأمور وهو اللين باليد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التفهم في الخير زيادة رشد وإن الرعيه من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل محطى أو كاد أن يكون محطئا وإن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك للمالي ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا ولى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي لاتخذ من الخدم إلا مالا بدنة قاله في كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه . وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كطاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الدور وإعمال الكامل من بين مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن فيه إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر .

الله صلى الله عليه وسلم بكل سرية يقرأها على التردد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا للصالحون المقتنون من أمته يتكشف لهم عجائب أسرارها وتكشف لهم كل مرة درجها رها وقبل حين مئالي لأنها استتبت من الرسل وهي سبع آيات وروى أم رومان قالت رأيت أبو بكر وأنا آتيل في الصلاة فزجرت فزجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليكن أطرافه لا يتميل بميل اليهود فإن سكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

هو للمسمى عبدالله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فخير عاقبته وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خليل للمؤمن والحلم وزير العقل دليله والعمل قائمه والرفق والده أبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاة في مستند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة كلاهما ضعيف.

(القول في ضم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ضم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع التسمية ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ضم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في التهي عن الحسد وأسبابه وعمراته « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تداربوا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيتيه من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان قد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال له إنى لأحيت أبى فأقسمت أن لأدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى الثلاث فقلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا قبل على فراشه ذكر الله تعالى ولم يتم حتى يقوم لصلاة التجر قال غير أنى سمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكردت أن أحترق حمله قلت يا عبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عمالك فلم أرك عمل عملا كثيرا لما الذى بلغ بك ذلك فقال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعائى قال ما هو إلا ما رأيت غير أنى لأجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله قتلته هى التى بلغت بك وهى التى لا تطيق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا طيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفى رواية « ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقتل من ينجو منهن » فأثبت فى هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب اليكم داء الأم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هى الحاقدة لا أقول حاقدة الشعر ولكن حاقدة الدين والذى نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما شئت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ضم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تداربوا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لا أجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواء أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وصلى الرجل فى رواية له سعدا وفيها ابن لجة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطعن والحسد الحديث وفى رواية وقتل من ينجو منهن ابن أبى الدنيا فى كتاب ضم الحسد من حديث أبى هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وموسى بن يعقوب الرضى ضعيفا الجمهور والرواية الثانية بقرائنها ابن أبى الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف ولا يطرق أن من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم فى آفات اللسان (٥) حديث دب اليكم داء الأم الحسد والبغضاء الحديث الترمذى من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تمودوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن وفائق القلب » . أما عيل اليهود قيل كان موسى يعامل بنى إسرائيل على ظاهر الأمور لقلته ما فى باطنهم فكان يهين الأمور ويصطنعها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحل التوراة بالذهب ، ووقعى والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد فى صلاته ومحال مناجاته فيعوج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان يحايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب عيل إذا هب عليه نجات

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنه يصيب أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأثر والبتر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البنى ثم المخرج » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الثباتة لأخيك فيما فيه الله وبيئتك » (٣) « وروى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش جلا فقبضه فكانه تعالى إن هذا لكريم ربه فقال ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدنك من عمله ثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعنى بالديار ولا يعنى بالجمعة وقال زكريا عليه السلام قاله الله تعالى : الحاسد عدو لضعف متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتلون » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن لنم الله أعداء قليل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله من هم قال الأمراء بالجرور والعرب بالصبيية واليهافين بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجباله والعلماء بالحسد » (٧) الآثار : قال بعض السلف أول خطبة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على ربه فأتى أن يسجد له فحمله الحسد على العصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الملقب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ - وإذا قلنا فاعلم أنكم تسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل من ثمرها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإياك والحسد فاعلم أن

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر أبو مسلم السكتي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس وبزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه يصيب أمتي داء الأمم قبلكم قالوا وما داء الأمم قال الأثر والبتر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بأسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثباتة بأخيك فيما فيه الله وبيئتك الترمذي من حديث وثائقه في الأسع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم للمال فيتحاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد بن جابر عن أبيه عن أبي هريرة ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولها من حديث عمرو بن عوف البصري والله ما أقرأ أشعري عليكم ولكني أشعري أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو وإذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدبرون الحديث ولحمود البراز من حديث عمر لا فتحت الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بن عبد الله بن عمرو بن لخم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل النعم حسادا فاحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله ومن هم قال الأمراء بالجرور الحديث وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الإلهية تهم بالاستلاء والقلب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى الميود ظاهره فلما يوا من غير حظ لبواطهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة ههكذا خرجت عظمت الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وفابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد به وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لا هيا واعلم أن الله تعالى

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وأتل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفسك وإذا ذكر القدر فأسكت وإذا ذكرت النجوم فأسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يضي بعض اللوك فيقوم بخذاء اللك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه فان للسوء سيكتيكه إساءته يحسده رجل على ذلك اللقام والكلام فسمى به إلى اللك فقال إن هذا الذي يقوم بخذاءك ويقول ما يقول زعم أن اللك أبخر فقال له اللك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فانه إذا نامك وضع يده على أنفه ثلاثين ربح البخر فقال له انصرف حتى أنظر غفرج من عند اللك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه نوم غفرج الرجل من عنده وقام بخذاء اللك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فان للسوء سيكتيكه إساءته فقال له اللك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يسم اللك منه رخصة الثوم فقال اللك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان اللك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فأخذه واسلخه واحش جلد به تبنيا وابت به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الرجل الذي سمي به فقال ما هذا الكتاب قال خط اللك لي بصله فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلك قال إن الكتاب ليس هو لي فأله الله في أمري حتى تراجع لللك فقال ليس لكتاب لللك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنيا وابت به ثم عاد الرجل إلى لللك كعادته وقال مثل قوله فغضب اللك وقال ما فعل الكتاب فقال لقني فلان فاستويه من فوجهته له قال له اللك إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه نوم فكرهت أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى للسوء إساءته . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدثت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنى يقوب نعم ولكن غمه في صدره فانه لا يضرك ما لم تمد به يدا ولا لسانا . وقال أبو البراء ما أكرهت ذكر لاوت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد فانه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إيمانها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يلقى . وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك تمة عليه . وقال الحسن يا ابن آدم لم تحمد أخاك فان كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحمد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحمد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المأس إلا أمدمة وذلا ولا ينال من اللاتكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند الزرع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الوقف إلا فضيحة ونكالا .

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراحبه)

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أتم الله على أخيك نعمة فلك فيها حالتان : إحداها أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحجبها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها وادومها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تخلص باسم المنافسة وقد تسمى للنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يبط

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

أوجب الصلوات الحس
وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلاة عماد الدين
فمن ترك الصلاة فقد
كفر » فالصلاة تحقيق
المودية وأداء حق
الربوبية وسائر
العبادات وسائل إلى
تحقيق سر الصلاة ،
قال سهل بن عبد الله
يحتاج العبد إلى السنن
الرواتب لتكامل
الفرائض ويحتاج إلى
النوافل لتكامل
السنن ويحتاج إلى
الآداب لتكامل
النوافل ومن الأدب
ترك الدنيا والذي ذكره
سهل هو معنى ما قال
عمر على المنبر إن
الرجل ليشبع عارضا
في الاسلام وما أكل
له صلاة قيل وكيف

والتناقض يحسد (١) « فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تسييس الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لروحها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آفة الفساد ولو أنت فساد لم ينمك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي قلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عنر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسككم حسنة تسؤم وإن تصكبكم سيئة يفرحوا بها - وهذا الفرع شامة والحسد والشجاعة يتلازمان وقال تعالى - وكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن حبه زوال لعملة الإيمان حسد وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواهم - كراهة تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوסף وأخوه أحب إلى أئتنا منا ونحن عصبه إن أبانا لى ضلال مبين - اتقوا يوسف وأطرحوه أرضاً يغفل لكم وجهه أيكم - فلما كرهوا حب أبيهم له وساءم ذلك وأحبوا زواله عنه فقيوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يفتيق صدورهم به ولا يفتنون فأنتي عليهم بدم الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات ينابيهن - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى - سوماً تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم ينابيهن - فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلقوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله الأمانسرتنا (٢) - فكانوا يصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أنزل الله نيا - أى حسداً - وقالت صفية بنت حيى للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبى وعمى من عندك يوماً فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة (٣) فهذا حكم الحسد في التحريم - وأما للنافقة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافقة والنافقة بدل الحسد

ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها وقد ورد في الأخبار « إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجه وجهه الكبرياء وقامت الملائكة من لدن منسكية إلى الجواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن الصلى ليشرق عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم الصل من يناجى ما لفتت » أو ما اقتل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات لله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله لا يرفسون من

(١) حديث للؤمن يبط والتناقض يحسد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإسما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن إسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيى للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبى وعمى من عندك يوماً فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن إسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً .

قال قثم بن العباس لما أراد هو والنضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لعلني حين قال لهما لاتذهبا إليهما فانه لا يؤمركما عليهما فقالا له ما هذا منك إلا غشاة والله لقد زوجك ابنته لما قسمنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة وللنافة في اللغة مشتقة من النفاة والذي يدل على إباحة للنافة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى ساقوا إلى مغفرة من ربكم - وإيمسا للساقة عند خوف الموت وهو كالبيدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ولا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس (٢) ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال « مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء » وهذا من حجب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حجب زوال النعمة عنه قال « ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفق في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أفقه في مثل ما أفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣) » فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تنبيه للمصلحة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاجر على من يشبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه للنافة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمصلحة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كاشتاق الأموال في السكارم والصدقات فالنافة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتقصد بها على وجه مباح فالنافة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والاحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة النعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره ونخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه وحجب مساواته ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في الباحات ، نعم ذلك يتقصد من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويجب عن اللقائات الرفعة ولكنه لا يوجب العصيان. وهما دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا محالة يحب زوال النقصان وإيمسا زول نقصانها بما ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عندهم دوامها إذ يزولها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقي الأمر إليه ورد

(١) حديث قال قثم بن العباس لما أراد هو والنضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لعلني الحديث هكذا وقع للمصنف أنه قسم والفضل وإيمسا هو الفضل والطلب ابن ربيعة كما رواه مسلم من حديث الطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد اللطاب فقالا والله لو بعثنا هذين الفلامين قال لي وللفضل بن عباس اثنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكلمهما فذكر الحديث (٢) حديث لاحمد إلا في اثنتين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم (٣) حديث أبي كبشة مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء

الركوع إلى يوم القيامة
وهكذا في السجود
والقيام والتمود والعبد
للتيقظ يتصف في
ركوعه بصفة الرَّاكِعِ
منهم وفي السجود
بصفة السَّاجِدِ وفي
كل هيئة هكذا يكون
كالواحد منهم وبينهم
وفي غير الفريضة
يلبني المصل أن يمكث
في ركوعه متلذذا
بالركوع غير مهم
بالرفع منه فان طرقة
سامة بحكم الجلبة
استغفر منها ويستديم
تلك الهيئة ويتطلع
أن بدوق الخشوع
اللائق بهذه الهيئة
ليصير قلبه بلون الهيئة
وربما يترامى على الرَّاكِعِ
الحق أنه إن سقى
هم في حال الركوع
أو السجود إلى

إلى اختياره لسعي في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيبقى عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بقوله وولاه النبي قوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن»: الحسد والظن والطيرة (١) ثم قال «وله منهن» مخرج إذا حسدت فلا تبغ. أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبسيد أن يكون الإنسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لاحتلالها ترجيحاً له على دوامها فهذا الحد من النافقة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحاط فيه فانه موضع الخطر وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد يتجر ذلك إلى الحسد المخطور إن لم يكن قوى الإيمان بزين التقوى ومهما كان يحركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للسموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بأدراك النعمة وذلك لارخصة في أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعني عنه في ذلك ما يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فلهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما أثره فأربع:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينقلب إليه وهذا غاية الحب. الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو أولاد نافذة أوسعاً نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لاتنعم غيره بها. الثالثة: أن لا يشتهي عنها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو العفو عنه إن كان في الدنيا والدنوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أشرف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسداً فيه تجوز وتوسع ولكن كونه مذموم لقوله تعالى - ولا تمنوا ما مضى الله به بشئكم على بعض سخطه مثل ذلك غير مذموم وأما ثمانية عن ذلك فهو مذموم.

(بيان أسباب الحسد والنافقة)

أما النافقة فحبها حب ما فيه النافقة فان كان ذلك أمراً دينياً فسيبه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيوياً فسيبه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم ومدخله كثيرة جدا ولكن يحصر جعلتها بسبعة أبواب: العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من قوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وجبت النفس وشغلها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد أن يكرهه وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الحسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتخاذه لمرته نفسه وهو المراد بالتعزز وإما أن يكون في طبعه أن يشكر على المحسود ويعتق ذلك عليه نعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوت مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشغها بالخير لعباد الله تعالى ولابد من شرح هذه الأسباب. السبب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي الحديث
حبها فيكون همه
الحسنة مستخرقا فيها
مشغولا بها عن غيرها
من الهيات فيذلك
يتوفر حظه من بركة
كل هيئة فان السرعة
التي يتقاضى بها الطبع
تسد باب الفتوح وتقف
في مهابب التفات
الإلمية حتى يكامل
حظ الصيد فتحمي
آثاره بحسن الاسترسال
ويستقر في مقعد
الوصول. وقيل في
الصلة أربع هيات
وسنة أذكار فالحيات
الأربع القيام والقعود
والركوع والسجود
والأذكار الستة الثلاثة
والتسبيح والحمد
والاستغفار والثناء
والصلاة على النبي عليه
الصلاة والسلام فسارت

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة.

(بيان أسباب الحسد والنافقة)

فان من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب به
ورسغ في نفسه الحقد والحقد يقضي التشنق والانتقام فان عجز للبغض عن أن يتغنى بنفسه أحب أن
يتشنى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها
وظنها مكافأة له من جهة الله على بضئه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضمراده وربما
يحظر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنتم عليه. وبالجملة فالحسد يلزم
البغض والعداوة ولا يفارقهما وإنما غاية التي أن لا يغني وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض إنساناً ثم
يستوى عنده مسرته ومساوته فهذا غير ممكن وهذا وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة
إذ قال الله تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الفيلقظل موتوا بنظكم إن
الله علم بذات الصدور - إن تمسككم حسنة تؤثم - الآية ، وكذلك قال تعالى - وودوا ما عنتم قد بدت
البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض ربما يقضي إلى التنازع والتقاتل
واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزير
وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالا خاف أن يتكبر
عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتال حلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل
غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلاً ولكن لا رضى بالترفع عليه. السبب الثالث: الكبر
وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستغفره ويستخدمه ويتوقع منه الاقياد له والتابعة في
أغراضه فإذا نال لمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويرفع عن متابته أو ربما يتشوف إلى مساواته
أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه ومن التكبر والتعزير كان حسداً أكثر
الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يقدم علينا غلاماً يتيم وكف نفاطىء رءوسنا فقالوا - لو لا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم - ^(١) أى كان لا يثقل علينا أن نتواضع له وتبعه إذا كان عظيماً وقال
تعالى بصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - لا كالتعظيم لهم والألقمة منهم. السبب الرابع:
التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا - ما آتاهم إلا بشر مثنا - وقالوا - أنؤمن لبشرين مثنا -
ولئن أعطهم بشر أمثلكم إنكم إذا خسرون - فتعجبوا من أن يفوز بربة الرسالة والوحي والقرب من
الله تعالى بشر مثلهم لحسودهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزأ أن يفضل عليهم من هو مثاهم في الخلفة
لا عن قصد تكبر وطلب رئاسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا - متعجبين -
أبث الله بشراً رسولا - وقالوا - لو لا أنزل علينا الكتاب - وقال تعالى - أو عجبت أن جاءكم ذكر
من ربكم على رجل منكم - الآية . السبب الخامس : الخوف من فوت للتقاصد وذلك يخص
بمترشحين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تسكون عوناً له في الأفراد
بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرائق في الزحام على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوان في الزحام على نيل
المرتبة في قلب الأيوين للتوصل به إلى مقاصد السكرامة والسلاو كذلك تحاسد التليذين لأستاذ واحد
على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المرتبة من قلبه للتوصل به إلى السال

(١١) حديث سبب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أُنزل على عجمو وأركونا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عبير الثقفي سيد تخيف فصح عظماء القريتين فأُنزل الله فيها بلفظ هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالوا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن عبد الثقفي وهو صديق .

عشرة كاملة تفرق
هذه العشرة على عشرة
صفوف من الالانكة
كل صف عشرة آلاف
فيجتمع في الركعتين
ما يفرق على مائة ألف
من الالانكة .

[السبب السابع
والثلاثون في وصف
صلاة أهل القرب]
ونذكر في هذا الفصل
كيفية الصلاة بها
وشروطها وآدابها
الظاهرة والباطنة على
الكامل بأسمى ما انتهى
إليه فهمنا وعلمنا على
الوجه مع الاعراض
عن نقل الأقوال في
كل شيء من ذلك إذ في
ذلك كثرة ويخرج
عن حد الاختصار
والإيجاز التصديق قول
وباقه التوفيق : ينبي
للمد أن يستعمل للصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول
عندهم وكذلك تحاسد المالمين المزاحمين على طائفة من للتفقه محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة
في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير
توصل به إلى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذ اغلب
عليه حب الأثناء واستغفزه القرح بما يمدح به من أنه واحد الشعر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير
له فانه لو جمع نظيره له في أقصى العالم لساو ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه
في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد به ويفرح
بسبب تفردة وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من فوات المقصود
سوى محض الرياسة بدعوى الاشتداد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه وللزلة في قلوب
الناس فتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم معها نسخ عنهم . السبب السابع :
حب النفس وشحها بالخير لمباد الله تعالى فانك تجد من لا يشغل رياسة وتكبر ولا طلب مال إذا
وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيها أنهم الله به عليه يبق ذلك عليه وإذا وصف له
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنفس عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره
ويبخل بعمة الله على عياده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يبخل بماله
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بغيره فهذا يبخل بعمة الله تعالى على عبياده الذين ليس بينه
وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا حب في النفس ورذالة في الطبع عليه وقت
الجليلة ومعالجته شديدة لأن الحمد الثابت بأسر الأسباب أسبابه عارضة تصور زوالها فيقطع في
إزالتها وهذا حب في الجليلة لاعت سبب عارض تقصر إزائته إذ يستحيل في العادة إزائته فهذه هي
أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد
بذلك ويقوى قوة لا تشد معها على الإخفاء والجمالة بل يهتك حجاب الجمالة وتظهر العداوة
بالسكافة وأكثر المحاسنات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب قلما يتجرد سبب واحد منها .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب)

وتأ كده وقتله في غيرهم وضغفه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها أو إنما يقوى بين قوم تجتمع
جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يجتمع عن قبول
التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم
روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحادثات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه
في غرض من الأغراض فخر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقه
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لقرضه ويكره تسكته من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف
جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسبة وكذلك
في محلتين ، ثم إذا تجاوزا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد وتواردوا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما
فيثور من التناقض التنافر والتباين ومنه تنور فيه أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد
البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة وحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

قبيل دخول وقتها
بالوضوء ولا يوقع
الوضوء في وقت الصلاة
فذلك من المحافظة
عليها ويحتاج في معرفة
الوقت إلى معرفة الزوال
وتفاوت الأقدام لطول
النهار وتقصره ويستبر
الزوال بأن الظل مادام
في الانقصاص فهو
النصف الأول من النهار
فاذا أخذ الظل في
الازدياد فهو النصف
الأخر وقد زالت الشمس
وإذا عرف الزوال وأن
الشمس على كم قدم
تزل يعرف أول الوقت
وآخره ووقت العصر
ويحتاج إلى معرفة
للتازل يعلم طلوع الفجر
ويعلم أوقات الليل
وشرح ذلك يطول
ويحتاج أن يفرد له باب
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد الزنا غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد الزنا الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزيون وإنما يتزاحم فيه بزنا آخر إذ حريف الزنا لا يطلبه الاسكاف بل الزنا ثم مزاحمة الزنا المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتريها ويفرد بهذه الحصلة ولا نزاحمه العالم على هذا الترض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزامهم بينهما على مقصود واحد خاص فأصل هذه المحاسنات المداوة وأصل المداوة التزامهم بينهما على غرض واحد والقرض الواحد لا يجمع متباعدن بل متناسبن فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد يمن يساهم في الحصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على التزامين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأتاليه وملكوته وهو أتواثره بضمه يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن المعرفة لا تضيق عن التارفين بل للمعوم الواحد بصله أنساب العالم وبفرح معرفته وبلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وبجرة الاستفادة والأفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم للزلة عند الله ولا تضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لذة لقائه وليس فيها محاملة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرهم ، نعم إذا قصد العلماء بالم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام وإذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف من تعظيم الآخر أوقف عن لهالة فيكون ذلك سببا للمحاسبة وإذا امتلأ قلب بالقرح معرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يهل في يد عالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه وللمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلوملك الانسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه أن عود نفسه القسرك في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسبأه صار ذلك الله عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا من اسما فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذة بل زادت لذته بؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة ويساكنها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفاته بآمن زوالها وهو أبدا يحيى نهارها فهو بروحه وقلبه مفتد بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطونها دانية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة الم محبوب في النقي فاذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسبة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسبة لأن الجنة لا مصايق فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الراتب في ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشمت بطنه وتفرق به لما يلي به من الخاطئة، الناس وقيامه بميام الماشي أوسو جرى بوضع الجلبة أو صرف هم إلى أكل أو نوم يعقضى الدابة فاذا قدم السنة يشد بطنه إلى الصلاة ويشتهي للساجدة وينهب بالسنة الراتب أثر النقلة والسكودرة من الباطن فينصلي الباطن ويصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطسرق النفحات ثم يجد الثوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر

صفات البعدين عن سمة عليين إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ماخص به من الاجتناء ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وبجرّد وعصى قد عرفت أنه لاحد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسة الأقطار وافية بجميع الأنهار فلم يكن فيها تراحم ولا تحاسد أصلاً فليكن إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشقة أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله ومحاسن ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه العرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقتر عنك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذا العنين لا يشاق إلى لذة الواقع والصبي لا يشاق إلى لذة اللذات فإن هذه لذات يخص بأدراكها الرجال دون الصبيان والخشنة فكذلك لذة العرفة يخص بأدراكها الرجال - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يسرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يشاق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن قبيح له شيطاناً فهو له قرين - .

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الأمراض الطغيعة للقلوب ولا تدوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقياً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينفع به فيما وهمها عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوك فأرقت الحسد لاهعالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه غنى حكمته فاستكرت ذلك وامتدشته وهذه جناية على حققة التوحيد وقضى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبه الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين والبلايا وزوال النعم وهذه خبايا في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتحبوا كما يحبوا الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كد وغم وإذا عدوك لا تخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل نعمة تصرف عنهم فتبقى مغموها محروماً من شعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبهه الأعداء ولا تشبهه أعدائك فقد كنت تريد الهنة لعدوك فتجوزت في الحال محتك وغمك هذا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة لما أعجب من العاقل كيف يترسّ لسخط الله تعالى من غير شعور بآله بل مع ضرر عتملة وألم يقاسيه فيهلك دينه وبداه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه حسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قد ربه الله سبحانه قلاخية في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكنا من الأنبياء من أمراء ظالة مستولية على الخلق فأوحى الله إليهم من قدامها حق تنقضي أيامها أي ما قدره الله تعالى في الأزل

والصغار مما أوما إلى
الشرع ونطبق به
الكتاب والسنة
والخاصة ذنوب حال
الشخص فكل عبد
على قدر مقامه حاله له
ذنوب تلام حاله وبصرها
صاحباً وقيل حسنات
الأبرار سيئات للقرين.
ثم لا يصلي إلا جماعة قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « فضل
صلاة الجماعة صلاة
الفرد بسبع وعشرين
درجة » ثم يستقبل
القبلة بظاهره والخضرة
الإلهية ياطنه وقرأ
- قل أعصوا رب
الناس - وقرأ في نفسه
آية التوجه وهذا
التوجه قبل الصلاة
والاستفتاح قبل الصلاة
لوجه الظاهر بانصرافه
إلى القبلة وتخصيص

لا سبيل إلى تفيره فاصبر حتى تنتفض للذة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولذلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بمحسدي ، وهذا غاية الجهل فانه بلاء قسنته أولا لنفسك فانك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة للايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو ردت عنكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد المحسود لا يكون ، نعم هو يضل بآراءه الضلال لغيره فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبه أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والتباوة فان كل واحد من حق الحساد أيضا يشتهي أن يخلص بهذه الحاسبة ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت ببهلك تكرهها . وأما أن المحسود ينقفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من حيثك لاسيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالنية والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فلهذا تهديا تهديا إليه أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . ثم كان لله عليه نعمة إذ وققت للحسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغهم وشقاوتهم وكونهم معذيين مغموين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمان أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لأهات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكعد

لأزلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بعمدك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده لما أنت فيها تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تطايت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع بعدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دأمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رأى كرههم من نعمة العلم والورع والجاه والمال ونعمة المحسود دأمة بعدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مما أحب ذلك غف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه . فتغوز بثواب الحب بنفسه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بملك . وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : للرمع من أحب » ^(١) وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها ؟

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون
جهة الصلاة ثم رفع
يديه حدو منكبيه
بحيث تكون كفاه
حدو منكبيه وإيهامه
عند هجمة أذنيه
ورؤس الأصابع مع
الأذين وضم الأصابع
وإن نشرها جازو الضم
أولى فانه قبل النشر
نشر الكف لا نشر
الأصابع ويكبر ولا
يدخل بين ياه أكبر
ورائه ألفا ويجزم أكبر
ويجعل للدي في الله ولا
يلغ في ضم الهاء من
الله ولا يتسدى
بالتكبير إلا إذا
استقرت اليدان حدو
للتكبير ويرسلهما مع
التكبير من غير نفث
فالوقار إذا سكن القلب
تشككت به الجوارح
وتأيدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا آتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت (١) قال أنس لما فرج للسود جسد إسلامهم كفرهم يومئذ إشارة إلى أن كبريتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يا رسول الله الرجل يحب الصليين ولا يصلي ومحب الصوام ولا يصوم حتى عد أضيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) وقال الرجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فان لم تستطع فلا تبغهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا خروجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس قوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى آتت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله تعالى ويتكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يعرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك فليتك إذ فانك الحاقق به ثم اغتممت بسببه سلفت من الآثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب والسكاف عنه (٣) أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع الداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها أثبتة فقد فقد فيك حسد إبليس وما فقد حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بمالك في بقطة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرى سحالي عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حديثه النبي فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرى أحد من الأولى فيرجع إلى صيته الأخرى فيصعبها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشبهه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمة العالمة بالموت إلا العيين ولو بقيتا لقاتتا بالموت لا محالة والحسد يهود بالآثم والأثم لا يوق بالموت ولله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلا تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لمحب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزله عنه ثم أزاله عن الحاسد إذا السلامة من الآثم نعمة والسلامة من التهم والسكند نعمة فذراتنا عنه تصديقاً لقوله تعالى ولا يحق للمكر السيء إلا بأهله - وربما يتلى بين ما يشتهي لعدوه وقفا شمت شامت بمساءة إلا ويتلى بمثلهما حتى قالت عائشة رضي الله عنها : ما عنت لثمان شيئا إلا نزل بي حتى لو عنت له القتل لقتلته ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجز إليه الحسد من الاختلاف وجعود الحق وإطلاق اللسان واليد بالقواش في التفتي من الأعداء وهو الماء الذي فيه هلك الأمم السالفة ، فهذه هي الأدوية العلية فيها تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطقت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرج عدوه ومسخط ربه ومنقص عيشه . وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه تحيظه فان يشه الحسد على القدر في محسوده كلف لسانه للدخول والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه أزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن يشه على كنف الإنعام

والأصوب وبجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يوجب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلي الصلاة بعينها . وحكي عن الجنيد أنه قال لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرية الأولى وإعسا كانت التكبيرية صفوة لأنها موضع التنية وأول الصلاة . قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول التنية بالله لله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد التنية من العدو ونصيب العدو وإن كثر لا يوازن بالية التي هي لله بالله وإن قل . وسئل أبو سعيد الحارث كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال هو أن تتبذل على الله تعالى

- (١) حديث سؤال الأعرابي من السامعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
- (٢) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله لا الرجل يحب الصليين ولا يصلي الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلطف آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال للرمع من أحب .
- (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه لم أجده له أصلا .

عليه أكرم نفسه الزيادة في الانعام عليه فها قد فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طلب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك للواقعة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والتناء وللح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب النعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويعمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطرب قلبه ويصير مائلكفه أولا طبعاً آخره ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثبتت عليه حملك المدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكائده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتعاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا إنها مرة على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والتناء بقوة الملم بالمدح التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون إلا ذل مطمع في أن يكون ما يريد وفوات الرادد ولخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس بالك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة يمكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السكبي فأما الدواء للفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبير وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يخفى وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا يتقعر للرض إلا بقمع السادة فان لم تقمع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تمكينه من قيام مواده فانه مادام محباً للعلاج فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والثرثرة في قلوب الناس دونه وفيه ذلك لاجتماع وإنما غايته أن يهون ألم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكن والله الوفي.

(بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم أن المؤذي عمقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تسكرها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تمدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يثبث على إظهار الحسد يقول أو قل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفمالك الاختيارية فأنت حشود طاص بحسدك وإن كفت ظاهرك بالسكينة إلا أنك ياطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حشود طاص لأن الحسد صفة القلب لصفة القلب قال الله تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكفرون أو ما وصفوا قال - إن تمسكتم حسنة تسؤم - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل عمل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وأثبتت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تغير الطبع ليستوى عند المؤذي والخس ومن يكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تتأخيه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه للملك العظيم . وقيل لبعض العارفين كيف تكبر التكبير الأولى فقال ينبغي إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله التعظيم مع الألف والمهيسة مع اللام والرقابة والقرب مع الحساء . وأعلم أن من الناس من إذا قال الله أكبر غاب في مطالعة العظمة والكبرياء وامتناساً بباطنه نورا وصار الكون بأسره في فضاء شرح صدره تكرر له بأرض فلا

ملفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى ، مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأنصافهم أفضال الله ويرام مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويسود العدو إلى منازعته أغنى الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكرهته وأثم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم ينظر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاثة لا يغلو منهن المؤمن وله منهن فخرجه من الحسد أن لا يفي » والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تنم عن البني والإيذاء فان جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفات القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذا كان كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يبعد أن يفي عن البدي إرادته إساءة مسلم واشتغاله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بقلبك وتقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا مضى عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثاني أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساوئهم إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المظهور قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يغلو عن أثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب ذم الدنيا)

(وهو الكتاب السادس من ربيع للهكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي عرف أوليائه فوائد الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدنا وآياتنا ووزنوا بحسناتنا سيئاتنا فلموا أنه يزيد منكرها على معرفتها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يعلم طلوها من كسوفها ولكنها في صورة أمر أعمجة تستميل الناس بحماتها وألها أسرار سوء قبايح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها وويلها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنها خاسرة بآثرة وآفاتنا على التوالي لصدور طلبها راسقة وعجاري أحوالها بدل طلبها ناطقة فكل مغرور بها إلى القتل مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الحرب من طالبها والطلب لها ربها ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها واته لا يغلو صفوها عن شوائب السكورات ولا ينفك سرورها عن النقصات سلامتها تعقب السمق وشبابها يسوق إلى الهرم ونعيمها لا يشمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كثرت لهم عن أنيابها وهوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون محبابها فأذاقتهم قوايل مامها

(كتاب ذم الدنيا)

ثم تاتي الحردة لما يغشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من السكون الذي صار عبثا الحردة فألقيت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالعة العظمة والغيبوبة في ذلك كون النية غير أنه غاية لطف الحال يخص الروح بطالمة العظمة والقلب يتميز بالنية فكون النية موجودة بالطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده اليمنى بيد اليسرى ويحملها بين السرة والصدر والعنق

ورثتهم بصواب سهامها بينا أصحابها منها في سرور وإنعام إذولت عنهم كآنها أصناف أحلام ثم عكرت عليهم بناهيا فطعنهم طعن الحصيدوارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه الشمس جلته حصيدا كان لم يغن بالأسى عن أصحابها سرورا وتدم غرورا حتى يأملون كثيرا ويننون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجميعهم بورا وسيرهم هباء مشورا ودعائهم ثورا هذه صفاتها وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهير أوى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أمايد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أماعداوتها لله فاتها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها وأماعداوتها لأوليائه الله عز وجل فاتها ترثت لهم زينتها وعصمت زهرتها ونشارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وأماعداوتها لأعداء الله فاتها استدرجتهم بجرها وكيدها فاقنصهم بشبكها حتى وتقواها وعولوا عليها فخذلتهم أوحج ما كانوا إليها فاجتثوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم في عرافها يتحسرون ومن مكابدها يستغيثون ولا يثاقون بل يقال لهم - اخشوا فيها ولا تسلكون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وماالحكمة في خلقها مع عداوتها ومامدخل غرورها وشروها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحققتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال للتلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وبسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو العين على مايرتضيه .

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يثبوا إلا لذلك فلاحاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هيئة على أهلها ؟ قالوا من هوأنها ألقوها قال والذي نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »^(٢) وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان شهنا »^(٣) وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا مايقى على مايقى »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة »^(٥)

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هيئة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث للستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان شهنا من حديث أبي هريرة (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد والبخاري والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقى في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا .

لكرامتها تجمل فوق

اليسرى وعد السبعة

والوسطى على الساعد

ويشيم بالثلاثة

البواق اليسرى من

الطرفين وقد فرأى

الؤمنين على رضى

الله عنه قوله تعالى

- فصل ربك وآخر-

قال إنه وضع اليمنى على

الشمال تحت الصدر

وذلك أن تحت الصدر

عرقا يقال له الناحر

أى ضع يدك على الناحر

وقال بعضهم وأخرأى

استقبل القبلة بنحرك

وفى ذلك سر خفي

يكشف به من وراء

أستار الثيب وذلك أن

الله تعالى بلطف

حكيمه خلق آدمى

وشرفه وكرمه وجعله

محل نظره ومورد حبه

ونجاة ما فى أرضه

وقال زيد بن أرقم: كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعدا بشراب فأبى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكنوا وما سكنت ثم عاد وبكى حتى غلظوا أنفهم لا يقدر على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما بك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يدفع عن نفسه شيئا ولم أرمعه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا، ثلث لي قلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلتت مني لم يفلت مني من بعدك ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا عجب لكل السجب للصديق بدار الخلود وهو يسعى لدار القرور ^(٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قل « هدا إلى الدنيا وأخذ خذرة قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد خُرت فقال هذه الدنيا ^(٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا وممدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والياب ^(٤) » وقال عيسى عليه السلام: لا تنخدوا الدنيار بافتتخكم عبيدا أكثروا كنزكم عند من لا ينجيه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الخواريين إنني قد كذبت لكم الدنيا على وجهها فلا تشموها بدى فان من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا عبروا الدنيا ولا تمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة ورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا: بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تباين عنكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعهم الدنيا فانهم إن يمرضوا لكم تركهم ودينهم وأما النساء فانهن « بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجي الموت يأخذ بنفقه . وقال موسى بن يسار قال النبي ^(٥) « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ^(٦) » وروى أن سليمان بن داود عليها السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وخماله قال فرعباد من بني إسرائيل قال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال: للتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو صدقت فأبقيت ^(٧) »

ومعاليه روحانيا
وجسائيا أرضيا وسماويا
منتصب القامة مرتفع
الهيئة فضفه الأعلى
من حد القواعد مستودع
أسرار السموات وصفه
الأسفل مستودع
أسرار الأرض فجعل
نفسه ومركزها النصف
الأسفل ومحل روحه
الروحاني والقلب
النصف الأعلى لجواذب
الروح مع جواذب
النفس يتطاردان
ويتعاربان وباعتبار
تطاردهما وتخالهما
تكون لمة الملك ولمة
الشیطان ووقت الصلاة
يكثر التطارد لوجود
التجاذب بين الإيمان
والطبع فيصعق كاشف
للصل الذي صار قلبه
صماويا مترددا بين
الفناء والبقاء لجواذب

(١) حديث زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر فعدا بشراب فأبى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يدفع عن نفسه شيئا الحديث البراز يستدخيم بنحوه والحاكم وصححه إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٢) حديث يا عجب لكل السجب للصديق بدار الخلود وهو يسعى لدار القرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مر سلا (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هلوا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون الأنصبي مر سلا وفيه بقية بن الوليد وقد عنعنه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بني إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مر سلا بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث لهاكم

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا قلب له ولها يسمى من لا يقين له ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأئزم الله قلبه أربع خصال: همالاً يقطع عنه أبداً وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً وقهراً لا يبلغ غناه أبداً وأملاً لا يبلغ منه أبداً ^(٢) » وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جيمها بما فيها قتلت بلى يارسول الله فأخذ يدي وأتى بي وادياً من أو دية للدينة فإذا مزلة فيها رءوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرس كركمك وتأمل كأمك ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صارة رماداً وهذه العذرات هي ألوان ألعنتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتعاصونها وهذه الخرق البالية كانت ريشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يستنجون عليها أطراف البلاد فمن كان ياكيا على الدنيا فليكن قال فما رحنا حتى اشتد بكأؤنا ^(٣) » وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن الخراب ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما هو نوكك على الأبرار الذين تصنت وتزينت لهم إني قذفت في قلوبهم بنضك والصدود عنك وما خلقت خلقاً أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدوى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشع عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن صغيرم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وقنوا إلى من قبورهم إلا التوريسى أمامهم ولللائكة حافون بهم حتى يأبئهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيباً فيقول اسكني يا الله إني لم أَرْضك لهم في الدنيا أَرْضك لهم اليوم ^(٤) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحرك معدته فخرج التفل ولم يكن ذلك مجموعاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فذلك نهيها عن أكلها قال جعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكاً بمخاطبة فقال له قل له أي شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أصنع ما في بطني من الأذى فقبل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى القرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى هنا مكاناً يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليحببن أنوام يوم

التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير ^(١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصراً على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد ^(٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأئزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وأئزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف ^(٣) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا جيمها بما فيها قلت بلى يارسول الله فأخذ يدي وأتى بي وادياً من أو دية للدينة فإذا مزلة فيها رءوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرس كركمك وتأمل كأمك ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صارة رماداً وهذه العذرات هي ألوان ألعنتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتعاصونها وهذه الخرق البالية كانت ريشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يستنجون عليها أطراف البلاد فمن كان ياكيا على الدنيا فليكن قال فما رحنا حتى اشتد بكأؤنا ^(٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيباً فيقول اسكني يا الله إني لم أَرْضك لهم في الدنيا أَرْضك لهم اليوم ^(٥) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحرك معدته فخرج التفل ولم يكن ذلك مجموعاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فذلك نهيها عن أكلها قال جعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكاً بمخاطبة فقال له قل له أي شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أصنع ما في بطني من الأذى فقبل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى القرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى هنا مكاناً يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليحببن أنوام يوم

النفس متصاعدة من
مركزها والحوارج
وتصرفها وحركتها
مع معاني الباطن
ارتباط وموازنة
فيوضع الجسم على الشمال
حصر النفس ومنع
من صعود جوارحها
وأثر ذلك يظهر بدفع
الوسوسة وزوال
حديث النفس في
الصلاة ثم إذا استولت
جوارح الروح
وتغلبت من الفرق
إلى القدم عند كمال
النس ونحقق قرة
الدين واستيلاء سلطان
المشاهدة تصير النفس
متهورة ذليلة ويستتير
مركزها بنور الروح
وتقطع حينئذ جوارح
النفس وعلى قدر
استئثار مركز النفس
يزول كل العبادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . قالوا يا رسول الله مصلين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه (١) وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه « للؤمن بين عثاقتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيموين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليرتد العبد من نفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لمرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للأخرة والذي قضى يده ما بعده الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٢) » وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخره في قلب مؤمن كما لا يستقيم للماء والنار في إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لروح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابن دخلت من أحدها وخرجت من الآخر وقبل لميسى عليه السلام لو أخذت بيتا يتركك قال يكفيني حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت - ماروت (٣) » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجهل بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمه فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلته ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمه أعطاه الله علما غير تعلم وهدى غير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالتعلم والتجبر ولا الثنى إلا بالتقوى واليخلو ولا الهبة إلا بالتابع المحوى إلا لمن أدرك ذلك الزمان منكم فصر على الفقر وهو يقدر على الثنى وصر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصر على القتل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صدقا (٤) » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه للطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقف عينه على خيمة من بعيد فأذاهاذا فيها امرأة خاد عنها فإذا هو بكهف في جبل فأثاء فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء ما يؤي ولم تجعل لي ما يؤي فأوحى الله تعالى إليه ما أوالك في مستقر رحمتي لأزوجك يوم القيامة مائة حوراء خاتمتها يدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولا من تناديا ينادى أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهدين الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وقره وأمنها وثيق بها وتخذله وويل للمفتقرين كيف أرثهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يودعون وويل لمن الدنيا همه والحطابا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « يا موسى مالك ولد دار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بقتلك فبست الدار هي إلا العامل يعمل فيها فعمت الدار هي يا موسى إلى مرصد للظالم حق أخذ منه للظالم (٥) » . وروى « أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاه عمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمون أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث ليحيى بن أوفام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٢) حديث للؤمن بين عثاقتين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع (٣) حديث احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الزهاوي مرسل وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قاله الذهبي لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكر لا أصل له (٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرعلا وفيه إبراهيم بن الأشعث تسلم فيه أبو حاتم.

ويستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جوازها بوضع العيون على الشمال فيسيل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على مسيلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم قرأ - وجهت وجهي - الآية وهذا التوجه إلقاء لوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قاله ثم يقول سبحانه اللهم وعهدك وتبارك اسمك وتعالى جسدك ولا إله غيرك اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانه وعهدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وأهدني لأحسن

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتمضوا له فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم محتم أن أبا عبيدة قدم شيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم ^(١) وقال أبو سعيد البدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض قتيلا ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا ^(٢) ». وقال ^(٣) « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا ^(٤) » قهسى عن ذكرها فضلا عن إصابة عينها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى في الأثنية والطرق فقال يامعشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله ودنا أن لو علمنا خرم فقال الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل قادم يجيئوك فلما كان الليل أشرف على نثر ثم نادى يا أهل القرية فأجابه عجيب ليكن يا روح الله فقال ما حالكم وما قستكم قال بتنا في عافية وأمسحنا في المساوية قال وكيف ذاك ؟ قال بجنا الدنيا وطاعتنا أهل للعاصى قال وكيف كان جبكم للدنيا ؟ قال حب الصبي لأنه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكىنا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيئوني قال لأنهم ملجمون بلعن من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنما معلق على شفير جهنم لأدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال السميع للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس للمسوح والنوم على الزبال كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتسبق فجاء أعرابي بناقة له فصبتها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه ^(٥) » وقال عيسى عليه السلام من الذى يبنى على موج البحر دار تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا بجنا الله عليه قال أفضوا الدنيا يهجمك الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله ^(٦) « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانتم عليكم الدنيا ولأترتم الآخرة ^(٧) » ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم فخرجتم إلى الصعدات تجأرون وبكبون على أنفسكم ولتركتكم أموالكم لا حارس لها ولا راع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن خيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتكم كالذين لا يعلمون فيضكم شر من البهائم التى لاتدع هواها مخافة مما فى عاقبتهم ما لكم لاتحايون ولا تتاصحون وأنتم إخوان على دين ما فرق بين أهواكم إلا خبت سرائركم ولوا اجتماعتم

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمون أنى عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبى سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البهقى في الشعب من طريق ابن أبى الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثى مرسل (٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتسبق الحديث وفيه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخارى (٥) حديث أبى الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانتم عليكم الدنيا ولأترتم الآخرة الطبرانى دون قوله ولهانتم الخ وزادوا خرجتم إلى الصعدات الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبى ذر وما تلذثتم بالنساء على الفرس وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى
لأحسنها إلا أنت
واصرف عني سيئها
فانه لا يصرف عني
سيئها إلا أنت لييك
وسمديك فالخير
كله بيدك تباركت
وتعالت استغفرك
وأثوب إليك ويطرق
رأسه في قيامه ويكون
نظره إلى موضع
السجود ويكمل القيام
بالتصاب القامة ونزع
يسر الانطواء عن
الركبتين والخواصر
ومعاطف البدن
ويقف كأنه ناظر
بجميع جسده إلى
الأرض فهذا من
خشوع سائر الأجزاء
ويتصوّن الجسد
بتكون القلب من
الخشوع وراوح بين
القدمين بمقدار أربع
أصابع فان ضم السكبين

على البر لتحياتهم مالم تتاصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه وبينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بغير الآخرة وشربها كما توقنون بالدنيا لأترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراك تدمون العاجلة من الدنيا للأجل منها تسكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمور لعلكم لا تندركونه فبئس القوم أنتم ما حقتكم إيمانكم بما يفر به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالتونا لبين لكم ولربكم من النور ما طمئنن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمقنوعة عقولكم فتعذركم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالم تتفردون باليسر من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسر منها يغوثكم حتى يقين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها للصواب وتقيمون فيها للآثم وعانتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ولا بتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم ببق بضعكم بضاً بالسرور وكلهم بكروه أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بثله فاصطجبت على القل ونبقت مراعيكم على الدمن وضاقتي على رفض للأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألغني عن أحب رؤيتهم ولو كان حيا لم يصارك فان كان فيكم خير فقد أممتكم وإن طلبوا ما عند الله يجدهو يسروا بالله استمعين على نفسي وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الخواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا اللوك كانه شغى اللوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ولتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (١) . وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تر كنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها وموسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يارب عبدك يبكي من عفاقت فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهراً أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان ففصاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فأتاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطابها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم ودية فأدوها إلى من اتتمهم عليها ثم راحوا خفافاً وقال أيضاً رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياه فآلقها في نحره وقال لقمان عليه السلام لا يته : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشرعها التوكل على الله عز وجل لعلك تجو وما أراك ناجيا ، وقال الفضيل طالبت فكرتي في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبغ في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وخذاء يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأقطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب للنية ويبعد الأمنية . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تمب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

هو الصغد للهي عنه
ولا يرفع إحدى
الرجلين فانه الصغن
للهي عنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن الصغن والصغد
وإذا كان الصغن منيا
عنه فلي زيادة الاعباد
على إحدى الرجلين
دون الأخرى معنى
من الصغن فالأولى
رعاية الاعتدال في
الاعباد على الرجلين
جميعا ، ويكره اشتغال
العباد وهو أن يخرج
يده من قبل صدره
ويحسب السدل وهو
أن يرضى أطراف
الثوب إلى الأرض فقيه
معنى الخلاء وقيل هو
الذي يلتف بالثوب
ويجعل يديه من داخل
فيركع ويبعد كذلك
وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث ثأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجده أصلا .

ومن محمد الدنيا لميش يسر^ه فسوف لعمري عن قليل يلوها
إذا أدبرت كانت على للرء حيرة وإن أقبلت كانت كثير احمومها

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فان عيشها نكد وصرفها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بليّة نازلة أو منية قاضية. وقال بعضهم: من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لشكها إما أن تزيد وإما أن تنقص وقال سفيان أماترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها. وقال أبو سليمان الداراني: من طلب الدنيا على المحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية. وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدارة قال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضر لك حب الدنيا وإن عاقاك هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يترحم بالدنيا ويطلب الخروج منها، وقال يحيى بن معاذ: الدنيا حانوت الشيطان فلا تشرق من حانوته شيئا فيجىء في طلبه فيأخذك، وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يغنى والآخر من خرف يبق لكأن ينبنى لنا أن نختار خرفا يبقى على ذهب يغنى فكيف وقد اخترنا خرفا يغنى على ذهب يبقى، وقال أبو حازم إذا كره الدنيا فانه بلغني أنه يقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والمارية مردودة، وفي ذلك قيل:

وما للكال والأهلون إلا ودائع ولا يد يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت استكواعن ذكرها فلا لأموقع من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لأبراهيم بن آدم كيف أنت قال:

ترفع بدنياك بتعزيق دينك فلا دينك يبقى ولا ما ترقع

فطوي لبد آثر الله ربه وجاد بدنياء لما يتسوقع

وقيل أيضا في ذلك:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنصا

حكيان بنى بنيانه فأقامه فلا استوى ما قد بناه تهديا

وقيل أيضا في ذلك:

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى اشتغال

وما دينك إلا لاشغل فيه أنظك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني: بيع دينك بأخرتك تبرعها جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا. وقال مطرف بن الشخير لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة عظمتهم وحوو منقلبهم. وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع. وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاينة الكلاب، وفي ذلك قيل:

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تسلم

إن التي تخطب غدارة قرية العرس من اللأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يصح إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها، وفي ذلك قيل:

إذا امتنع الدنيا لبيب فكشف له عن عدو في ثياب صدق

يديه داخل القميص
ويجنب الكف وهو
أن يرفع ثيابه يديه
عند السجود ويكره
الاختصار وهو أن
يجعل يده على الخاصرة
ويكره الصلب وهو
وضع اليدين جميعا على
الحصرين وتجاوى
العصدين فإذا وقف على
الصلاة على الهيئة التي
ذكرناها تجتنبا للسكره
فقد تم القيام وكله
فيقرأ آية التوجه
والدهاء كما ذكرنا ثم
يقول أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ويقولها
في كل ركعة أمام
القراءة ويقرأ الفاتحة
ومابدها محصور قلب
وجمعهم ومواطأة بين
القلب واللسان يحفظ
وافر من الوصلة والبدن
والهنية والخشوع

وقيل أيضا : يراقد الليل مسرورا بأوله
أفنى القرون التي كانت منعمة
كم قد أبدت صروف الدهر من ملك
قد كان في الدهر شاعا وضراوا
يا من يساق دنيا لبقاء لها
يسى ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معاة
حتى تعاق في الفردوس أكلارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها
فيبغى لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضى الله عنه لما ثبت محمد صلى الله عليه وسلم أتى إبليس جنوده فقال اقدبت
ني وأخرجت أمة قال حيون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لئن كانوا يحون الدنيا ما بالي أن لا يبيدوا الأوثان
وإنما أغدو عليهم وأروح ثلاث أخذ الليل من غير حقه وإشفاقه في غير حقه وإمساكه عن
حقه والشر كله من هذا نوع . وقال رجل للملئ كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال :
وما أصف لك من دار من صرح فيها سقم ومن آمن فيها ندم ومن ائقتر فيها حزن ومن استغنى فيها افتقن
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشاهها الضباب . وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم
أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب . وقال مالك بن دينار اتها السعارة فانها تسحر
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها فإذا
كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كرمة والدنيا لثعة ، وهذا تشديد عظيم ورجو
أن يكون ما ذكره سيابن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان
الآخر تبعه له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس عما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا
والآخرة ضربان فبقدر ما ترى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت
إلى ذا أو ذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
أبعسن له أن يعيش فيه ؟ يعني يتم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم
ذلك يوم فقره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت لي حلالا لأحاسب عليها في الآخرة لسلكت
أقصدراها كما يتقدر أحكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه مخطومة بجمل فلم يسأله ثم أتى منزله فلم يره إلا سيفه ووتره
ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين إن هذا يلحقنا القليل وقال سليمان
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عديت بنو إسرائيل الأصنام بعد
عبادتهم الرحمن بهم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة إلا كياس وغفلة الجبال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فأسألوا الرجفة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدرت الدنيا
من يوم زلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود
إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك للغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر
وقال عمرو بن العاص على المنبر : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم والله ما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذى عليه أ كثر من الذي له (١)

والخشية والتعظيم
والوقار والشاهدة
والنفاة وإن قرأين
الدنيا وما يقرأ بعدها
إذا كان إماما في
السكينة الثانية : اللهم
باعد بيني وبين خطايي
كما أبغيت بين الشرق
والغرب وتقضى من
الخطايا كما يلقى الثوب
الأبيض من الدنس
اللهم اغسل خطايي
بالماء والصابون والبرد
الحسن ، وإن قلنا في
السكينة الأولى حسن
روى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال
ذلك وإن كان منفردا
يقولها فقل القراءة
ويسم العبد أن تلاوته
نطق اللسان ومنها
نطق القلب وكل
مخاطب للشخص
بتكلم بلسانه ولسانه

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تنسكم الحياة الدنيا - من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتش رجل على شيء باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتش عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حالها حساب وحرامها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيته في دينه ويحزن من مصيته في دياره . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم عجب لمن يعرف أن اللوت حق كيف يفرح ويحجل لمن عرف أن النار حق كيف يضحك وعجب لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وعجب لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاه وسنيات رخاء يوم فيوم وولية قليلة يولد ولديها لك هالك فلول الولود لباد الخلق ولولا الهالكات ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له هل ماشئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر فتدفقه قال لا أملك ذلك قال لاحاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله إني آدم فرحت يلوغ أملك وإنما بلغت باهضاء أجلك ثم سوفت بملك كأن منفعتي لتترك وقال بشر من سأل الله الدنيا فأنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافي الدنيا شيء يسرك إلا لو قد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بمحبرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما مل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه . وقيل لبعض المبادذ قلت التي يقال إنها نال النفي من عتق من رقي الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطالحنا على حب الدنيا فلا يأمر بضنا بضنا ولا ينهى بضنا بضنا ولا يدعنا الله على هذا فليت شرى أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسر الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوائها ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهاتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فإذا فقد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا مسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن النكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله ويجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ما صهره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن نال ليس هكذا الدنيا عظيمة عند من ما أقرنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تنصرف يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشئ البالي تتادى ربها منذ خلقها إلى يوم يفتنها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكني بالآخرة وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فتى يصل الخبر إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بهي . . . الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو القالب وقيل ليعبر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبو يامين البرقي قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحسبكم الدنيا لمن هي قال لمن تركها قيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال الحكيم الدنيا دار خراب وأخر

بسر عسا في قلبه ونو
أمكن التكلم إلهام
من يكلمه من غير
لسان فهل ولكن
حيث تميز ١٢ إلهام
إلا بالكلام جعل اللسان
ترجما نأذا قال باللسان
من غير موافاة القلب
فما اللسان ترجما نأولا
القارى متكلما قاصدا
إسماع الله حاجته
ولا مستمعا إلى الله
فأما عنه سبحانه
ما مخاطبه وما عنده غير
حركة اللسان بقلب
فائب عن قصد
ما يقول فيبغى أن
يكون متكلما مناجيا
أو مستمعا راعيا فأقل
مراتب أهل الخسوس
في الصلاة الجمع بين
القلب واللسان في
التلاوة ووراء ذلك
أحوال الخواص بطول

منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيدي كان الشافعي رحمه الله من البريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخي إن الدنيا داحض مزلة ودار مدلة عمراتها إلى الحراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على القرعة وموقوف وغناها إلى الفقر معروف الإكثار فيها إفسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وارضى برزق الله لتتأسف من دار فنائك إلى دار فبائك فان عيشك في زائل وجدار مائل أكثر من حملك وأتصر من أملك. وقال إبراهيم بن آدم لرجل أهدم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال وبنار في اليقظة فقال وبنار في اليقظة. وقال إسماعيل بن عياش قال كان أمهاتنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك عنايا خنزيرة فلو وجدوا لها إسماً أتجيب من هذا لسموها به. وقال كعب لتجيب إليكم الدنيا حتى تبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله المقلد ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يمدحه وأرضى خالقه قبل أن يلقاه. وقال أيضاً الدنيا باغ من شؤمها أن تمنك لما يليك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله بن أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كطفي النار بالخبث وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتسكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضاً من أقبل على الدنيا أحرقتة نيرانها حتى الحرس حتى يصير رماداً ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقتة نيران التوحيد فصار جوهر لا دلقية. وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا ساءة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم فأشرف الطعومات العمل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات النساء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات القرس وعليه يقتل الرجال وأشرف التسكحات للرأة وهي مبال في مبال وإن الرأة أنزين أحسن شيء منها ويراد أتجيب شيء منها وأشرف للشحومات للسك وهو دم.

(بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها)

قال بعضهم يأبها الناس أعمالوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تنفروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرت لكم بضرورها وتفتنكم بأمانها وتزينت لخطاياها فصبحت كالروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكمن من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها ودمها خالقتها جديدها يبل وملكتها غنى وعزيزها بذل وكثيرها بقل ودها يموت وخيرها غيوت فاستبقظوا ورحمكم الله من غفلتكم واتبعوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف قبل فهل على الدواء من دليل أو هلك إلى الطبيب من سبيل قد دعى لك الأطباء ولا برجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولما له أوصى ثم يقال قد هلك لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتابع أئنيك وثبت يقينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تطلق وختم على لسانك فلا تنطق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك فسلوك وصحنوك فاقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وقيت مرتها بأعمالك. وقال بعضهم لبعض اللوك إن أحق الناس بلم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطي حاجته منها لأنه يتوقع آفة تحدو

شرحها. قال: بهضم
مادخلت في صلاة قط
فأهمني فيها غير ما أتول
وقيل لعامر بن
عبد الله هل تجد في
الصلاة شيئاً من أمور
الدنيا فقال لأن تخاف
على الأمانة أحب إلى
من أن أجدي الصلاة ما
تجدون. وقيل لبعضهم
هل تحدث نفسك في
الصلاة بشيء من أمور
الدنيا فقال لا في الصلاة
ولا في غيرها ومن الناس
من إذا أقبل على الله
في صلاته يتحقق معنى
الإنابة لأن الله تعالى
قدم الإنابة وقال -
متبين إليه واتقوه
وأقيموا الصلاة -
فيلب إلى الله تعالى
ويتق الله تعالى بالتبصر
عما سواه ويقيم الصلاة
بسر مشرح

على ماله فتجتاحه أو على جمعه تفرقه أو تأتي سلطانه قديمه من القواعد أو تدب إلى جسمه فتقسمه أو تفجعه بشيء هو ضئيل به بين أحياء فالله أعلم حق بالدم هي الأخدمة تملأ الراحة فيها تهب بيناهي تضعك صاحبها إذ أضحت منه غيره وينا هي تبكي له إذ أبكت عليه ويناها تبسط كفها بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفره بالتراب غددا وسواها عليها ذهاب مذهب ويقام ما بقي تجدد في الباقي من الأدهاب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظلمن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فأحذرهما يأمر المؤمنين فإن الزاد منها تركها والتقى منها قهرها لها في كل حين قيل تدل من أعزها وتفقر من جمها هي كالمسلم يأكله من لا يعرفه وفيه حشفة فكن فيها كالمدوى جراحه يحمي قليلا عذابة ما يكره طويلا ويصير على شدة الدواء عذابة طول الداء فأحذر هذه الدار العذارة الختالة الحداثة التي قدرتيك بخدعها وقتنت بفروورها وحلت بأمالها وسوت مخطاها فأصبحت كالمرض الحليجاء البرون إليها ناظرة والقلوب على الوالد والنفس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالمراضى معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عناده كره فاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغترى وطنى ونسى العاد فشغل فيها ليه حق زلت به قدمه فظلمت زدامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات اللوث وتآله وحشرات القوت بغضته وراغب فيها لم يدرك منها ما طاب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فأحذرهما يا أمير المؤمنين وكن أسرا . أما تكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كما أطمأن منها إلى سرور وأرضعته إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدار صار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسروورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ماولى وأدبر ولا يدري ما هوات فيظنر . أما نياها كاذبة وآمالها باطلة وصنوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخائف لم يجر عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أبطلت النائم ونهت الفافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بغايتها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح يموضة فأبى أن يقبلها (١) إذ ذكره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرضع مواضع يملكه فزواها عن الصالحين اختاروا وبسطها لأعدائه اغترارا فيظنن للفرور بها التقدرب عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال للموسى عليه السلام : إذا رأيت الننى مقبلا قل ذنب مجمل عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا قل مرجا بشعار الصالحين وإن شئت اتقديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إداى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلانى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابى رجلى

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بغايتها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسله وأوه أحمد والطبرانى متصلان حديث أبي موهبة في أثناء حديث فيه إلى قد أعطيت خزائن الدنيا والحلهم الجنة الحديث وسنده صحيح ولترمذى من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليجمع لى بطعام مكة ذهب الحديث (٢) حديث الحسن مرسل في شد الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضا هكذا وللبخارى من حديث أنس رفعا عن بطون ناعن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرتين وقال حديث عريب .

بالاسلام وقلب منفعت
بنور الإنعام فتخرج
الكلمة من القرآن
من لسانه ويسمعها
قلبه فقع السكامة
في فضاء قلب ليس فيه
غيرها فيتملكم التاب
بحسن الفهم ولديذ
نعمة الإصفاء
وبشربها بحلاوة
الاستماع وكال الوعى
ويدرك لطيف معناها
وشريف غواها معاني
تلطف عن تفصيل
الدكرو وتشكل غنى
السكر وبصر الظاهر
من معاني القرآن قوت
النفس فالنفس للطمشة
متوعدة بمعاني القرآن
عن حديقها لكونها
معاني ظاهرة متوجة
إلى عالم الحكمة
والتهادة تهرب
مناسبتها من النفس

وطعاهي وفاكف ما أنبت الأرض أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض أحد أغني مني . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي ليس من الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا يطرף ولا يتنفس إلا بأذني ولا يعينكما ما تمتع به منها فأما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يترف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتا فقلت ولكني أرغب منك عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفضل بأوليائي إلى لأزودهم عن نعيمهما كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراعي الحنكة وإلى لأجنهم ، لا ذها كما يحب الراعي الشفيق إليه عن منازل القربى وما ذاك لهواتهم على ولكن لم يستكملوا نصيبهم من كرامات موفرا إنما يزين لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع والتوى ثبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهمى ثيابهم التي يلبسون وديارهم الذي يظهرون وضيمهم الذي يستشرون ونجاتهم التي يافوزون ورجاؤهم الذي يأملون ومجدهم الذي يفتخرون وسياهم التي يترفون فإذا لقيتهم فاحضن لهم جناحك وذل لهم قلبك ولسانك واعلم أن من أخاف لي وليا قد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب على كرم الله وجهه يوم خطبته فقال فيها : اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم وعجزيون بها فلا تترنسكم الحياة الدنيا فاتها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالقدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا ندوم أحوالها ولا يسم من شرها زوالها بينا أهلها منها في رخاوس وروادف إذام منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإعنا أهلها فيها أغراض مستهدة ترميم بسامها وتقسيم بمهامها وكل حثه فيها مقدور وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى عن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأحمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامة خادمة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم خافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسر والشارق للمهدة الصخور والأحجار للسند في القبور اللطاة للحدة فحلها مقرب وساكنها مقرب بين أهل حمارة موحشين وأهل حمة متشاغبين لا يستأنسون بالمران ولا يتواصلون واصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب السكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد قطعهم بكسلكه البلاء واكتهم الجنادل والثرى وأصبجوا بعد الحياة أمواتا وبعد نصارة العيش وفاتنا فجعهم الأعباب وسكنوا تحت التراب وظنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات - كلا إنها كلمة هوالة لها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون - فكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار اللثى وارتفعت في ذلك الضجيج وضجكم ذلك للستودع فكيف بكم لو عايتكم الأمور وبثرت القبور وحصل ما لي الصدور وأوقمت للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم الصوب والأسرار هناك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى - وقال تعالى - و وضع الكتاب قرى المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار القامة من ضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويحترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدئك لو كشف لك عما أحدث الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم بأى عنيك واستقلت عمر الساعة بك ولكن تدير الله

السكون لقامة رسم الحسنة ومعاني القرآن الباطنة التي يكشفها من الملكوت قوت القاب وتخلص الروح للقدس إلى أوائل سرادات الجبروت بمعالجة عظمة التسلّم وبمثل هذه المطالعة يكون كالاستغراق في لبحر الأشواق كما نقل عن مسلم بن يسار أنه صلى ذات يوم في مسجد البصرة فوعت أسطوانة تسمع بسقوط أهل السوق وهو واقف في الصلاة لم يعلم بذلك ثم إذا أراد الركوع فصل بين القعدة والركوع ثم ركع منطوي لقامة والنصف الأسفل حاله في القيام غير انطواء الركعتين وبجاني

فوق تدبير الاعتبار والسوا عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من الملقم إذا عجزها الحكيم وقد أعيت الواصف ليعربها بظاهر أفعالها وما تأتي به من الجباب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بسنن الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك وإدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والله يوم مقبل تنهال ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتبشير والنقصان والله يوم موكب تشتت الجماعات وانخرام الشمل وتنتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تَصِيرُ الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حقي وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكي إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تتفلقون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعائمكم غصص . ومن شرابكم شرقي لا تصفولكم نعمة تسرون بها الإغراق أخرى تسكرون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه في خطبته : أوصيكم بشقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها للبلية أجسامكم وأنتم تريدون تعذيبها فانما مثلكم ومثلا كمثل قوم في سفر سلكوا طرايقا وكانهم قد قطعوه وأنفوا إلى علم فسكاهم بغفوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى يتشقى إلى القاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى غارتها فلا تجزعوا اليأسوا وضربها فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا بتناعها ونعمائها فانه إلى زوال هيجت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يخفول عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والعرفه والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأهانها لم يرضوا لأوليائها وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلبس لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أذناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بين أيها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الزراكب غفروا الدنيا وعمرها إلى الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعملوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تسبوا قليلا وتسموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاكم الكريم أحبا ما أحب لهم وكروها ما كره لهم .

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تصد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنتظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سريعا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقه ساكن في الظاهر لا يتحرك حركته بالبرص الظاهر بل بالبصرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلال زائل إن اللييب بمثلها لا يندم

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظلال زائل حتى

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرايا نزل بقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة

لهم فنام هناك فالتعلوا الخيمة فأصابته الشمس فاتتبه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظلال نية ولا بد يوما أن يظلك زائل

وكذلك قيل : وإن اسما دنياه أكبر همه استمسك منها بعجل غرور

مرقبه من جنبيه
وعند عنقه مع ظهره
ويضع راحتيه على
رأسه من مشورة
الأصابع . روى مصعب
ابن سعد قال صليت إلى
جنب سعد بن مالك
فلمست يدي بين ركبتي
وبين غزدي ويطبقها
فضرب يدي وقال
اضرب بكفك على
ركبتك وقال يا بني إنا
كنا نفعل ذلك فأمرنا
أن نضرب بالكف
على الركب ، ويقول :
سبحان ربي العظيم
ثلاثا وهو أدنى الكمال
والكمال أن يقول
إحدى عشرة وما يأتي
به من المدد يكون بعد
التحسين من الركوع
ومن غير أن يمزج آخر
ذلك بالرفع ويرفع يديه
للكركع والرفع من

[مثال آخر للدنيا من حيث التفرير بخيالاتهم الإفلاس منها بعد إقلاصها [تشبه خيالات المنام وأصغاف الأحلام قال رسول الله ﷺ «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون» (١)] وقال يونس بن عبيد ما شبهت قسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فينبأ هو كذلك إذ اقبه فسكر ذلك الناس نيام فاذا مالوا اقبوا فاذا ليس بأيديهم شيء عمار كنوا إليه وفرحوا به . وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم] مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها [أعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج وأول التوصل إلى الإهلاك آخره وهي كرامة تزين للخطباء حتى إذا سكتهم ذبحتهم وقد روى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرأها في صورة هجوز هتاء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أصحبه قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتل فقال عيسى عليه السلام يؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يتبرون بأزواجك الساضين كيف تهلكهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر] مثال آخر للدنيا في مخالفة طاهرها لباطنها [أعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه هجوز مزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فقدموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاعتراض بظواهرها وقال العلماء ابن زياد رأيت في المنام هجوزا كبيرة متعسبة الجفء عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها غث ونظرت وتعبت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتل لها وبلك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن أحببت أن تماذ من شري فأبض الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم هجوزا مشوهة شطاء تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بخدائي أقبلت على فقال لوطظرت بك لصنت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة هجوز شطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فقتلهم على الخلاق فيقال لهم أنصفون هذه فيقولون نعموذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تاحترمت عليها بها تقاطعت الأرحام وبها تحاسدت وتباغضت واغترت ثم يقذف بها في جهنم فتنادي أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا هرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الخلى والياب وإذ لا يرى بها أحد إلا جرحته فاذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس هجوز شطاء زرقاء ممشاء قال قتل أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يجيدك الله من حق تبض الدرهم قال قتل من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها] [أعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالي وللدنيا وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرقت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها » (٢)] ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التيسيع : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أصليت خشع لك سمعي وبصري وعظمي وعقلي وعصبتي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا : مع الله لمن حمده حالما قلبه ما يقول فاذا استوى قائما يحمد ويقول : ربنا لك الحمد سبحانه السموات ومملد الأرض ومملد ما شئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون لم أجده أصلا (٢) حديث مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يبال كيف انتقضت أيامه في ضر وضيق أوفى سعة ورفاهية بل لا يفتي لينة على لينة «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواقع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة» (١) ورأى بعض الصحابة يني يتنامن جس قال: «ورأى الأمر أهمل من هذا وأنكر ذلك» (٢) وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة والهدى لليل الأول على رأس القنطرة والباقي هو الليل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عما وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت حابر عليها غاية الجهل والخذلان [مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها] أعلم أن أوائل الدنيا تبدو هيئة لينة يظن الخائف فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيئات فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي بثلاثمائة مثل الدنيا مثل الحياة فإن سهاو يقتل سها فاعرض عما يدببك منها لقله ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ماتسكون فيها أحذر ماتسكون لها فإن صاحبها كالأطمان منها إلى سرور وأشخصه عنه مكروه والسلام [مثال آخر للدنيا في تعلمر الخلاص من تبعثها بعد الخوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا يتبل قدماه» (٣) وهذا يبرك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقتها عن بوأطهم مقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا حمام فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها فكان ذلك على الماء يقتضى بلالا لاهلته يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وعتمين تصب ويتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر اللوت ونصب العبادة تقسو وتقلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم يخرق أو يبدل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يفسدها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقي من الدنيا بلاء وقتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله» (٤) [مثال آخر لما بقي من الدنيا وقتنة بالإضافة إلى ما سبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الحيط أن ينقطع» (٥)

(١) حديث ما موضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات للطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضيف من سأل عن أوسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث شاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه يني يتنامن جس قال رأى الأمر أهمل من هذا أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقاله حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصفه البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وقتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضيف.

من شيء بعد ثم يقول
أهل الثناء والمجد
أحق ما قاله البديكنا
لك عبد لا مانع لما
أعطيت ولا معطى
لما منعت ولا ينفع
ذا الجدم منك الجد فان
أطال في النافذة القيام
بعد الرغ من الركوع
فليل لرب الحمد
مكروا ذلك مهم اشاء
فأما في الفرض فلا
يطول تطويلا يزيد
على الحد زيادة يينية
ويشنع في الرغ من
الركوع بحام الاعتدال
بالقصة الصلب ، ورد
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
«لا ينظر الله إلى من
لا يقيم صلبه بين
الركوع والسجود
ثم يهوى ساجدا
ويكون في هويه مكبرا

[مثال آخر لتأدية عالم الدنيا بعضاً إلى بعض حتى الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يفتله [مثال آخر لخالفه آخر الدنيا وأهلها وللضارة وأهلها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذينة كشهوات الأطعمة في المعدة وسيجد البعد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والنن والقبح ما يجد له لا طعمه اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها وكما أن الطعام كلما كان أده طعاماً أو أكثر دسماً أو أطهر حلاوة كان رجيته أقدس وأشد تنقاً فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وأد وأقوى فتفتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته والموت وشجه في كل ما قد قدر الله به وجهه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وأدق فلو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا وقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحالك بن سفيان الكلابي : ألمت تؤتي بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والساء قال بلى قال فلام يصير قال إلى ما قد علمت يارسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم ^(١) » وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلاً لابن آدم فانظر إلى ما مخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه إلام يصير ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً وإن قزحه وملحه ^(٣) » وقال الحسن قد رأيتهم يطبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيته وقد قال الله عز وجل - فلينظر الإنسان إلى طعامه - قال ابن عباس إلى رجيته وقال رجل لابن عمر إن أريد أن أسألك وأستعجب قال فلا تستعجب وأما قال إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما خلقت به انظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول انظروا حتى أريك الدنيا فيذهب بهم إلى مزرعة فيقول انظروا إلى محارمهم ودجاجهم وعسلهم ومعهم [مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم يرجع إليه ^(٤) » [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فاشتت بهم إلى جزيرة فأمرهم للراح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم للقاء وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فنفروا في نواحي الجزيرة فمضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف للسان خاليا فأخذ أوسع الأماك وألثها وأوقفها لمراة وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها المثقفة ونعمات طيورها الطيبة وألحائها اللوزنة الفرية وصار يلحظ من ربيها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة للنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحالك بن سفيان الكلابي ألمت تؤتي بطعامك وقد ملح وقزح والحدث وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلاً لابن آدم الحديث الطبراني وابن سبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب الدنيا مثلاً ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم الدنيا مثلاً الحديث الطبراني الأول منه غرب والشرط الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضربهم ما مخرج من بني آدم مثلاً للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرجع إليه مسلم من حديث الاستود بن شداد .

مستيقظاً حاضراً خاشعاً عالماً بما بهوى فيه وإليه وله من الساجدين من يكشف أنه بهوى إلى تخوم الأرضين متشبهاً في أجزاءه لللك لا مثله قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبرائيل عليه السلام تستر خافية من جناحه حياء من الله تعالى . ومن الساجدين من يكشف أنه يطوى بساطه الككون والمكان ويسرح قلبه في فضاء الكشف والبيان فهو دون هوى أطباق السموات وتدهى لقوة شهوده تمسائل الكائنات ويسجد على طرف

بحسن زبرجدها ومجائب صورها ثم تنبه لخطر قوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً
خرجاً فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأحجبه حسنها ولم تسمع نفسه بأهلها
فانصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكاناً ضيقاً وزاده ماحله من الحجارة ضيقاً صار ثقيلاً عليه
ووبالاً فندم على أخذه ولم يقدر على رميها ولم يجد مكاناً لوضعه فحملها في السفينة على عنقه وهو متأسف على
أخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج القياض ونسى للركب وبعد في متفرجه ومرتزجه منه حتى
لم يلبثه نداء الملاح لاختفاله بأكل تلك الثمار واستنهام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو
مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والتسكبات ولا منفك عن شوك يشب بلبابه
وغصن يجرح بدنه وشوكه تدخل في رجله وصوت هائل يزعج منه وعوسج يخرق ثيابه وموتك
عورته ويغتمه عن الانصراف لو أراد فلبث عليه نداء أهل السفينة انصرف متقلاً بما معه ولم يجد في
الركب موضعاً يوقى في الشط حتى مات جوعاً وبعضهم لم يلبثه النداء وسارت السفينة ففهم من اقترسته
السباع ومنهم من تاه فقام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشت أحيات
فتفرقوا كالجيف للثقة ، وأما من وصل إلى المركب بقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقت
وشغل الحزن بحفظها والخوف من فونها وقد ضيفت عليه مكانه فليدب أن ذلت تلك الأزهار وكنت
تلك الألوان والأحجار فظهرت رثنتها فصارت مع كونها مضيقاً عليه مؤذية لبقتهن واحتشوا فلم يجد
حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها وقد أتر فيه ما كل منها فلم يبقته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه
الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيماً مدبراً ومن رجع قريباً فافاته إلا سعة المهل فتأذى بسبق للكان مدة
ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولاً وجد للكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالماً فها
مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمحظوظهم العاجلة ونسيانهم مودم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم
وما أقبح من زعم أنه يصير قائل أن تراه أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشم التبت وهي زينة
الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند اللوث بل يصير كلا ووبالاً عليه وهو في الحال شاغل له بالخرن
والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا غتر الحق بالدينا ونصف
إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : إغناء بني ومثلكم
ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدرأوا ما سلكوا منها أكلوا ما بقوا فغداً الزاد
وخسروا الظهر وبقوا بين ظهرائي للمفازة ولا زاد ولا حيلة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج
عليهم رجل في حلة فطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى
إليهم قال ياهؤلاء قالوا ياهذا فقال علام أنتم فقالوا على ما ترى فقال أرايتم إن هديتكم إلى ماء رواء
ورياض خضر ما تملكون ؟ قالوا لا نصيبك شيئاً قال عودكم وموائيقكم بالله فاعطوهم عودهم وموائيقهم
بالله لا يصونه شيئاً قال فأوردكم ماء رواء ورياضاً خضراً فسكت فيهم ماشاء الله ثم قال ياهؤلاء قالوا
ياهذا قالوا الرحيل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كانكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقالوا كثرتم
والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجد وما نصنع جيش خير من هذا قالت طائفة منهم ألقاهم لم يسطوا
هذا الرجل عودكم وموائيقكم بالله أن لا تصوبه شيئاً وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يصدقكم
في آخره فراح فيمن اتبعه وخلف بقيتهم فيدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل (١) [مثال آخر لتنتم

رداء العلف : وذلك
أنقى ما ينسج إليه
طائر الحمة البشرية
وتنق بالوصول إليه
القوى الانسانية
وتغاث الأنياء
والأولياء في مراتب
المطعة واستشعار
كنها لكل منهم على
قدره حظاً من ذلك
وفوق كل ذي علم عليم
ومن الساجدين من
يتسع وعاءه وينتشر
ضياؤه ويحظى
بالصغين ويسقط
الجناحين فيتواضع
بقوله إجلالا ويرفع
بروحه إكراماً وإفضالا
فيجتمع له الأنس
والهيبة والحضور
والقبة والقرار والقرار
والإسرار والجهاد
فيكون في سجوده
سبحان في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : إنما مثل ومثلكم ومثل
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراء والطبراني من
حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فبا يري الناس ملكان الحديث وفيه قال

الناس بالدنيا ثم تفجهم على فراقها [اعلم أن مثل الناس فيها أعطوا من الدنيا مثل رجل هباً داراً وزينياً وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً واحداً بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين لبشمة ويتركه لمن يلقه لئلا يلمسه ويأخذه لجهل رصمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قبله لما ظن أنه له فلما استرجع منه صجر وتضجع ومن كان عالمياً رصمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وأخبر صاحبه وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبيل على المجتازين لاحتل القيمين ليزودوا منها ويشفعوا بما فيها كما يستفتح المسافرين بالمواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتنا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق البعد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لاتسبكك مالم تعرف الدنيا للذمومة ما هي أو ما الذي ينبغي أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن تبين الدنيا للذمومة للأموال باجتنابها لسكوته أعدوة قاطعة لطريق الله ما هي فتقول دينك وآخرتك عبارة عن حالكين من أحوال قلبك فأقرب الداني منها يسمى ديناً وهو كل ما قبل الموت والتراخي للتأخر يسمى آخرته وهو ما بعد الموت فكل مالك في حفظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فبسي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إليه ميل وفيه نصيب وحفظ فليس بدموم بل هو ثلاثة أقسام : القسم الأول : ما يسحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرة بعد الموت وهو شيئا من العلم والعمل فقط وأعني بالعلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسوله وملكوته أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعني بالعمل العبادة الحاصلة لوجه الله تعالى وقد يأسي العالم بالعلم حتى يصير ذلك آلة الأشياء عنده فيعجز النوم وللطمع والتسكع في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حفظاً عاجلاً في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا للذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا إننا من الآخرة وكذلك العابد قد يأسي بعبادته فيستلها بحيث لا يمنع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم مأخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لسنا نفي بالدنيا للذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حبيب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة » (١) ونجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والشهادة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فقل ذلك أضافها إلى الدنيا إلا أناساً في هذا الكتاب تتعرض إلا قلنا للذمومة فتقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو القابل له على الطرف الأنفى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتمتع بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الفانية والعورات كالتنعم بالقناطير للقطر من الذهب والفضة والحيل للسمومة والأناام والحرق والفلسان والجواري والحيل وللواشى والقصور والدور ورفيع الثياب ولذات الأطمعة حفظ العبد من هذا كله هي الدنيا للذمومة وفيها جند فضول أو في محل الحاجة فنظر طويل إذ روى عن عمر رضى الله عنه أنه استعمل أبا الدداه على حمص فأخذ كتباً فاشق

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده مسجد لك سوادى وخيال - وقف يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً - الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والسكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده : سبحان ربى الأعلى ثلاثاً إلى الضى الذى هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأتمسما يسجدان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأشفه ويكون ناظراً نحو أرنبة أفه في السجود فهو أبلغ في الحشود للساجد ويأثر بكفيه للصلى

أى أحد للمكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر اتهاوا إلى مفازة فذكر نحوه أخضر منه وإسناده حسن (١) حديث حبيب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة النساءى والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في التسكح .

عليه درمحين فسكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا فتفسير لك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رأي فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كلقسم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسائله إليه فلهما تناوله المبدى على قصد الاستمانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصير به من أبناء الدنيا وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستمانة على التقوى النجى بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يلقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وجهه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى وللواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعركة ولا يحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجيات للسعدات بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من للنجيات إذ تسكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال العبد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجله جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه»^(١) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من للسعدات وهما موصولان بالمبدى إلى لغة اللقاء وللشاهدة وهذه السعادة تتمجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق تمنعه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلق بينه وبين محبوبه بقدره عليه مسرورا سلبا من اللوانع آتينا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق للحباب الدنيا وقدوم على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة هو الواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطع عنه شهوات الدنيا ويغيب إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتأتى إلا بقوت وملبس ومسكن ومحتاج كل واحد إلى أسباب فالتقدير الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يرض صاحبها لذات الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلا ويرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول اللوقوف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أضعاف عذاب فمن نوقس الحساب عذب^(٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب»^(٣)

(١) حديث مناضلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجله جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عميرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزرجي ضعفه البيهقي وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا حُرِّمَ عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقس الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

ولا يلزمها في الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويدها حذو منكبيه غير متباعد ومتباعد بهما، ويقول بسم التوسيع: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. وروى أمير المؤمنين على رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك» وإن قال سبوح قدوس رب العالمين والروح لحسن روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك ويخاف من مراقبه عن

وقد قال أيضا : حلالها عذاب . إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما غوت من الدرجات الملا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيصة لا يقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حاله في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بمعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنها معادات منصرفة لا يقاء لها ومنصة بكدورات لاضفاء لها فسا حاله في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمها وتتقطع الدهور دون غائبا فكل من تتم في الدنيا ولو بسباع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضاعه وهو الذي بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه وهذا من التيمم الذي تسئل عنه ^(١) «أشاره إلى الساء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه اعز لواعي حسابها حين كان به عطش فغرض عليه ماء بارد يسيل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه قالوا لئلا يهلكه أو كثر ما حارها وما حلالها ملوحة إلا ما أعان على تحوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأقن كان حظه من نعم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لسانهم ثم رماه إذ تمثله إبليس وقال رغبت في الدنيا وحسب إن ساءان عليه السلام في ملكه كان يعلم الناس لذلك الأطلعة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق أمهنا نأشدة فان الصبر عن لذات الأطلعة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما ^(٢)» «وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ^(٣)» ولهذا سلط الله البلاء والحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنان عليهم ليتوفروا من الآخرة عظم كآمنع الوالد الشفيق ولده لذات الوالد ويخلص إلى القصد والحجامة ثقة عليه وحيا له لا يغلب عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت لما الذي هو لله . فأقول الأشياء ثلاثة أقسام : منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يجبر عنه بالخاص والمحظورات وأنواع التمتع في الباحات وهي الدنيا المحضة الذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يعمل لغير الله وهو ثلاثة الفسكرو والد كرو والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان الغرض من الفسكرو طلب العلم للتعرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ السال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالحق وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والنسكاح وكل ما يرتبط به بقاءه وجماله فان كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستمانة به على التقوى فهو لله بمصانه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكثرا مفارها لى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغافعا للساءة

موقوف على حق بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ وحرماها النار ولم أجده مرفوعا ^(١) حديث هذا من التيمم الذي تسئل عنه تخدم في الأطلعة ^(٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجبا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق إسحاق مضعنا ولترمضى وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بيت اللبالي للتبائة طاولا وأهله الحديث قال الترمذى حسن صحيح ^(٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم .

جنبه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه بمكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكافف منهما وتفرجهما ويقول : رب اغفر لي وارحمي واهدني وأجبرني وعافني وعاف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس معها أطال قالوا رب اغفر وارحم مكررا فذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإقماء في القمود وهو ههنا أن يضع

وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالتمر ليلة البدر (١) « فانظر كيف اختلف ذلك بالتصديقاذا
الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لاحاجة اليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله
تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي للأوى - وبجميع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله
تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد -
والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة بجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقطرة من الذهب والفضة والغيل للسومة والأولاد والحزن ذلك تاع الحياة الدنيا -
فقد عرفت أن كل ماهو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس
هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تنم وهو لغير الله وبين التمتع والضرورة درجة يعبر عنها
بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حدالضرورة فلا يضر فإن الاختصار على حدالضرورة غير
ممكن وطرف زاحم جانب التمتع ويغرب منه وينبئ أن يحذر منه وبينها وسائط متشابهة ومن حام
حول الحى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما يمكن اقتداء
بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى لو أن يسا القرن كان
يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فينوا له يتناحل باب دارهم فكان يأتي عليهم السنو الستنان
والثلاث لا يرون له وجهها وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد المشاء الآخرة وكان طعامه أن
يلتقط النوى وكما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى
بشده ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزبال من قطع الأكسية فيسلفها في الفرات ويلقى بعضها
إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان رجسا من الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول
لهم يا مجنونا إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صفار فاني أخاف أن تدموا عني فيضمر
وقت الصلاة ولا أميب للساء فكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال
« إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن (٢) » إشارة إليه رحمه الله والى الخلافه عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال ققاموا فقال اجلسوا إلا من كان
من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من
قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال أنصرف أويس بن عامر القرن
فوصفه له؟ فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فيها أحق منه ولا أجن منه ولا أوحش
منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر (٣) » قال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من
عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرن وأسأل عنه حتى سقطت
عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوسم ويضل ثوبه قال ففرقه بالعت الذي نمت لي
فاذا رجل لحيم شديد الأمة مخلوق الرأس كثر اللحية متغير جدا كرهه الوجه متعيب المنظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حلالا مكثرا مفاخرها لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم
في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن
من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرن تقدم في قواعد العقائد لم أجده أصلا (٣) حديث عمر يدخل
الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا وروياته في جزء ابن السالك من حديث أبي أمامة
يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر
لأويس بل في آخره فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

إليه على عقبيه ثم
إذا أراد التهوؤ إلى
الركبة الثانية يجلس
جاسئة خفيفة للإسراحة
ويفعل في بقية الركبات
هكذا ثم يقف وفي
الصلاة للمراج وهو
معراج القلوب والشهد
مقر الوصول بعد قطع
مسافات الحيات على
تدرج طبقات
السماوات والتجليات
سلام على رب البريات
فليذهن لما يقول
ويتأدب مع من يقول
ويدرك مكيف يقول
ويسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ومثله بين
عيني قلبه ويسلم على
عباد الله الصالحين
فلا يبق عبد في السماء
ولا في الأرض من عباد
الله إلا ويسلم عليه
بالنسبة الروحانية

فسلمت عليه فرد عليّ السلام ونظر إلى قفلة جياك الله من رجل ومددت يدي لأصايله فأني أن يصالحني فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خففتي العبدة من حيي إياه ورفقت عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت لحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخى ومن ذلك عليّ قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا - قال فصبغت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأيي قلت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيته قبل اليوم ؟ قال بآتي العلم الخير - وعرفت روعي وروحك حين كنت نفس نفسك إن الأرواح لها أنفوس كأنفوس الأجساد وإن للؤمنين لعرف بعضهم بعضا ويتعاونون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم للتازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أسمعه منك قال إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه محبة بأبى وأبى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد صهجو بولغى من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أتبع على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن الناس يا هرم بن حيان قلت يا أخى اقرأ آية من القرآن أسممها منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فأني أحبك فى الله جبا شديدا قال فقام وأخذ يدي على شاطئى الفرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين. ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - حتى انتهى إلى قوله إنه هو العزيز الرحيم - فنهق شهقة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوشك أن تموت فلما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة السليين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفي ثم قال يا هرم يا هرم قال قلت رحمك الله إن عمر لم يمّت قال قد ناه إلى ربي ونهى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى اللوى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي إليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهيج الصالحين المؤمنين قد نفيت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تغارق الجماعة قيد شبر فغارق دينك وأنت لاتعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لى ونفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحيى فيك وزارنى من أجلك فصرفنى وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيقته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيت من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيت من نعمائك من الشاكرين واجزه عنى خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى فأني أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إني كثير اللهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم أنك مئى على بالك وإني لم أرك ولم ترني فاذا كررت وادع لى فأني سأذكرك وأدعوك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فخرست أن أمشى معه ساعة فأني على وفارته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر فى فقاء حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرنى عنه بشئ. رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة للمرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما طغلت الخضراء وأظلمت الخضراء

والخاصية الظهيرة ويضع يده اليمنى على غلظه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا للسبحة ويرفع للسبحة فى الشهادة فى إلا الله لا فى كلمة التنى ولا يرفعها متصبة بل مائلة برأسها إلى اليمين منطوية فهذه هيئة خشوع السبحة ودليل سرية خشوع القلب إليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغي أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولئن وراه فإن الامام المتيقظ فى الصلاة كما يجب دخل على سلطان ووراه أصحاب الخواص يسأل لهم ويعرض حاجتهم وللمؤمنون كالبيان يشد بعضه بضوا هذا ويفهم الله تعالى فى

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الثراد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يثقل في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتصعد البدن عما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لأمن الدنيا ، ثم إذا قصد تقلد البدن وتمتعه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفا عن الآخرة ويغشى على قلبه القسوة قال الطنابغسي : كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاولا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين البظفة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أحمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقيق فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استخرقت هم الخلق حتى أنفستهم أنفسهم وخالقتهم ومصدرهم وموردتهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فلهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى : إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنباوهم أيهم أحسن عملا - فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : للمعادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي وأما للمعادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والبرصا والفضة والذهب وغير ذلك من اللقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكول وظهورها للدركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستخرجهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يفرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الإنس - والقناطر للقطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ والياقوت وغيرها والجميل السومة والألوان وهي البهائم والحيوانات والنباتات والحشرات وهو النبات والزروع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع البعد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحفظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب للشيء بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والقتل والحسد والرياء والسمة وسوء الظن والداهنة وجوب الثناء وحب السكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها. العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحفظه غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم وما بهم ومنقلبهم بالدنيا لها تين العلاقة علاقتين القلب بالمحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التي هي مهيئاتها دنيا لم تخلق إلا لطلب الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأنى بالدابة البدن فإنه لا يبقى إلا العظم ومشرب وملبس ومسكن كالآدمي الجمل في طريق الحج إلى الطيف وما وجب له ومثال البعد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يلف الناقة ويتسبدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ومحمل إليها أنواع الحشيش ويردها للسانه بالتج حتى

كلامه بقوله سبحانه -
 كأنهم بذان مرصوص -
 وفي وصف هذه الأمة
 في الكتب السالفة
 صفهم في صلاتهم
 كصفهم في قتالهم
 حدثنا بذلك شيخنا
 ضياء الدين أبو النجيب
 السهروردي إمامه قال
 أنا أبو عبد الرحمن محمد
 ابن عيسى بن شعيب
 المازني قال أنا أبو الحسن
 عبد الرحمن بن محمد
 للقطر الواعظ قال
 أنا أبو محمد عبد الله
 ابن أحمد السرخسي
 قال أنا أبو عمران
 عيسى بن عمر بن
 العباس السمرقندي
 قال أنا أبو محمد عبد الله
 ابن عبد الرحمن
 الدارمي قال أنا جاهد
 ابن موسى قال تامل
 هو ابن عيسى أنه سأله

تقوته القافلة وهو غافل عن الحرج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لايهمه من أمر الجمل إلا القدر القوي يقوى به على الشئ فيتمده وقلبه إلى الكعبة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتهمه البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت النساء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه فقيته ما يخرج منها أو أكثر ما فضل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضروري وأمر للسكن والملبس أهون ولوعرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها، ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا وكيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنشتم عاقبة أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطرب إلى ثلاث القوت وللسكن والملبس فالقوت للبقاء واللبس للدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمسال ولم يخلق الله القوت والسكن والملبس مصاحبين يستغنى عن صنعة الإنسان فيه ، نعم خلق ذلك ليهامهم فإن النبات ينضى الحيوان من غير طبع والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء وليساها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البناء فله سكن والحياكة وما يكتنفها من أمر النزل والحياطة فللملبس ، والفلاحة للطعم ، والرعاية للمواشي والحيل أيضا للطعم والركب ، والاقتناس نعتي به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالقلاع يحصل النباتات والراعي يحفظ الحيوانات ويستمتعها ، والمقتنس يحصل ما ينبت ونسج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعتي بالاقتناس ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنقسم إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات التجارة والحداثة والحرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعتي بالتجارة كل عامل في الحشيب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حق الحجاز والاربي وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما أحوال الحرف فكثيرة . وأما الحراز فنعتي به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها في هذه الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما . والثاني التعاون على تهية أسباب الطعام والملبس ولثرية الولد فإن الاجتماع يغني إلى الولد لا لعالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهية أسباب القوت ثم ليس يكفي الاجتماع مع أهل والوالد في اللزول بل لا يمكنه أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة لتكفل كل واحد بصناعة فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها ويحتاج الآلة إلى حداد ونجار ومحتاج الطعام إلى طحان وخباز وكذلك كيف يفرد بتحصيل اللبس وهو يحتاج إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والحيطة

كعب الأجار كيف نجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نحمد محمد ابن عبد الله يولد بمكة ويهاجر لطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا محتاب في الأسواق ولا يكافئ بالسينة السيئة ولكن بهفو ويفر ، آمنه الجادون يمدون الله في كل سره ويكبرون الله على كل نجس يوسنون أطرافهم ويأزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديه في جو السماء فالإمام في الصلاة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو أولى

وآلات كثيرة فذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لواجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأخذوا بالحر والبرد والطر والصوص فاقتروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبعمامة من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها لكن للنازل قد تصدها جماعة من اللصوص خارج النازل فاقتروا أهل للنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع النازل حدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتماثلوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف محتاج إلى قوام بهم ومما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فأما للرأفة فخصام الزوج والولد لخاصم الأبوين هذا في المنزل ، وأما أهل البلد أيضا فيمتاعون في الحاجات ويتنازعون فيها ولوتركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والياه وهي لآلتي بأغراضهم فيتنازعون لاحتلال ثم قد يصير بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولوترك ضائعا هلك ولو وكل تنفقه إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب خصه لسكان لا بد عن له حدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتسكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقة وهو معرفة القانون الذي يضي أن يضبط به الحلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في العائلات وشروطها فيه أمور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها إلا خصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتجربة والهداية وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى العاش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تعطلت الصناعات ولواشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستقر الناس فست الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف الفئام إليهم إن كانت المداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة ورع قنعوا بالقليل من أموال الصالح وإن أرادوا التوسع فنمى الحاجة لاحتلال إلى أن يعدم أهل البلد بأموالهم ليدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة وللتزجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض لعماساكر وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة أغرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يديرهم وأمير مطاع بين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى النصف في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائه على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بهد الجند الذين هم أهل السلاح ويبدل الملك الذي يراقبهم بالدين السكاك وبديهم بالحاجة إلى الكتائب والخزائن والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاغتيال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترقون والثانية الجندية الجملة بالسيف ، والثالثة المترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملبس

الصلين بالحسوع
والايمان بوظائف
الأدب ظاهرا وباطنا
والصلون للتيقظون كما
اجتمعت ظواهرهم
تجتمع بواطنهم
وتتناصر وتتعاقد
وتسرى من البعض
إلى البعض أنوار
وركات بل جميع
الصلين الصلبي في
أقطار الأرض بينهم
تعاضد وتناصر بحسب
القارب ونسب الاسلام
ورابطة الايمان بل
عدهم الله تعالى بالملائكة
الكرام كما مد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بالملائكة المؤمنين
لحاجاتهم إلى محاربة
الشیطان أمس من
حاجاتهم إلى محاربة
الكفار ولهذا كان
يقول رسول الله صلى

والسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا تفتح منها باب إلا ويفتتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنتهى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الأرض وماعليها مما يتنفع به وأغلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها هي الدور ثم الأمكنة التي يسعى فيها للتصنيع كالخوانيت والأسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقرة آلة الحراثة والفرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحديد والتجار يسكنون قرية لا يمكن فيها الزراعة فيلزمون الحاجة الفلاح إليها ويحتاجون إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يمدل ماعضده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق الماومة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتوَقَّ الأَغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آله كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بشئ رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أبواب الحاجات طعاما في الربيع وكذلك في جميع الأئنة والأموال ثم يحدث لامحالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشتررون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون له لتنظيم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيحجج إلى النقل فيحدث التجار للتسكول بالنقل وباعهم عليه حرص جمع المال لامحالة فيتبعون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لامحالة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالنفقة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت همهم زهدوا في الدنيا ولو ضلوا ذلك لبطلت الماشي ولو بطلت هلكوا وهلكوا إذا هادأنا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فيحتاج إلى دواب تحملها وأصحاب المال قد لا تسكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياع الحاجات إلى التقدير فإن من يريد أن يشتري طعاما يشوب لب أن يدرى للقدار الذي يساويه من الطعام كم هو وللמاملة تجرى في أجناس مختلفة كإياع ثوب بطعام وحيوان يشوب وهذه أمور لا تناسب فلان من حاكم عدل بتوسط بين التباين يمدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك الدرل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاءه لأن الحاجة إليه تدمد وأبقى الأموال للعائد فانخذت النقود من الذهب والنفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنفض والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيرافة وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى مآثرها فهذه أشغال الحلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشره إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء ، وفي الناس من ينفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لجزءه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرقان خسيستان القوصية والسكدية إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعي غيرهما ثم الناس يخرزون من الاوص والسكردين وعقظون عنهم أموالهم فانخروا إلى صرف عقولهم في استنباط

الله عليه وسلم «رجعتا
من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر»
فتداركهم الأملاك
بل بأقسامهم الصادقة
تتمسك الأفلاك فإذا
أراد الخروج من
الصلاة يسلم على عينه
وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على الثلاثة
والخاضعين من المؤمنين
ومؤمنات الجن ويحمل
خذه ميئانا من على عينه
إلى الواء عنقه وفصل
بين همداء السلام
والسلام عن يساره
فقد ورد النهي عن
المواصلة، والمواصلة
خمس اثنتان تخص
بالامام وهوان لا يوصل
القراءة بالتكبير
والركوع بالقراءة
والثنتان على المأموم وهو

الحيل والتدبير . أما اللصوص : فثمنهم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتعمون ويشكثون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الفتنة وإما بأن يكون طراراً أو سلالاً إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجته الأفكار الصروفة إلى استنباطها . وأما السكدي فإنه إذا طلب ماسع فيه غير موقبل له اتعب واحمل كما حمل غريمك فلما لك والعالة فلا يعطى حيثاً فافتقر وإلى حيلة في استخراج الأموال وتهديد العذر لأنفسهم في البطالة فاحتالوا للتدلل بالجزء إما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وانقسم بالحيلة ليمتدروا بالعمى فيعطون وإما بالتعاضد والتفالج والتجائن والتمازج وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك حيلة أصابت من غير امتحان فيكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتبسون قو والأطفالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخطوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتسخر والمها كالة والشبهة والأطفال المضحكة وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام للثور المجمع مع حسن الصوت والشعر والوزن أشد تأثيراً في النفس لاسيما إذا كان فيه تعجب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناب الصحابة وفصائل أهل البيت أو الذي يحرك داعية الشوق من أهل الجاهلية كصنعة الطبايع في الأسواق وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التمويزات والحشيش الذي يخيل باله أنه أدوية فيخضع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والقال من للتجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والسكدون على ردوس للناظر إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استئالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل العيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرموا إلى ذلك كله الحاجة إلى القوة والسكوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومتعلهم ومآبهم فتأهوا وضلوا وسبق إلى عقولهم الضيقة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلقت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة غلبهم الجهل والنفقة فلم تفتتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياماً في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فبدأ كلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا تقدم في الدين فإنه يتعب نهراً ليأكل ليلاً ويأكل ليلاً ليتعب نهراً وذلك كبير السواني فهو سفر لا يقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم فطنوا لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتقرب في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لاء نسوا أنفسهم وصرفوا مهمهم إلى اتباع النسوان وجمع اللذائذ الأطعمة بأكل الأنيام وينظرون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فتغافلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهبوا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار ويرتدودون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحاً ومخلاً عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدرهم اللوت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات والذات فيكون للجامع تعب ووباله وللأكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والودح بالتجمل والروء فهو لاء يتعبون في كسب المعاش ويضيعون على أنفسهم في اللطم والشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيره
الإحرام بتكبيره
الامام ولا تسليحه
بتسليحه واحدة على
الامام وللمؤمنين وهو
أن لا يوصل تسليم
الفرض بتسليم النفل
ويجزم التسليم ولا يعد
مدا ثم يدعو بعد
التسليم بما يشاء من
أمر دينه ودينه
ويدعو قبل التسليم
أيضاً في سلب الصلاة
فانه يستجاب ومن
أقام الصلوات الحسن
في جماعة قد ملأ
البر والبحر عبادة
وكل المقامات والأحوال
زبدتها الصلوات
الحسن في جماعة وهي
سر الدين وكفارة
المؤمن وتعيص
للخطايا على ما أخرنا
شيخنا شيخ الاسلام

التفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أضرار الناس حتى يقال إنه غي وإنه ذو روة ويطنون أن ذلك هي السعادة فحتمهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واشتداد الخلق بالتواضع والتوقير فصرخوا بهمهم إلى استعجال الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس وبرون أنهم إذا اتست ولا ينهم واتقادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الفانلين من الناس ف هؤلاء خفلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها نزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنساجرهم إلى جميع ذلك حاجة الطعم واللباس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاول يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأغفال وعرف غاية المقصود منها فلا غرض في غفل وحرفة وعمل إلا وهو عالم بقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدته بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندثقت الأغفال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهممة إلى الاستعداد له وإن تمدى به قدر الضرورة كثرت الأغفال وتداعى البعض إلى البعض وتسلل إلى غير نهاية فتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالى الله في أي وأداهلك منها فهاشأن الله المتكئين في أعمال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدتم الشيطان ولم يتركهم وأنزلهم في الأمراض أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فأروا أن السواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من البعاد من أهل الهند فهم يتجهمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويطنون أن ذلك خلاص لهم من محنة الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بدوا لامن إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكيفية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم يحجز عن فهم الصفات بالكيفية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبس لأمل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التبع كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيد عبادة متعبد فسادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطغوا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من المباديات المجاهدة حتى يصل المبدأ بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع عنهم فهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتحنوا بالتكاليف وإنسا التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يبالغ فيها وسبعين فرقة وإنسا الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكيفية ولا يقيم الشهوات بالكيفية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقتع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب
السهر وردي رحمه الله
إجازة قال أنا أبو منصور
محمد بن عبد الملك بن
خبرون قال أنا أبو محمد
الحسن بن علي
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس بن زكريا قال
ثنا أبو محمد يحيى بن
محمد بن صاعد قال
ثنا الحسن بن الحسن
المروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا يحيى
ابن عبد الله قال سمعت
أبي يقول سمعت أبا
هريرة رضي الله عنه
يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلوات الخمس
كفارات لا خطايا وأقروا
إن شئتم - إن الحسنات
يذهبن السيئات ذلك
ذكرى لذا كبرن » .

ومن للسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واهتمه واشتغل بالذكر والسكر طول العمر وبقي ملازم السياسة الشهوات ومراقبها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاعتدال بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال «الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم؟» قال أهل السنة والجماعة قليل ومن أهل السنة والجماعة «قال ما أنا عليه وأصحابي» (١) وقد كانوا على التبرج القصد وعلى السبيل الواضع الذي فصلناه من قبل فاتهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدنّ وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الأمور تفریط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم .

ثم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(كتاب ذم البخل وذم حب المال)

(وهو الكتاب السابع من ربيع الهللكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد بركة البسوط ، وكاشف الضرب بد القنوط ، الذي خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على الملائكة أصناف الأموال ، وابتلاه فيها بتقلب الأحوال . ورددهم فيها بين السر والبسر والفق والطمع والياس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرس والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والأسف على المفقود والإيثار والإنفاق والتوسع والإملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليأولهم أحسن عملا وينظر أجهم آثار الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذي نسخ بعلمته ملا وطوى بشريته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذلا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن فتن الدنيا كثيرة والشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطمعها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه العتيان الذي لا تسكون عاقبة أمره إلا خسرًا . وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من النجيات وأقاتها من الهللكات وتبين خيرها عن شرها من الموصات التي لا تقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراغبين دون المترسمين المترئين وشرح ذلك مهم على الأفراد فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشقى البيظ بحكم الغضب والحسد

(١) حديث افتراق الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو وحسنه تفرقت أمق على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة فقالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جيدة .

(كتاب ذم البخل وذم حب المال)

[الباب الثمان
والشلتون في ذكر
آداب الصلاة
وأسرارها]

أحسن آداب المصل
أن لا يكون مشغول
القلب بشيء أو قل أو أكثر
لأن القلب كياس لم يرفضوا
الدنيا إلا ليتسبحوا
الصلاة كما أمروا لأن
الدنيا وأغشها لما
كانت شاغلة للقلب
رفضوها غيرة على
محل المناجاة ورغبة
في أوطان القربات
وإذعانًا بالباطن لرب
البريات لأن حضور
الصلاة بالظاهر إذعان
لظاهر و فراغ القلب
في الصلاة محاسن
الله تعالى إذعان الباطن
فلم يروا حضور الظاهر
وتخلف الباطن حتى
لا يحتل إذعانهم فتخرم
عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب المال بعضها ولها أبعاد كثيرة وبجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللانسان من قدده صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان . ثم لافاقده حالتان: القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشمر للحرص والصناعات مع اليأس عن الحلق والطمع شر الحالتين وللاوجد حالتان إمسالك بحكم البخل والشح وإتفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللفنق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن الغموض فيها مهم . ونحن نشرح ذلك ثم أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائده للمال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخل ثم الأيثار وفضه ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الثنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ذم المال وكرهه حبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى - فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - الهالك التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ «حب المال والشرف ينبئان النفاق في القلب كما ينبئ للماء البقل (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذنبان ضاريان أرسلان في زريبة غم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل للسل (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «هلك للكثرون لإيمان قال به في عبادة الله هكذا هكذا وقليل مام (٣)» وقيل «يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا ولأوتاهوا ويركبون

(١) حديث حب المال والشرف ينبئان النفاق في القلب كما ينبئ للماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذنبان ضاريان أرسلان في زريبة غم بأكثر فسادا لها من حب المال والجاه في دين الرجل للسل الترمذي والنسائي في السكبري من حديث كعب بن مالك وقالا جاثمان مكان ضاريان ولم يقلوا في زريبة وقال الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذنبان ضاريان في زريبة غم الحديث وللبراز من حديث أبي هريرة ضاريان جاثمان واستاد الطبراني فيهما ضعيف (٣) حديث هلك الأكثرون لإيمان قال به في عبادة الله هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بزي بلفظ للكثرون ولم يقل في عبادة الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ للكثرون وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ هم الأخسرون فقال أبوذر من هم فقال هم الأكثرون أموالا إلا ما قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتي الذين ولدوا في النعم وغذوا بها يكون من العلم أن أروانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن ربيع من سلا وللبراز من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمتي الذين غفوا بالنعم وتبعت عليه أجسامهم .

يكون باطنه مرتبها
بشره ويدخل الصلاة
وقيل من قته الرجل
أن يبدأ بقضاء حاجته
قبل الصلاة ولهذا
ورد «إذا حضر العشاء
والعشاء قدموا العشاء
على العشاء» ولا يصلي
وهو حائض يطالبه البول
ولا حائض يطالبه النفل
والحرط أيضا ضيق
الحف ولا يصلي أيضا
وخفه ضيق يشغل قلبه
قد قيل لا رأى لحازق
قيل الذي يكون معه
ضيق وفي الجملة ليس من
الأدب أن يصلى وعنده
ما يغير مزاج باطنه عن
الاعتدال كذه الأشياء
التي ذكرناها وانما
للقرط والضرب . وفي
الحبر «لا يدخل أحدكم
في الصلاة وهو مقطب
ولا يصلي أحدكم وهو

فره الخيل وألوانها وينسكحون أجل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لالتشبع وأغس بالكثير لانتفع عا كفون على الدنيا يبدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها يتهنون ولها واهم يتعنون فضرة من محمد بن عبد الله بن أدركه ذلك الزمان من عقب عتيق وخلف خلفك أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرزاهم ولا يتبع جنازتهم ولا يقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حظه وهو لا يشعر (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأفميت (٣)» وقال رجل «يا رسول الله مالي لأحب للوت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب للؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلقيه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يقبضه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى عشرته فالتى يقبضه إلى قبض روحه فهو ماله والذي يقبضه إلى قبره فهو أهله والتي يقبضه إلى عشرته فهو عمله (٥)» وقال الخواربون لمسي عليه السلام : مالك تمشي على الماء ولا تقدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عنكم قالوا حسنة قال لكنهما للدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كسا تكفا به الصراط قال له ماله امنى فقد أدبت حق الله في ثم بجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كسا تكفا به الصراط قال له ماله وملك ألا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور (٦)» وكل ما أورده في كتاب الزهد والفقر في ذم القنى ومدح الفقر يرجع جمعه إلى ذم السال فلا نطول بتسكيره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم السال بحكم العموم لأن السال أعظم أركان الدنيا وإنما ساند القرآن ماورد في السال خاصة قال صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف (٧)»

(١) حديث سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وينسكحون أجل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أمي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشددون في الكلام أولئك شرار أمتي وسنده ضعيف ولم أجده لباقيه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حظه وهو لا يشعر البزار من حديث أنس وفيه هائي بن التوكل ضبطه ابن جبان (٣) حديث يقول العبد مالي مالي الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالي لأحب للوت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يقبضه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى عشرته الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يقبض الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا السال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان «فلا ينبغي للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المصل سكون الأطراف وعسهم والإطراق ووضع الجبين على الشمال لما أحسنها من هيئة هبذ ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة اشمرع دون الثلاث حركات متواليات جازئ وأرباب العزبة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرف من الصلاة أنكر على وقال عنده إن العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا محمدا لا يتحرك منه شيء . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا الضيقة فتحبوا الدنيا (١) ». الآثار : روى أن رجلا ناله من أبي الفراء وأراه سوءا فقال اللهم من قبل بي سوءا فأصعب جسمه وأطول عمره وأكرمه فأنظر كيف رأى كثرة السال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لابد وأن يفضى إلى الطغيان. ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عني لاتفتني. وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش ببطائنها فقالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سترًا كان لها قطعته وجعلته سررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأتيناها ثم رفعت يديها وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عاى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أدله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفسهما بإبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عدى حقا وقال محمد بن عجلان إن الدرهم والدينارين أزيمة للناقتين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيقته فلا تأخذه فإنه إن لدغك تنكك صم قيل وما رقيقته قال أخذه من حله ووضعته في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة قتلت أعود بالله من شرك قالت إن شركك أن يعيدك الله منى فأفيض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيري أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن هناك تحوى للسلم
وفى ذلك قيل أيضا :

لا يفرنك من الرء قميص رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلصه أره الدرهم تصرف جه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال بأمر المؤمنين صنعت صنيا لم يصمه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدوني فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمتنعهم حقاهم ولم أعطيهم حقا لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فأفقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لودى. وروى أن رجلا قال لأبي عبد الله يا أخى لاتذهب بشى وترك أولادك يخبر فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ معصيتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للبعد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله.

(بيان مدح السال والجمع بينه وبين العلم)

اعلم أن الله تعالى قد صمى السال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم السال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو شاء على السال إذ لا يمكن الوصول إليها إلا به وقال تعالى - ويستخرجنا من كثرها رحمة من ربك - وقال تعالى فممتنا على عباده - وعيدكم بأموال وبنين ومجمل لكم جنات ومجمل لكم

في الخبر « صبة
أشياء في الصلاة
من الشيطان : الرعاف
والعاس والسوسمة
والشؤب والمحككة
والالتفات « والبث
بالله من الشيطان
أيضا وقيل السهو
والشك ، وقد روى
عن جد الله بن عباس
رضي الله عنهما أنه قال
إن الحشوع في الصلاة
أن لا يعرف الصلى من
على بينه وشماله . ونقل
عن صفيان أنه قال :
من لم يخضع فسدت
صلاته ، وروى عن معاذ
ابن جبل أنه سئل من
ذلك قال : من عرف
من عن عينه وشماله
في الصلاة متمدا فلا
صلاة له وقال بعض
العلماء من قرأ كلمة
مكتوبة في حائط أو

يبلغ به وقد تقدم في آداب الصلوة (١) حديث لاتخذوا الضيقة فتحبوا الدنيا الترمذي والحاكم
ومصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قرعوا (٢) حديث نعم السال الصالح للرجل الصالح
أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ تعما ولا تعمر .

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»^(١) وهؤلاء على المال ولا يتقف على وجه الجمع بعد المم واللح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وأقاربه وغوائله حتى يتكشف لك أنه خير من وجهه وشرفه وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومنموم من حيث هو شر فإنه ليس غير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للأمرين جميعا وهذا وصفه فيه بالحالة تارة وتارة أخرى ولكن البصر المعز يدرك أن المحمود منه غير للمنوم وبيانه بالاستعداد كما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر القنع فيه هو أن مقصد الأكراس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك القويم والقصد إلى هذا أدب الكرام والأكراس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم الناس وأكرهم؟» قال: أكرمهم للموت ذكرنا وأشهدهم له استعدادا^(٢) وهذه السعادة لاتنال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجية عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجية وأدناها الدراهم والدنانير فإنها خادمان ولا خادهم لها وموارد لنعيمها ولا يراد أن لادتها إذ النفس هي الجوهر الفيس المطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم وللعرفة وبكامل الأخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام والملابس تخدم البدن وقد سبق أن القصد من الطعام إبقاء البدن ومن اللباس إبقاء النفس ومن البدن تشكيل النفس وتركيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة الطعام والملابس التي هي ضرورة إبقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصوده واستعمله لذلك الغاية ملتفتا إليهم غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذن المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد قاصدة وهي المقاصد الصاعدة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو إذا محمود ومنموم محمود بالإضافة إلى القصد المحمود ومنموم بالإضافة إلى القصد للمنوم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر^(٣) كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطمة لسبيل الله وكان للمال مسهلها وآلة إليها عظم الخطر فيها زيد على قدر السكينة فاستأذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقاف^(٤)» فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتحصن به خيرهم وقال «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في ذمرة المساكين»^(٥) واستأذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن تعبد الأصنام - وعنى بها هذين الجبرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تعبد الإلهية في شيء من هذه المجارة إذ أذا كفي قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها ما والاغتراب بها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس وقد تقدم في كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكرهم قال أكثرهم للموت ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكرس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر تقدم قبله بقسمه أحاديث وهو يبيح أخذوا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لأن ذلك عدوه عملا، وقيل في تفسير قوله تعالى - والذين هم على صلاتهم دأبون - قيل هو سككون الأطراف والطعام نيتة . قال بعضهم إذا سكبرت التكبرية الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى شخصك عالم بما في ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وإنما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة يتقطع عنه الوسواس فيكون هذا التثبيل تدابيرا لقلب لدفع الوسوسة . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السمرودي بإجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم «تمس عبد الدينار وتمس عبد الدرهم تمس ولا تتمعش وإذا شيك فلا تتمعش» (١) فيبين أن عيبهما عابدهما ومن عبد حرجا فهو عابدهم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابدهم أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابدهم وهو شرك إلا أن الشرك شرك كان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقفا ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من ديب الخلق وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع .

(بيان تفصيل آفات المال وفوائده)

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق فتوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره . أما الفوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهاكسوا على طلبها وأما الدينية فتتصغر جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفعه على نفسه إمامي عبادة أوفى الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أهميات القربات والفقر محروم من فضلهما وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو الطعام والملبس والسكن والنكاح وضرورات العيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فتعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزرمة الأسخياء فلا يوصف بالجلود إلا من يسطيع المعروف وبذلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فتعني به بدل المال لدفع هجو الشعراء وثلث السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما وقي به المرء عرضه كتب له به صدقة» (٢) وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية القبيح واحتراز عما يشور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود التسمية . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتربية أسبابه كثيرة ولتولائها بنفسه ضاعت أوقاتها وتضرر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا ماله فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسran

أنا عمر بن أحمد
الصفار قال أنا أبو بكر
ابن خلف قال أنا
أبو عبد الرحمن قال
سمعت أبا الحسين
الفارسي يقول سمعت
عمر بن الحسين يقول
قال سهل من خلا قلبه
عن ذكر الآخرة
تعرض لوساوس
الشيطان فأما من باشر
باطنه صفو اليقين
ونور المعرفة فيستغنى
بشاهد عن تمثيل
مشاهدة قال أبو سعيد
الحراني إذا ركع فالأدب
في ركوعه أن يتصب
ويبدو ويستدل في
ركوعه حتى لا يسبق
منه مفصل إلا وهو
منتصب نحو العرش
العظيم ثم يعظم الله
تعالى حتى لا يكون
في قلبه شيء أعظم

(١) حديث تمس عبد الدينار تمس عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل واتتمش وإنما علق آخره بلفظ تمس واتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقي المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور الرضى ونصب الحجاب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف للرصد للغيثات وهي من الخيرات المؤبدة الدائرة بعد الموت للاستجابة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متبادلة وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائده للال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى الرز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه اللال من الحظوظ الدنيوية . وأما الآفات فدنيوية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن تجر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضلة والجز قد يحول بين الرء والمعصية ومن الصمة أن لا يجد ومهما كان الإنسان آيسا عن نوع من المعصية لم تحرك داعيته فإذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته والال نوع من القدرة يجر كداعية المعاصي وارتكاب الفجور فإن اتحم ما اشتراه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتة السراء أعظم من قسوة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التتم في الباحات وهذا أول الدرجات فحق يقدر صاحب اللال على أن يتناول خبز الشمر ولبس الثوب الحسن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يقتنم الدنيا ويعرن عليها نفسه فيصير التتم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فإذا اشتد أنه به رجعا لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتنم الشبهات ويغوص في المراءاة والمداينة والكذب والتفاخر وسائر الأخلاق الرديئة ليتنظم له أمر دنياه ويتيسر له تتمه فإن من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يناقشهم ويصيح الله في طلب رضاهم فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والصدافة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنجمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يغفل عن التمدى أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يتفك عنها أحد وهو أنه بلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله ، فقيل إن أخذ من حله ؟ فقال يضمه في غير حقه فقيل إن وضعه في حقه فقال يشغله بإصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الباء الضال فإن أصل المبادات ومغها وسرها ذكر الله والتفكير في جلالة وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضعة يسمى ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبتها وفي خصومة الشركاء ومناعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التصبر في العماره وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبدها عن كثرة الشغل والتفقد المسكون تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فلما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه آفات الدنيوية سوى ما يتقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والهم والتعب في دفع الحساد ونجس المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذن تريق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وماعدا ذلك موم وآفات تسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون منه من الخشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التساولة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أدبهم قيل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والموارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(يان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والياس بما في أيدي الناس)

اعلم أن القمر عمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قائما منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقع بقدر الضرورة من الطعام والملبس والسكن ويتصرف على أهله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمهاته عن القناعة وتدنى لاهالة الطمع ودل الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الحارقة للمرآت وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بطنى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » (١) « وعن أبي واقد الليثي قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيته ملتنا بما أوحى إليه فجئته ذات يوم فقال : إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » (٢) وقال أبو موسى الأشعري زلت سورة نحو برادة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديان من مال لقتى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « من هوام لا يشبعان منهم العلم ومنهم المال » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال » (٥) ولما كانت هذه حيلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم « مامن أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا » (٧) « وقال صلى الله عليه وسلم « ليس الثنى عن كثرة العرض إنما الثنى عن النفس » (٨) ونهى عن شدة الحرص والبالغة في الطلب فقال « ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له وإن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا هو راحمة » (٩)

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بطنى لهما ثالثا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى زلت سورة نحو برادة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديان من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث من هوام لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد وسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلع من أسلم وورق كفافا وقنع الله بما آتاه (٧) حديث مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى في الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية تقيع بن الحارث عن أنس وتقيع ضعيف (٨) حديث ليس الثنى عن كثرة العرض إنما الثنى عن النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب السكيب والمناش .

والعقل الذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فسكانهم أبدا في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحدا من أصحابه بعدد عليه كم ركة صلى . وقيل : الصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتياب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع الثياب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وما أمسك عنى نعمت . وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أسر للعالم وأيا شيء أعون على دفع الحزن ؟ فقال أسرها إليه ما ند من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بحتوم القضاء . وذلك بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحرص إذا طمع وأخفهم عيشا أرضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم للفرط وفى ذلك قيل :

أرفه يال فنى أسمى على ثقة إن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالرض منه مصون لا يدنس له والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من محال بساحتها لم يبق فى دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حق متى أنا فى حلّ وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا أشك مقربا عن الأجمة لا يدرون ماحلى
بشرقي الأرض طورائهم مغربها لا يخطر للوتمن حرص على بالى
ولو نعمت أنا فى الرزق فى دعة إن القنوع التنى لا كثرة للسالى

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لثنائى وقبضى وما يسهى من الظهر لحبسى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأفهم ولا بأوضعهم فوائده ما أدري أبخل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا الفدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها . وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لافوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكان مغاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد قلت عنه كأنك يا أخى لم تر حرصا محروما وزاهدا مزوقا ، وفى ذلك قيل :

أراك يزيدك الإثم حرصا على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قنبرة قتلت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أذحك وآكلك قالت والله ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أهلك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى ، أما واحدة فأهلك وأنا فى يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت : لا تلهى على ما فاتك غلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدق بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذهبتى لأخرجت من حوصلى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعص على شفته وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهى على ما فاتك ولا تصدق بما لا يكون أنا لحي ودبى ورشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الأدنى فانه يبعيه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون . وقال ابن السماك : إن الرجاء جبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك بخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد اليزيدى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رأى تبسم قلت فائدة أصلى الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأنشدنى :

إذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتتح لك بابها
فان قراب البطن يكثيك ملؤه ويكثيك سوات الأمور اجتنابها

أصاها حتى يدخل فى
صلاته وليس عليه
وزر« وذكر السرة
عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فقال أى السرة أقبح
فقالوا الله ورسوله أعلم
فقال إن أقبح السرة
أن يسرق الرجل من
صلاته قالوا كيف يسرق
الرجل من صلاته ؟
قال لا يتم ركوعها ولا
سجودها ولا خشوعها
ولا التواضع فيها .
وروى عن أبي عمرو بن
العلاء أنه قدم للإمامة
فقال لا أصالح فلما ألحوا
عليه كبر فتشى عليه
فقد موأماما آخر فلما
أفاق سئل فقال لما
قلت استووا هتف فى
هاتف هل استوت
أنت مع الله قط . وقال
عليه السلام «إن العبد

ولا تملك ميذلاً لمرضك واجتنب ركوبه لما يصح يحتج بك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكم ما يذهب العاوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وندوها قال الطمع وشبه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرى قولك كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشراء فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يغونها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاه لك خزم أغثك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حيك للدين سلعت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه فله عز وجل ولم تعده فله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيراً لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من حبيب أمر الانسان أنه لو نودى بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقه من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت راهباً قلت له من أين تأكل ؟ قال من يدير اللطيف الحبيب الذي خلق الرحاً يأتمها بالطعنين وأوماً بيده إلى رحا أضراسه فسبحان التقدير الحبيب .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه وبرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يفتح أبواب واحد خشن ويقتنع بأبى طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجال في الطب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الثنى والفقير والعدل في الرضا والغضب » (٣) وروى أن رجلاً أهرأ أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قهقهة رقتك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمات والمهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة » (٤) وفي الخبر « التديير نصف المعيشة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذرأ فقره الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الثنى والفقير والعدل في التضب الزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والمهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمات الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل المهدي الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التديير نصف المعيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خالد بن عيسى جهله العقيلي ووقعه ابن معين

إذا أحسن الوضوء
وصلى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها
وسجودها ومواقبتها
قالت حفظك الله كما
حفظتني ثم صعدت ولها
نور حتى تنتهي إلى
السما وحق تصل إلى
الله فتشفع لصاحبها
وإذا أضعافا قالت
صنيعك الله كما صنيعتي
ثم صعدت ولها ظلة
حتى تنتهي إلى أبواب
السما فتتلاق دونها ثم
تلف كما يلف الثوب
الحلق فيضرب بها
وجه صاحبها « وقال
أبو سليمان الداراني إذا
وقف المبد في الصلاة
يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فيما بيني وبين
عبيدي فإذا التفت
يقول الله أرخواها فما
بين يمينه وخلفها

أحبه الله (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا وعرجا» (٢) والتؤدة في الاتفاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفي فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لابد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فأنشد الحرص ليست هي السبيل لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واتقيا بوعد الله تعالى إذا قل عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وذلك لأن الشيطان يصد الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما عرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الدل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب وبسبب ذلك عليه في احتياله التعب تقدا مع الففلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون . وفيه مثل قيل:

ومن ينق الساعات في جمع ماله عفاقة قعر فالذي فصل الفقر

وقد دخل ابن خال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما «لا تأسيا من الرزق ما تهزرت ردوسكا فان الانسان قلده أمه أحمر ليس عليه قصر ثم يرزقه الله تعالى» (٣) ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن مسعود وهو حزين فقال له «لا تنكثركم ما قدر يكن وما ترزق يأتك» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لبيد إلا ما كتب له ولني يذهب عبد من الدنيا حق يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٥) ولا ينكث الانسان عن الحرص إلا بحسن تقته بتدبير الله تعالى في تدبير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لأعماله مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم «أبي الله أن يرزق عبده المؤمن إلامن حيث لا يحتسب» (٦) وقال سفيان اتق الله لما رأيت تقيا محتاجا أي لا تترك التقي قدفا لمروورته بل يلقى الله في قلوب السالكين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا وبكى وقال لو لم نمش لإلامن حيث نمش لم نمش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الديناشين شيئا منهما هو لي فلن أجعله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منهما هو لنيري فلذلك لم أنله فيها مضى فلا أرجوه فلما بقي بمنع الذي لنيري منى كما يمنع الذي لي من غيري فني أي هذين أفني حمري فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الدل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه

عبدى وما اختار لنفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأصرف منهما وأنا أستحي من الله حياء رجل أنصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الأدب عنده ومعرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لوسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمحرم بين يديك قال إن الذي أصلى له أقرب إلى من الذي يمشى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك فيقول أنترون بين يدي

- (١) حديث من اقصد اغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أي غير منكر أي هذا الحديث ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله .
- (٢) حديث إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله في فرجا وعرجا رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تأسيا من الرزق ما تهزرت ردوسكا الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خال . وقد تقدم (٤) حديث لا تنكثركم ما قدر يكن وما ترزق يأتك قاله لابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحته ورواه الأصفهاني في الترهيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو للتافري مرسل (٥) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب الحديث تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبي الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن إسماعيل ورواه ابن الجوزي في اللوضعات .

في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطالع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال ولأنهم ينفون عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويؤلمه المداينة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز لأئمن استغناؤه عن الناس » (١) ففي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أميره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لادين لهم ولا عقل ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صمت الخلفاء الراشدين وسائر الصغابة والتابعين ويستمتع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخبر عقله بين أن يكون على مشاهبة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فإنه إن تتم في البطن فالجارح كثرأ كلاً منه وإن تتم في الواقع فالخزير أعلى رتبة منه وإن ترين في اللبس والحيل في اليهود ومن هو أعلى رتبة منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يسأله في رتبته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يفهم ما في جميع المسال من الخطر كما ذكرنا في آفات المسال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات السال مع ما يفوته من المداينة عن باب الجنة إلى خمسة عشر عاماً فإنه إذا لم يقع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء وبثم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فإن الشيطان أبداً يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفرعن الطلب وأرباب الأموال يتمتعون في اللطام والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وغاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالنعم فلم تريد أن تتمتع عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق (٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والحق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضله عليه » (٣) فبهذه الأمور بقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل لتتمتع دهرها طويلاً فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن المسال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال اليد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بعض منها قام ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه إسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن ساجان عن محمد بن عيينة وكلاماً مختلف فيه وجهه القضاء في مسند الشهاب من قوله النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والحق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضله عليه ، متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أقف .
وروى عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا يكتب للعبد من
صلاته إلا ما عقل » وقد
ورد في لفظ آخر
« منكم من يصلي
الصلاة كاملة ومنكم
من يصلي النصف
والثالث والرابع والخمس
حتى يبلغ العشر » قال
الخواص ينبغي للرجل
أن ينسوى نوافله
لنقصان فرائضه فإن
لم ينوها لم يحسب له
منها شيء . بلغنا أن الله
لا يقبل نافلة حتى
تؤدي فريضة يقول
الله تعالى : مثلكم كمثل
العبد السوء بدأ
بالحدية قبل قضاء
الدين ، وقال أيضاً
انقطع الخلق عن الله

النصن إلى الجنة^(١) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم^(٢) » وفي رواية « فأكرموا بهما ما محببوه » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جيل الله تعالى ولياله إلا على حسن الخلق والسخاء^(٣) » وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والسجدة^(٤) » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقنا محبهما الله عز وجل وخلقنا يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس^(٥) » وروى اللقمان بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دلت على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام^(٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سعيًا أخذ بضمن منها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيا أخذ بضمن من أغصانها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله النار^(٧) » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحمان عبادى تعيشوا فى أكنافهم فأنى جمعت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأنى جعلت فيهم سخطى^(٨) »

(١) حديث السخاء شجرة فى الجنة الحديث ابن حبان فى الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى فى المستجاد من حديث أبى هريرة وسأأتى بعده وأبو نمير من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى فى اللوضعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبى سعيد (٧) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق المدارقطنى فى المستجاد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل الله ولياله إلا على السخاء وحسن الخلق الدارقطنى فى المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى اللوضعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسجدة أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمر بن عنبسة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والسجدة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسجدة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خاتقان محبهما الله وخلقنا يبغضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول فى آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذب أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث اللقمان بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفى رواية له يوجب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام وفى رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبى هريرة السخاء شجرة فى الجنة الحديث وفيه والشح شجرة فى النار الحديث المدارقطنى فى المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهرى ضعيف جدا (٨) حديث أبى سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحمان عبادى تعيشوا فى أكنافهم الحديث ابن حبان فى الضعفاء والحرالطى فى مكارم الأخلاق والطبراني

تعالى بخصلتين أحدهما أنهم طلبوا النوافل وضيقوا الفرائض والثانية أنهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا إلا بالصدق وإصابة الحق وقبح العين فى الصلاة أدنى من تضييع العين إلا أن ينشئت همه بتفريق النظر فيضمض العين للاستعانة على الخشوع وإن تآبب فى الصلاة يضم شفطيه بقدر المكان ولا يلقى رقبته بصدرة ولا يراحم فى الصلاة غيره قيل ذهب للزحوم بمصلا للراحم وقيل من ترك الصف الأول مخافة أن يضيع

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلها» (١) وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البحر وإن الله تعالى لياهي بمطعم الطعام للملائكة عليهم السلام» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها» (٣) وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشيء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسدلوا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة» (٤) وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن الله عبادا يختصم بالعلم لمنافع العباد فمن غل بتلك المنافع على العباد ظلمها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره» (٥) وعن الهلال قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال هل بين أي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذهب واحد فقال هذا من بينهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وأترك هذا فإن الله تعالى شكره سخاء فيه» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تسجل السراح» (٧) وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخل داء» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء لحمله عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غرزه ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لبأس بحديثه وتكلم فيه الجوزجاني والأزدى ورواه الحاكم من حديث طي وقال إنه صحيح الإسناد وليس كقائل (٩) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلها عثر الطبراني في الأوسط والخراطي في مكارم الأخلاق . وقال الخراطي ألقوا السخي زلته وفيه ليث بن أبي سليم يختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بأسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدار قطنى (١٠) حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البحر الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الأخير أسرع إلى البيت الذي يشي وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشجرة إلى سنام البعير ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (١١) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها الخراطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كرز وهذا مرسل ولا طبراني في الكبير والأوسط والحاكم البيهقي من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة (١٢) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأناه رجل فسأله فأمر له بشيء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (١٣) حديث ابن عمر إن الله عبادا يختصم بالعلم لمنافع العباد الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السقي وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدى (١٤) حديث الهلال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فإن الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا (١٥) حديث إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تسجل السراح لم أقف له على أصل (١٦) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخل داء ابن عدي والدار قطنى في غرائب مالك وأبو علي الصدفي في عواليه وقال رجاله

على أهله قدام في الثاني
أعطاه الله مثل ثواب
الصف الأول من غير
أن ينقص من أجورهم
شيء وقيل إن إبراهيم
الخليل عليه السلام
كان إذا قام إلى الصلاة
يسمع خفقان قلبه
من ميل . وروى
عائشة رضى الله عنها
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يسمع
من صدره أزيز كأزيز
المرجل حتى كان يسمع
في بعض سكك المدينة
ومثل الجنيد ما فرضة
الصلاة ؟ قال قطع
العلائق وجمع الهم
والخضور بين يدي الله
وقال الحسن ماذا يمز
عليك من أمر دينك
إذا هانت عليك
صلاتك . وقيل أوحى
الله تعالى إلى بعض

« من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه ^(١) » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال . وقال عيسى عليه السلام : استكثرنا من شيء لآتنا كله النار قيل وما هو قال المعروف . وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « الجنة دار الأسخياء ^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخى أحب إلى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن أصبت أهله فقد أصبت أهلها وإن لم تصب أهلها فانت من أهلها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأتقى وسلامة الصدور والنصح للمسلمين ^(٥) » وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل جعل المعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فقال له وجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطائه كما يسر التقي إلى البلدة الجيدة فيحبها ويحبها أهلها ^(٦) » وقال ﷺ « كل معروف صدقة وكل ما تفرق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقي به الرجل عرضه فهو له صدقة وما اتفق الرجل من نفقة صلى الله خلفه ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهيان ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

تقات أمة قال ابن الفظان وإنهم لمشاهير تقات إلا مقدم بن داود فإن أهل مصر تسكلموا فيه .
 (١) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن عيسى ما عظمته نعمة الله على عبد إلا ذكره وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الحرالمطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بن سعد بن عيسى وفيه طعن غير محمولة (٢) حديث عائشة الجنة دار الأسخياء ابن عدى والدارقطني في الاستجداء والحرالمطي قال الدارقطني لا يصح ومن طريقه رواه ابن الجوزي في اللوضعات . وقال الذهبي حديث منسك ما أفنه سوى جحدر . قلت رواه الدارقطني فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد اللوقري وهو ضعيف جدا (٣) حديث أبي هريرة إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذي وقال غريب ولم يذكر فيه وأدوأ الداء البخل ورواه هذه الزيادة الدارقطني فيه (٤) حديث اصنع المعروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله الدارقطني في الاستجداء من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلًا وتقدم في آداب المعيشة (٥) حديث إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأتقى الحديث الدارقطني في الاستجداء وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز المبارك الدينوري أورد ابن عدى له مناكير وفيه الزباني إنه ضعيف منسك الحديث ورواه الحرالمطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه وفيه صالح البري متكلم فيه (٦) حديث أبي سعيد إن الله جعل المعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف الحديث الدارقطني في الاستجداء من رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الحاكم من حديث علي وصححه (٧) حديث كل معروف صدقة وكل ما اتفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة الحديث ابن عدى والدارقطني في الاستجداء والحرالمطي في الشهب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالى وثقه ابن معين وضمه الجمهور والجله الأولى منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٨) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله

الأنبياء فقال إذا دخلت الصلاة فحبب من قلبك الخشوع ومن بدنك الخشوع ومن عينك الدموع فاني قريب . وقال أبو الخير الأقطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقات يا رسول الله أوصني فقال « يا أبا الخير عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي إن أقرب ما يكون منك وأنت تصلي » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان في نفسك خير من قيام ليلة . وقيل إن محمد بن يوسف الفرغاني رأى حاتم الأصم واقفا يخط الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ

« كل معروف قتلته إلى غنى أو فقير صدقة ^(١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سقى وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففخر لهم قيس تسع ركائب فخذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شمة أهل ذلك البيت ^(٢) » . الآثار : قال على كرم الله وجهه إذا أقبلت عليك الدنيا فأفق منها فانها لا تفي وإذا أدبرت عنك فأفق منها فانها لا تبق وأشد :

لا يبخان بدنيا وهي مقبلة فليس يتقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالجود منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الروعة والتجدة والكرم فقال أما الروعة لحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بشفه وحسن للنازعة والاقدام في الكراهية . وأما التجدة فالإدب عن الجار والصبر في اللواطن وأما الكرم فالاتباع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعتي ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذلم مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعتي . وقال ابن السكك هببت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري الأحرار بعروفيه . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذلل ماله لطلابه لم يكن سخيا وإنما السخي من يتدنى بعقوب الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاما . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ فقال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالشاوره إلا وإن الله عز وجل يقول : إنني جواد كريم لا يجاورني لئيم والثاؤم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بساحته . وروى أن الأنخف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل : أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتك فالمال لك

ومضى واصل بن عطاء الغزال لأنه كان يجلس إلى الغزالين فإذا رأى امرأة ضئيفة أعطاها شيئا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يسأله في إعطاء الشعر أن يكتب إليه خير السائل ما بقي به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبعت بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إطاعة الله فإن الدار قطني في السجود من رواية الحاجب بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تقدمت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زيادة الخيري ضيف ^(١) حديث كل معروف قتلته إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحراني كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر باستنادين ضعيفين ^(٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففخر لهم الحديث وفيه فقال إن الجود لمن شمة أهل ذلك البيت الدار قطني فيه من رواية أبي حمزة الخيري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حله .

الناس أحسن أن

تصل ؟ فقال نعم قال كيف

تصل ؟ قال أقوم بالأمر

وأمشي بالحسنة

وأدخل بالحسنة وأكبر

بالعظمة وأقرأ بالتبذل

وأركع بالخشوع

وأسجد بالتواضع

وأتمد للثمة بالتجمل

وأسلم على السنة

وأسلمها إلى رب

وأحفظها أيام حياتي

وأرجع باليوم على نفسي

وأخاف أن لا تقبل

منى وأرجو أن تقبل

منى وأنا بين الخوف

والرجاء وأعشكر من

علفي وأعظمها من

سألي وأحمد ربى إذ

هداني قال محمد بن

يوسف مثلك يصلح

أن يكون واعظا وقوله

تسالى - لا تحربوا

الصلاة وأتم سكرى -

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لِأَخَوَاتِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي أَفَأَجَلُ عَلَيْهِمَ بِالْمَالِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بَذَلُ الْمَجْهُودِ فِي بَذَلِ الْوُجُودِ مَتْنَهِي الْجُودُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَّامِ مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِي عِنْدَهُ . وَقَالَ عَبْدِ الْمَرْزُوقِ بْنِ مَرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ أَمْتَنَنِي مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى أَضْعُ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ فَيَدِي مِثْلَ يَدِي عِنْدَهُ وَقَالَ الْهَدْيُ لَشَيْبِ بْنِ شَبَّةٍ كَيْفَ رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَاجِعًا وَيَخْرُجَ رَاضِيًا وَغَثَلٌ مِثْلُ عِنْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالُوا :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَصْكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ الصَّنِيعِ
فَإِذَا اصْطَلَحَتْ صَنِيعَةً فَاصْطَدَّ بِهَا اللَّهُ أَوْ لَدَوِي الْقِرَابَةُ أَوْدَعُ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُخْلَنَ النَّاسُ وَلَكِنْ أَمْطَرَ لِلْعُرُوفِ مَطَرًا فَإِنْ أَصَابَ السَّكْرَامُ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ الْإِثْمُ كُنْتَ لَهُ أَهْلًا .

(حكايات الأسخياء)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّكْدَرِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَعْبُدُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةُ بِمَثَلِهَا بِمَالٍ فِي غَرَارَتَيْنِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَدَعَتْ بِطَبِيقٍ فَجَبَلَتْ تَقْسِمَهُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا امْتَسَتْ قَالَتْ يَا جَارِيَةَ هَلِي فَطُورِي فَجَاءَتْهَا غَبِيرٌ وَزَيْتٌ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَعْتُ فَمَا قَسَمْتُ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَنَا بِدَرَاهِمِ ثَلَاثًا فَطَبَّرَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ . وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عَثَانَ قَالَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَضْرِبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَأَتَى وَجْهَهُ قَرِيبِي فَقَالَ يَقُولُ لَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ تَقْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ حَتَّى مَلَأُوا عَلَيْهِ الدَّارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرَ الْحَبْرَ فَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بِشِرَاءِ فَاكِهِةٍ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا وَخَبَزُوا وَقَدَّمَتْ الْفَاكِهَةَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرُغُوا مِنْهَا حَتَّى وَضَعَتْ الْوَائِدَ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدُرُوا وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَتْهُ أَوْ وَجُودَ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَلْيَخُذْ عِنْدَنَا حَوْلَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مَصْبُوبُ بْنُ الزُّبَيْرِ حَجَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ أَخِيهِ الْحَسَنُ لَا تَلْقُهُ وَلَا تَسْلَمْ عَلَيْهِ فَلَمَّا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنُ إِنْ عَلَيْنَا دِينًا فَلَا بَدَ لَنَا مِنْ إِيَابَانِهِ فَكَبَّرَ فِي أَزْهِرِهِ وَلَحَقَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَرَوَا عَلَيْهِ يَخْتُمُ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَهْيَأَ وَتَخَلَّفَ عَنِ الْإِبِلِ وَقَوْمٌ يَسُوقُونَهُ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ مَا هَذَا فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ اصْرَفُوهُ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ رَفَعَ رَقْعَةً إِلَى الثَّامُرِ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةَ الدِّينِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ عَلَيْهِ فَوَقَعَ الثَّامُرُ عَلَى ظَهْرِ رَقْعَتِهِ إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خُصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدَيْكَ وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَنْتَعِزُكَ عَنْ تَبْلِيغِنَا مَا أَمَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَصَبْتَ فَازِدًا فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتُ فَجِنَانَتِكَ عَلَى تَحْسَنِكَ وَأَمْتُ حَدَّثَنِي وَكَانَتْ عَلَى قَضَاءِ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ يَا زُبَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ يَمُتُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدْرِ تَقَاتِهِ تَعْنِ كَثْرَتُهُ وَوَمَنْ قَلَّ قَلَّتْ لَهُ وَأَمْتُ اعْلَمْ ^(١) قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللهُ لِمَا ذَكَرَ الثَّامُرُ إِلَى أَبِي الْحَدِيثِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَائِزَةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا حَقَّ سَوَآئِكَ إِلَيَّ يَعْظُمُ لِي وَمَعْرِفِي بِمَا يَجِبُ لَكَ تَكْبِيرِي عَلَى وَيَدِي تَعْبُورُ عَنْ نِيْلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَالْكَبِيرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مَلِكِي وَفَاءٌ لِسُكْرِكَ فَإِنْ قَبِلْتَ الْبُيُوتَ وَرَفَعْتَ

قِيلَ مَنْ حَبَّ الدُّنْيَا
وَقِيلَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ صَلَّى
وَكُتِبَتْ لَهُ وَلَمْ يَحْدِثْ
نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا قَدْ مَضَى مِنْ
ذَنْبِهِ . وَقَالَ أَيْضًا إِنْ
الصَّلَاةُ تَحْكُمُ وَتَوَاضَعُ
وَتَضَرُّعٌ وَتَتَادَمُ وَتَرْفَعُ
بِيَدِكَ وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ
اللَّهُمَّ فَنُفَعِلْ ذَلِكَ
فَهِيَ خِدَاجٌ أَيْ نَاقِصَةٌ
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا
تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ تَبَاعَدَ
عَنْهُ الشَّيْطَانُ فِي
أَفْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفَانِهِ
لَأَنَّهُ تَأْهَبُ لِلدُّخُولِ عَلَى
الْمَلِكِ فَإِذَا كَبَّرَ حَجَبَ
عَنْهُ إِبْلِيسُ قِيلَ
بِضَرْبٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ
سَرَادِقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ
وَوَاجِهُ الْجِبَارِ بَوَاجِهِهِ
فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اطْلُعْ
لِلْمَلِكِ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا لَمْ

(١) حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ زُبَيْرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ وَفِي أَوَّلِهِ تَقْصَعُ الثَّامُرُ
الِدَارَ تَقَطُّ فِيهِ وَفِي إِسْنَادِهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِالْعَنْتَةِ وَلَا يَصِحُّ .

عن مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أنسكفه من واجب حقه فقلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العتبة وأعد على المنع فعدا الحسن بوكيه وجعل يحاسبه على فقائه حتى استقصاها فقال هات الفضل من الثلاثة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالحاجة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفعت الدنانير والدرهم إلى الرجل وقال هات من يحملها لك فأنا بعمالي ندفعت إليه الحسن رداه لكرام الخالين فقال له مواله والله ما عندنا درهم فقال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لتاجار صوام قوام يمتلئ كل واحدنا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بنو فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أصفناه أعطينا ما يشته عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكون أعوانه على تجهيزها فليس لدينا من القدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا . وحكى أنه لما أعجب الناس بمصر وعبد الحيد بن سعد أميرهم فقال والله لأعلن الشيطان أني عدوه فقال يحاولهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حتى نساها وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تضرع عليه ارتجاعها كتب إليهم بيهما ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته . وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن طالب لما وهبت لي ثعلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لأعطيك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرشد أحد الكرماء فهدى بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمي إلى القاضى وادع على بشرة آلاف درهم حتى أقرك بها ثم احبسني فإن أهلى لا يتركنى محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرشد من الحبس . وكان معن بن زائدة عاملا على العراقيين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مودة وأراد الدخول على معن فلم يتأهل له فقال يوما لبعض خدام معن إذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما دخل الأمير البستان أعده فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الباء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها :

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى نسالى إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمر له بشربد فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفعت إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت ما لى درهم ولا دينار . وقال أبو الحسن اللدائى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا فقامهم فقامهم فجاءوا وعطشوا فمروا ببحر جوف في خباء لها قالوا هل من شراب ؟ فقالت نعم فأتوا بها فلبس لها إلا شربة في كسر الحيمة فقالت احببوا وامتنعوا لبها فلو اذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فلذبها أحدم حتى أهوى لكم ماتا فكلون فقام إليها أحدم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش تريد هذا الوجه فاذا رجعتنا سامن فالى بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجهما فآخبرتهما بغير القوم والشاة فغضب الرجل وقال وياك تدعين شاتى لقوم لا يعرفنهم ثم تقولين نمر من قريش قال ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجلا ينقلان البصر إليها ويبيحانه ويتعششان بشمه

يكن في قلبه أكبر
من الله تعالى يقول :
صدقت الله في قلبك
كما تقول وتسمع من
قلبه نور يلحق
بمكشوف العرش
ويكشفه بذلك النور
ملكوت السموات
والأرض ويكتب له
حشو ذلك النور
حسنات وإن الجاهل
العاقل إذا قام إلى الصلاة
احتوشه الشياطين كما
يحتوش الدباب على
قطعة العسل فاذا كبر
اطلع الله على قلبه فاذا
كان شئ في قلبه أكبر
من الله تعالى عنده
يقوله له كذبت ليس
الله تعالى أكبر في
قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان باحق
بمنان السماء فيكون
حجابا لقلبه من

فمرت المجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فصرف المجوز وهي له منكسة فبعث غلامه قدما بالمجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفين؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت المجوز بأبي أنت وأمي أنت هو؟ قال نعم نعم أمر الحسن فاعتروا لها من شياء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بك وصلك أخي؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال لها بك وصلك الحسن والحسين؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها عبد الله بألف شاة وألف دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعهما فرجعت المجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار. وخرج عبد الله بن عامر بن كربر من للسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من تيف فشى إلى جانبه فقال له عبد الله أنك حاجة يا غلام؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تسمى وحدك قلت أتيك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الصلام وقال استنق هذه فتع مائة بك أهلك. وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بعيرك نجيبى وكان السخى الليث قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير معين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد حمد هذا الرجل إلى بعيره فحفره في النوم فأتبعه الرجل من نومه فإذا الهم شج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وفتقوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعث من فلان بن فلان شيئا وذكر صاحب القبر قال نعم بعث منه بعيرى بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأته في النوم وهو يقول إن كنت أبى فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وسماه. وقدم رجل من قريش من السفر فرأى رجلا من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لتلامه ما بى مملك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لمالك استقلت ما أعطيتك؟ قال لا ولكن ذكرت ماتا كل الأرض من كرمك فأبكاني. واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقة بن أبى عيط داره التي في السوق بثمسين ألف درهم فلما كان الليل مع بكاء أهل خالد فقال لأهله المملوءة؟ قالوا سيكون لدرهم فقال يا غلام ائتهم فأعلمهم أن السال والدار لهم جميعا. وقيل بث هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله فخصمته دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأعقذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيتهم خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيته فقال يا أمير المؤمنين إن لى من غافى كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم. وحكى أنه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار. وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عمل فأمرها بزي من عمل فقيل له إنها كانت تقنع بدون هذا؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيه على قدر النعمة علينا. وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا. وقال الأعمش اشتكت شاة عندى فكان خيشمة بن عبد الرحمن يسودها بالندقة والعشى ويسألنى هل استوفت عليها وكعب صبر الصبيان منذ قدوا لبنا وكان تحق لبد أجلس عليه فإذا خرج قال خذ ما تحت اليد حتى وصل إلى علة الشاة أكثر من ثلثمائة

للمسكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابه ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى يصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه. وفى الخبر «لولا أن الشياطين يهيمون على قلب في آدم لظفروا إلى مسكوت السماء». والقاب الصافية التي كل أدبها الكمال أدب قولها تصير مساوية تدخل بالحكي في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرم السماء من تصرف الشياطين فالتعب الهادى لا يميل للشيطان إليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لا تتقطع بالتحسن بالساء كقطعان تصرف

دينار من بره حتى تخشيت أن الأشاة لم تبرأ . وقال عبد الملك بن مروان لأسهاء بن خارجة بلني عنك خصال حدثني بها ، فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك إلا حصدتني بها فقال يا أمير المؤمنين ما مدت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه توما إلا كانوا أمن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله سكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إنى سمعت مع الصباح مناديا يأمن بيني على القى للعوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عباد فاستبطأ إخوانه فقبل له أنهم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برىء قال فاستكرت درجته بالمشي لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت الفجر في مسجد الأعمش بالكوفة أطلب غربا لي فلما صليت وضع بين يدي حلة وعلنان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأعمش بن قيس الكندي قدم البصرة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة وعلنان . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابوري رحمه الله : سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي الجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل مرف بأن يجمع الفقهاء شيئا فوجد بعضهم مولود قال فجئت إليه وقلت له ولد لي مولود وليس مني شيء فقاموا فخرجوا فجمع الفقهاء شيئا ففتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمه الله كنت نخل وتصنع وإنى درت اليوم على جماعة فسكفتم دفع شيء لمولود فلم ينطق لي شيء قال ثم قاموا فخرجوا فجمع الفقهاء شيئا ففتح بشيء فجاء إلى أن يفتح عليك بشيء قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتجب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادى يغفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسة دنانير فأحياها إلى هذا الرجل فلما كان من الفد تقدم إلى منزل البيت وقس عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا للوضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس رؤياي حكم فقالوا هو يتسخ ميتا ولا يتسخي نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب الولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفني هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدري أي هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يسألني فلما توفي بلغه خبر موته فغضر وقال اتوني بتذكرته فأني بها فظفر فيها فإذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي إياه أي أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحماده وزرهم فرأيت فيهم سباعا وخير وأثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان شيء بلقي عنه أنه كان ذات يوم راكبا حمارة فمركه فانهط زره فرح على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت قدام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها وأئذد الشافعي رحمه الله نفسه :

الشیطان والقساوب

للراة بالقرب تدرج

بالقريب وتخرج في

طبقات السموات وفي

كل طبقة من أطباق

الهاء يتخاف شيء من

ظلمة النفس ويقد

ذلك يقل الهاجس إلى

أن يتجاوز السموات

ويقف أمام العرش

ففسد ذلك يذهب

بالكلية هاجس النفس

بساطع نور السرير

وتتدرج ظلمات النفس

في نور القاب اندراج

الليل في النهار وتتأذى

حينئذ حقوق الآداب

على وجه الصواب .

وما ذكرنا من أدب

الصلاة يسر من كثير

وشأن الصلاة أكبر

من وصفنا أو كل من

ذكرنا وقد غلط

أقسام وظنوا أن

يا لطف قلبي على مال أجود به على اللعين من أهمل للروايات
إن اعتذارى إلى من جاء يسألي ما ليس عندي لمن إحدى للصينيات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يارب أعطه أربعة دنانير
واعتذر إليه عنى . وقال الربيع سمعت الحميدى يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بشمرة آلاف
دينار فضرب خبءاء في موضع خارج عن مكة ونشرا على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض
له قبضة ويسطيه حتى صلى الظهر ونقض الثوب وليس عليه شيء . وعن أبي ثور قال أراد الشافعي
الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سباحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال
ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة
يكتفي أن أشتريها لمعرفي بأصلها وقد وقفت أكثرها ولكني بنيت بنى مضربا يكون لأهنا إذا
حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافعي رحمه الله نفسه يقول :

أرى قسى تتوق إلى أمور يقصر دون مبلثون مالى
ففى لا تطاوعنى يخل مالى لا يلغى فمالي

وقال محمد بن عباد الهلبي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها
فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه كاتبه المأمون في ذلك قال يأمر المؤمنين: منع للوجود، سوء ظن
بالمبعود، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم
فبكي فقال له سعيد ما يبيك ؟ قال أبكي على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى .
ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليا قبل منه اللذة وأمر حاجبه
بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكافته فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب
إليه يقول : إن حراما قبول مدحتنا وترك ما نرجى من الصفد
كالحرمان والله نائير في السبح حرام إلا يند يد

فلما وصل البيتاني إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا
وجئى بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأناك عاجل برنا قسلا ولو أمهلتنا لم نقتل
غدا القليل ولكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نقتل

وروى أنه كان لثمان على طلحة رضى الله عنها خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد
فقال له طلحة قد تهاى مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك هي مروءتك . وقالت سمدي
بنت عوف دخلت على طلحة فأرأت منه قتلا فقلت له مالك ؟ قال اجتمع عندي مال وقد غنى فقلت
وما يمشك ادع قومك فقال بإعلام على بقوى قسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربعة آلاف .
وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله ويخرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم ماسألى بها أحد قبلك إن لى
أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فاقبضها وإن شئت بنتها من عثمان ودفعت إليك
الثلث فقال الثمن قباعها من عثمان ودفع إليه الثمن . وقيل بكي على كرم الله وجهه يوما قليل ما يبيك
فقال لم ألقى ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى . وأتى رجل صديقا له فدى عليه
الباب فقال ما جاء بك ؟ قال على أربعة آلاف درهم دين فوزن أربعة آلاف درهم وأخرجها إليه وعاد يبيك
فقلت امرأته لم أعطيت إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أتخذ حاله حتى احتاج إلى مفاتيح
فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

اللقصود من الصلاة
ذكر الله تعالى وإذا
حصل الذكر فأى
حاجة إلى الصلاة
وسلكوا طرقا من
الضلال وركنوا إلى
أباطيل الخيال ومحو
الرسوم والأحكام
ورفضوا الحلال
والحرام وقوم آخرون
سلكوا في ذلك طريقا
أدته إلى هوان الحال
حيث سلبوا من
الضلال لأنهم اعترفوا
بالتراض وأسكروا
فضل التواضع واعتزوا
بيسير روح الحال
وأهلوا فضل الأعمال
ولم يعلموا أن الله في
كل هيئة من الهيئات
وكل حركة من
الحركات أسرار
وحكايا لا توجد في شيء
من الأدكار والأحوال

« شر ما في الرجل شح هالـع وجبن خالـع »^(١) « وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكتـه باكية فقالت : واشـيـدها فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فلهـكـه كان يتكلم فيما لا يـنـبـهـه أو يـخـيـل بما لا يـنـقـصه »^(٢) وقال جبير بن مطعم « بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خـيـر إذ علقت رسول الله صلى الله عليه وسلم والأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى مرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه الضياء لعمـا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني غيـلا ولا كذبا ولا جبانـا »^(٣) وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قما قلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال اتهم بخيرون بين أن يسألوني بالفحش أو يـخـلوني ولست ياخـل »^(٤) وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بئر فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالـا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالـا فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيتـه ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحـدكم ليسألني فينطلق في مسألتـه متأبطها وهي نارقا قلت عمر فلم تعظم ما هو نار قال يابون إلا أن يسألوني وبأي الله لي البخل »^(٥) وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فـجـودوا بحـد الله لكم إلا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة طوبى وهذا أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بضـن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقتـه وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة الزقوم دلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بضـن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار »^(٦) وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يـلـج الجنة إلا سـخى والبخل شجرة تنبت في النار فلا يـلـج النار إلا يـخـل »^(٧)

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش^(١) حديث شرماني الرجل شح هالـع وجبن خالـع أبو داود من حديث جابر بسند جيد^(٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فلهـكـه كان يتكلم فيما لا يـنـبـهـه أو يـخـيـل بما لا يـنـقـصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وللبهقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذي إلا أن رجلا قال له أبشر بالجنة^(٣) حديث جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة^(٤) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قما الحديث وفيه ولست ياخـل مسلم^(٥) حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأثنيا وقالـا معروفا الحديث وفيه وبأي الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبراء نحوه ولم يقل أحمد إنها سألاه عن بئر ورواه البراء من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات^(٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فـجـودوا بحـد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجـه ولـه في مسنده ولم ألق له على إسناد^(٧) حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يـلـج في الجنة إلا سـخى الحديث تقدم دون قوله فلا يـلـج في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجـه ولـه في مسنده .

فيه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية وأيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى الساعون الصاعون لأنهم ساحسوا إلى الله تعالى مجموعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصاعون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويغرم للصائم إفراغا ويحازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فد بن حيان من سيدكم يا بني حيان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح ^(١) » وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس » فقال بهم تسودونه ؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنا على ذلك نرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أدوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يفيض البخل في حياته السخى عند موته ^(٣) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البخی الجھول أحب إلى الله من العابد البخیل ^(٤) » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد ^(٥) » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يبنی مؤمن أن يكون غیلا ولا جبانا ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشیخ أعذر من الظالم وأی ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بزمته وعظمته وجلاله لا یدخل الجنة شیخ ولا غیل ^(٨) » وروی أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت لا أغفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أسفه لك فقال وعجك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الأرض قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله أعظم وأعلى قال وعجك نصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلي بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لآخر قى بئارك فو الذي بشئ بالهداية والكرامة لو كنت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دم وعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأبكك الله في النار وعجك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار وعجك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - ^(٩) الآثار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني حيان قالوا سيدنا جد بن نيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث على بن الله ليفيض البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب القردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أجده إسناده (٣) حديث أبي هريرة السخى الجھول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بلفظ ولجاهل سخي وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النسائي وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا يبنی مؤمن أن يكون غیلا ولا جبانا (٧) بهذا اللفظ (٨) حديث يقول قائلكم الشیخ أعذر من الظالم وأی ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا یدخل الجنة شیخ ولا غیل لم أجده بتمامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا یدخل الجنة غیل وقد تقدم (٩) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت لا أغفرت لي الحديث في ذم البخل وفيه قال إليك عني لآخر قى بئارك الحديث بطوله وهو باطل لأصله .

يحيى بن معاذ إذا ابتلى للريد بكثرة الأكل يكت عليه اللائكة رحمة له ومن ابتلى بهرس الأكل فقد أحرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فإذا جوع بطنه وأخذ حلفه وراض نفسه ليس كل عضوا احترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذات الشهوات فقد رطب أعضائه وأمكن الشيطان والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده اللائكة وبهزم الشيطان من جائع تأم فكيف إذا كان

جنة عدن قال لها تريفي قزيت ، ثم قال لها أظهرى أنهارك فأظهرت عين السلسيل وعين
 الكافور وعين التسنيم ففجر منها في الجنان أنهار الخرو وأنهار السل والبن ثم قال لها أظهرى سرورك
 وحجالك وكراسيك وحليك وحالك وحور عينك فأظهرت فظفر إليها قال تكلمي فقالت طوبى
 لمن دخلنى فقال الله تعالى وعزى لأسكك غيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف
 للبخل لو كان البخل قميصا مالبسته ولو كان طريقا ماسلكه ، وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله
 عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتعبر ، وقال محمد بن الشكر كان يقال : إذا أراد الله
 ب قوم شرًا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي غلاتهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته
 إنه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض اللوسر على مافي يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى - ولاننسا
 الفضل بينكم - وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذى يشح على مافي
 يد غيره حتى يأخذه ويشح بمافي يده فيحبسه والبخل هو الذى يبخل بمافي يده . وقال الشعبي
 لأدري أيهما أهد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أن شروان حكيم الهند
 وفياسوف الروم قتاله للهندي تكلم فقال خير الناس من ألقى سغيا وعند الغضب وقورا وفي القول
 متأنيا وفي الرقة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا ، وقام الرومي فقال من كان غيلا ورث عدوه
 ماله ومن قل شكره لم يزل النجس وأهل الكذب مذمومون وأهل الحقيقة موعتون قراء ومن لم يرحم
 سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - قال البخل أمسك
 الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : مامن صباح إلا وقد وكل
 به ملكان يناديان اللهم مجل لمسك تلفا ومجل لمنفق خلفا . وقال الأصبغي مممت أعرابيا وقد وصف
 رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عيني وكأنيما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال
 أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل غيلا لأن البخل يجعله على الاستعصاء فيأخذ فوق حقه خيفة
 من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : واقه ما تمتهى كرم
 قط حقه . قال الله تعالى - عرّف بضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ ما بقي من الذات إلا ثلاث
 ذم البخلاء وأكل القديس وحك الجرب . وقال بشر بن الحارث البجلي لأخيه له قال النبي صلى الله عليه
 وسلم « إنك إذا لبخل (١) » . « ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أوصو أمة قوامه
 إلا أن نيا غلا قال لها خيرا إذا (٢) » وقال بشر : النظر إلى البخل يسمى القاب ولقاء البخلاء كرب
 على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : مافي القلب للأستغيا إلا حب ولو كانوا أفاعلا ولا بخلا إلا بغض
 ولو كانوا أبرارا . وقال ابن المعتز أغل الناس بماله أجودهم برضه . ولقي يحيى بن زكريا عليه السلام
 إبليس في صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس
 إلى المؤمن البخل وأبغض الناس إلى الناسق السخي قال له لم قال لأن البخل قد كفا في غله والفاسق
 السخي أخوف أن يظلم الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالصرة رجل موسر بخيل ففتاه بعض جيرانه وقدم إليه طباة ببيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث إنك لبخل (١) (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامه قوامه إلا أن فيها غلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم يخرج الشارح أيضا في نظره .

قائما ويماثل الشيطان
 شعبا قائما فكيف
 إذا كان قائما فقلب
 التريد الصادق يصرخ
 إلى الله تعالى من طلب
 النفس الطعام والشراب
 دخل رجل إلى
 الطباة وهو يأكل
 خبزا يابساً قبله بالماء
 مع ملح جريش فقال
 له كيف تشتهي هذا
 قال أدمه حتى أشتيه
 وقيل من أسرف في
 مطعمه ومشربه يعجل
 الصفار والذل إلى في
 دنياه قبل آخرته وقال
 بعضهم الباب العظيم
 الذي يدخل منه إلى
 الله تعالى قطع الغذاء
 وقال بشر بن الجوع
 يصفى القواد ويميت
 المحوى ويورث السلم
 البقيق وقال ذوالنون
 ما أكلت حتى هبعت

وجعل يشرب لئلا فانتفع بطنه ونزل به السكر ولوث لجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لابساً عليك : ثياباً ما أكلت فقال هاه أنشأ طباهجة يبيض الوت ولا ذلك، وبقيل أقبل أعرابي يطالب رجلاً وبين يديه تين ففطى التين بكسائه جلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئاً قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك . ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئاً فغلبه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بجاني أي صوت تشتهي أن اسمعك قال صوت القلى . ويحك أن محمد بن يحيى ابن خالد بن برمك كان غيلاً قبيح البخل فسل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مالهذه فقال هي قتر في قتر ومهافة . متقورة من حب الخشخاش قيل فن حضرها قال الكرام السكابون قال لما يأكل معه أحد قال بلى القباب فقال سواك بدت وأنت خاص بهو ثوبك فخرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخطيه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة لمأواه إبراهيم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوت النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخطب بها قيس يوسف الذي قد من دبر مافعل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له نراك لا تأكل إلا الروس في الصيف والشتاء فلم يختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة التلام ولا يستطيع أن يغني فيهِ وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إن مس عيناً أو أذن أو خذا وقضت على ذلك وأكل منه ألواناً عينه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وخلصته لونا ودماغه لونا وأكفي مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوماً ما يريد الخليفة للهدى فقالت له امرأة من أهله مالى عليك إن رجعت بالجارية فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفاً فأعطاه أربعة دنانير واشترى مراً لهما ب درهم فداء صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يمرض عليه المنزل ويقول : لودخلت فأكلت كسرة وملحاً فأبى عليه الأعمش فرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرأب إليه كسرة وملحاً فداء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه للسنة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والإله خرجت إليك بالعصا قال فاداه الأعمش وقال اذهب وبورك فلا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعونى على كسرة وملح فوالله ما زادنى عليهما

(بيان الإيثار ونضله)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإعما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه المحتاج أولئذ يحتاج والبدل مع الحاجة أشد وكان أن السخاوة قد تنهى إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينهى إلى أن يدخل على نفسه مع الحاجة فكيف من يجبل يسك للالك ويعرض فلا يتداوى ويشتهى الشهوة فلا يمتنع منها إلا البخل بالحق ولو وجدها مجاناً لا أكها ، فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء ، وقد أنى الله على الصحابة رضى الله عنهم به فقال - ويؤفرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيعا امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر له (١) وقالت عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أيسار رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر له ابن حبان في الضعفاء وأبو الشيخ

ولا شربت حتى رويت
إلا عصيت الله وأهممت
عصية . وروى القاسم
ابن محمد عن عائشة
رضي الله عنها قالت :
كان يأتي علينا الشهر
ونصف شهر ما يدخل
بيتنا ثار للصباح
ولا لغيره قال قلت
سبحان الله فأبى
شيء . كنتم تمشون
قالت بالغر والساء وكان
لنا جيران من الأنصار
جزايم الله خير أكانت
لهم منافع فرءوا سونا
بشيء . وروى أن
حفصة بنت عمر رضى
الله عنها قالت لأبيها
إن الله قد أودع الرزق
فساو أكلت طعماً
أكثر من طعامك
ولبست ثياباً ألين من
ثيابك فقال إنى
أخاصمك إلى نفسك

حق فارق الدنيا ولوشنا لشيننا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) « وتزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من صنيعك الليلة إلى صيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) « فالسقاء خلق من أخلاق الله تعالى والإشارة أعلى درجات السقاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال تعالى - وإنك لعل خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمهته فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليلية عظيمة فضله بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فظهر إلى منزلة كانت تلف نفسه من أنوارها وقرنها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال خلق اختصاصته به من بينهم وهو الإشارة ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استجيت من محاسنه وبوأته من جنح حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله ابن جعفر إلى صنية له فزقل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه أذى السلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع قال لما أنت صانع اليوم قال أطوي يوي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السقاء إن هذا الغلام لأسخى مني فاشتري الحائط والغلام ومافيه من الآلات فأعنت الغلام ووجهه منه ، وقال عمر رضي الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخي كان أحوج مني إليه فيث به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأبكا يؤثر صاحبه بالحياة فاخاراكلاهما الحياة وأحباهما ، فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كنتم مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ابسط إلى الأرض فاحتفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول بخ غنم مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأقر الله تعالى - ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشنا لشيننا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز برحق ، ضي لسيله وللشيخين ماشيع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعاً حتى قبض ، زاد مسلم من طه (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

ألم يمكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مزاراً فبكبت فقال قد أخبرتك والله لأشاركه في عيشه الشديد لعل أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما غلت لعمر دقيلاً إلا وأنا له عاص . وقالت عائشة رضي الله عنها : ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز برحق مضى لسيله . وقالت عائشة رضي الله عنها : أدبوا فرج باب للسكرات يفتح لكم فلو كيف نعيم . قالت الجوير والطلس والظلم . وقيل ظهر إليهم ليحي بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ما ههنا قال

عنده نيف وثلاثون نقشا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا أشارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فترفع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة الصدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمل فبقته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قلت أسقيك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه فبقته فاذا هو هشام بن العاص قلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به إليه فبقته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد مات ترحمه الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوبا فسات فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فبقنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى لبتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء إلى تلك اللبنة وقعد ناحية ووقت الكلاب في اللبنة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت اللبنة بقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلا ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة هنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

(بيان حد السخاء والبخل وحقيتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من اللهلكت ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان غيلا ؟ وما من انسان إلا وهو يرى نفسه سخيا ويرى غيره غيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا غيل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان إلا ويجد من نفسه حبا للمال ولأجله يحفظ المال ويحسبه فان كان يصير بماسك المال غيلا فاذا لا ينك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك لما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به الصبغة السخاوة وثوابها فنقول : قد قال ثلثون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس يتبخل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا إلى القصاب والخبز للخباز بنصفان حبة أو نصف حبة فانه يد غيلا بالانفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يشاهقهم في لقمة ازدادوها عليه أو تمررة أكلوها من ماله بعد غيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد غيلا وقال ثلثون : البخل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من غيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من وإسعاف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجب لي فيها شهوة قال لا غير أنك شبعت ليلة فتقنناك عن الصلاة والذكر فقال لا جرم إنني لا أشبع أبدا قال لا ليس لاجرم إنني لأشبع أحدا أبدا . وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الحلو وألهاها الجوع . وقال لقمان لابنه إذا ملشت العدة نامت الفكرة وخرست الحصى وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لا تجمعوا بين الأدمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية فيكره للمريد أن يوالى في الإنظار أكثر

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله - أحمد مختصرا من حديث ابن عباس شري على نفسه فليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أقف لهذه الزيادة على أصله وفيه أبو بلج مختلف فيه والحدث منكسر .

من غير مسألة على رؤية التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل أكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وأكثر غيره بالغة فهو صاحب إيثار ومن لم يذل شيئا فهو صاحب بخل، وبوجهة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل تقول : للسائل خلق الحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إيساره عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويذل حيث يجب البذل فالإسكاف حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الإسكاف تبذير وبينهما وسط وهو الحمد وبني أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا يحمل بذلك مغولة إلى عنقك ولا تيسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والبقيض وهو أن يقدر بذله وإسكافه بقدر الواجب ولا يكتفى أن يفعل ذلك مجوارحه مالم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو بصارها فهو متسخط وليس يستحق بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا مقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله . فأقول : إن الواجب قسمان واجب بالشرع واجب بالمرودة والهداة والسني هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب للمرودة فإن منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤذيها ولكنه يثق عليه فإنه بخيل بالطبع وإنما يستحق بالتسكف أو الذي يتيمم الحديث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب للمرودة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فإن ذلك مستقيم واستتبع ذلك تخفيف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استتبع منه ما لا يستقيم من الفقير من المضايقة ويستتبع من الرجل للمضايقة مع أهله وأقاربه ومما يليه ما لا يستقيم مع الأجانب ويستتبع من الجار ما لا يستقيم مع البعيد ويستتبع في الضيافة من المضايقة ما لا يستقيم في العاملة فيختلف ذلك بموافقه من المضايقة في ضيافة أو ماملة وبما به للمضايقة من طعام أو ثوب إذ يستتبع في الأطعمة ما لا يستتبع في غيرها ويستتبع في شراء السكن مثلا وشراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة ما لا يستتبع في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وعن منه للمضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرودة وذلك لا يمكن التمسك على مقداره ولعل حد البخل هو إسكاف المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فإن صيانة الدين أهم من حفظ المال فإنع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المرودة أهم من حفظ المال والضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المرودة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل بمن يؤدي الواجب ويحفظ المرودة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافضا لدرجاته في الآخرة وإسكاف المال عن هذا الغرض بخيل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إسكافه لنفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أليم فإن النفس عند ذلك تركن إلى الهادة وتنسح بالشهوة . وقيل الدنيا بطناك فعلى قدر زهدك في بطناك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيات يضمن صلبه فإن كان لأهالة فلت لطامه وثلاث لشرا به وثلاث لنفسه » وقال فتح الوصل : سمعت ثلاثين شيخا كل يوصي عند مفارقتي إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار]

جمع من الشايع

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فتمه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس على غيرها واختلاف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فن أدى واجب الشرع وواجب الروعة الثلاثة به فقد تبرأ من البخل ، ثم لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة وتبذل الدرجات فإذا اتصت نفسه لبذل المال حيث لا يوجب الشرع ولا توجه إليه للامانة في العادة فهو جواد يقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لتأخسر وبهش الناس أجود من بعض فاستطاع للعروف وراء ما توجه العادة والروعة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو يباع وليس بجواد فإنه يشتري الدخ بماله وللشكر تدين وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآمى فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جواداً فإن كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلاً أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من شغ ناله من اللثم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض مجبلة له عليه فهو متعاضل لجواد كما روى عن بعض التلمذات أنها وقت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه قالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سألني عما شئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندهم قالوا العطاء والبذل والابتار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخرية بها أنفسنا غير مكرهة قالت تريدون على ذلك أجراً ؟ قالوا نعم قالت ولما قالوا لأن الله تعالى وعده بالجنة عشر أمثالها قالت سبحانه الله فإذا أعطيت واحدة وأخذت عشرة فبأي شيء تسخرين عليه قالوا لها فما السخاء عندهم عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متعمين متقدين بعبادته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطاع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء ؟ إن هذا في الدنيا للبيع وقالت بعض التلميذات أن محسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قبل قيم قالت السخاء عندي في للهج وقال المحاسبي السخاء في الدين أن تسخر بنفسك لتفها لله عز وجل ويسخر قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بساجدة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا أجلاً وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يقبل على ذلك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاهم الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك.

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة بحبته مجبهة (١) » فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلعة الثقة عجز الرزق قوى البخل لأحالة السبب الثاني : أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بعداواة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخلة زاد في رواية عزة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله عز نقرأوه بهذه الزيادة أبو يعلى والبخاري من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كانوا يدعون الصوم في السفر والحضر على الدولم حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام نيفاً وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فحبس به أصحابه يوماً فأفطر فاعتل من ذلك أياماً فإذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائماً ويدع للأفطار جانباً فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيق عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » أي لم يكن له فوا موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

المرض بل صار محبا للذئاب عشاها ليتذو بوجودها في يده وقدرته عليها فسكنها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فترضع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو تصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوه واشتغل برسوله فان الذئاب رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الوصول إلى اللذيق لذبتهم قد تنسى الحاجات وبسر الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقاهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة لهذه أسباب حب للال وإنما علاج كل علة بضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير والبصر وتعالج طول الأمل بكثر ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تبهم في جمع المال وضياعه بسددهم وتعالج التفات القلب إلى الوله بأن خالقه خلق معه رزقه وكف من ولده لم يرث من آية مالا وحاله أحسن من ورث وبأن يعلم أنه يجمع للال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شروان ولده إن كان نضيا صالحا فالله كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على العيبة وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثر التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعده الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أسوال البخل وضرورة الطبع عنهم واستباحهم له فانه ما من غيل إلا ويستطيع البخل من غيره ويستقل كل غيل من أصحابه فيعلم أنه مستنقل ومستفتر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد اللال وأنه لماذا خلق ولا يحفظ من اللال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يذرعه لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذهبه هذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحرك الشهوة فينبغي أن يجيب الحاطر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يبعده الفقر ويخوفه ويصد عنه . حكى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فدعا تلميذا له وقال أزع عن القميص وأدفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تنغير وكان قد خطر لي بذه ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تسكفا كالأزول المشق إلا بمفارقة المشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تسكفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق اللال تسكفا بأن يبذل بل لورماه في الساء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينقطع بعد ذلك على الرياء ويؤثره بما لجه ويكون طلب الاسم كالسلبية للنفس عند قطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند القطام عن الثدي باللعب بالصافير وغيرها لا يلحق واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الحثيئة ينبغي أن يسلب بعضها على بعض كالسلب الشهوة على الغضب وتكسر سوره بها ويسلب الغضب على الشهوة وتكسر رعوته بها إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محروبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع من علة ويؤثر في أخرى مثله إلا أن علامة ذلك أن لا ينقل عليه البذل لأجل الرياء بذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الليث تستجلب جميع اجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك ماروا أبو خزيمة
قال مثل رسول الله
صل الله عليه وسلم
كيف بمن عاد الدهر
قال لا صام ولا أفطر
وأول قوم أن صوم
الدهر هو أن لا يفطر
العبد في أيام التشريق
فهو الذي يكره وإذا
أفطره هذه الأيام ليس
هو الصوم الذي كرهه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومنهم من
كان يصوم يوما ويفطر
يوما وقد ورد «أفضل
الصيام صوم أخي داود
عليه السلام كان يصوم
يوما ويفطر يوما»
واستحسن ذلك قوم
من الصالحين ليكون
بين حال الصبر وحال
الشكر . ومنهم من
كان يصوم يومين
وفيطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بصاحق ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداها
الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة
يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يجمعها ويحمل الأعنف قوتا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة
ثم تقع الضاربة بمجوها وإذا بها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل
بقتضاها فانها تقتضي لأعمالا وأعمالا وإذا خولفت خدش الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي إمساك
للكل فإذا منع مقتضاها وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ساءت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط
التعب فيه فان علاج البخل يعلم وعمل العالم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائلة الجود والعمل يرجع
إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يسمى ويصم فيمنع تحقيق المعرفة
فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى الملة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة
الدواء وإمكان استعماله فانه لاجبة فيه إلا الصبر إلى اللوت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية
في معالجة علة البخل في الريدين أن ينهضهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مرير فرحه
بزأوته وما فيها تله إلى زاوية غيرها وتقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإذا رآه
يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل
إليه قلبه فهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يملك هذا السبيل أس بالدينا وأحبها فان كان له
ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألبته مصيبة بقدر حبه فإذا مات نزل
به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالقد
والهلاك . حمل إلى بعض المالك قدس من فيروز مرصع بالجواهر لم يره نظير ففرح بالملك بذلك فرحا
شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فراقا قال كيف قال إن كسر كان
مصيبة لأجلها وإن سرق صرت فقيرا اليوم لم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من الصيبة
والفقير ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل
إليها وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى الدار وعدوة أولياء الله
إذ تمنهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا قطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال
لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس والحرازم ولا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بئس الدرهم والدنانير
فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يبقى ومن عرف آفة المال لم يأمن به ولم يفرح به ولم يأخذ منه
إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل ولا يحتاج إليه فلا
يتعب نفسه بحفظه فيذهب بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة .

(بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله)

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حبة يأخذها الرقيق ويستخرج منها
الترياق ويأخذها القافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يغلو أحد عن سم المال إلا بالهذلة على
خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يخرج إليه حق يكتب ولا يحفظ
إلا قدر الحاجة ولا يعطيه من ماله فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجنب الحرام
الحض وما الغالب عليه الحرام كال السلطان ويجنب الجهات المكروهة القاذرة في الروعة كالهذايا
التي فيها شوائب الرشوة والرشوة كالسؤال الذي فيه التلذذ وهتك الروعة وما يجري مجراه . الثالثة : في المقدار
الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة لمبلى ومسكن
ومعظم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى وما دام مالا إلى جانب القلة ومترا بامن حد

يوما وغطر يومين
ومنهم من كان يصوم
يوم الاثنين والخميس
والجمعة . وقيل : كان
سهل بن عبد الله يأكل
في كل خمسة عشر يوما
مرة وفي رمضان يأكل
أكلة واحدة وكان
يفطر بالماء القراح
للسنة . وحكى عن
الجيد أنه كان يصوم
على الدوام فإذا دخل
عليه إخوانه أفطر معهم
ويقول ليس فضل
الساعة مع الإخوان
بأقل من فضل الصوم
غير أن هذا الاقطار
يحتاج إلى علم فقد
يكون الداعي إلى ذلك
شره النفس لانيسة
الموافقة وتخلص النية
لخص الوافقة مع
وجود شره النفس
صعب ، وصحت شيئا

الضرورة كان حقا ويحيى من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاربة لا آخر لمعتمها وقد ذكرنا
تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة المخرج ويتصد في الانفاق غير
مبذر ولا مفرقا كما ذكرناه فيضع ما كتبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الأثم في
الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك
والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقاقا له
إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض
وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فلتسكن
جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ميامين على العبادة فان أبعد الحركات عن
العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة
في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قيس وإزار وفراش وآنية لأن
كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من
عباد الله ولا ينعمه منه عند حاجته ثم فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وزياتها
والتقى بها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رجع في الدين قدمه وعظم فيه علمه
والهامى إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي
يرى العزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج زياتها فيقتدى به وينظن أنه أخذها مستحسنا
صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به يقتله في الحال إلا أن قتيل الحية يدري أنه
قتيل وقتيل اللال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قتيل :

هي دنيا كجبة تنفث السم وإن كانت الجبة لانت

وكما يستحيل أن ينشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحر والطرق للمشوكه فحال
أن ينشبه العاوى بالعالم الكامل في تناول اللال .

(بيان ذم النفي ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل النفي الشاكر على الفقر الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر
والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأعلى من النفي
على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي
رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة
مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع
الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال
بعد كلامه في الرد على علماء سوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا عباد الله اتقوا الله
وتصلوا وتصدقوا ولا تغفلوا متؤمرون وتدرسون مالا تعملون فياسوء ما تعملون تتوبون بالقول
والأمانى وتعملون بالهوى وما ينهى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تسكنوا
كالمخلل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخاله كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم
ويبقى القلب في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنفص من الدنيا شهوته ولا تنتقطع
منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم نبيسة من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل
تحت أقدامكم بحق أقول لكم أقدم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى
الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للمدحجين وتضيئون في محل التحيرين

يقول لى سنين ما أكلت
شيئا بشهوة نفس ابتداء
واستدما بل يقدم إلى
الشيء فأراه من فضل
الله ونعمته وفصله
فأوافق الحق في فعله .
وذكر أنه في ذات يوم
اشتهى الطعام ولم يحضر
من عادته تقديم الطعام
إليه قال فتحت باب
البيت الذى فيه الطعام
وأخذت رمانة لا كلها
فدخلت السنسور
وأخذت دجاجة كانت
هناك فقلت هذا عاقبة
لى على تصرفى في أخذ
الرمانة . ورأيت الشيخ
أبا السعود رحمه الله
يتناول الطعام في اليوم
مراتى وقت أحضر
الطعام أكل منه
ويرى أن تناوله للطعام
مواقة الحق لأن حاله
مع الله كان ترك الاختيار
في مأكوله وملبوسه

كانكم تدعون أهل الدنيا ليركوها لكم مهلا مهلا وليكم ماذا ينفي عن البيت الظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحشى مظلم كذلك لا ينفي عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متقطعة يا عبيد الدنيا لا كسبب أفتياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تغلظكم عن أصولكم فلتبكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني فزلاء غلاء السوء شياطين الإنس وقتنة على الناس رغبا في عرض الدنيا ورفضها وآروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فيهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يسفوا الكريم بنفسه [وبعد] فأقرايت الممالك المؤثر للدنيا سروره مخزوح بالتنصيص فيضجر عنه أنواع المومنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح الممالك برجاله فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران البين - فإلها من مصيبة ما أنظمتها ورزية ما أجلها ألقوا بقوا الله إخواني ولا يفرنكم الشيطان وأولياؤه الأسنين بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكلمون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم الماذير والحجج ويؤمنون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيزين المتورون بذكر الصحابة لعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهام الشيطان وما يشعرن ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك قهلا لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة أريدوا المال للتكاثر والعرف والريثة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلی وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهدة في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلی من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهام عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خيرا للأمة فقد غشهم زعمك حين نهام عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا بهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهام عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يسلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهام عنه وأنت علم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك مادها لك الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن فبا ترك فقال كعب سبحان الله وما نخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأحق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر خرج مضيا يريد كعبا فرأى عظم لحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقبل كعبك إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر بنفس الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فدخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث النهي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع السال وأكون من التابعين الحديث ولأن نعم والخطيب في التاريخ واليهيقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا يجمعوا ما لا تأكلون وكلاما ضيف .

وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية بمن مثلها حتى قل أنه كان يبقى أياما لا يأكل ولا يسلم أحدهما ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شيء وينظر فعل الحق لسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتسلاطة وكانوا يتكفون الأطعمة ويأتون بها إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والواقعة . سمعته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على عبتي الصوم بغمه فأوافق الحق في فعله . وحكى عن بعض

أبي ذر قال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه قال « يا بأذر قلت لبيك يا رسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدمه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا بأذر قلت نعم يا رسول الله باني أنت وأمي ، قال مايسرني أني مثل أحد أفتقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا بأذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عبر من الجين فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل عبر قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فأسأله فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسلميين يدخلون سعيًا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حيوا (٢) » فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقأها أحررا لعل أن أدخلها معهم سعيًا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حيوا (٣) » وبهذا أيها اللغوتون فما احتجنا بك بالسال وهذا عبد الرحمن في فضله وقنواؤه وصنائه للعروف وبذلك الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع العروف وأتفق منه قصدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حيوا ، فساظنك بأشأنا الفرقى في فن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفضنون تتمرغ في تغاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة واللباهة وتتقلب في فن الدنيا ثم تهتج بعبد الرحمن وتزعم

(١) حديث أبي ذر الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد المحاسبي يلقب بكاذره الصف و قد رواها أحمد وأبو يعلى أخضر من هذا لفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرجع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهبا الحديث وفيه ابن لمجة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسلميين دخلها الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حيوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل جوادون ذكر قراء المهاجرين وللسلميين وفيه عمارة بن زاذان يختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حيوا البزار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالفه بن أبي مالك ضعه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه صام ستين كثيرة وكان يطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان. وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه الخرافة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية علم الختم برؤية الصوم وهذا تسلسل والألبق عواقبة العلم إفضاء الصوم قال الله تعالى ولا تبطئوا الأعمالكم ولكن أهل الصدق لهم نبات فيما يفعلون فلا يمارضون والصدق

أنت إن جمعت المال قد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن قبياه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحواله السلف لتعرف فضائلك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها لتتصف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وقد موافقوا ولم يمتنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا الله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبأنه أذكلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخيار الصحابة كانوا للسكنة عبيد ومن خوف الفقر آمنين والله في أرزاقهم واتقين وبغادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب المال والتكاثر ورعين إنبالوا من الدنيا إلا للباح لهم ورضوا بالقلعة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبأنه أذكلك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجبت عنه من الله وإذا وأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيئا حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا قليل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا والدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تماهنا ربنا فهذه أحوال السلف ونتمم وفهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه أذكلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها الفتون سدا لأحوالهم وذلك أنك تظنى عند القنى وتبتر عند الرخاء وتبرح عند السراء وتقتل عن شكر ذي النعماء وتضبط عند الضراء وتضطبط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأفف من السكنة وذلك غفر للرسلين وأنت تأفف من غفرهم وأنت تدخر للمال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بفضائه وكفى به إثمًا وعساك تجمع للمال نعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتي الذين غدوا بالنعم فربت عليهم أجسامهم »^(١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلون حسنات لم يقال لهم - أنهبت طياتكم في حياتكم الدنيا واستغنتم بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فبالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والمال والتفخر والرياسة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أولفتاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والمال وعساك للسكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكبره لقاء الله والله لتفانك أكره وأنت في غفلة وعساك تأفف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنياه فاتته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأفف على ما فاتك غير مكترث بربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دينك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

(١) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنياه فاتته اقرب من النار مسيرة سنة .

محمود لعينه كيف كان والصادق في خفارة صدقه كيف تقلب وقال بعضهم إذا رأيت الصوفى يصوم صوم التطوع فاتهمه فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا . وقيل إذا كان جماعة متوافقين أشكلا وفيهم مرديد يحثونه على الصيام فإن لم يساعدهم يمتنعوا لانفطاره ويتكلفوا له رفقاه ولا يعملوا حاله على حالهم وإن كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لانفطاره إلا من يأمره الشيخ بغير ذلك . وقيل إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يسببه حتى ينظر الشاب إليه فيتأذّب به ويصوم بصيامه .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تهايب على التحزن على مفاتيك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تنسى بأمور دنياك أصناف ما تنسى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انقراض دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من اللذون وعساك تبدل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للموت والرضا في الدنيا وعساك ترضى المخالفين مسأخطين تعالى كيما تكرم وتظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القياس أهون عليك من احتقار الناس إليك وعساك تخفى من المخالفين مساويك ولا تكثر باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان العيب أعل عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه لكالب فيك أف لك متلون بالأنذار وتعتج بمال الأبرار هيات هيات ما بعدك عن السلف الأخيار والله قد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهدهم فيما حرم عليهم إن الذى لا بأس به عندكم كان من اللذات عديم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبرائى للعاصى فليت أطيب مالك وأحله مثل شبات أموالهم وليتك أعففت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل فنورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنية الصديقين مفاتيحهم من الدنيا ونهبتهم مازوى عنهم منها لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في الموت عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أويقوا الله الكريم فضله [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله قد بر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم وأغسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا. لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام أقتطع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لاروب السكبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات المزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام» (٢) أما الفرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعل وأفضل وأعظم لتدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر ببلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أبطل لك أم لا فان زعمت أنك أتى وأورع من أن تلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال البذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا السألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذك رحمتك الله؟ قال لا غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن السكى أنه كان يصوم الدهر وكان مقبلا بالبصرة وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة وكان قرته في كل شهر أربع دوايق يحمل يسده جبال اليف ويبيعها وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول لا أسلم عليه إلا أن يطر ويأكل وكان ابن سالم اتهم بشهوة خفية في ذلك لأنه كان مشهورا بسين الناس وقال بعضهم ما أخلص لله عبد قط إلا أحب أن يكون في جبل يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنبسى

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلاغا للعارث بن أسد الهامسى كما ذكره المصنف عنه (٢) حديث من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث الثعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

عبدى من أين اكتسبت وفى أى شيء أنفقت فهؤلاء للتقوى كانوا فى جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب خائفون لا يقوم خير السال بشره وامت بآية الأمن والحلال فى دهرهم مفقود تتكالب على الأوساخ ثم زعم أنك تجمع المال من الحلال ويحك أين الحلال تجتمع [ووجد] فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الله قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث للمال الحلال فيتزك حائفة أن يفسد قلبه أو تظلم أن يكون قلبك أثنى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الخلق فى أمرك وأحوالك لأن ظننت ذلك لقد أحسن الظن بنفسك الأموات بالسوء وبمحكم إني لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع للمال لأعمال البر ولا تعرض للحساب فإنه بلغان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من نقش الحساب عنب»^(١) وقال عليه السلام «يؤتى رجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأفقهه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا من حرام وأفقهه فى حلال فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا من حرام وأفقهه فى حلال فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا من حلال وأفقهه فى حلال فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا من حلال وأفقهه فى حلال فيقال اذهبوا بها فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت فى شيء من ركوعها وسجودها ووضعوها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأفقهت فى حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت عليّ» فيقال له لك اختلعت فى هذا المال فى شيء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يارب لم أختل ولم أباه فى شيء فيقال لك لمنعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والسالكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وأفقهت فى حلال ولم أضيع شيئا ممن فرضت عليّ ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرته أن أعطيه قال فيجيء أولئك فيخاضعون له فيقولون يارب أعطينة وأعطينة وجعلته بين أظهرنا وأمروه أن يعطينا فإن أعظمهما منضعب من ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل فى شيء فيقال قلب الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لغة فلا يزال يستل^(٢) ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه اللسأة التى كانت لهذا الرجل الذى تغلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الذين رقى فى دين الدنيا وغالطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لأجل هذه المسائل يخاف للتقوى أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلهم ويحك هؤلاء الأخيار أسوءة فان آيتت ذلك وزعمت أنك بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع للمال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال إلا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله فى شيء من سرارك وعلائيك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوى الأموال إذا وفقوا للسؤال وتسق مع الرعي الأول فى زمرة الصطفى لا حبس عليك للمسألة والحساب فلمأسلمة وإما عطب ، فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يدخل صحايبك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بغسمائة عام»^(٣) وقال عليه السلام «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم

(١١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأشفق في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار الحديث بطوله لم أقف له على أصل (٣) حديث يدخل صمالك الهاجرين قبل أغنيائهم الجنة تخمئة عام الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلقط قراء مكان صمالك ولهما وللنساء في الكبرى من حديث أبي هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولما من حديث عبد الله بن عمر إن قراء الهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة باربعين خرغا .

بالحرم مع أصحابه سبعة
أيام لم يأكلوا فخرج
بعض أصحابه لينظروا
فرأى قنبر بطيخ
فاخذه وأكله فراه
إنسان فأتبع أثره وجاء
برفق فوضعه بين يدي
القوم فقال الشيخ من
جنى منك هذه الجناية
فقال الرجل أنا وجدت
قنبر بطيخ فأكلته
فقال كن أنت مع
جنايتك ورققك قال
أنا تأتبع من جنايتي
فقال لا كلام بعد التوبة
وكانوا يستحبون
صيام أيام البيض وهي
الثالث عشر والرابع
عشر والخامس عشر
روى أن آدم عليه
السلام غشا أهبط إلى
الأرض اسود جسمه
من أثر العصية فغسا
تأب الله عليه أمره أن

فيا كلون ويستمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طليق أتم حكم الناس وما لو كهم فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتمكم (١) • وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرتني أن لي حمر النعم ولأنا كوني في الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يقوم فاستبقوا السباق مع الحنفين في زمرة الرسلين عليهم السلام وكوثوا وجلبن من التخلف والافتقار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل التفتين لقد بلغني وأن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خفته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح السموع عن وجهه وذهب لينكلم فماد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وماء معه أحدى البيت غري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قتلت له فذلك أبى وأمى ما رى بين يدك أحدا منى تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بنتها ورأسها فقالت لى يا محمد خذنى قتلت إليك عنى قتلت إن تتج منى يا محمد فانه لا ينجو منى من بدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتنى فطعننى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) • يقوم فهو لأ الأختيار بكوا وجلا أن تقطعم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخفى الاقطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لنظرن إلى أهوال جزعت منها لللائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فيطولن عليك اللحاق ولئن أردت السكوة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رصيت بأحوال التخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم التتميم ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المتبسين في أهوال يوم الدين فتدبر ويحك ما سمعت [ويجد] فان زعمت أنك في مثال خيار السلف قطع بالقليل زاهد في الحلال بذول المساك مؤثر على نفسك لا تخفى الفقر ولا تدخر شيئا لقدك ميفض للتسكّر والنبي راض بالفقر والبلاء فرح بالقلّة والسكوة مسرور بالذلّ والفضة كاره للملو والرفعة قوى في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاصبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على موافق رضوان الله ولو نوقف في المسألة ولو نبحاسب مملك من المتقين وإنما تجمع للمال الحلال للبدن في سبيل الله ويحك أيها الغرور فتدبر الأمر وأمنن النظر أفاعلت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكروا الفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمنن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضاعفا بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا في حجره دنائير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الله أكرأفضل. وبمثل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم نفسه وأما الآخر فانه جانيها فإعطياها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبديك وأقل لتبكي وأنتم لميشك وأرضى لبالك وأقل لهومك فما عذررك في جمع للمال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب للمال لأعمال البر نعم وغفلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله

بصوم أيام البيض
فايض ثلث جسده
بكل يوم صامه حتى
ايض جميع جسده
بصيام أيام البيض
ويستحبون صوم
النصف الأول من
شعبان وإفطار نصفه
الأخير وإن واصل بين
شعبان ورمضان فلا
بأس به ولكن إن
لم يكن صام فلا يستقبل
رمضان يصوم أو
يومين وكان يكبره
بعضهم أن يصام رجب
جميعه كراهة المضاهاة
برمضان ويستحب
صوم النحر من ذى
الحجة والنحر من
المحرم ويستحب الخمس
والجمعة والسبت أن
يصام من الأشهر الحرام
وورد في الخبر من صام
لثلاثة أيام من شهر

(١) حديث بدخل فقرأ المؤمن الجنة قبل أغنيائهم فيمتنعون ويأكلون الحديث لم أره أصلا
(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتي بشربة ماء وعسل الحديث في دفع النبي صلى الله عليه وسلم إليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث عن الحديق الزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبي بكر فدعا شربا فأتي بماء وعسل الحديث قال الحاكم جميع الاستناد قلت بضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [وبعد] فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبئك إذ هداك الله به وترضى باعتباره لنفسه من مجانية الدنيا ويحك تدبر ما صنعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانية الدنيا فسر مع لواء الصلطي ساجا إلى جنة اللأوى فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا تقدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يراه ولم يقدر على أن يكتب ما يفتيه يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (١) » أيا أختي متى جمعت هذا المال بمد هذا البيان فانك مبطل فما ادعيت أنك لابر والفضل تجسمه لأولئك كنك خوفا من الفقر تجسمه وللتنعم والزينة والتكاثر والفقر والماد والماد والرياء والسمة والتعظم والتكرمة تجسم ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك أيها القروير ويحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكسر مكرآن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانية الفضول ، نعم وكن عند جمع المال مضررا على نفسك مثرقا بإساءةك وجلا من الحساب فذلك أجبي لك وأقرب إلى الفضل من طلب المحبج لجمع المال . إخواني اعلوا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله وإياكم منه [وبعد] فأين لنا بخل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضائهم وحسن نياتهم دهينا ورب الساء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورد وفي مساعدة الخفيفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخايط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على النفي ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة آمالك في أسوة أمارضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهابا وفضة لسارت قال والذي يشك بالحق نبيا لأن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأفضلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأخذ غنا فتمت كما يشمو الدود فضائق عليه المدينة فتجنى عنها فقتل وأدا من أوديتها حتى جعل يمسى الظهر والعصر في الجماعة ويدع ماسواهم ثم تمت وكثرت فتجنى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تمتو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ قيل يا رسول الله أخذ غنا فضائق عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم - وأزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جبينه ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فيأخذوا الصدقة من المسلمين وقال مرثا بعلبة بن حاطب وبنا رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما

وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تقدى لم يجد عشاء الحديث عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء في الجنة الحديث ولم أره في معاجم الطبراني

حرام الخسيس والجمعة والسبت بعد من النار سبحانه عام .

[الباب الحسادى والأربور في آداب الصوم ومهامه]

آداب الصوفية في الصوم ضبط الظاهر والباطن وحكف الجوارح عن الآثام كنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاغتنام بالأقسام صمت أن بعض الصالحين بالمرأى كان طريقه وطريق أصحابه أنهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا يفطرون إلا على ما تفتح لهم وقت الافطار . وليس من الأدب أن يمسك المرء عن البياح ويفطر بحرام

غفرنا حتى أتينا ثعلبة فسأله الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية
ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تغفرا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما
فقام إلى خيار أسنان إليه فزها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رآها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد
تأخذ هذا منك قال بلى خذوها نسي بها طيبة وإعماهى لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى
مرا ثعلبة فسأله الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأى
فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا وبع ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا السليمي فأخبراه
بالذي صنع ثعلبة وبألبى صنع السليمي فأئذ الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من
فضله لصدقن - ولتكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله خلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم خافا
في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأمك يا ثعلبة
قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته
فقال إن الله منعى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان ^(١) فهذا طغيان المال
وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه أنه قال كانت لى من رسول الله
منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت نعم يا أبى أنت وأمى يارسول الله قام وهت معهما حتى وقتت يباب منزل فاطمة
فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال أنا ومن معى قالت ومن معك
يارسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق نبيا ما لى الإعلاء فقال اصنعي بها هكذا
وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى فقد واريته فكيف برأسى فألقى إليها ملأه كانت عليه خلفه
فقال شدنى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت
والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى أنى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدنى الجوع فكبرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإنى لأكرم على الله منك
ولوسأت ربى لأطعمنى ولكنى أثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبها وقال لها أبشرى
فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة
نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وآسية سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنك فى بيوت من
قصب لا أذى فيها ولا نصب ثم قال لها اتعنى يا بن عمك فوالله لقد زوجتكم سيداتى الدنيا سيداتى الآخرة ^(٢)

(١) حديث أبى أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة قليل
تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبرانى بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن
حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوجتكم سيداتى الدنيا سيداتى الآخرة لما أجده
من حديث عمران ولأحمد والطبرانى من حديث معقل بن يسار وضأن النبي صلى الله عليه وسلم ذات
يوم فقال هل لك في فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمقى سلوا أو أكثرهم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت
 الفقر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم
 لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الحيرات إلى أقل ما فيه من أداء الحقوق
 والتوفى من الشبهات والصرف إلى الحيرات اشتغال المم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر
 إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا عيسى بن مريم
 عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فاتيا إلى شط نهر فجلسا يتعبان ومعهما ثلاثة
 أرغفة فأكلوا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فخرّب ثم رجع فلم
 يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق معه صاحبه فرأى ظبية
 ومعه خشفان لها قال قدما أحدهما فأتاه فدبجه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال لاخشف
 قم بأذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري
 ثم اتبها إلى وادى ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك
 هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فاتيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع
 ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهابا بأذن الله تعالى فصار ذهباً قسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك
 وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتته
 إليه رجلان فى المفازة ومعه المال فأراد أن يأخذهما منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابشوا أحدهم
 إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فمشوا أحدهم فقال الذى بئث لى شىء أقامه هؤلاء هذا
 للمال لكنى أضع فى هذا الطعام مما فأقنلهما وأخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذاك الرجل لى
 شىء نجعل لهذا ثلث للمال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا للمال بيننا قال فصار جمع اليهما قتلاه وأكلا
 الطعام فلما بقي ذلك المال فى المفازة وأوتيك الثلاثة عنده قتل فر بهم عيسى عليه السلام على تلك
 الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شىء
 مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا نهضوا تلك القبور وكسوها واصلوا
 عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم فى ذلك مهابيت من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين
 إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين
 صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلات إليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لى إليك
 حاجة لأعيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أراكم من الأمم عليها قال وماذا لك ليس لكم
 دنيا ولا شىء أفلا تأخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا إنما كرهناها لأن أحدنا لم يسطع منها شىئا
 إلا نأقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال مابالك قد احتفرت قبورا فإذا أصبحتم تعاودعوها
 فكنتستموها وعليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعنا قبورنا من الأمل . قال
 وأراكم لأطعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا تأخذتم البهائم من الأنعام فاتحابتموها وركبتموها
 فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الأرض بلاغا ونما يكتفى ابن آدم
 أدنى العيش من الطعام وأيسر ما جاوز الحنك من الطعام لم نجعله طعاما كأنما كان من الطعام بسط
 ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول حجمة فقال إذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن
 هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فقتلهم وطمع وعتا فلما رأى الله سبحانه
 ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر للقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول

علما وأعظمهم حليما وإسناده صحيح .

أفترت لله تعالى فى
 شىء واحد على
 الضرورة تأدى ذلك
 إلى سائر أحوالها فصير
 بالأسهل النوم ضرورة
 والقول والتفعل ضرورة
 وهذا باب كبير من
 أبواب الخير لأهل
 الله تعالى يجب رعايته
 واقتضاه ولا يخفى بلم
 الضرورة وقادتها
 وطلبها إلا عبد إريد الله
 تعالى أن يقر به
 ويدنيه ويصطفيه
 ويربيه ويختفى فى
 صومه من ملاعبة
 الأهل وللإلماسة فإن
 ذلك أثر للصوم
 ويتسحر استعمالا
 للسنة وهو أدعى إلى
 إضفاء الصوم لمعتين
 أحدهما عود بركة
 السنة عليه والثانى
 التقوية بالطعام على

جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدري من هذا قال لأدري ومن هو قال هذا ملك ملكة الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالنس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وشع ثم غر وجعل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرتهم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأخذك أخا ووزيرا وشريكا فبنا آثاني الله من هذا المال قال ما أصليح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من اللئيم والمال والدنيا ولا أجد أحدا يناديني لرفض ذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متجنباً منه ومتعظاً به فهذه الحسايات تدل على آفات النفي مع ما قدمناه من قيل وبالله التوفيق .

(تم كتاب ذم المال والبخيل بمحمد الله تعالى وعونه ، وبالله كتاب ذم الجاه والرياء .)

(كتاب ذم الجاه والرياء)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع الهسكت من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب ، الطالع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كثر الذنوب ، العالم بما تحته الضمائر من خفايا القيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فانه للفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، والصلاح والسلام على محمد وآله وأصحابه البريين من الخيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية التي هي أخفى من ديب الثعلب السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » (١) ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سحرة العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكابدها وإغما يتنبت به العلماء والعباد والشمرون عن ساق الجد سلوك سبيل الآخرة فاتهم مهماتهم وأفسدهم وجاهدوها فطمعوا عن الشهوات وصانوها عن الشهوات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات فجزت نفوسهم عن الطمع في المصاعى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطابت الاستراحة إلى النظائر بالخير وظهر العمل والعلم فوجدت محاسنها من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بين الوفاء والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تمنع باطلاع الخلق وقرحت بمحمد الناس ولم تمنع محمد الله وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا ترك الشهوات وتوقيه الشهوات وتحمل مشاق العبادات أطلقوا أنفسهم بالمدح والثناء وبالفضو في التفریط والإطراء ونظروا إليه بمنزلة التوقير والاحترام وتركوا بمشاهدته وتلقاها ورغوا في تركه عاتيه وحرصوا في اتباعه رأه فواتعوه بالخدمة والسلام أو كرموه في المحافل غاية الإكرام وسامعوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاعروا له متواضعين واتقادوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المصاعى والمفوقات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

(كتاب ذم الجاه والرياء)

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية ابن ماجه والحاكم من حديث شداد ابن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيف وهو عند ابن المبارك في التزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بلفظ المصنف .

الصيام ، وروى انس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تسحر وفاقن في السحور بركة » ويعجل الإفطار عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام إلا بعد الغشاء وبريد إحياء ما بين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر أو يأكل لقمات إن كانت النفس تتأزع ليصفوه الوقت بين العشاءين فإحياء ذلك له فضل كثير وإلا فيقتصر على الماء لأجل السنة أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد

في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبيادته الرضية وإعسا حياته بهذه الشهوة الخفية التي تمنى عن دركها القول النافذة القوية ويرى أنه عاصى في طاعة الله ومجنب لحرام الله والنفس قد أبطلت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصفنا للخلق وفرحاً بما نالت من الزلا والوقار وأجبت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبت اسمه في جريدة الناقلين وهو يظن أنه عند الله من القربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لارقي منها إلا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الداء الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح القرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبواً أشد من حب المال وبيان أن الجاه كالمهمل وليس بكال حقيق وبيان ما عيجه من حب الجاه وما يلزم وبيان السبب في حب اللذات والثناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم فهي انتاعش فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تهديدها والله للوفيق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل الممهور بالخمول إلا من شره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله » وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بحسب الله من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلاً ولا بأس به إذ روي هذا الحديث قبله يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أهواراً إليك بالأصابع فقال إنه لم يكن هذا وإن عاصي به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلموا كتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيب الفجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السختياني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبي العالبة أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة أقام . ورأى طلحة قوماً يشقون معه نخوة من عشرة فقال ذباب طمع وفراس ناز . وقال سليم بن حنظلة بينما نحن حول أبي ابن كعب غمى خلفه إذ رآه عمر فغلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما صنعت فقال إن هذه ذلة التابع وقتنة للمتبع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوماً من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس بحسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله ورواه في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرًا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفي بالمرء إعسا ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وقسر دينه بالبدعة ودنياه بالسق وإسنادها ضعيف .

الجراحي قال أنا أبو العباس الجرجاني قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الأنصاري قال ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرعة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبادي إليّ أتعملهم فطرا » وقال عليه السلام « ولا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » والأفطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن

فوقه لو تعلمون ما أعلق عليه باني ما اتبعني منكم رجلا . وقال الحسن إن خلق النعال حول الرجال قلنا ثبت عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمنين . وروى أن رجلا صاحب ابن عجير في سفر فلما فرقه قال أو صني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتعني ولا تعني إليك وتساءل ولا تتسل فاضل . وخرج أبو بوب في سفر فقيمه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لحشيت للقت من الله عز وجل . وقال معمر عاتبت أيوب على طول قيضه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طولها وهي اليوم في قصيرها . وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأجساد تمتد إليهما جميعا . وقال رجل ليشرب الحارث أو صني فقال أدخل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يسكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وانقضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(يان فضيلة القول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك » (١) . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا » (٢) . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواض » (٣) . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينسكحوا وإذا قالوا لم ينصت لهم ولم حواشي أحدهم تتدخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو قسمه » (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمي من لو أتى أحدكم يسأله دينار لم يعطه إياه ولو سأله درهم لم يعطه إياه ولو سأله فلس لم يعطه إياه ولو سأله الله الجنة لأعطاه إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وامنمها إياه إلا هو أنها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » (٥) . وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يسكي عند

أو تمرات . وفي الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والطش » قيل هو الذي يجمع بالتأخر ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالنية . قال سفيان من اغتاب فصدومه وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم التيبة والكذب قال الشيخ أبو طالب للسكيت قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال - سمعون للكذب أكملون للسم - . وورد في الخبر « أن إصرايين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدها الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وللحاكم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أمين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأن نعيم في الحلية من حديث أنس يسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس يسند ضعيف (٣) حديث الألدكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمي من لو أتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وامنمها إياه أنه عليه .

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير أو قال الشارح يعني له العراقي فليعلم .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخياء الذين إن قابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يصرقوا قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد قحط أهل المدينة وكان بهار رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيه نام في دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلاق فصل ركنين أوجز فيها ثم بسط يديه فقال يا رب أقسمت عليك ألا مطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تشتت السحاب بالممام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من عذابة الفرق فقال يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارع عنهم وسكن وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر يخرجه إلى فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخشى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسلمي أن أخضك بدعوة ثم قال مالي بلنك ملايت قال أطلعت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا يبايع العلم مصاييح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جده القلوب خاقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعة في السر وكان فاضلا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال جعلت منيته وقل تراه وقلت بوا كيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغبراء قيل ومن الغبراء ؟ قال الفارون يدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بانفي أن الله تعالى يقول في بعض ما عين به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترأك ألم أدخل ذكرك . وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعاني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قاي يصلح بمكة وللمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما قرأت عني يوما في الدنيا قط إلا صرته بت ليلتي بعض مساجد قرى الشام وكان في البطن فجرت للؤذن رجلى حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فاضل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا تفي عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإعنا للطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فإن قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة الطهارة فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من البذل فليس بمذموم . نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالطريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الفرق فلا يؤلى به أن لا يعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيذهب عنهم فيهلك معهم وأما القوى فلا يؤلى أن يعرفه الفرق ليمتلئوا به فينجهم ويثاب على ذلك .

(بيان فم حب الجاه)

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الإرادة تين جميعا وقال عز وجل سمعنا كان يربد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخفاء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيف فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذي وابن ماجه بإسنادين ضعيفين .

والعطش من آخر
التيار حتى كادت أن
تهلكا فبعتنا إلى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأسأذناه
في الانظار فأرسل
إليها قدسا وبكال
قولوا لهما قيتا فيه
ما كنا نقاد أحداها
نصفه دما عبيط ولما
غريضا وقادت الأخرى
مثل ذلك حتى ملائناه
فجذب الناس من ذلك
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هاتان
صامتا وأنطرتا على
ما حرم الله عليهما
وقال عليه الصلاة
والسلام « إذا كان
يوم صوم أحدكم فلا
برث ولا يجهل فإن
امرؤ شامخ فليل
إني صائم » . وفي الخبر
« إذ الصوم أمانة

الدنيا وزيتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زيتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يبتتان التفاف في القلب كما يبيت للناء البقل » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذنبان هضاران أرسلا في زرية غتم بأسرع إفسادا من حب الصنف والمال في دين الرجل اليوم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء » (٣) نسأل الله العفو والسفوة عنه وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم أن الجاه والمال هما ركنتا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان للنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب للطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن الشيء هو الذي يملك الدرهم والدنانير أى يقدر عليها يتوصل بها إلى الأغراض والمقاصد وتضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكل ذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكل ذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من العاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اتقاده وتسخره بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كالا في نفسه بل يكفي أن يكون كالا عنده وفي اعتقاده وقد يستند ما ليس كالا كالا ويذعن قلبه للوصوف به اقتيادا ضروريا بحسب اعتقاده فإن اعتقاد القلب حال للقلب وأحوال القلوب نابعة لاعتقادات القلوب وعوالمها وتخيالاتها وكما أن حب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رعايهم يملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متائب بطبعه ولو خلى ورأه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبنى أن تكون له الأحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام للنزلة في قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنت من نموت الكمال فيه فيقدر ما يستقدون من كاله تدعن له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه ووجهه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله محرمات كالمدح والإطراء فإن التمدح للكمال لا يستكت عن ذكر ما يستقده فيثني عليه وكالخدمة والإعانة فإنه لا يغفل بيذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في أغراضه وكالإيثار وترك للنزاعة والتعظيم والتوقير بالمفاحة والسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

(١) حديث السال والجاه يبتتان التفاف الحديث تقدم في أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ما ذنبان هضاران أرسلا في زرية غتم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبى منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف « حب الثناء من الناس يعمى ويصم »

فليحفظ أحدكم أماته
والصوفى الذى لا يرجع
إلى معلوم ولا يدرى
مضى يساق إلى الرزق
فاذا ساق الله إليه
الرزق تناوله بالأدب
وهو دائم الرابضة
لوقتة وهو في إفتار
أفضل من الذى له
معلوم مفسد . فإن
كان مع ذلك يصوم
قد أكل الفضل .
حكى عن روم قال
اجتزت في الهاجرة
بعض سكك بغداد
فعمطت فتقدمت إلى
باب دار فاستقيمت
فاذا جارية قد خرجت
ومعها كوز جديد
ملآن من الماء للبرد
فلما أردت أن أتاول
ممن يدها قالت
صوفى وشرب بالهمار
وضربت بالكوز

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقد الناس كالأفان هذه الأوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوا هو بينة يقتضى كون الجاه محبوا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في القدر وهو أنك تعلم أن الدرهم والدينار لا غرض في أعيانها إلا لأصلح لمطعم ولا مشرب ولا منسكح ولا ملبس وإنما هي والحصى بمثابة واحدة ولكن محبوا لأنهم وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكأن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولكل الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم والراهد الذي تفرغ له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال ييسره فإن أموال أرباب القلوب مسخرة لقلوبهم وبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كثرًا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم ييسره فاذن الجاه آلة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطلع فيه للولع والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراس والخزائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عديدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أبدى الثياب والتصاب وأثبت الأموال الغفار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن الرقابة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي مخفية محروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها ، ثم إنما تغصب القلوب بالصرى وتبيع الحال وتغير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا ييسر على محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسهل وينسى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعن لشخص واعتقدت كماله يعلم أو عمل أو غيره أفضحت الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقد لغيره ويقتنع بذلك القاب أيضا ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار في الأقطار انتس القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسهل من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنائه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدى الخفاء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استعمرت الأموال في مقابلته فهذه جماع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذات ودفع الضرر معلوم كالاحتياج إلى الملبس والسكن والطعم أو كالميل إلى مرض أو بقوة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكثرة الكسوف وإدخار الذخائر واستكثار الخزانة وراء جميع الحاجات حتى لو كان للسيد واديان من ذهب لا ينفق لهما ثالثا وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد حتى يعلم قطعا أنه لا يظفها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذبه

على الأرض وانصرفت
قال روي فاستحييت
من ذلك ونذرت
أن لا أنفسر أبدا
والجماعة الذين كرهوا
دوام الصوم كرهوه
لمكان أن النفس إذا
أقلت الصوم وتعودته
اعتمد عليها الإنطار
وهكذا يتعودها
الافطار تسكره الصوم
فيرون الفضل في أن
لا تركز النفس إلى
عادة ورأوا أن افطار
يوم وصوم يوم أشد
على النفس . ومن
أدب القسراء أن
الواحد إذا كان
بين جمع وفي صحة
جماعة لا يصوم إلا
يأذنها وإنما كان ذلك
لأن قلوب الجمع متعاقبة
بفطوره وهم على غير
معلوم فإن صام ياذن

غاية الالتئاذ وحسب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فقول نم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سبيان : أحدهما جلى تدركه السكافة . والآخر خفى وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكاء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا القواسون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفق بسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ومخطر بيا له أن السال الذي فيه كفايته ربما يثقل فيحتاج إلى غيره فإذا خطر ذلك بيا له حاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود ماله آخر يفرج إليه إن أصابت هذا السال جائحة فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيقلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطاقة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فذلك لم يكن له موقف إلا أن يملك جميع مافي الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منومان لا يشمان منوم العلم ومنوم المال » (١) ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام الميزة والجاه في قلوب الأبعاد عن وطنه وبه فانه لا يخلو عن تقدير سبب زججه عن الوطن أو زجج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولادة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى إذ قاله سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى - أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم المكشوفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ولكذك قبل معرفة ذلك تعلم أن القلب ميلا إلى صفات بهيمية كالأكل والواقع وإلى صفات - بعية كالتقل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحذية والإغواء وإلى صفات ربوية كالسكر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان للشاركة في الوجود نفس لامعة فكالم الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن متفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن اللمية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في النكالى بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكأ أن إشراق نور الشمس في أنظار الأنفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جهة كالمها وإنما نقصان الشمس بوجود نفس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل مافي العالم يرجع إلى إشراق آوار القدرة فيكون تابا ولا يكون متبعا فاذن معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه محب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قل بعض مشايخ الصوفية : مامن إنسان إلا وفي باطنه ماصرح به فرعون من قوله سأربك الأعلى -

الجمع وتفتح عليهم شيء
لا يترجمهم إذ غار له الصائم
مع الصائم بأن الجمع
القطرين يحتاجون
إلى ذلك فان الله تعالى
بأنى الصائم برزقه إلا أن
يكون الصائم محتاج إلى
الرفق لنفسه حاله
أو ضعف بشيئه
لشيخوخة أو غير ذلك
وهكذا الصائم لا يلبق
أن يأخذ نصيبه
فدخره لأن ذلك من
ضعف الحال فان كان
ضعيفا يستترف بحاله
وضعه فدخره والذى
ذكرناه لأقوام هم على
غير معلوم فأما الصوفية
التيمنون في رباط على
معلوم فالألقى بحالهم
الصائم ولا يلزمهم
مواقفة الجمع في الإنظار
وهذا يظهر في جمع منهم
لهم معلوم قدّم لهم

(١) حديث منومان لا يشمان الحديث الطبراني من حديث أبى مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخارى من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

ولكنه ليس يمدح بحالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما هجرت النفس عن ذلك انتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتهذه به فبانه لا يلقى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم الضرر بالوجود في الاستيلاء على كل الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيره منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرته على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة وكونه مسخر لك تردده كيف نشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجوده ، مع إلا أن للوجودات منقسمة إلى مالا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأفلاك والسموات والسكاك وملكووت السموات وقوس لللائكة والجن والشياطين والجلال واليغار وما تحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدره العبد كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جعلها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا اتسمت للوجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات وإلى مالا يقدر عليه كذات الله تعالى واللائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على السموات بالعلم والاحتاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا العلوم المحاطة كالداخل تحت العلم والعالم كالاستولى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى واللائكة والأفلاك والسكاك وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياقي من هيجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللب به وأنه كيف وضع ولكن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشريعة أوجز التعليل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشاق إلى معرفة كيفيةته فهو متألم ببعض العجز متلهذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرته على التصرف فيها كيف يريد وهي قسبان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرامم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادر عليها فعمل فيها ماشاء من الرفع والواضع والتسليم والتنع فان ذلك قدرة والقدرة كالوالكمال من صفات الربوبية والربوبية محبة بالطبع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوراته نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تمتد كاله حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلة فيها فان الخشية القهرية أيضا قدينة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : قوس الآدميين وقلوبهم وهي أشس ما على وجه الأرض فهو محب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب إنما تسخر بالحلب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع لمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يلبه الموت فيمدحه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الإعسان والفرقة فهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فاذا منى الجاه تسخر القلوب ومن تسخر القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتبار فأما إذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للفطرين أحسن من استدعاء المواقفة من الفطرين للصوام وأمر القوم بمناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ما صحت النية فيه من الصوم والافطار والواقفة وترك الواقفة فهو الأفضل فأما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صاعما وأفطر للواقفة وإن صام ولم يوافق فله وجه . فأما وجه من يفطر ويوافق فهو مأخوذ به أبو زرعة طاهر ، ع . أيه إلى الفضل الحافظ القدسي قال أما أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا بالسند

كال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالملم والقدرة وللحال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للقدورات وما دام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكال الكمال بالملم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدر كره من الكمال فهذا هو السبب في كون الملم واللذات والجاه محبوبا وهو أمر وراءه كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه الطاقة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من المعلوم ما يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع السجائب والشكوك لأن في العلم استبلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة غايلط لابد من ياتها إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكال الوهمي الذي لا حقيقة له)

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات النقص بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكال الوهمي ويانه أن كمال الملم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى . الثاني من حيث تعلق الملم بالمعلوم على ما هو به وكون الملم مكشوقا به كشفا تاما فان للمعلومات مكشوفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ما هو عليه فذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى . الثالث : من حيث بقاء الملم أيد الأبد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باقي لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يتغير والاطلاق كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات ثبات : متغيرات وأزليات . أما للتغيرات فثالثها العلم بكون زيد في الدار فانه علم لمعلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينبق جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب للعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا ويعود عليك جهلا ويتحقق بهذا الثلاث جميع متغيرات العالم كملكك مثلا بارضاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والامادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب . القسم الثاني : هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات وجوب الواجبات واستعالة الاستحبات فان هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محال ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام دلالة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في مأكونات السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما للنفى بدلالات وتسكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت - يسمى بين أيديهم وأعيانهم يقولون ربنا أتم لنا نورنا أي تسكون هذه المعرفة قرأنا مال يوصل إلى كشف مالم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سراجا زيادة النور بسراج آخر يفتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستبصار ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا التوريق - كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه فحساب

أبو الحسن محمد بن الحسين المأوى قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاه ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن أبي سعيد الخدري قال اصطلعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما كراخواكم تكلف لكم ثم تقول إني صائم أفطر وأقضى يوما مكانه» وأنا وجه من لا يوافق قدور ودان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلل صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاستعادة إلا معرفة الله تعالى وأمامه اذلك من المعارف فيها الملائمة له أصلاً كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فان معرفة لغة العرب تبين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تبين على معرفة مافي القرآن من كيفية البادات والأعمال التي تشيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تبين استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أفلح من زكاه - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنعما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف الحبيطة بالموجودات إدلوجودات كلها من أفعاله فن عرفنا من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تسكئة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لافها بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي لمعبد بل للمعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وإنعما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا، نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطره وقوة يده للبطش ورجله للدمى وحواسه للدراك فان هذه القوى آتية للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى اللطم والتشرب لللبس والسكن وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه لئلا يأتى من حيث اللذة الحالية التي تنفض على القرب ومن ظن ذلك كالأقصد جعل لخالق كثرهم هالكون في ضمرة هذا الجمل فاتهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة التقى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ففسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملأه تسكئة وهو العلم والحرية أما العلم فاذا ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر نقشها بالملائكة الذين لا تستغرم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات للملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استعالة التأثير التآثر عليه فن كان عن التأثير والتأثر بالعوامس أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلة عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنعما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقة ترفع إلى عدم نقصان فان التأثير نقصان إذا هو عبارة عن عدم صفة كائنه وهلاكه كاهلاكه نقصان الذات وصفات الكمال فاذن الكالات ثلاثة إن عدنا عدم التأثير بالشهوات وعدم الأتياد لها كالأ كمال العلم وكال الحرية وأعني به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفته وحرية لا يتعدان بالموت بل بقيان كمالا فيه وسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقابت الجاهلون وانكروا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه وللده وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلبقاءه وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديا لا ينقطع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى - للبال والبنون زينة

فقال رسول الله نأكل
رزقنا ورزق بلال في
الجنة ه فاذا علم أن
هناك قلبا يتأذى أو
فضلا يرجي من موافقة
من يفتن موافقة
يفطر بحسن التبة
لا يحكم الطبع وتقاضيه
فان لم يجد هذا الذي
لا ينبغي أن يتلبس عليه
الشرة وداعية النفس
بالتبة فليتم صومه
وقد تكون الاجابة
لداعية النفس لالتضاء
حق أخيه . ومن
أحسن آداب الفقير
الطالب أنه إذا أفطر
وتناول الطعام ربما
يجد باطنه متغيرا عن
هيئته ونفسه متباعدة
عن أداء وظائف
العادة فيعالج مزاج
القلب للتغير بإذهاب
التغير عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالآل في النفس والمال والجاه هو الذي ينقض على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشياً تندروه الرياح - وكل ما تندروه رياح اللوت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطع اللوت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصود فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله :

ومن ينق الساعات في جمع ماله عفاة قفر فالتى فعل الفقر
إلا قدر البقلة منها إلى السكال الحقيق اللهم اجعلنا ممن وقته للخير وهديته بلطفك .

(بيان ما محمد من حب الجاه وما ينجم)

مهما عرفت أن معنى الجاه كمال القلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أمراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة الطعام وللشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والالسان كالأستغنى من طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال الذي يتنازع به الطعام فكذلك لا يخفى عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المثل ما يدعو إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المثل ما يحسن به مراقبته ومعاوئته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المثل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المثل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يقضى إلى أن لا يكون السال والجاه بأعيانها محبوبين له بل يؤخذ ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لفناء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس بحبائيت للساء فكل ما يراد التوصل به إلى محبوب فالجبوب هو التصود للتوصل إليه وتدرك التفرقة بمثل آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت الساء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب الشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحباً لكانها فهذا هو الحب بدون الأول وكذلك الجاه والسال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والفساد ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما يتوصل به إلى اكتساب بكد وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتساب عبادة فإن التوصل إلى الجاه والسال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الزنا المحظور كما سيأتى . فان قلت : طلبه المنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور .

أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالعمالة . وأما أحد الباحثين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركات يصليها
أو بآيات يتلوها أو
بأذكار واستغفار يأتي
به فقد ورد في الخبر
« أذبحوا طعامكم
بالذكر » ومن مهام
آداب الصوم كنهاته
مهما أمكن إلا أن
يكون متمكناً من
الاخلاص فلا يبالى
ظهر أم بطن .

[الباب الثامن
والأربعون في ذكر
الطعام وما فيه من
المصاحبة والمفسدة]
الصوفى بحسن نيته
وحمة مقصده ووفور
علمه وإتيانه بأدائه
تصميم عادته عبادة
والصوفى موهوب وقته
لله ويريد حياته لله كما
قال الله تعالى لنبيه آمراً
له - قل إن صلاتى
ونسكى وعجارى ومحاسن

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى - اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم - فانه طلب للثروة في قلبه بكونه حفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومصيبة من مصائبه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على القبايح جائز ولا يجوز هتك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبس بل هو سد لطريق العلم بمالا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يأتى إليه أنه ورج فان قوله إني ورج تلبس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس إذ خيل إليه أنه من المحسنين الخاضعين لله وهو مرء بما يغفه فكيف يكون مخلصا فطلب الجمال بهذا الطريق حرام وكذا بكل مصيبة وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يملك مال غيره بتلبس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب في حب اللذع والثناء وإرتياح النفس به وميل

الطبع إليه ونفضها للذم وشرتها منه)

اعلم أن حب اللذع والتناذ القلب به أربعة أسباب : السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فانا نبتنا أن الكمال محبوب وكل محبوب قادرا كالتبذد فيهما شرعت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت وللذم يشعر نفس للمدح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو إيمان أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثرته عليه بانه طويل القامة أيضا اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن للطلق فان الانسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لسكونه عدم النظر في هذه الأمور إذ تعلمن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أوردت ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه الملة مهماسد الثناء من بصير بهذه الصفات خير بها لا يحازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلذذ بثناء أستاذة عليه بالكياسة والدكاء وغزارة الفطن فانه في غاية اللذة وإن صدر عن محازف في الكلام أو لا يكون بصير بذلك الوصف ضمنت اللذة وهذه الملة يفض الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محقور والشعور به مؤلم ولذلك يظلم الألم إذا صدر الذم من بصير موقوف به كاذكرناه في اللذع . السبب الثاني : أن اللذع يدل على أن قلب الملاحظ مملوك للمدح وأنه مرئيه ومعتد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذية وهذه الملة تعظم اللذة مهماسد الثناء ممن تسع قدرته ويتنفع باقتناس قلبه كالملوك والأكابر ويضعف مهما كان الملاحظ ممن لا يؤبه به ولا يقدر على شيء فان القدرة على بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل الذم إلا على قدرة قاصرة وهذه الملة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكباته أعظم لأن القاصد به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء اللئى ومدح الماسد سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيا إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويمتد به انه وهذا مختص بثناء يقع على الملائع فلا جرم كلما كان الجمع أكثر للثنى أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المذم أذ والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن المذم يدل

له رب العالمين -

فدخل على الصوفى

أمور العادة لموضع

حاجته وضرورة

بصرته وغفد بمادته

نور حفظته وحسن

نيتة فتثور العادات

وتتشكل بالعبادات

ولهذا ورد «نوم العالم

عبادة ونفسه تسبيح»

هذا مع كون النوم

عين الغفلة ولكن كل

ما يستعان به على العبادة

يكون عبادة فتناول

الطعام أصل صغير

يحتاج إلى علوم كثيرة

لاشغاله على المصالح

الدينية والدنيوية

وتلقى أمره بالقلب

والقلب به وقوام البدن

ياجره سنة الله تعالى

بذلك والقلب مركب

القلب وبهما إحصارة

الدنيا والآخرة وقد

على حشمة المدح واضطرار البادح إلى اطلاق اللسان بالتناء على المدح إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا لثابتة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان للبادح لاعتقدي الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم تكون لذته بقدر تمنع البادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالتناء أعذ فبهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح مادم واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد عترق فتتقص اللذة بها أما العلة الأولى وهي استشعار الكمال فتدفع بأن يعلم المدح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم يعلم أومتورع عن المخطورات وهو يعلم من نفسه منذ ذلك قترول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن للبادح ليس يعتقد مايقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالتناء فإن لم يكن ذلك من خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الفطاء عن علة التذاذ النفس بالممدح وألم يسبب الدم وإعما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحسب المصلحة وخوف اللذات فإن المادح فسيببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفي بكرمه وطفله وصلى الله على عبد مدهم صطفى.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مرعاة الخلق مشغوبا بالتودد إليهم والمرأة لأجلهم ولزلا في أنواله وأفعاله ملتفتا إلى مايعظم منزلته عندهم وذلك بذر التفاني وأصل السادو مجر ذلك للاحالة إلى التساهل في العبادات والبراءة بها وإلى اتعنام المخطورات لتوصل إلى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادها لادن بذيبن ضارين وقال عليه السلام «إنه يثبت التفاني كما يثبت للماء البقل» إذا تفاني هو عناية الظاهر للباطن بالقول والأفعال وكل من طلب للزلة في قلوب الناس فيضطر إلى التفاني معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين التفاني فحب الجاه إذن من الملهكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فأخبره لثوث فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسطة الأرض من المشرق إلى المغرب وإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبله من قذو الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحق العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز «أما بعد ، فكأنك بأخبر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كاتوا كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدنيا لم تسكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لا كان التفاني إلى العاقبة فكان محملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للفتين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتدونها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى «بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأجى ذوقا عز وجل» - كلاب تحبون العاجلة وتذرون الآخرة - فمن هذا حده فينبغي أن يسأل قلبه من حب الجاه بالملم بالآفات العاجلة وهو أن يتسكرفي الأخطار

ورد «أرض الجنة
قبحان نبأها التسبيح
والضديس» والقالب
بغفره على طيبة
الحيوانات يستعان به
على حمارة الدنيا والروح
والقلب على طيبة
الملائكة يستعان بها
على حمارة الآخرة
وباجتماعها صلحا
لحمارة الدارين والله
تعالى ركب الآدمي
باطيف حكته
من أخص جواهر
الجنائيات والروحانيات
وجعله متودع خلاصة
الأرضين والسموات
جصل عالم الشهادة
وما فيها من النبات
والحيوان لقوام بدن

التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فإن كل ذي جاه محسود ومقصود بالأيادى وخائف على الدوام على جاهه وعثرز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد شئرا من الصدق في غليتها وهى مترددة بين الإقبال والاعراض فشكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فإنه لا ثبات له والاستشغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يبنى في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يغوث في الآخرة فهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من فقدت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العدل فاستقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفرقه لذة القبول ويأنس بالتحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامية إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلوا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فإنه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يفعل من اللبايات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويسلم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال ربما يبالغون أنفسهم بما لا يبقى به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فإنه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأنوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والمهجرة إلى موضع الجحول فإن المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يغلو عن حب المنزل التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فإنه ربما يظن أنه ليس بحال ذلك الجاه وهو مفرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد غطرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتأتلت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك التيار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولا يزال به وبه يتبين بعد أنه بحب الجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فإن فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزل في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طعمه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالزاد فلا يزال أكان له منزل في قلوبهم أم لم يكن كالإيالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يراهم ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فإن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن قيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الجحول والنذل مثل قولهم المؤمن لا يغلو من ذلك أو تعلق وينظر في أحوال السلف وإشارهم لذلك على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب الملح وكراهة الدم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف متعة الناس وحب مدحهم فصاحركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من النعم وذلك من المهلكات فيجب ما لجئنا به من ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الدم . أما السبب الأول : فهو استشعار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى
- خلق لكم ما في
الأرض جميعا - فكون
الطباع وهى الحرارة
والرطوبة والسرودة
واليبوسة وكون
بواسطتها النبات وجمال
النبات قواما للحجرات
مسخرة للآدمي يستعين
بها على أمر معاشه لقوام
بدنه فالطعام يصل إلى
المعدة وفى المعدة طباع
أربع وفى الطعام طباع
أربع فإذا أراد الله
اعتدال مزاج البدن
أخذ كل طباع من
طباع المعدة ضد من
الطعام فتأخذ الحرارة
للبرودة والرطوبة
للبيوسة فيستدل

المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها للمدح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق للمدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالمدح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب شيئا تدره الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كمال للنبي: أشدّ التمسّ عذبي في سرور يتيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بمرض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق القرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الحاجة غير معلومة وهذا إنما يقتضي القرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحاجة باقى فى الخوف من سوء الحاجة فقل عن القرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغوم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاجة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فإن اللذة فى استثمار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من جهز به إسان ويقول سبحانه الله ما أكثر العطر الذي فى أحشائه وما أطيب الروائح التي تخرج منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبايا باطنك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح إن صدق فليكن فرحك بصفته التي هى من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن يشمك ذلك ولا تفرح به. وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سبيلا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبك المزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلك عند الله فكيف تفرح به. وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثابت لها ولا تستحق القرح بل ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان ، قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكّن الشيطان من أن يدخل فى بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل ، وروى فى بعض الأخبار فإن صح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فأت على ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح « ومحك قصمت ظهرك لو ممحك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحشوا فى وجوههم التراب (٣) » فلماذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وقتته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يأمر المؤمنين بخيرى وأعلم فغضب وقال إني لم أمرك بأن تركى ، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أجهلك الله فغضب وقال

المزاح وبأمن الاعوجاج
وإذا أراد الله تعالى
إفناء قلب وغريب
بنية أخذت كل
طبيعة جنسها من
المأكل فصيل
الطباع ويضطرب
المزاج ويسقم البدن
ذلك تهدير العز
الصليم . روى عن
وهب بن منبه قال :
وجدت فى التوراة صفة
آدم عليه السلام إلى
خلفت آدم وركبت
جسمه من أربعة
أشياء من رطب
ويابس وبارد وسخن
وذلك لأن خلقته من
التراب وهو يابس
ورطوبته من الماء

(١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فأت على ذلك دخل النار (٢) حديث ويحك قطعتم ظهرك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣) حديث ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحشوا فى وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لا تمادحوا.

إني لأحببك عراقيا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بعثتك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا للدخ خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم محقون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يفيض إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو للتقرب عند الله وللذموم بالحقيقة هو البعد من الله اللقي في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم جبهه إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وتعالى عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب للدخ واشتغل بما يهجه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب برحمته .

(بيان علاج كراهة الدم)

قد سبق أن العلة في كراهة الدم هو ضد العلة في حب للدخ فصلاجهما أيضا فيهم من القول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الإيذاء والتعنت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تدمه وتضرب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تنقي فينبغي أن تفرح به وتشتغل بالذلة الصفة للذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتيابك بسببه وكراهتك له وذكرك إياه فإنه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت ظافلا عنه أو قبحه في عيبك لينبث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتبع لك أسبابها بسبب ماحصته من اللذمة فيما قصدت الدخول على ملك وتوبك ملوث بالعدرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحقت أن يحز رقبك لتوبك عجله بالعدرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعدرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الأخلاق مهلكة في الآخرة والإنسان إنما يعرفهم من قول أعدائه فينبغي أن تنضمه . وأما قصد المدح التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تضرب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفتري عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فيذبني أن لا أكره ذلك ولا تشتغل بدمه بل تنسك في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى إذ لم يطعمه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برىء عنه ، والثاني أن ذلك كثرات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بسبب أنت برىء منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك قد أهدى إليك حسنة وكل من مدحك فقد قطع ظهرك ، فإياك تفرح بقطع الظهر وتغرن لمدايا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب التقرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقترائه وتعرض لمقا به الأليم فلا ينبغي أن تضرب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فأنهم لا يملكون » (١) لما أن كسروا فنيته وشجوا وجهه وقتلوا همه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له في ذلك قتال علمت أني مأجور بسببه وما نالني منه إلا خير فلا أرضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فأنهم لا يملكون قاله لما ضربه قومه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

وحراره من قبل
النفس وبروده من
قبل الروح وخلفت
في الجسد بعد هذا
الخلق الأول أربعة
أنواع من الخلق هن
ملاك الجسم يؤذي
وبهن قوامه فلا يقوم
الجسم إلا بهن ولا يقوم
منهن واحدة إلا بأخرى
منهن اللة السوداء
واللة الصفراء والدم
والسليم ثم أسكنت
بعض هذا الخلق
في بعض فجعلت مسكن
اليوسة في اللة
السوداء ومسكن
الروبوطة في اللة الصفراء
ومسكن الحرارة في
الدم ومسكن البرودة

هو معاقبا بسبي وعما يهون عليك كراهة الذمة قطع الطمع فان من استغنت عنه مهامك لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين اقتناعه وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والذم في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك إلى تحصيل النزلة في قلبه مصروقة ولا يزال ذلك إلا بهدم الدين فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه وعحب اللذع ومبغض الدم في سلامته فإنه ذلك بعيد جدا.

(بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والدم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالاضافة إلى الدماء والسادح : الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشكر السادح ويضبط من القم ويحقد على الدماء ويكافئه أو يجب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن على الدماء ولكن يسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح بباطنه ويرتاح للمدح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من القنصان إلا أنه بالاضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذمّه ومدحه فلا تضره الذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض الباطل بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتحن نفسه بعلماته ، وعلماته أن لا يجد في نفسه استغالا للذم عند تطويله الجالس عندهما أكثر مما يجده في المدح وأن لا يجد في نفسه زيادة هوة ونشاط في قضاء حوائج السادح فوق ما يجده في قضاء حاجات الدماء وأن لا يكون اعطاع الذم عن غلبته أهون عليه من اعطاع المدح وأن لا يكون موت السادح المطرئ له أشد نكابة في قلبه من موت الدماء وأن لا يكون غمه بمصيبة السادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الدماء وأن لا تكون زلة السادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الدماء فهم ما خف الدماء على قلبه كما خف السادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشد على القلوب وأكثر البعاد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المدح دون الدماء والشيطان يحسن له ذلك ويقول الدماء قد عصى الله بعلمتك والمداح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استغفلك للذم من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبائر المعاصي أكثر مما ارتكب الذم في مذمته ثم إنه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المداح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه قرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المفلح لنفسه يضبط وهو لا يمتنع ثم إن الشيطان يغفل إليه أنه من الدين حتى يصل على الله بهواه فيزيده ذلك مبدا من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويغتره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى - قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره المدح ويعتق المداح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للأظهر مضرة له في الدين ويجب الذم إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرغبه إلى مهمه ومهد إليه حسنة فقد قال عليه السلام « رأس التواضع أن تذكرد أن تذكر بالبر والتقوى » (١) وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوف إلا من ، قيل يارسول الله إلا من ؟ فقال إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة » (٢)

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث ويول للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب القردوس من حديث أنس ويول لمن لبس الصوف غفالف فله قوله ولم يخرج له في مستنده .

في الباطن فأبما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلها ملاك وقوامه فكانت كل واحدة منهم دجلا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيتة فان زادت منهم واحدة عليهم هزمن ومالت بهم ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غابته حتى يصف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضرم القرح والسكراحة على الدام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذم فلنسا نطعم فيها ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامه الحالة الثانية فانها لا تفي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته وتتألق على إكرام الدام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تقدر على أن نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا تقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذم في ظاهر القلب فهو جدبر بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فانه السكربت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا درجات أما الدرجات في المرح فهو أن من الناس من يتعمى للدعة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرأى بالعبادات ولا يزال بفارقة المخطورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمديح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المخطورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيها لا يهل لئيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للدعة ولا يسمى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يشكف السكراحية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه السكراحية وبغض السرور إليه بالتفكير في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون البسده وتارة تكون عليه ومنهم من إذا سمع للمدح لم يسر به ولم يغم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقى عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره للمدح إذا سمعه ولكن لا يتهمى به إلى أن يغضب على المادح ويشكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه عيب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالفسد من هذا تتفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حق وحقد على نفسه لقردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها السكاذبة وتلبسائها الخبيثة فيغضها بغض العدو والإنسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الدام على ذلك ويعتقد فطنته وذكائه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالشفة له من نفسه ويكون غنيمته عنده إذا صار بالمذمة أوسع في أعين الناس حتى لا يتلقى بفتنة الناس وإذا سبقت إليه حسنت لم ينسب فيها فساده يكون خيرا لمحبوه التي هو عاجز عن إقامتها ولو جاهد الريد نفسه طول عمره في هذه الحصة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذاته ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عتبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه والترزعة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرأى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد بالعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على الريد أن يعلمه قلبه قبل الطاعة وبعبدا وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

سكبر الأمر وأثعب

طلب الحلال . ومن

أدب الصوفية رؤية

النعم على النعمة وأن

يتتدى بفعل اليد

قبل الطعام قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم

« الوضوء قبل الطعام

ينقى الفقرة » وإنما كان

موجبا لنفى الفقر لأن

غسل اليد قبل الطعام

استقبال النعمة بالأدب

وذلك من شمسك

النسمة والشكر

يستوجب المزيد نصار

غسل اليد مستجلبا

للنعمة مذهبا للفقر

وقد روى أنس بن

مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام والرائي عند الله محقوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار . أما الآيات :
قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون - وقوله عز وجل - والذين
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فمدح المخلصين بنفي كل إرادة سوى وجه الله والرياء
منه وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (١) نزل
ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال
يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث
الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقاري « لكتاب الله » كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن
الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال
فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قاري فأخبرني صلى الله عليه وسلم « أنهم يشاؤون أن يراءوه هو
الذي أحبط أعمالهم » (٢) وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رأى رياءى رأى الله
به ومن سمع مع الله به » (٣) وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول للملائكة إن هذا لم يردني بعمله
فاجعلوه في سجين » (٤) وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر
يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم
ترادون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « استعيذوا بالله عز وجل
من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقرءاء للرائين » (٦) وقال عليه السلام « يقول الله
عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كره وأمانته بريء وأنا أغني الأغنياء عن الشرك » (٧)

عليه وسلم أنه قال
« من أحب أن يكثر
خير بيته فليتوضأ إذا
حضر غداؤه ثم يسمي
الله تعالى » وقوله تعالى
- ولا تأكلوا مما
لم يذكر اسم الله عليه -
تفسيره تسمية الله تعالى
عند ذبح الحيوان .
واختلف الشافعي
وأبو حنيفة رحمهما
الله في وجوب ذلك
وفهم الصوفي من ذلك
بعد القيام بظاهر
التفسير أن لا يأكل
الطعام إلا مقرونا بالذكر
فقرنه فريضة وقته
وأدبه ويرى أن تناول
الطعام والماء ينتج من
إقامة النفس ومناجاة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته
وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إن أفق للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطن
فم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسختي من الاستدرك وله سعة طمته ابن عباس أو أبو هريرة
والبراز من حديث معاذ بسند ضعيف من صام رياء فقد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم
تلاهذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقاري
لكتاب الله فإن الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواء مسلم وسيأتي في كتاب الاخلاص (٣) حديث
ابن عمر من رأى رياءى رأى الله به ومن سمع مع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث
ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من
سمع الناس مع الله به سامع خلقه وحقره وصغره وفي الزهد لابن المبارك ومسنده أحمد بن منيع أنه
من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظمة من
رواية حمزة بن حبيب مرسل ورواه ابن الجوزي في اللوضعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف
عليكم الشرك الأصغر الحديث أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله
ثقات ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استعيذوا بالله من
جب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد في جهنم أعد للقرءاء للرائين الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث
أبي هريرة وضعه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كره

وقال عيسى السبيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليذهن رأسه ولبثه ويمسح شفتيه ثلاثاً يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليخف ستر بابه فإن الله يقسم الشاة كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملاً فيه مقال ذرة من رياء » (١) وقال عمر لما بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) وهى أيضاً ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلاً تصدق يمينه فسكاد يخفيها عن شماله » (٤) ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفاً » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إن للرائى بنادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأتى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي قلت ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال إنى تخوف على أمى الشرك أما إنهم لا يجيدون صفاً ولا شمساً ولا قرأ ولا حجراً ولكنهم يرامون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت بأهلها فخلق الجبال فصرها أوتاداً للأرض فقاتل الملائكة ما خلق ربنا خلقاً هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقاتل نساء الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟ قال الله تعالى لم أخلق خلقاً هو أشد على من قاب ابن آدم حين تصدق بصدقة يمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلقاً خلقت » (٨) وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لما بن جبل حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكي معاذ حتى ظننت أنه لا يسكر ثم سكنت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى « يا معاذ قلت ليك بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال

الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه برى ومسلم مع تقدم وتأخير دونها أيضاً وهى عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملاً فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبرانى هكذا والحاكم باقظ إن اليسير من الرياء شرك وقد تقدم قيل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم فى أول هذا الكتاب (٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلاً تصدق يمينه فسكاد أن يخفيها عن شماله منفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه فى حديث سبعة يظلمهم الله فى ظله (٥) حديث تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفاً البيهقى فى الشعب من حديث أبي السرداء إن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر ضعف أجره سبعين ضعفاً قال البيهقى هذا من أقرافىة عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبي الدنيا فى كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل الذكر الحقيقى الذى لا تسمعه الحفظة على الله كذا الذى تسمعه الحفظة سبعين درجة (٧) حديث إن المرأتى بنادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأتى ضل عملك وحبط أجرك الحديث ابن أبي الدنيا من رواية جيلة يحيى عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرأتى وإسناده ضعيف (٧) حديث شداد بن أوس إنى تخوفت على أمى الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم قريباً (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقاً هو أشد من ابن آدم تصدق يمينه فيخفيها عن شماله الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو اها ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه . روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام فى ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابى فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه لو كان يسمى الله لكفأك فماذا أكل أحدكم طعاماً قليلاً بسم الله لأن نسى أن يقول بسم الله فليقل بسم الله وأولاه وآخره » ويستحب أن يقول فى أول لقمة بسم الله الرحمن وفى الثالثة يتم وشرب

إني محدثك حديثا إن أنت حفظته فمك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جلاها عظاما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا نازكته ففكرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب النية أمرني ربّي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد تقرر به قزكيه وتكثره حتى يبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتنخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد ينتج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أحجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهركا زهر الكوكب الذي له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره ويطئه أنا صاحب العجب أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملا أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به إلى السماء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل مثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الوكل بها قفوا اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة وتقوى وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه: اضربوا به جوارحه اقبلوا به على قلبه إني أحجب عن ربّي كل عمل لم يرد به وجه ربّي إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرنا عند العلماء وصيتنا في الدلائل أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح الخلس ثم قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فلياه لتفتي فتقول للملائكة كلهم عليه لنتك ولننتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولننتنا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ قالت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اتقني وإن كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الوعيمة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا ترك نفسك بدمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك

لما يسئلته أناس
يقول في أول نفس
الحمد لله إذا شرب وفي
الثانية الحمد لله رب
العالمين وفي الثالثة الحمد
لله رب العالمين الرحمن
الرحيم وكأن للعدة
طبعا تتردد ركاذ كرنائه
بواقفة طابع الطعام
فلقلب أيضا مزاج
وطباع لأرباب التفقد
والرعايا والبيضة يعرف
أنحرف مزاج القلب
من الآفة للتناولة تارة
تحدث من الآفة
حسرة الطيش
بالهوس إلى الفضول
وتارة تحدث في القاب
برودة الكسل بالقاعد
عن وظيفة الوقت وتارة

لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تحتاج رجلا وعندك آخر ولا تنظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نشطا - أتدري من هن؟ قلت ماهن؟ بأبي أنت وأمي يارسول الله؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم. قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطيق هذه الحاصل ومن ينجو منها؟ قال يامعاذ إنّه ليسر على من يسره الله عليه (١) قال لما رأيت أكثر ثلاثة للقرآن من معاذ لما حذر بما في هذا الحديث. وأما الآثار: فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأطأ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك. وقال علي كرم الله وجهه: للراعى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم. وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمد الله الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث. وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمده ويؤجر فقال له أحب أن تمحق؟ قال لا قال فإذا عملت لله عملا فأخا صه. وقال الضحاك: لا يقولون أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك لا يقولون هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرّة ثم قال له اقصص منى فقال لا بل أدمعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فعم إذن. وقال الحسن: لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم تعرض له الحكمة لولطقت بها لنفتمته وتعتصم أصحابه وما يمنعه منها إلا عاقبة الشهرة وإن كان أحدهم يجرى فيرى الأذى في الطريق لما يمنعه أن ينحيه إلا عاقبة الشهرة. وقال إن الراى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا صرأى يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب غدا أجرك من عملك له فلا أجر لك عندنا. وقال الفضيل بن عياض: كانوا براءون بما يعملون وصاروا اليوم براءون بما لا يعملون. وقال عكرمة: إن الله يبطئ العبد على نيته ما لا يبطئه على عمله لأن النية لا رياء فيها. وقال الحسن رضى الله عنه: للراى ريدان يطلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حذل من ربه حمل الأروياء فلا بدّ لقلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا رادى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستزى بى. وقال مالك بن دينار: القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء للترك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن. وقال الفضيل: من أراد أن ينظر إلى مرآة فليتنظر إلى. وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمات بالليل فانه أشرف من سمنك بالهار لأن السمات بالهار للخلقين وصحت الليل لرب العالمين. وقال أبو سليمان: التوق عن العمل أشد من العمل. وقال ابن المبارك: إن كان الرجل ليظوف بالبيت وهو بخراسان قيسل له وكيف ذاك؟ قال يجب أن يذكر أنه جاور بمكة. وقال إبراهيم بن آدم: ماصدق الله من أراد أن يشتر.

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد اللائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء الصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك باستناد عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزى في اللوحات.

تحدث بطوبة السوء
والنفقة وقارة يوسه
الحسم والحزن بسبب
الحفظ العاجلة فهذه
كلها عوارض يتغلط
لها التيقظ ويرى تغير
القالب بهله العوارض
تغير مزاج القلب عن
الاعتدال والاعتدال
كما هو مهم طلبه
لقالب فللقالب أمم
وأولى وتطسرق
الانحراف إلى القالب
أسرع منه إلى القالب
ومن الانحراف ما يسقم
به القلب فيموت لموت
القالب واسم الله تعالى
دواء نافع محرب يقى
الأسواء وينهض النداء
ويجلب الشفاء. حكى

(بيان حقيقة الرياء وما يراى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتق من الجاه وإيما الرياء أصله طلب للترفة في قلوب الناس بإبرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والترفة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم الصادة بطلب للترفة في القلوب بالعبادات وإظهارها فهد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالرائى هو العابد وللرائى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للترفة في قلوبهم وللرائى به هو الحصول الذى قصد الرأى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك وللرائى به كثير وبجمعه خمسة أقسام وهى جماع ما يميز به البعد للناس وهو الدين والثرى والقول والعمل والأبناج والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يرادون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[القسم الأول : الرياء في الدين بالدين] وذلك بإظهار التحول والصغار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليلد بالتحول على قلة الأكل والبصغار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك رأى بثبوت الشعر ليدل على استغراق ألم بالدين وعدم التفريط لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم فذلك تدعو النفس إلى إظهارها لتبذل تلك الراحة وقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه موافق على الصوم وأن وقار الشرح هو الذى خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مذهنين فبهذه مراعاة أهل الدين بالدين ، فأما أهل الدنيا فيرادون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسها .

[الثانى : الرياء بالهيئة والثرى] أما الهيئة فتشمتت شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس فى الثرى والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتصغير الأكمام وترك تنظيف الثوب وترك عرقا كل ذلك رأى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإنفلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه اللقن بالازار فوق الصعامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إلى الأعين بسبب تميز تلك العلامة ومنه الدراعة والظيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم وللراودن بالثرى على طبقات فمنهم من يطلب للترفة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فلبس الثياب المحرقة الوسعة القصيرة الخليطة ليرأى بخلطها ووسخها وقصرها وتخرفها أنه غير مكتر بالدين ولوكلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة التبع وذلك لحوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ودمم القراء ولو لبسوا الثياب المحرقة البذلة ازدريتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والرقعات المبروعة والقوط الرفيعة فيلبسوها ولعل قبة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئة لون

أن الشيخ همدا
الغزالي لما رجع إلى
طوس وصف له فى
بعض القرى عياد صالح
قصد زائرا فصادفه
وهو فى صحراء فيذكر
الخطبة فى الأرض فلما
رأى الشيخ همدا جاء
إليه وأقبل عليه جاء
رجل من أصحابه
وطالب منه البدر
لينوب عن الشيخ
فى ذلك وقت اشتغاله
بالغزالي فامتنع ولم يسطه
البدر فسأله الغزالي
عن سبب امتناعه
فقال لأنى أبذر هذا
البدر بقاب حاضر
ولسان ذاكر أرجو
البركة فيه لكل من

تياب الصلحاء فيتمسكون بالقول عند الفريقين وهؤلاء إن كفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لسكان
عندهم كالديع خوفا من السقوط من أعين الملوك والأغنياء ولو كفوا لبس الديق والسكان الدقيق
الأبيض والمقصب اللطيف وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول
أهل الصلاح قد رغبوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزله في زى مخصوص فيقتل عليه
الانتقال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحا خيفة من النعمة ، وأما أهل الدنيا فرأواهم
بالبشيب النفيسة وللراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفره
الحيلول وبالبشيب المصبغة والطبالة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فاتهم يلبسون في يومهم الثياب
الحسنة ويشته عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة .

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار
والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة وإظهار الفزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين
وتحريك الشفتين بالله كرم في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الحقائق وإظهار
النضب للمعسرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وإدعاء حفظ الحديث وقراءة الشيوخ والديق على من يروى
الحديث ببيان خلل في لفظه ليرف أنه يصير بالأحاديث واللبادة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح
لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إخماد الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير
وأأنواعه لا تحصى . وأما أهل الدنيا فرأواهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاسع في العبارات
وحفظ النحو القريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستئالة القلوب .

[الرابع : الرياء بالعمل] كإدعاء الصلى بطول القيام ومد الظاهر وطول السجود والركوع وإطراق
الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسمية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والتقوى والحج
وبالصدقة وباطعام الطعام وبالإحسان في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في
الكلام حتى إن المرأى قد يسرع في الشيء إلى حاجته فإذا اطاع عليه أحدهم أهل الدين رجع إلى الوقار
وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد إلى عفته فإذا عاد إلى
خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع بل هو لا اطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يستند
فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استعيا من أن يخالف مشيئته في الخلوقة مشيئته بمرأى
من الناس فيكلف نفسه للشيء الحسن في الخلوقة حتى إذا رآه الناس لم يغتر إلى التضرع ويظن أنه
يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياءه فإنه صار في خلوته أيضا مرأيا فإنه إنما يحسن مشيئته في
الخلوة ليكون كذلك في اللاء لالخوف من الله وحياه منه ، وأما أهل الدنيا فرأواهم بالتجترؤ والاختيال
وتحريك اليدين وتضريب الخطأ والأخذ بأطراف الدليل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاهل والحشمة .

[الخامس : الرأادة بالأصحاب والزائرين والمخالطين] كالندى يتكلف أن يستزير عالما من العلماء
ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من المباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو
ملكاً من الملوك أو عالما من محال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لمظهر بته في الدين والكالدي يكثر ذكر
الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأيه بشيوخه ومباهاته ومراءاته ترشح منه عند
مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودوت البلاد وخدمت الشيوخ
وما يجرى مجراه فهذه جماع ما يرأى به الرأادون وكلهم يظنون بذلك الجاهل والمزلة في قلوب العباد ومنهم
من يقتنع بحسن الاعتقادات فيه فكأن من راهب انزوى إلى ديرة سنين كثيرة وكأن من عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا
أحب أن أسله إلى
هذا فيبدل لسان غير
ذا كرو قلب غير حاضر
وكان بعض الفقهاء
عند الأكل يشرع
في تلاوة سورة من
القرآن يحضر الوقت
بذلك حتى تغمر
أجزاء الطعام بأنوار
الذكر ولا يقب الطعام
مكرهه ويشير مزاج
القلب وقد كان شيخنا
أبو النجيب السهروردي
يقول أنا آكل وأنا
أصلي يشير إلى حضور
القلب في الطعام وربما
كان يوقف من يمنع
عنه الشواغل وقت
أكله فلا يفرق همه

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خبايته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبه
إلى جرعة في ديره أو صومته لتشوش قلبه ولم يقنع بملء الله براءة ساحة بل يشتد ذلك غمه ويسمى
بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طعمه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لن يذبح
كما ذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يتربع إلا لجاهل ولكن
أكثر الناس جهال ومن الزائرين من لا يقنع بقيام منزلته بل يبتغى مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد
ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الانتشار عند الملوك لتقبل
شفاعته وتتجز الخواص على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع
حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال التائبين وغير ذلك من الحرام وهو لا يشرب طبقات الزائرين الذين
يرادون الأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما يقع به الرياء. فان قلت الرياء حرام وأمواله حرام ومكره وإباح
أو فيه تفصيل. فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات.
فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما
يمكن كسب المال بتلبسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وإن كان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج
إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضاً محمود وهو الذي طلبه يوسف
عليه السلام حيث قال - إني حفظ علي - وكان المال فيقسم ناقص ودرباق نافع فكذلك الجاه وإن كان كثير
المال يلهي ويغني ويضي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وقتنة الجاه أعم من
فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا
حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة مالا يجوز. ثم انصرف لهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور
كالانصراف لهم إلى كثرة المال ولا يقدر حب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما وأما سعة
الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اتخاذه بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاء أو سعة من جاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصرافهم
إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان
عند الخروج إلى الناس حرام وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل
يحمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج
يوماً إلى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو فعل ذلك يا رسول الله
قال نعم إن الله تعالى يحب من البند أن يتزين لأخوانه إذا خرج إليهم ^(٢) ثم هذا كان من رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في اتباعه وإسعاد قلوبهم ولو سقط
من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم عحاسن أحواله كالأزدي به أعينهم فان أعين
عولم الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد صد به أن
يحسن نفسه في أعينهم حذراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمر مباحاً
إذ للإنسان أن يعتز من ألم اللئيم ويطلب راحة الأئس بالأخوان ومهما استغفروه واستغفروا لم يأت بسبهم
فانظر للرأفة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مندوبة وموذلك بحسب
العرض للطلب بها ولذلك قول الرجل إذا أعق ماله على جماعة من الأغنياء لافي مرضى العبادة
والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا امرأته وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

وقت الأكل ويرى
لذكر وحضور القلب
في الأكل أثر كبير
لا يسهل الإجمال هو من
الذكر عند الأكل
الفكر فيها لله تعالى
من الأسنان المينة على
الأكل فيها السكاسة
ومنها الفاطسة ومنها
الطائفة وما جعل الله
تعالى من الماء الخلو في
القم حتى لا يتغير الذوق
كما جعل ماء العين مالحاً
لما كان شحماً حتى
لا يفسد وكيف جعل
الندوة تنبع من أرجاء
اللسان والقلم ليعين
ذلك على المنع والوسغ
وكيف جعل القوة
للمضامة مسلطة على

(١) حديث عائشة أنها أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره
الحديث ابن عدى في الكامل وقد تقدم في الطهارة .

والصلاة والصيام والنزول والحج فلم يرأى فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يبطل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العباد - لا يقتصر على إحباط عبادته حتى تقول صار كما كان قبل العبادة بل يعنى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات . والثاني فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس والشكر لأنه خيل إليهم أنه غلب مطيع لله وأمن أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليمتدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبس وتكلم القلوب بالخداع والشكر . والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة إذا رأى العبد قال الله للملائكة انظروا إليه كيف يستهزئ به ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقاق يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى امرأة عبد ضعيف لا يعالقه له ضرا ولا نفعا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذا أثره على ملك الملوك بقلبه مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق الولي فهذان كبائر لله لكاتب وللهاداه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر (١) ، نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كإسباغ يوانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخفى شيء منه عن إسم غليظ أو خفيف بحسب ما به الراء اتفولم يكن في الرياء إلا أن يسجد ويركب لغير الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولمعمرى لوعظم غير الله بالسجود لكفر كفر اجلبا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن للرأى عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركب فكان الناس هم للعظماء من السجود ومن وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك لأنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بظهوره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كاجلبا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهى عنده أن العبادة يملكون من شره ونفعه وورقه وأجله ومصالح حاله وما له أكثر مما عكسه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزى والدن ولده ولا مولود هو جازع والدن شيئا بل تقول الأنبياء فيه نفس نفس فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتبه بطعمه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغى أن نشك في أن الرأى بطاعة الله في سخط الله من حيث القل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جرياني صدقته وصلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت : إنه لا أجر له فيه أصلا .

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث سمى الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج بقلبه في مسند رافع وتقدم قريبا وللحاكم ومصحح إسناده من حديث شداد بن أوس كذا نفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر .

الطعام نفسه وتحيزته
متعلقا بمداه بالسكبد
والسكبد بمثابة النار
والسكبد بمثابة النار
وعلى قدر فساد السكبد
نقل الهاسمة ويفسد
الطعام ولا يفسد
ولا يصل إلى كل عضو
نصيبه وهكذا تأثير
الأعضاء كلها من السكبد
والطعام والسكبدتين
يعطون شرح ذلك
فمن أراد الاعتبار
فليطالع شرح
الأعضاء ليرى العجب
من قدرة الله تعالى
من تعاضد الأعضاء
وتعاونها وتعلق بعضها
بالبعض في إصلاح
الغذاء واستجذاب

فيه وأركانها ثلاثة للرأي به والرأي لأجله ونسب قصد الرياء . الركن الأول : نسب قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى : وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يسعى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يسعى بل يسعى لمن غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصد الرياء فهو للمعقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلو لكان لا يفعل ولا يجعل ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يعمل على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستعمل عمله على العمل لا ينفى عنه القصد والإيم . الثالثة : أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يمتدح على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما والآخر لا يستقل بعمله على العمل فهذا قد أسفد . مثل ما صلح فترجوا أن يسلم رأسا برأس لاله وأعليه ويكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد كتبتكمنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا للنشاط ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم ويقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثاني : للرأي به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات : الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخد في النار وهو الذي يظهر كلني الشهادة وباطنه مشعوب بالتكذيب ولكنه يرأى بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك الناقضون قالوا تشهدناك رسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن الناقضين لكاذبون - أي في دلائهم بقولهم على ضمايرهم وقال تعالى - ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها - الآية وقال تعالى - وإذا قومك لعلوا آتينا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الفيلظ - وقال تعالى - يرادون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبحين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان الاتفاق يكثر في ابتداء الإسلام بمن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لفرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر اتفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الحنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول للملحة أو يعتقد على بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كثيرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهو لا من الناقضين والرايين المحدثين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حال من الكفار المجاهرين فاتهم جمعا بين كفر الباطن وتفاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بأخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها أو يبدل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلو وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف للذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبرؤ إليه لاعترا رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء
واتسامه إلى الدم
والقلوب والابن لتنذية
الولود من بين فرث
ودم لبنا خالصا سائقا
لشاربين فيشارك الله
أحسن الخالقين فالفكر
في ذلك وقت الطعام
وتصرف لطيف الحكم
والقدر فيه من الذكر
وعما يذهب ماء الطعام
لتغير مزاج القلب أن
يدعو في أول الطعام
ويسأل الله تعالى
أن يجعله عونا على
الطاعة ويكون
من دعائه : اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
ومارزقتنا مما تحب
اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يفتروا أو يجمع كذلك فهذا مرآة أصل الإيمان بالله يستعد أنه لا يمدود سواء ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من منعة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدد صاحبه بالمت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد . الثالثة : أن لا يراى بالإيمان ولا بالقرائن ولكنه يراى بالتواقل والسّن التي لو تركها لا يصح ولكنه يكسل عنها في الخلوة لتتور رغبته في ثوابها وإظهاره للكل على ما يرجى من الثواب ثم يمتعه الرّياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعبادة الرّيبض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتجبد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، قد يفعل للرّائي جملة ذلك خوفا من اللّمة أو طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد له أداء القرائن فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتفق ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافعة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرّياء بأصول العبادات . القسم الثاني : الرّياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات : الأولى أن يراى بفعل ما في تركه قصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس يبالي بإطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربيا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلوسة كان ذلك منه تقدما لغلّام على السيد واستهانة بالسيد لأعماله . وهذا حال الرّائي بتحسين الصلاة في اللّا دون الخلوة وكذلك الذي يستأجر إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن القبية والرفث لأجل الخلق لا لكالا لعبادة الصوم خوفا من اللّمة ، فهذا أيضا من الرّياء المخطو لأن فيه تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرّياء بأصول التطوعات فإن قال الرّائي إنما فعلت ذلك صيانة لأنفسهم عن القبية فانهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والنية وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المنصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبس وليس الأمر كذلك فإن ضررك من قصان صلاتك وهي خدمة منك لمولائك أعظم من ضررك بنية غيرك فلو كان باطلك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتفقدوها فيهدىها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان للملك وحده . وإذا كان عنده بعض غلامه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام للملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم المرأى فيه حالتان : إحداها أن يطلب بذلك النّزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بدمهم وغيبهم فاستفيد بتحسين الهية دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن ترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل اللّمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمرأاة بطاعة الله

ما تحب وما زويت هنا
عما تحب اجعله فراغا
لذا فيها تحب .

[الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكمل]

فمن ذلك أن يتدبّر
بالمح ويهتم به روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لعلى
رضى الله عنه « يا على
أبدا طعامك بالمح
واختم بالمح فان للمح
شفاء من سبعين داء
منها الجنون والجذام
والبرص ووجع البطن
ووجع الأضراس »
وروت عائشة رضي الله
عنها قالت « بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى بفعل مالا نقصان في تركه ولكن فطنه في حكم التسكلة والتسمة لعباده كالإطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين وللبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى زيادات خارجة عن نفس التواضع أيضا كخضوعه الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الریاء بالإضافة إلى ما يرأى به وبضه أشد من بعض والشكل مذموم . الركن الثالث : للرأى لأجله فإن المرأى مقصودا للاحالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض للاحالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التحسك من مصيبة كالذى يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فأخذها أو يسلم إليه تفرقه الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فأخذها ويحدها أو تسلم إليه الأموال التي تتفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استتباع الحبيص ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المعاصي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيته الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحجب إلى امرأة أو غلام لأجل العجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة أو غلام وهو لا يبض المرأى إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سبلا إلى مصيبته وأخذوها آلة ومتجرا بضاعة لهم في فسقهم وقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جرعة أنهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذى جعد ودبحة وانهم الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بماله نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نسكاح امرأة جميلة أو شرفية كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد إما امرأة بينها لينكحها أو امرأة شرفية على الجملة ، وكذلك يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن اللطوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نسكاح ولكن يظهر عبادة خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذى يسعى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن الشئ ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسو لادن أهل الوقاء ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدامنه للزح يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستفطار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الأدمى عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لسا كان يتقل عليه ذاك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير ، كالذى يرى جماعة يصلون التراويح أو يتبعون أو يصومون الخمس والاثنتين أو يصدون فيواقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويصدق بالموام ولو خلا بنفسه لكان

في إجماعه من رجة اليسرى لدغة فقال على بذلك الأبيض الذى يكون في العين جفنا يلع فوضه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع يمينه على الصدفة فسكت عنه » ويستعجب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي » وروى أنه قيل « يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع

لا يغفل شيئا من ذلك وكالذي يحطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوافا من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع لظن أنه صائم وقد لا يصرح بأن صائم ولكن يقول في عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه تخلف ليس بمراء وأنه يحترق من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرأيا غير بدأن يقال إنه سائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذرا تصرع بها أو تعريضا بأن يتمثل بعرض يقتضي فرط العطش ويعنع من الصوم أو بقوله أفطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يستدر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد حال على اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل أن يقول إن أي ضيفة القلب مشقة على تظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرّياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرّياء في الباطن أما الخاص فانه لا يلاي كيف نظر الخلق إليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يستدعي غيره ما يخاف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة في الصوم فانه يعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يحظر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيده وغرور وسياى شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرّياء ودرجات أصناف الرّائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد الهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من ديب الخلق كما ورد به الخبر يزل فيه غول الصفاء فضلا عن الباء الجهاد بأفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرّياء الحقّي الذي هو أخفى من ديب الخلق)

اعلم أن الرّياء جلبي وخفي فالجلبي هو الذي يمتدح على العمل ويعمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاد وأخفى منه قليلا هو مالا يحمل على العمل بمجردة إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجهه كالذي يتأدب التهجيد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي لجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يكن أن يصر في الإشارات بأجل علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته قرب عيد غلص في عمله ولا يستدعي الرّياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة الباءة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولو لا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فقد كان الرّياء مستكنا في القلب مستكنا النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استثمر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الحقّي من الرّياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يشكف سببا يطلع عليه بالتعرض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار بالنطق تعرضا وتصريحا ولكن بالآيائل كإظهار التحول والصفار وخفض الصوت وليس الشفتين وجفاف الرّيق وآثار الدموع وغلبة الناس الدال على طول التهجيد وأخفى من ذلك أن يخفى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يشنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجهم وأن يساعدهم في البيع والشراء وأن يوسعوا له في السكن فان قصر فيه مقصر تقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم تفترون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا اسم الله عليه
ينارك لكم فيه ومن
عادة الصوفية الأكل
على السفر وهو سنة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم. أخبرنا
الشيخ أبو زرعة
عن القوي بسنده
إلى ابن ماجه الحافظ
القزويني قال أنا محمد
ابن المنى قال ثنا معاذ
ابن هشام قال ثنا أبي
عن يونس بن القرات
عن قتادة عن أنس
ابن مالك قال ما أكل
رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خوان
ولا في سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقّه ومهما لم يكن وجود العبادة كدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب الخيل (١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: «إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة: ألم يكن يرضى عليكم السعرا ألم تكونوا تبتدؤون بالسلام ألم تكونوا تفضي لكم الخواص في الحديث» لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الظناني فتخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الظناني أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تفضي له لمكان دينه وإن اشتري شيئا أحب أن يرضى عليه لمكان دينه فيبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السامع ما هذا قيل هذا الملك قد أطاعك فقال للظالم اتني بطعام فأناه يقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وبأكل أكلنا ضيفا فقال الملك أين صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس، وفي حديث آخر يخبر فقال الملك ما عند هذا من خير فأصرف عنه فقال السامع الحمد لله التي صرفك عني وأنت في ذام فلم يزل الخالصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك في تخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرسون على إخفاتهم أعظم مما يحرسون على إظهار فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بإخلاصهم على ملا من الخلق إذ غلوا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويستغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد تفضي تفضي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب للقرى الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبرج والحاجة تشتد في البداية ولا وطن يفرغ إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي إلا الخالص من التقديف كذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يزدونه له من التقوى فإذا شوا رب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة فقيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لبأل حضرة البهائم والصبيان الرضخ أم هانوا، اطلعوا على حركته لم يطعموا فلو كان مخلصا فانه يعلم الله لا يستحق عقلاء العباد كما استحق صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كالا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك فقيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب يحبط للأجر فمفسدا لعمل بل فيه تفصيل. فان قلت لما ترى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته قال سرور مذموم كله أو بضه محمود وبضه مذموم. فنقول أولا: كل سرور فليس يذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما الم محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به فانه يستر الطاعة والعصية ثم الله يستر عليه العصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر التوبيخ وإظهار الجليل ليكون فرحه بمخيل نظر الله له لا بحمد الناس

(١) حديث في الرياء شوايب أخفى من ديب الخيل أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من ديب الخيل، ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق وضحه هو والد ار قطني.

ضلام كانوا يأكلون؟
قال على السفر ويصفر
اللقمة وبجود الأكل
بالضغ. ويظهر بين
يديه ولا يطلع وجوه
الأكلين ويقتد على
رجله اليسرى وينصب
اليمنى ويجلس جلسة
التواضع غير منكسرة
ولا متمزز بهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يأكل الرجل
منسكنا وروى أنه
أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
شاة فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على ركبته يأكل
فقال أعرابي ما هذه
الجلسة يا رسول الله؟

وقيام النزلة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - فبكأنه يظهر أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل بإظهار الله الجليل وسره القبيح عليه الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماتر الله على عبد ذنباً في الدنيا لإستره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحاً بالقول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا الصفات إلى المستقبل . الثالث أن يظن رغبة اللطلين على الاقتداء به في الطاعة فيضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العالمة عما أظهر آخرها وأجر السر بما قصده أولاً ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال القديين بمن غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور لأن ظهور غايل الريح يفيده وموجب للسرور لأحالة . الرابع أن يحمد اللطلون على طاعته فيفرح بطاعته لله في مدحهم وبمحبهم للطيع وبجل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بمحدم غيره مثل فرحه بمحدم إياه . وأما للذموم وهو الخامس فهو أن يسكون فرحه قيامه ونزله في قلوب الناس حتى يمدحوه ويستمحوه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالأكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط)

فقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارء الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على تمت الإخلاص سالماً عن الرياء لما يطرأ بعده فيرجو أن لا يتعطف عليه أثره لاسياً إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بإظهار الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه، نعم لو تم العمل على الإخلاص من فرة عقد الرياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا خوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلاً يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك خطئه من أروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قاله صمت الدهر يارسول الله فقال له «ما صمت ولا أفطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالاً على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له ما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل بمطلقاً لآداب العمل بل الأقبس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومثاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تقير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد وارء الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلاً وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثناءها وارء الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياءً باعاً على العمل فإن كان باعاً على العمل وختم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا لإستره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر، ما صمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لاصام ولا أفطر وللطيراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه فقال رجل إني صائم قال بعض القوم إنه لا يضر أنه يصوم كل يوم قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصام ولا أفطر من صام الأبدي لم أجده بانقضاء الخطأ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلفني عبداً ولم يعبأني جباراً عنيدا . ولا يتبدي بالطعام حتى يبدأ للقدم أو الشيخ روى حذيفة قال «كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل باليمين» روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأكل أحدكم يمينه وليشرب يمينه وليأخذ يمينه وليعط يمينه فإن الشيطان يأكل جهالة ويشرِب

أوحى ملك من الملوك وهو يشتهى أن ينظر إليه أويذ كر شيئا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستمعها خوفا من مذمة الناس قد حبط أجره وعليه الأعادة إن كان في فريضة وقد قال **عليه السلام** : « العمل كالوعاء إذ طاب آخره طاب أوله ^(١) » أى النظر إلى خاتمته وروى « أنه من رأى بعينه ساعة حبط عمله الذى كان قبله ^(٢) » وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لاطل الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد لما يطرأ بفسد الباقي دون النسخ والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا ينعمن من قصد الاعمال لأجل الثواب كالوحصر جماعة في أثناء الصلاة فخرج بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظركم وكان لولا حضورهم لكان يتيمأ أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل وانتفىض باعثا على الحركات فإن غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مضمورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة معها مضمورا ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما ينافيها أو يفسدها أو يغيرها أو يحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضغف به يوم قصد هو أغلب منه . وقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الإحباط في أمره وأهون من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور بإطلاع الناس على سروره أو حبب للزلة والجله قال قد اختلف الناس في هذا فصار فرقة إلى أنه يحبط لأنه قض العزم الأول وركن إلى حمد الخلقين ولم يحتم عمله بالاخلاص وإعنا يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا تقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قلبي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : « إنما حاثان فإذا كانت الأولى لم تفسد الثانية . وقد روى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسدني قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ^(٣) » ثم تسكلم على الخبر والأثر قال أما الحسن فانه أراد بقوله لا يفسده أى لا يبدع العمل ولا تفسده الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عتد الرياء بعد عقدا بالاخلاص لم يفسده وأما الحديث فتسكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمودا ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب المحمدة والمزلة بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذهاب من الأمة إلى أن للسرور بالمحمدة أجرا وغايته أن يعفى عنه فكيف يكون له خاص أجر ولما رأى أجران . والثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث برويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفسه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميل إلى الإحباط والأفتيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإعنا انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم يندم به أصل نيته وبقيت تلك

بجاهه . يأخذ بجاهه . ويعطى بجاهه . وإن كان لما أكل عمرا أو ماله نجيم لا يجمع من ذلك ما يرى ولا يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرمي ولا يأكل من ذروة الثريد . روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه » ولا يجب الطعام ورؤى أبوهريرة رضى الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ إذا طاب أسفله طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رادى يعمل ساعة حبط عمله الذى كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من مع سمع الله به ومن رادى رأى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسدني فقال لك أجران الحديث البيهقي في شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذى وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيفسره فإذا اطلع عليه أهبطه قال له أجر السر والعلانية قال الترمذى غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مهمل .

النية بائعة على العمل وحاملة على الاتمام ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الحاق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو غلب منه أما إذا كان ضيقا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وما سائر الأعمال ولا ينبغي أن يفسد الصلاة ولا يعد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص لا يشوبه شيء ولا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى عما وردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطاريء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يستد بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فقيامه بثلاثة أوجه قالت فرقة لم تنفد صلاته مع قصد الرياء فليست تأثم وقالت فرقة تنزله بإعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريم الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يترتب إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كالو ابتداء بإخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بشوب أبيض طلع بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقرن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوب وصار إلى حالة لا يلى محمد الناس وذهب منه صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال ياتمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة تفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم بإخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف لأن الرياء يقدر في النية وأولى الأوقات بمراجعة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان بائعه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم ينقض افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعث الدين وهمنا لا باعث ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصلى إلا أنه ظهر له الرغبة في الحمد أيضا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وماليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب فمن جعل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بطريق خلل إلى النية فلا غلو ما إن تكون فرضا ونفلا فان كانت نفلا لحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذا اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلق بيت وحده لما صلى لا يصح الافتداء به فان التصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه قصد الثواب أيضا بتطوعه فنصح باعتبار ذلك قصد صلاته وصح الافتداء به وإن اقرن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانتماء بجمعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم يتنقض باعثا في حقه بمجرد واستقلاله وإن كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا أجل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتها
أكله وإلا تركه وإذا
سقطت اللقمة يأكلها
قد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا
سقطت لقمة أحدكم
فليمط عنها الأذى
ولياكلها ولا يدعها
للشيطان ويلقى
أصابعه » قد روى جابر
عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
أكل أحدكم الطعام
فليتمص أصابعه فإنه
لا يدري في أي طعامه
تكون البركة » وهكذا
أمر عليه السلام
بإسلات القصة وهو

الأمر يباع مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغسوبة فإنه وإن كان عامياً باقاع الصلاة في الدار المنصوبة فإنه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلاً دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يتبدى صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يمارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا لا يبعد عن الصدق في النية هذا في رياء يكون باعثاً على العمل وحاملاً عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعد أن يفسد الصلاة فهذا ما نراه لاحقاً بقانون الفقه وللأسئلة فامضة من حيث إن الفقهاء لم يترضوا لها في فن الفقه ، والدين خاضوا فيها وتصرّفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وقساها بل حلّهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم التيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محيط للأعمال بسبب لعمقت عند الله تعالى وأنه من كابر للملأكات وما هذا وصفه بجدير بالتشهير عن ساقى الجدد في إزائته ولو بالمجاهدة وتحمل للشاق فلا شفاء إلا في شرب الأدوية للرة البشة وهذه مجاهدة يشطر إليها العباد كلهم إذا نصي يخاف ضعف العقل والتغيير عند المعين إلى الخلق كثير الطمع فيهم يرى الناس يصنع بعضهم لبعض فغلب عليه حب التصنع بالضرورة وبرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكاً بعد كمال عقله وقد انقربس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على نفسه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة قوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولاً وتخف آخرها وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتمائه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . القلام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب للآخرة والجاء وإذا فضل رجح إلى ثلاثة أصول وهي : لذة المحمدة والدار من ألم الندم والطمع فيها في أبدى الناس ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى « أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمة (١) » ومعناه أنه يأنف أن يهزم أو يتم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل لذلك وهذا هو الحمد بالاسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان نزلت للملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل لذلك وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد وله له يكون قد ملأ دفتي راحته ورقاً وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يني إلا عقلاً لله مانوى (٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحنو من ألم القدم كالخيول بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فإنه يتصدق بالقليل كي لا يخيّل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفاً من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلّمات القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا ينفخ في الطعام يذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الإناء فليس من الأدب ذلك والحل والبقل على السفر من السنة قيل إن للملائكة تحضر للمائدة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرابياً قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمة الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا يني إلا عقلاً لله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحمد كره الدم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فصلى ركعات معدودة حتى لا يذم بالسكسل وهو لا يطعم في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الدم ولذا لك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفق غير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الدم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك الرائي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يغني أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لئله أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في الآخرة فان علم أنه لذيق في الحال ولكنه ضار في الآخرة سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن السيل قد يندولسكن إذا بان له أن فيه ساءا أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرر ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يجرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من اللزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم ولتقت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على رموس الخلاق يا باجر يا باجر يا باجر أما استحييت إذا تريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستزانت بطاعة الله ونهيت إلى العباد بالقبض إلى الله وترينت لهم بالشين عند الله وتعرضت إليهم بالبعد من الله وتعمدت إليهم بالذم عند الله وطلبت رضام بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفكر العبد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يرجع به ميزان حسنة لوخلص فإذا فسد بالرياء حوله إلى كفة السيئات فترجع به وهوى إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسنة راجعة فقد كان ينال بهمة الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف العال من مراتب الأولياء هذا ما يتعرض له في الدنيا من تشتت لهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي عرض له في مدحهم وإشادهم الله لأجل حمدهم ولا يزيدهم حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعهم يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيها في أيديهم قبأ يعلم أن الله تعالى هو السخر للقلوب بالفتح والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والحاجة وإن وصل إلى الراد لم يخل عن لذة واللهانة فكيف يترك ما عند الله رجاء كاذب وهوم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقى لذته بألم منته ومذلة وأما ذمهم فلم يحد منه ولا يزيدهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يفضله إلى الله إن كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان محقودا عند الله فالعباد كما هم محبزة لا يملكون لأشدهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قوت رغبته وأقبل على الله قلبه فان الماقل لا يرغب فيها يكثر ضرره ويقل نفعه ويكتبه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتلوه وسيكشف الله عن سره حتى يفضيه إلى الناس ويعرفهم أنه مرء ومحقوت عند الله ولو أخلص الله لكشف الله لهم إخلاصه وحبه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم «إن مدحي زين وإن ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقل روت أم سعد
رضي الله عنها قالت
«دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة
رضي الله عنها وأنا
عندها فقال هل من
غداء ؟ قالت عندنا
خبز وتمر وخل فقال
عليه السلام : نعم الآدم
الحل اللهم بارك في الخل
فانه كان إدام الأنبياء
قبل ولم يقفر بيت فيه
خل » ولا يصمت على
الطعام فهو من سيرة
الأعاجم ولا يقطع
اللحم والحزب بالسكين
ففيه نهى ولا يكف يده
عن الطعام حتى يفرغ
الجمع فقد ورد عن ابن
عمر رضي الله عنهما

كذبت ذلك الله الذي لا إله إلا هو (١) ، إذ لا زلزل إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأنى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله ممدوم ومن أهل النار وأنى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محموم في زمرة اللعينة فمن أحضر في قلبه الآخرة وقيمها المؤبد وللنازل الرفعة عند الله استحق ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من البكدرات والنقصات واجتمع وهو انصرف إلى الله قلبه وتخاص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانصطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها بدوره وينفتح بها فمن لطائف الكشفات ما يزيد به أنه باه ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وأهمل عنه داعية الرياء وكذلك له منهج الإخلاص فهذا وما قد تمته في الشطر الأول هي الأدوية الطيبة القابلة مغارس الرياء . وأما البداء العلى : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغراق الأبواب دونها كما تعلق الأبواب دون القواحي حتى يفتح قلبه بلم الله والاطلاعه على عباداته ولتأزمه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سيئك أن تخفيها لتنجسنا بهذه فلم يرخص في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا بدوا للرياء بمثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المهادنة وإذا ضبر عليه مدة بالتكسف سقط عنه ثقته وهان عليه ذلك وتواصل لطاف الله وما عدي به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يشيروا بأبأنفسهم ، فمن البعد المهادنة ومن الله الهداية ومن البعد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تلك حسنة يشاعفها ويؤتم من لفته أجرا عظيما - .

القلم الثاني : -

في دفع العارض منه في أثناء البادة وذلك لا بد من قلعة يضافان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقتاعة وقطع الطمع وإنقاط نفسه من أعين الخلق ومن استحقار مدح الخلق وفي ذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء البادات بل حارسته بخبرات الرياء ولا تنقطع عنه زغاته وهوى النفس وميلها إلى الإنمى بالسكينة فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء لا تفلت بخاطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تتراقد على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلو هيجان الرغبة من النفس في حدم وحصول التزلة عندهم ثم يتلو هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإعنا كمال القوة في دفع الخطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أورد رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال مالك والخلق علوا أؤلم يعلوا والله غاب عنك فأنى فائدة في علم غيره فإن حاجت الرغبة إلى لذة الحد بد ذكر مارسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وترفضه لأنك عند الله في القيامة وخيتته في أوجج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء ففرقة آفة الرياء تثير كراهة له تعادل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإنباء والنفس تطاوع لهاملة أقوامها وأغلها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : للفرقة والكراهة والإنباء . وقد شرع البديع المهادنة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا يحضره للفرقة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وجب الحمد واستيلاء الحرس عليه بحيث لا يلقى في القلب من سم لثمه فيعزب عن القلب المعرفة الساجدة بأفان الرياء وشؤم عاقبتها إذ لم يبق موضع في القلب

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِذَا
 وَضَعْتَ الْمَائِدَةَ فَلَا تَقُومُ
 رَجُلٌ حَتَّى تَرْفَعَ الْمَائِدَةَ
 وَلَا تَرْفَعُ يَدَهُ وَإنْ شِيعَ
 حَقٌّ يَنْسَرِقُ الْقَوْمُ
 وَلَيَتَمَلَّكُ فَإِنَّ الرَّجُلَ
 يُجْبَلُ جَلِيسُهُ فَيُبْضُ
 يَدُهُ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُ
 فِي الْعِطَامِ حَاجَةٌ » وَإِذَا
 وَضَعَ الْحَبِيزُ لَا يَنْتَظِرُ
 غَيْرَهُ قَدْ رَوَى أَبُو
 مُوسَى الْأَعْمَرِيُّ قَالَ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَوْكِرُوا
 الْحَبِيزَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
 يَخْطِبُ فِي رَكَاتِ الْمَاءِ
 وَالْأَرْضِ وَالْحَدِيدِ
 وَالْقَرِ وَالْإِنِّمِ وَمَنْ
 أَحْسَنَ الْأَدَبِ وَأَمْرَهُ

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذاك الله ، حم من حديث الأفرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أنى لأعرف لأبى سلمة ابن عبد الرحمن سماعاً من الأفرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ قال رجل إن حمى .

خال عن شهوة الحمد أو خوف التمس وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم ودم التضب ويعزم على التحمل عند جريان سبب التضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سباجة عزمه وعتقه قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة التضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلالة الشهوة عملا القلب وتدفع نور المعرفة مثل صمارة التضب وإليه أشار جابر بقوله : ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تضر ولم يبايه على اللوت فأنتينها يوم حنين (١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالحولف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا وأكثرت الشهوات التي تهيج بجأة هكذا تكون . إذ نسي معرفة مضرت الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة عمرة المعرفة ، وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الحاطر الذي خطره له هو خاطر الرياء الذي يمرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيقلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة أو يتشغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكمن في عالم يحضره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الحلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون المحبة عليه أو كد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بفائلته وكونه مذموما عند الله ولا يتفقه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تخسر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويصل به ليكون الكراهة ضعيفة بالاختاف إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يتنفع بکراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتناع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإيابة فالإيابة عمرة الكراهة والكراهة عمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب النقلة وحسب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظم نعم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويشره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلالة حب الجاه والمزلة ونعم الدنيا هي التي تضرب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستمضاء بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملت الكراهة على الإيابة ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعة إيابه إلا أنه كاره لربه وليله إليه وغير محبب إليه فهل يكون في زمرة الراضين ، فاعلم أن الله يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن زغاته ولا تقع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما غاية أن يقابل شهوته بكراهة استأراها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو القاية في أداء ما كلف به وبدل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فنخططنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحق أحب إلينا من أن تسكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموها قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق لإحمله على الكراهة المساواة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة قبأن

(١) حديث جابر ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تضر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما يعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأسل إلا بعد
الجوع وعسك عن
الطعام قبل الشبع قد
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« ماملأ آدمى وعاء شرا
من بطنه » ومن عادة
الصوفية أن يلقم الخادم
إذا لم يجلس مع القوم
وهو سئنة روى
أبو هريرة رضى الله
عنه قال قال أبو القاسم
صلى الله عليه وسلم
« إذا جاء أحدكم خادمه
بطعام فان لم يجلسه
معه فليناوله أكلة أو
أكتئين فانه ولى حره
ودخانه » وإذا فرغ من
الطعام يحمده الله تعالى
روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال
 « الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته تنسك
 لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك قرضيته تنسك لنفسك فتابها عليه فاذن
 وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالإيذاء والكراهة والحواطر التى هى
 الماوم والتذكرات والتخيلات للأسباب للهجة للرياء هى من الشيطان والغبوة للبل بعد تلك الحواطر
 من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار القتل إلا أن للشيطان ههنا مكيدة وهى أنه إذا هجم عن
 حمله على قبول الرأى خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطالعة في الرد والجدال
 حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومدافعة انصراف عن سر
 النجاة مع الله فيوجب ذلك قصصا في مؤثره عند الله . وللتخلصون عن الرأى في دفع خواطر الرأى
 على أربع مراتب : الأولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته ويبتلي
 الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم قلبه وهو على التحقيق قصصا لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير
 الذى هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعرج على قتال قطاع الطريق قصصا في السلوكة .
 الثانية : أن يعرف أن الجدال والقتال قصصا في السلوكة يقتصر على تكذيبه ودمغه ولا يشتغل بمجادته .
 الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لأن ذلك وقوفون قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرأى
 وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالحصامة .
 الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحصد عند جريان أسباب الرأى فيكون قد عزم على أن يمهأ نزع
 الشيطان زاد فيا هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظ الشيطان وذلك
 هو الذى ينيظ الشيطان ويقصمه ويوجب بأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان
 أنه قيل له إن فلانا يذكرك قال والله لأغطين من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان المهم أغفر له
 أى لأغطينه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه المادة كف عنه خيفة من
 أن يزيد في حسنة . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يعلمه
 وليحدث عند ذلك خيرا فإذا رآه كذلك تركه . وقال أيضا إذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك وإذا
 رآك مداوما ملك وقلاك . وضرب الحرف المحاسي رحمه الله لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال :
 مثلهم كأربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدوا على
 ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فقدم إلى واحد منهم وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس
 ضلال فأبى فما عرف إياه شقه بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض
 الضال ليقوت عليه بقدر تأخره فقامر الثاني عليه نهار واستوقفه فوقف فدفع في غر الضال ولم يشتغل
 بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه
 ولا بقتاله بل استمر على ما كان غلاب منه رجاء به بالسكية فمر الرابع فلم توقفه له وأراد أن ينيظه فزاد في
 محبته وترك الثاني في الشئ فيوشك أن عادوا ومروا عليه مرتاخرى أن يباودوا الجميع إلا هذا الأخير فإنه
 لا يباوده خيفة من أن يزداد فائدة باستمجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن نزعته فهل يجب
 التردد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب
 الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه . قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة
 (١) حديث ابن عباس الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم
 والليلة بلفظ كيد .

قال « كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إذا
 أكل طعاما قال : الحمد
 لله الذى أطعمنا وسقانا
 وجعلنا مسلمين » وروى
 عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنه قال
 « من أكل طعاما
 قال : الحمد لله الذى
 أطعمنى هذا وزقني
 من غير حول منى
 ولا قوة فغفر له ما تقدم
 من ذنبه » ويختل فقد
 روى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « تغلبوا فإنه نظافة
 والنظافة تدعو إلى
 الإيمان والإيمان مع
 صاحبه في الجنة »
 ويصل يديه قد روى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتز لهم الشيطان وأيس منهم وخس عنهم كما أيس من صفاء المبادئ للدعوة إلى الحق والبر فاعتزرت ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبا بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلاحاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التمسد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله لمن أيقن بأن لاشريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما اراده الله فهو الضار والنافع والمعارف يستحي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية ينجيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان وزغاته فكيف يتخاص بهم غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينبو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا نحن ألقى الشيطان في أميته فيفسخ الله ما بقى الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ « إنه ليغان على قلبي » (١) مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوك ولو جوك فلا يخرجك من الجنة فتشتي إن لك أن لا تجوع فيها ولا تسرى وأنت لا تضطأ فيها ولا تصحى - ومع أنه لم يبه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع الحزن والفقر ومعدن الملاذ الشهوات التي عنها قال موسى عليه السلام فما أخبر عنه تعالى - هذا من عمل الشيطان - ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقلبه من حيث لا ترونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع الأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله بل ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار قال تعالى - وليأخذوا حذرهم وأملحتهم - وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا ترك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت ترأف أن يتركك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن حجر بن صيدرت لا يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في النفقة عن عداوة الكافر إلا قتله هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للعار واللعاب الأليم فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله وبه يضل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قادح في التوكل فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحرر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله بما الحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلطهم من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالكلية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع المحي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويستعد أن الهادي وللضل هو الله ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفي يده حجر لم يسل فأصابه شيء فلا يؤمن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آثموا الطموس وخالقوا الجوس » ويستحب مسح العين يمل اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نأتم فأثمروا أعينكم لئلا تافسوا أيديكم فانها

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور السلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزروا عليهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستعراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرق على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فإنا إن غفلنا عنه لحظة فيوهك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشیطان وذلك مراد الشيطان من قبل فشتل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولانسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فتجمع بين الأمرين فإنا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نعتدب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يغني غلطه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا يادمان ذكره وأما القرعة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان ويقتدر ما يشغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فالحق أن يلزم المبدأ قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكسب عليه بكل الهمة ولا غطر ياله أمر الشيطان فإنه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبهه وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يغتبه مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيقتبه في الليل مرات قبل أو أنه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستصاموا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو وقال القلب بر أريد تطهيرها من الماء القدر ليتجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القدر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد تزج الماء القدر من جانب ولكنه تركه جاريا إليهما من جانب آخر فيطول تنبهه ولا تجف البئر من الماء القدر والبصير هو الذي جعل لجري الماء القدر سدا وملاها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القدر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الإسراع للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء وفي الإظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز العاملين ولكن في الإظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والملاية فقال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والإظهار قسما أحدهما في نفس العمل والآخره بالتحدث بما عمل . التسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين »
قبل لأبي هريرة في
الوضوء وغيره قال
نعم في الوضوء وغيره.
وفي غسل اليد يأخذ
الأسنان باليمين وفي
الحلال لا يتردد
ما يخرج بالحلال من
الأسنان وأما ما يلوكه
بالسان فلا بأس به
ويحتمل التصنع في
أكل الطعام ويكون
أسكله بين الجمع
كما كله منفردا فإن
الرياء يدخل على العبد
في كل شيء . وصف
لبعض العلماء بعض
العباد قام بين عليه
قبل له تعلم به بأسا
قال نعم رأيته يصنع

الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالمطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه » (١) وتجري سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والقزو وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطبايع أغلب ، نعم الناذي إذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن القزو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره فالبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة باليسل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالخج والجهاد والجمعة فالأفضل للبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه لتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي التصديق عليه و يرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية الاقتداء فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر وبدل في ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخشم بنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل المصلين وبدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استن به على عمل السر سبعين ضعفا » (٢) وهذا الوجه للخلاف فيه فانه مهما اتكك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل للامثلة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظنقتان : أحدهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للمروق وهو الذي يقتدى به الناس كافة فخير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والتفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في عمل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بمنزلة الاقتداء وإنما شهوته التبعيل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء الخالصين وقليل مامم فلا ينبغي أن يندح الضعيف نفسه بذلك فهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال القرني الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الترقى فرجعهم فأقبل عليهم حتى تشبوا به فهلكوا وهلك والقرني الماء في الدنيا أله ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لابل عذابه دائم مدة مدينة وهذه مزية أقدام العباد والمفاء فانهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تهوى قلوبهم إلى الاخلاص فتجذب أجورهم بالرياء والتفطن لذلك فامض وعك ذلك أن يحرض على نفسه

في الأكل ومن تصنع
في الأكل لا يؤمن
عليه التصنع في العمل
وإن كان الطعام حلالا
فليقل الحمد لله الذي
بنعمته تم الصالحات
وتزل البركات اللهم
صل على محمد وعلى آل
محمد اللهم أطمئنا طيبا
واستعملنا صالحا وإن
كان شبهة يقول الحمد
على كل حال اللهم
صل على محمد ولا تجعله
هونا على مصيبتك
وليكثر الاستغفار
والخزن ويكني على
أكل الشبهة ولا
يضحك فليس من
بأكل وهو يكني كمن
يأكل وهو يضحك

(١) حديث من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استن به على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتضا على الشطر الأول بسجوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخ الجمهورين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورقتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال نضر بن قبة عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة فضل أوضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين ضعفا وقال نضر بن معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف.

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن قال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو المظهر للعمل فباعته الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فاتهم قد رغوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفروا عليه مع إسراره فإن قال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر البمدخع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحسب الجاه على القلب غالب وقدا تسل الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يبدل السلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالا فالخدر من الإظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمافعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة والنفس لدة في إظهار العداوى عظيمة إلا أنه لو تفرق إلى الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت التوبة وسلت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقباء . قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو معقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علنت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأنني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتخنت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تخنت ولا تخبت ولا حسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) . وقال شداد بن أوس : ما سكمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لقلامه التنا بالسفرة لبثت بها حتى ندرت الصدا ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الوت : لا تسكوا على فاني ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ماضى الله في بقضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال شريفة وفيها غاية الراء إلا إذا صدرت من رائي بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للأقواء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع بحجة على حب التشبه والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه نشر للعرائي ، فكمن مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو وراء عند الله ، وقد روى أنه كان يجتاز الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلوتين بالقرآن من البيوت فيصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتروا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكتبوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فإظهار الرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياءه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم ^(٢) كما ورد في الأخبار وبعض الرائيين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

(١) حديث عثمان قوله ما تخنت ولا تخبت ولا حسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الوصلي في معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يا رسول الله قد كره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذلك يا عثمان ^(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما حديثان قالوا متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضا .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولإيلاف قريش ويحبث الدخول على قوم في وقت أكلهم قد ورد من مشى إلى طعام لم يشع إليه مشى فاسقا وأكل حراما وصحنا لفظا آخر دخل سارفا وخرج مغبرا إلا أن يتفق دخوله على قوم يحلم منهم فرحهم بمواقفته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحبث المضيف التكلف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإنفاق ولا يفعل

(بيان الرخصة في كتابان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له)

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والمالنية كما قال عمر رضي الله عن رجل عليك بعمل
العلاية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلاية ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم
الخولاني ما حملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إيتاني أهلي والبول والغائط إلا أن هذه درجة
عظيمة لا يتأهلها كل واحد ولا يخاف الانسان عن ذنوب بقله أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع
الناس عليها لاسيما ما يحتاج به الخواطر في الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فإرادة البعد
لاخفافها عن البعيد ربما يظن أنه رياء محذور وليس كذلك بل المحذور أنه يستر ذلك ليرى الناس
أنه ورع ، يتأفف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرأى . وأما الصادق الذي لا يرأى فله
ستر للمعصي ويصح قصده فيه ويصح اغتنامه باطلاع الناس عليه في تخفية أوجهه : الأول أن يفرح
بستر الله عليه وإذا اقتضى اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر « أن
من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة (١) » وهذا غم يشأ من قوة الايمان . الثاني
أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب
شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٢) » فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يخل قلبه عن محبة
ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله لظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور
الذنوب من غيره أيضا ويغتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يشبه ويشغل
قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وهذه
العلة أيضا ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ،
وهذا أيضا من قوة الايمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الايمان . الرابع أن
يكون ستره ورغبته فيه لسكراهته لئلا الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن
الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بجرام ولا للانسان به حاس وإسماعيل إذا جازعت
نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يهتم بدم
الخلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعله
أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تألم بالذم لمسا فيه
من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الدام من أهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله
وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يهتم به ، نعم القم المذموم هو أن يهتم لقوات
الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمى بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمى بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة
الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد . وأما كراهة الذم
بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون البعد بحيث لا يجب
الحمد ولكن يكره الذم وإتمام رآه أن يتركه الناس حمدا و ذما فكم ، من صابر عن لذة الحمد لا يسير على ألم
الذم إذ الحمد يطلب للأذنة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم لقلب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة
في الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا الأمر واحد وهو أن يشغله غمه اطلاع الناس على ذنبه
عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه اطلاع الله وذمه له أكثر . الخامس
أن يكره الذم من حيث إن الدام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا

(١) حديث أن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بورة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستر بستر الله الحاكم في الاستدراك وقد تقدم .

ذلك حياء وتسكافا
وإذا أكل عند قوم
طعاما فليقل عند فراغة
إن كان بعد الترب
أفطر عندكم الصائون
وأكل طعامكم الأبرار
وصلت عليكم لللائكة
وروي أيضا عليكم
صلاة قوم أبرار ليسوا
بأغني ولا بخاريسون
بالليل وصومون
بالتهار . كان بعض
الصحابة يقول ذلك .
ومن الأدب أن
لا يستحق ما يقدم له
من طعام وكان بعض
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
ما ندرى أيهم أعظم
وزرا الذي يغتفر

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يقصد جسر إذاعرف ذنبه وهذا وراء ألم القم فإن ألم مؤلم من حيث يشمر القلب بقصانه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك خذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القم والقصد بالشر وهو خلق كرم يحدث في أول العباد معها أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبايح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله »^(١) وقال عليه السلام « الحياء شعبة من الإيمان »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحي الحليم »^(٤) فالتقى ينسحق ولا يأتى أن يظهر فسقه للناس جمع إلى التسق والتتك والوقاحة فقد الحياء فهو أشد حالاً من يستر ويستحي إلا أن الحياء مخرج الرياء ومشبه به اشتباهها عظيماً قل من يتفطن له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خالق ينبعث من الطبع الكريم وتنبج عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخاس معه ويتصور أن يرأى معه ويأنه أن الرجل يطلب من صدق له قرضاً ونفسه لالسخو باقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يأتى فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لحياء له فان المستحي إما أن يطل أو يقرض فان أعطى فيصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يبيع الحياء فيبيع عنده الرد فيبيع خاطر الرياء ويقول يفتنى أن تعطى حق بقى عليك وبمحمداً ويشتري اسمك بالسفاهة أو يفتنى أن تعطى حق لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيعتذر الاعطاء فيبيع داعي الاخلاص ويقول إن الصدقة واحدة والقرض شمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صدق وذلك محمود عند الله تعالى فتستحو النفس بالاعطاء لذلك فهذا يخص جميع الحياء إخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذنبته ولا حب للمحمدة لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يهبطه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يحبه في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لردده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يردده وإن كثرت الجر والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبايح كالدخل ومقارفة الذنوب وللرائى يستحي من اللباحات أيضاً حتى إنه يرى مستعجلاً في الشيء يعود إلى الهدوء أو ضاحكاً ليرجع إلى الانقباض ويؤمن أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضغف وهو صحيح وللرؤا به الحياء محاليس جميع كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فقتحي من شيئته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذى الشئبة للسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بامرؤف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبايح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام الباهة وما تكلف به للأعراس والتعازي فما عمل للتسوانح لا يؤكل وما حمل لأهل المزاء لا يلبس بهوما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانسياط إليه في التصرف في شئ من طعامه فلا خرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صدقكم - قيل دخل قوم على ميان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأزولوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان الإيعان متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث إن الله يحب الحي الحليم الطبراني من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبي هريرة إن الله يحب اتقى الحليم للتعفف وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه .

عليه غيره. ويتقدي به وهذه الملة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالآفة أو بمن يقتدى به وهذه الملة ينفي أيضاً أن يخفى الماصي أيضاً معصيته من أهل وولده لأنهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية والينبغي في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخجل إلى الناس أنه ورع كان مراثياً كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصالح وحجهم إياه بسببه وقد قال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم « دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وإنك إليهم هذا الخطأ يحبوك (١) » فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحاً وقد يكون محموراً وقد يكون مذموماً فالحمود أن تحب ذلك تعرف به حب الله لك فإنه تعالى إذا أحب عبداً حبه في قلوب عباده وللهموم أن تحب حجهم ومحمد على حبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بيننا فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والبالح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة للعينة حبك ذلك كحبك للسال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كذلك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفاً من أن يكون مراثياً به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الأعمال ومالا يترك لحوف الآفات مائذ كره وهو أن الطاعات تنقسم إلى مالا لله في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاسة ومجاهدات إنما تصير ليدية من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس لذية وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو للذية وهو أكثر مالا تصير على البدن بل يتعلق بالخلق كالحلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإتفاق السال على الحق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لله في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث : أحداها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينهى أن يترك لأنه معصية لا طاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى مطلب للزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لا تستحيين بالعمل لأجله وتستحيين بالعمل لأجل عياده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليستشغل بالعمل . الثانية أن ينبعث لأجل الله ولكن يبتز الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينهى أن يترك العمل لأنه وجد باعثاً دينياً فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالي التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول . الثالثة أن يقصد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهراً حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولاً إلى ترك العمل فاذا لم تحب واشتغلت في دعوك إلى الرياء فاذا لم تحب ودفعت بقرى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرء وتعبك ضائع فأى فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثلاً من يترك العمل خوفاً من أن يكون مراثياً كمن سلم إليه مولاة حنطة فهازأ وان قال خلصم من الزوان وثما منه تقيية بالفة فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصاً صافياً فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيها في أيدي الناس وقد تقدم .

وأكلوا فدخل سفيان
ففرح وقال ذكره في
أخلاق السلف هكذا
كانوا ومن دعى إلى
طعام فلاجابة من
السنة وأؤكد ذلك
الولجة وقد يتخاف
بعض الناس عن
الدعوة تكبراً وذلك
خطأ وإن عمل ذلك
تصنعاً ورياء فهو أقل
من التكبر . روى
أن الحسن بن علي
مرّ بقوم من السالكين
الذين يسألون الناس
على الطرق وقد ثروا
كسراً على الأرض
وهو على بقلته فسا
مرّ بهم مسلم عليهم
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مرء يعمسون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم وضوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مرء هو عين الرياء فلو لا حبه لمحمدتهم وخوفهم من ذمهم لقاله ولقولهم قالوا إنه مرء أو قالوا إنه مخلص وأى فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مرء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العبادة الجاهل ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يغلبه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتهى الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سرايا تحت الأرض آلتى في قلبك حلالة معرفة الناس لترهك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقاومهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تترك قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا تنفع فيه في الدنيا لتزعم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع العدو نازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات لها دمت تعبد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجهاد خاطر الرياء وأزعم قلبك الحياة من الله إذا دعيت نفسك إلى أن تستبدل بمحمد حمد الخالوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم لقتلوك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياة من ركب وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مرء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل تصد الثواب . فان قلت فقد قتل عن أقولم ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا قرا أكل ساعة . وقال إبراهيم النخعي إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم . وقال الحسن أن كان أحدهم يجر بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا جار منه ماورد من إظهار الطاعات ممن لا يهوى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإمالة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه . وبالجملة ترك التوابع جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويحتشد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأحمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاعتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لعله بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستشفاه بعد خروجه للاشتغال بكامله فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فلذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول النخعي إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالنصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق الندوب إليه فلم ينس عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة يدين العبد بها

وقالوا هم الغذاء وابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم فني وركه فزل عن دابته وقصد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع السباع . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب غسل بك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتعلق بالناس ولا تنظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لحوف الشبهة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره خوفا للناس من آفة الشهوة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالحق وتنظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس ، والقوى ثم إحقاق المال . أما الخلافة والإمارة فهي من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما » (١) فأعظم عبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط » (٢) أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل » (٣) أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل » (٤) رواه أبو سعيد الخدري فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل الثقوف يتركونها ويختارون منها ويهربون من تحملها وذلك لمسايقهم من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويطلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمور هو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية عبودية كان الوالي ساعيا في حفظ نفسه وبوشك أن يتبع هواه فيجتمع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة عفوهم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة إلهاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه أطافه عدله أو أوبقه جوره » (٥) رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يأمر المؤمنين أشرف علي قال اجلس وأكتم علي وروى الحسن « أن رجلا واه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خرتي قال اجلس » (٦) وكذلك حديث عبد الرحمن بن مرة قال قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أرفقه ذكر الأولية (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصمعي في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحاق بن إبراهيم الألباني ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة إلهاء يوم القيامة يده مغلوله إلى عنقه لا يفكها إلا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبي زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبراز وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البراز والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء مامن والى ثلاثة إلا في الله مغلوله يمينه الحديث وقد عزى الصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يعطها بنصيحة إلا لم يرج راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا واه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خرتي قال اجلس الطبراني موصولاً من حديث عصمة هوان مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكوبة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ المرم يتك وفيه الغراب بن أبي الغراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق

يأمر المؤمنين إنما
أكرمت العلم وأجلته
فأجلك الله تعالى
وأكرمك كما أكرمت
العلم .

[الباب الرابع
والأربعون في ذكر
أدبهم في لباس ونياتهم
ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات
النفس وضرورتها لدفع
الحر والبرد كما أن
الطعام من حاجات
النفس لدفع الجوع وكما
أن النفس غير قانعة
بقدر الحاجة من الطعام
بل تطلب الزيادات
والشهوات فكذلك في
اللباس تشغى فيه ولها
فيه أهوية متنوعة

أوتيتها من غير مسألة أغنت علي وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها (١) وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجد فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من التهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعني بالقوى الذي لا يحمله الدنيا ولا يستغفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهرها وأنفسهم وملكوها وقهرها الشيطان فأيس منهم فهو لا يجرهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيجزم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرأها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذقت للولايات وأن تستعجل الجاهل وتنتكز فإذا الأمر فتكره العزل فيدهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يسهل نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق وأعادة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كإيل العزل طلاق الرجال فإذا شرع لاسمع نفسه بالعزل وتبيل نفسه إلى اللذائنة وإهمال الحق وتهوى به في قمر جهنم ولا يستطيع التزوع منه إلى اللوت إلا أن يحزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل حب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا» (٢) فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في معناها فإن كل ذي ولاية أمير أي أمرنا فإذن الإمارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والقباب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة» (٣) وقال عليه السلام «من استغنى فقد ذبح بغير سكن» (٤) فحكمه حكم الإمارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بعداعتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التعاطين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أولم يطعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فعليه أن يظالمهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عندها مرخصا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت المهمة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله فإن لم تسمع نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتفع عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الترك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس وروية

ومآرب مختلفة فالصوفي يرد النفس في لباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية توبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ودرى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوبا بشيرة دراهم وفي عنقه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» أي لا يقبلون لا تأفلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة التوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لانسلى الإمارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألنا متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريده وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استغنى فقد ذبح بغير سكن أصحاب السنن من حديث أبي هريرة باللفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجمع الأسانيد الهائلة وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فأقته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه ميلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أسمعوا لي ودفن بسر كذا وكذا فحضر من الحديث وقال بمنعني من الحديث أتى أشبهني أن أحدث ولو اشتبهت أن لا أحدث لحدثت والواظم يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لانه لا توازيها لغة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويفر عن كل كلام يستقله العوام وإن كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أتم الله عليّ بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فأقصها ليشركني في نعمها الإخوان المسلمين فهذا أيضا مما يعظم في الخوف والفتنة غشكه حكم الولايات فمن لا باعته له إلا طلب الجاه والمزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن تراض نفسه وتقوى في الدين محنته ويأمن على نفسه الفتنة عند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحظها » (٢) وقال « نمت الرضعة وبشت الفاطمة » (٣) ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وفار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعاش فلم ينس عنها مع ذلك « وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يقيمونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على للتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يتنعم منه . واستأذن رجل عمر أن يعطى الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال أمتنع من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفع حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه تحايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الحاق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وحبا يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تتدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلال والأغلال من طلب العلوم اتى فيها القبول والرياسة فالتواهم الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اتى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإن لم يكن

- (١) حديث النهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسلك الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحظها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحظها وأزاد في آخره فتعنت الرضعة وبشت الفاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت الرضعة وبشت الفاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ قبست الرضعة وبشت الفاطمة (٤) حديث النهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمرن على اثنين ولا ثلثين مال يتيم

الصلاة وما عدا هذين
التغرين فظهر في
كونه يدفع الحر والبرد
لأن ذلك مصلحة
النفس وبصد ذلك
ما تدعو النفس إليه
فشكله فضول وزيادة
ونظير إلى الخلق
والصادق لا ينبغي أن
يلبس الثوب إلا لله
وهو ستر العورة
أو لنفسه يدفع الحر
والبرد . وحكى أن
سفيان الثوري رضي
الله عنه خرج ذات يوم
وعليه ثوب قد لبسه
مقلوبا فقيل له ولم يلم
بذلك فهم أن يخامه
ويغيره ثم تركه وقال
حيث لبسته نويت أني

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وخفيه إلى
العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا تمنعه منه وقوله اشتغل وجاهد
نفسك ، فان قال لست أقدر على نفسي فتقول اشتغل وجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس
كلهم إذ لاقيم به غيره ولو اطلب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من
سلامة دينه وحده فنجهل فداء القوم وقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويهدي في الدنيا
بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات للزخرفة والألفاظ المسجعة
للقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخوف للمسلمين بل فيه الترجية والتجربة على المعاصي
بطيارات التكت فيجب إخلاء البلاد منهم فاتهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلان في واعظ
حسن الوعظ جميل الظاهر يطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أو ردها في كتاب العلم
من الوعيد الولد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الجندر من فتن العلم وغوائله ، ولهذا قال السليح
عليه السلام : يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدعون فلا تعلمون
فيا سوء ما تحكون تتوجون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما ينهى عنكم أن تتقوا جلودكم وفلوبكم
دمنة بحق أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أتم
تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى القل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنفص
من الدنيا شهوته ولا تتقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن فلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت
السنك والعدل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أقدمتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب
إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حق مق تصفون الطريق للمسلمين
وتقيمون في محلة التجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا لتركوا هالكهم لاهلهم لا يسلك ما ذابني عن البيت
الظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينبغي عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم
وأجوافكم منه وحشة مغطاة يا عبيد الدنيا لا تكيد أضيأ ولا كأحرار كرام توهك الدنيا أن تفلحكم
عن أصولكم فلتقبكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم يدهمكم العلم من
خلفكم ثم يسلمكم إلى تلك الديان حفاة عراة فرادي فيوقفكم على سوا أنفسكم ثم يجزىكم بسوء أعمالكم
وقد روى الحرث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وقتنة
على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار
وشين وفي الآخرة هم الخاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب
كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها ^(٢) »
وقال صلى الله عليه وسلم « إنما دُعِيَ إلى هدى وتابع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ^(٣) » إلى
غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعلم اشتغل بالعلم وترك مراعاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء
في الصلاة لا ترك العمل ولكن أعم العمل وجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن
يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ غير
لك من حمر التمر وقد تقدم في العلم (٣) حديث إنما دُعِيَ إلى هدى وتابع عليه كان له أجره وأجر
من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعاء إلى هدى
كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

ألبسه لله والآن فما
أغيره إلا لنظر الخلق
فلا اقتض النية الأولى
بهذه. والصوفية خصوا
بطهارة الأخلاق وما
رزقوا طهارة الأخلاق
إلا بالصلاحية والأهلية
والاستعداد الذي
هباه الله تعالى لنفوسهم
وفي طهارة الأخلاق
وما ضدها تناسب واقع
لوجود تناسب هيئة
النفس وتناسب هيئة
النفس هو المشار إليه
بقوله تعالى - فإذا
سويته ونفخت فيه
من روحي - فالتناسب
هو النسوية فمن
المناسب أن يصكون
لباسهم مشا كالإمامهم

كنفضل الخلافة والإمامة ولا تقول لأحد من عبادة الله ترك العلم إذ ليس في قس العلم آفة وإنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضاً تركه مادام يحذف نفسه باعاً دينياً بمزجها بآفة الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الظهور أرفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لو كان له ترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للنصب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفاً من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والطيح والتزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضغوا ولم يؤثر عنهم الترك خوفاً للآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تفهمها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعاف رأساً دون الأقوياء ومن نصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاة أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وهنارتبة رابعة وهي : جمع المال وأخذته للفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار السخاء استجلاباً للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لثة للنفس والآفات فيها أيضاً كثيرة ، ولذلك سئل الحسن عن رجل طاب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لساير فوفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من تهدرتكها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسرى أني أقت على دريح مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين ديناراً تصدق بها أما إني لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجاوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقد قال السليح عليه السلام يا طالب الدنيا ليبرها تركها لها أبر ، وقال أقل مافيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فمن سلم من الآفات فأما من يتعرض للآفة ليرياء فتركها لها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق والنفس فيه لذة فهو ثار الآفات والأحباب أن يعمل ويدفع الآفات فإن هجر فلينظر وليجتهد وليستف قلبه وليزن مافيه من الخير بمافيه من الشر . وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يعيل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تنشرب إلا بالشر وقفا تستل الخير ويميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضاً في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاسيها بنفي وإثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لديه وبدع ، يريه إلى ما لا يريه ثم قد يقع مآذركم غرور للجاهل فيمسك المال ولا يتفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن نفقة المال في اللباحات فضلاً عن الصدقات أفضل من إمساكه وإعما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال ففرقة أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق محض في وعظه غير مريد رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظاً أو أغزر منه علماً والناس له أشد قبولاً فرح به ولم يحسده نعم لأش بالتبطة وهو أن يمتنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر إلى الخلق بين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس في الطريق وللشي خلفه في الأسواق

وطعامهم مشاكلا
لكلامهم وكلامهم
مشاكلا لمناهم لأن
التناسب الواقع في
النفس مفيد بالعلم
والتشابه والتشاكل في
الأحوال يحكم به العلم
ومنصفية الزمان
ملتزمون بشيء من
التناسب مع مزج
المعوى وما عندهم من
التطلع إلى التناسب
رشح حال سلفهم في
وجود التناسب . قال
أبو سليمان الداراني :
يلبس أحدهم عبادة
بثلاثة دراهم وشهوة
في بطنه بجمعة دراهم
أنكر ذلك لصدم
التناسب فمن خشن

وذلك علامات كثيرة بطول إحصائها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مرزوق قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على بردون أصغر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقه أحفل من حلقه الحسن فوجه نحو ما حتى باق قريبا منها ثم نثى وركه فنزل ومضى نحو الحسن فلداراه الحسن متوجها إليه يخاف له عن ناحية مجلسه قال سعيد ونجاها فله أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فناء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فذاعق الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لا يكون الحسن اليوم ولا نظرن هل يحمل الحسن جالس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هيئة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكدر به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ ورفعتك هذه الجالس وأشباهها فأتخذوها حلقا وعادة فانه يفتنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يجالس الله كرياض الجنة (١) ولولا ما حملته من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لم نرقتنا بفضلها قال ثم اقتر الحجاج فتكلم حتى هبب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق ققام فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله للسالكين ألا يسبون أبا رجل شيخ كبير وأنى أغزو فأكلف فرسا وبئلا وأكلف فسطاطا وأن لى ثلثة درهم من العطاء وأن لى سبع بنات من العيال فشكنا حاله حتى رقى الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ألمهم قاتلهم الله أخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزاعد والله غزا في الفساطيط والمبايع وعلى البغال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاولوا وأجلاها إقرار الحسن حتى ذكرهم بأربع العيب وأشدّه ققام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمي به إلى الحجاج وحكي له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير ققام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تسكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقلمار أيتة فاغرا فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فظلم الأمانة وقال إنما مجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الحياة أشدّ الحيانة أن مجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبهم ثم ينطلق فيسمى بنا إلى شمرارة من نار إني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك فاذا غزاعد والله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبالك تعرض علينا الناس أما إن على ذلك لانتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله على وركب الحسن حمارا يريد للزلف فينهاه يسير وإذا لفت فرأى قوما يتيمونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء ولا فار جوا أم لا في هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتبايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتوانون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الحاسرون اللهم ارحمنا بطفك يا أرحم الراحمين .

(بيان ما جمع من نشاط العبد للمادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصاؤون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قرية فاذا رآهم انبث نشاطه للمواظقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصل مع أنه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل اللوم فينبعث له نشاط في الصوم ولولا هم لما انبث هذا النشاط فندرس ما يظن أنه رياء وأن الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

ترك الواقعة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التحكن من الشهوات أو تستهويه النغلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والأغفال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجيد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزله غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي فطر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يغارقه النوم لاستنكاره الوضع أو سبب آخر فيقتض زوال النوم وفي منزله وربما يغلبه النوم وربما ينضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصر عليه الصوم في منزله ومع أطباء الأطمعة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبت داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب بتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يسه عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرابيا إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك للعبادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون بأنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فريدان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك غاصي ولست تصل لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصل كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوي البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يتبادر ولا ركة واحدة لأنه يسعى الله بطاب محمدة الناس بطاعة الله وإن كان ابتاعته لدفع العوائق وتحرك النبلة وللنافعة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الوضع بينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخط نفسه فليس فان باعته الحق وإن كان ذلك ينقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويعتكن أن يكون ذلك لحب حدم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد فهم ما علم أن الطالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يسيى جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لامن الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لم يبك ولكن بكاء الناس يؤثر في تريق القلب وقد لا يحضره البكاء فببببب تارة رياء وتارة مع الصدق إذ غشى على نفسه قساوة القلب حين يكون ولا تدمع عينه فببببب تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فبببببب أم لا فان لم يجد ذلك عند تدبير الاختفاء عن أعينهم فأنما خوفا من أن يقال إنه قاسى القالب فينبئ أن يترك التباكي . قال لقمان عليه السلام لانه : لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصبيحة والنفس والأئتين عند القرآن أو الله كره أو بعض مجاري الأحوال

فكان الفقراء يلبسون الرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من الزبال ويرقون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من الزبال كانت قممهم من الأرباب . وكان أبو عبد الله الرفاعي مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة . وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنا تأكاون بحق التوكل وأنا أكمل بحق الكسنة ثم

تارة تكون من الصديق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكاف التنفس والأنيب ويتحازن وذلك محمود وقد تقرر به الرغبة فيه لدلائله على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن آياها لم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الأنيب عن الحزن ولكن يعمد ويبدى برفع الصوت فذلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد منه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تمهين للصوت أو رفع له أو حفظ الدفعة على الوجه حتى تبهر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله كثر تضعف قواه من الخوف فيستقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعل ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفتي سريعا فتجزع نفسه أن يقال حاله غير ثابتة وإنما هي كبرق خاطف فيستديم الزعجة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفتيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيتة مصيبة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنيب فينتكي على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل على الشيء ويقرب الخطأ ليظهر أنه ضعف عن سرعة الشيء فلهذا كلها مكابد الشيطان وزغات النفس فإذا خطرت فلاحها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا ثقافتها في الباطن واطلموا على ضميره لمتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو لأشد مقتا كثر وى عن ذى النون رحمه الله أنه قام وزعق قائم معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذى يراك حين تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال للتافين وقد جاء في الخبر «تعوذوا بالله من خشوع النفاق» (١) وإنما خشوع النفاق أن نخضع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون خاطرا خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون المراد أنه قد خسر على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهى مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو من أين هو فإن كان قد فأمغه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفى عليك شيء من الرياء الذى هو كد يرب الخلق ولكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا ؟ لحوفك على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد ذلك خاطر الركون إلى حدم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك ما يكثر جدا فإذا خطر لك تفكر في اطلاع الله عليك ومقتك لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب ما علمت أن العبد فضل عنه علانيته التى كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريته وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أنى أشتاك وأنت لى ماقت . وكان من دعاء علي بن الحسين رضى الله عنهم : اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لامة الميوس علانيق وتقبس لك فيما أخفى سريتى بحفاظ على رياء الناس من نفسى ومضيا لما أنت مطلع عليه منى أبدي للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عملى تقرب إلى الناس بحسناتى وفرارا منهم إليك بيسئلتى فيحل بى مقتك ويجب على غضبك أعذنى من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سر أئرم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليقتف عليها فى الخبر « إن للرياء سبعين بابا » (٢) وقد عرفت أن بعضنا غمض من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشاهير بطاب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكى أن جماعة من أصحاب الرقعات دخلوا على بشر بن الحرث فقال لهم : قوم ، تنهوا الله ولا تظهروا هذا الذى فأنكم تعرفون به وتكلمون له فسكنوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذى جعلنا من يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الذى حق يكون الدين كله لله فقال له بشر أحمضت يا غلام مثلك من يلبس الرقة فكان أحد

(١) حديث تعوذوا بالله من خشوع النفاق البيهقي فى الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادى منتهى أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا هكذا ذكر

مثل ديب الخمل وبعضه أخى من ديب الخمل وكيف يدرك ماهو أخى من ديب الخمل إلا بشدة التفقد والرقابة ولينه أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطعم في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتنان للنفس وتفتيش عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية عنه وكرمه وإحسانه .

(بيان ما ينبغي للريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبمده وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم الريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاماته ولا يفتن بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه اشتبهى اطلاع على محامن أحواله فإن كان في هذه الرتبة قليل لم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للفتن وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تسكاد تغلى حرصاً على الانشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فثاني الخلق من يقدر على مثله فكيف يرضى بأخفائه فيجعل الناس حلك ويتركون قدرك ويحرمون الاقتداء بك قى مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوام أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثواباً من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره محرم إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء فأما المخاطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الإخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من النقي لأن النقي إن فسدت نوافله بقيت فرائضة كاملة ، والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تلم صار مأخوذاً بالفرائض وهلك به فالخاط إلى الإخلاص أحوج . وقد روى عيم الهادي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا محاسب العبد يوم القيامة فإن تص فرضه قبل النظر أو هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فألقى في النار (١) » فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل وأما للتي في جهده في زيادة الدرجات فإن حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة ، فأذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بسد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلاً من عمله خائفاً أنه ربما داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكاً في قوله ورده مجوزاً أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبمده إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقناً في الابتداء أنه محض ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فإذا

الصف هذا الحديث هذا وكأنه تصحف عليه أو على من قبله من كلامه أنه الرياء بالمشاء وإيماء هو الرياء بالوحدة والرسوم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حوباً يسرها أن يسكب الرجل أمه وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيب عضاف فيه وروى ابن ماجه أيضاً من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثة وسبعون باباً . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراء حديث ابن مسعود بألفاظ الرياء بضع وسبعون باباً والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمشاء لا لقرانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث عيم الهادي في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا يملك غيره ثوبه الذي عليه . وروى أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه ليس قيصاً اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كفه من رءوس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب إن أردت أن تلقى صاحبك فرفع قيصك واخضع فملك وتصر أملك وكل دون الشبع . وحكى عن الجبري قال كان في جامع بغداد رجل لا تسكد تجده إلا في ثوب واحد في الشتاء والصيف فسل عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شأنة خفية أحبطت عمله من رياء أوجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أقصده برياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في اللباجة والطاعات، فالإخلاص يقيم والرياء شك وخوفه لذلك الشك جذربأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، والذي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخوله السرور في قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعله فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من التلم والتعلم عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التلم مساعدة في شغل وخدمة أو مصافقة في الشئ في الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعله ليسكون له مثل أجره ولكن خدمة التلميذ بنفسه قبل خدمته فرجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستعده منه لوقطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في شره بأدولوا أحبالهم فقوموه لخاف عليهم أن لا يفت معهم من قرأ آية من القرآن أومع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبافردة على قلت له يا أبا عبد الله لست أنا بمن يسمع الحديث حتى ترده على قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يدره أوبرتين وكان أبوه صدق بالسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شئ فقال برحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا للسال إلى فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحق فرده على فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فمزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخته مع أبيه في الله تعالى فسكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت وبلك أي شئ قلبك هذا حجارة عدة أنه ليس لك عيال أما حتى أمتارحم إختوك أمتارحم عيالكنا فأكثر عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت ههنا مريشا وأسأل عنها أنا ، فإذا يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في إهداء الناس به فقط ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطب ثوابه ونيل للترعة عنده لاعند العلم وعند الحق وربما يظن أن له أن يرأى بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يغيد وربما لا يبيد فكيف يخسر في الحال عملا تقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم لله ويبعد الله ويخدم العلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يربدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب التركة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد العزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بصلحه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما سكونه لحرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله وهو لا يدرى أنه الخفف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سيمان دخلت عليه في صومته فقلت يا سيمان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنفي وما دعا لي هذا قلت أحبيت أن أعلم قال في كل ليلة حصمة قلت فما الذي يبرح من

كنت ولست بكثرة ليس
التياب فرأيت لله فيها
بري الناس مكان
دخلت الجنة فرأيت
جماعة من أصحابنا من
القسراء على مائدة
فأردت أن أجلس
مهم فإذا بجماعة من
اللائكة أخذوا يدي
وأقاموني وقالوا لي
هؤلاء أصحاب ثوب
واحسد وأنت لك
فصان فلا تجلس معهم
فانتهت ونذرت أن
لا أجلس إلا ثوبا واحدا
إلى أن ألقى الله تعالى.
وقيل مات أبو يزيد
ولم يترك إلا قصبة التي
كان عليه وكان عارية
فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى الدير الذي بمذاك قلت نعم قال إنهم يأثوني في كل سنة يوما واحدا فيزبون صومتي ويطوفون حولها وحطموني فسلما تناقلت نفسي عن العبادة كرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لئلا ساعة فاحتل يا حنفي جهد ساعة لئلا أؤبد فوق في قلبى للرفة فقال حسبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لى ركوة فيها عشرون حصة فقال لى ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا يا حنفي ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساومك قلت عشرون دينار فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنفي ما الذى صنعت قلت بئته منهم قال بكى قلت بعشرين ديناراً قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لاتعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده ، يا حنفي أقبل على ربك ودع الذهب والفضة والقصود أن استشعر النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن يلم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم عثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يرجع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بمقله وإيمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لا يغيب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانتباه كي لا ينسوا إليه فذلك لأبأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهواتها الخفية اظهار الخشوع وتسلط يطلب الانتباه فيطالبها في دعواها قصد الانتباه بموتق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انتباههم عنه إنما حصل بأن يمد كثيرا أو يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا لسمع نفسه بذلك فإذا لم تسمح وبسحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها التزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمل فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا لخطرات ضعيفة لا يثيق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصديق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في التنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرمه بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ومحجب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى التنى أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء في مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام للتنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لاتقدم التنى عليه في إكرام وتوقير ألبتة فان الفقير أكرم على الله من التنى فلا تشارك له لا يكون إلا طمعاً في غناه ورياء له ثم إذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للتنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن السكك لجارية له مالى إذا أتيت فبدا فتحت لى الحكمة فقالت الطمع يشعل لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند التنى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكاييد النفس وخفاياها في هذا الفن لاتحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك

وحكى لنا عن الشيخ
 حماد شيخ شيخنا أنه
 بقى زماناً لا يلبس
 الثوب إلا مستأجراً
 حتى إنه لم يلبس على
 ملك نفسه شيئاً
 وقال أبو حفص الحداد
 إذا رأيت وضاعة الفقير
 في ثوبه فلا ترجو خيره
 وقيل مات ابن السكري
 وكان أستاذ الجنيدى
 وعليه مرقمته قيل
 كان وزن فردك له
 ونحو ريشه ثلاثة عشر
 ربطاً لقد يكون جمع
 من الصالحين على هذا
 الزى والتخشن وقد
 يكون جمع من
 الصالحين يتكلمون
 لبس غير الرقع وزى

ولا ترضى لها بانثار بسبب شهوات منغصة في أيام مقاربة وتكون في الدنيا كلك من ملوك الدنيا قد أكتكت الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارفي الصيالة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد تحولا لقله أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصا ناشدا احتياقه فهمما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالى الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى اللوث للقرق بينه وبين ملكيته للوجب لشماتة الأعداء به ومهما افتقد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيد منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخفف عليه مهاجرة اللذات ومصاراة للكروهاات فكذلك المؤمن للربد لذلك الآخرة احتضى عن كل مهلك له في آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجترى منها بالقليل واختار التحول والديول والوحشة والحزن والحوف وترك اللؤاسة بالخلق خوفا من أن يهل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه خلف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بقائه أمره وبما أعد له من النعم القيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده الريدين لمرضاة عونا وهم رموفا وعليهم عطوفا ولوشاء لأغنام. عن التعب ولكن أراد أن يلوهم ويصرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسول عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة النجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على إمامة الشهوات وينولى سياسته وتقويته وأمدّه بمعونته فان الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يخب أمل المحب وهو الذى يقول : من شرب إلى شبرا تهرت إليه ذراعا . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقاءى وإنى إلى لقاءهم أشد شوقا. فليظهر البدينى البداية جده وصدقوه إخلاصه فلا يزعم من الله تعالى على القرب ماهو اللائق بمجوده وكرمه ورائته ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده.

(كتاب ذم الكبير والعجب)

(وهو الكتاب التاسع من ربيع للهالكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار التكبر على الذى لا يرضه عن عبده واضع الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لا يدفعه عن صراجه دافع الفنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى يهر أبصار الخلائق بجلاله وهماؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستعلاؤه وحصر ألسن الأنبياء وصفه وثناءه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنهه جلاله ملائكته وأنبياءه وكسر ظهور الأكرسة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالظلمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيها قصمه بداء اللوث فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه، والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور التنتير ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أجباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياءه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب ذم الكبير والعجب)

الفقراء ويكون نيهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم التبرؤض بواجب حق للرقصة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل له كان ينام عليه بلاوطا، وقد كان نوم من أصحاب الصفة بكرهون أن يجلسوا بينهم وبين التراب حاللا ويكون ليس أبى حفص الناعم يعلم ونية يلقي الله تعالى بصحتها وههكذا الصادقون إن لبسوا غير الحشن من التوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يترض

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيما قسمته ^(١) » وقال ^(٢) « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ^(٣) » فالكبر والمعجب داءان مهلكان وللتكبر وللمعجب سقيان مرصضان وهما عند الله محموقان فيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح الهلكات وجب إضاح الكبر والمعجب فانهما من قبائح الرديات ونحن نستقصي يانها من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في المعجب : الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه يان ذم الكبر ويان ذم الاختيال ويان فضيلة التواضع ويان حقيقة التكبر وآفته ويان من يتكبر عليه ودرجات التكبر ويان مآبه التكبر ويان البواغث على التكبر ويان أخلاق التواضعين وما فيه يظهر الكبر ويان علاج الكبر ويان امتحان النفس في خلق الكبر ويان المهود من خلق التواضع وللذموم منه .

(يان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستمجنوا وخاب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب للستكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعصوا عندي كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ^(٤) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ^(٥) « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم ولا أبالي ^(٦) » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر في الصفا فتواقفا فضا في ابن عمرو وأقام ابن عمر يسيك فقالوا ما يسيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه ^(٧) » وقال رسول الله ^(٨) « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب ^(٩) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والأنس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل اللائكة بالنسب في السموات ثم خفض حتى سمعت أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أبعد مما رفعت وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيما قسمته إلخ كما في المستدرک دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتي بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبرانی والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قدفته في النار وقال مسلم عذبه وقال داود وإزاره بالنسبة وزاد مع أبي هريرة اباسعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر أكبه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذی وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب .

عليهم غير أن ليس
الحسن والرقع يصلح
لسائر الفقراء بنية
التفلس من الدنيا
وزهرتها وبهجتها وقد
ورد « من ترك ثوب
جبال وهو قادر على
لبسه ألبسه الله تعالى
من حل الجنة » وأما
لبس الناعم فلا يصلح
إلا لعالم بحاله بصير
بصفات نفسه متفقد
خفي سموات النفس
يلقى الله تعالى بحسن
النسبة في ذلك فلحسن
النسبة في ذلك وجوه
متعددة يطول شرحها
ومن الناس من لا يقصد
لبس ثوب يهينه
لأخشوتهم ولا لغرمتهم

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكنت ثلاثة : بكل جبار عند وكل من دعا مع الله لها آخروا بالمصورين ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء للسلوك ^(٢) » وقال ^(٣) « تحاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالمتكبرين والتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقاةهم ومهزهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار إنما أنت عداوى أعذب بك من أماء ولكل واحدة منكما مأوىها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « بش البدر عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بش البدر عبد تجبر واختال ونسى الكبير للتعالي بش البدر عبد غفل وسها ونسى القابر وبلى بش عبد غتا وبنى ونسى للبدا والنتهى ^(٥) » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل لرسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعده الموت ^(٦) » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أسركما بالثنتين وأنها كاعن اثنتين أنها كاعن الشرك والكبر وأسركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فبين لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لاه إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها ولو أن السموات والأرضين وما فبين كانتا حلقة فوضعت لاه إلا الله عليها لتقصمها وأسركما بسبحان الله وبحمده فاتصلا كل شئ وبها يرزق كل شئ ^(٧) » قال المسيح عليه السلام : طوبى لمن علم الله كتابه ثم لم يرت جبارا . وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جفطرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء القلون ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبضكم أخلاقا أولى بكم منا الثرثارون للتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون وللتشدقون فالتيهقون قال للتكبرون ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر للتكبرون يوم القيامة في مثل صور الدر تطوهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلمون كل شئ من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلمون غار الأنيار يسقون من طين الجبال عصارة أهل النار ^(١٠) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل بليس ما يدخله الحق عليه فيكون حكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فان رأى لنفس شرها وشهوة خفية أو جلية في التوب الذى أدخله الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار ففسد ذلك لا يسهه إلا أن بليس التوب الذى ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو العجب السهروردى رحمه الله لا يتقيد بجهة من اللبوس بل كان بليس ما يتفق من خير نعمد تكلف

(١) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذى من حديث أنى هريرة وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء للسلوك تقدم في أسباب الكسب والعاش والعروف خائن مكان جبار (٣) حديث تحاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالمتكبرين وللتجبرين الحديث متفق عليه من حديث أنى هريرة (٤) حديث بش البدر عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذى من حديث أماء بنت حميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرک وصححه ورواه البيهقى في الشعب من حديث نعيم بن حماد وضعفه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل لرسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت البيهقى في الشعب هكذا رواه مسالفة بطبعه (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أسركما بالثنتين وأنها كاعن اثنتين أنها كاعن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخارى في كتاب الأدب والحاكم بزيادة في نقله قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جفطرى جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندها من حديث حارثة بن وهب الخزاعى ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر (٨) حديث إن أحكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبى ثعلبة الخنفي بأفظ إلى ومنى وفيه انقطاع ومكجور لم يسمع من أبى ثعلبة وقد تقدم في رياضة النفس أول الحديث (٩) حديث يحشر للتكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن سبه وقال حسن غريب .

« بخير الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور القدر تطوّم الناس لهوائهم على الله تعالى (١) » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة قلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له هيب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تسكن من يسكنه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجعل فيه التكبرون ويطبق عليهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من نقطة الكبرياء (٤) » وقال « من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والتألول (٥) » والآثار: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لما خلق الله جنه عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماذ رجله فلبه بهم فموا وقد أحنف فرجحه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هيا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم ينسل الحرة يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات ، وقد قيل في - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - هوسيل التأطو والبول ، وقد قال محمد بن الحسين ابن علي ما دخل قلبه امرئ شيء من الكبر قط إلا قص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو أكثر. وسئل سليمان عن الميتة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر ، وقال النعمان بن بشير على النبي إن للشيطان مصالي وغلوا وإن من مصالي الشيطان وغلواه البطر بأنهم الله والتخر إعطاء الله والكبر على عباد الله وإتباع الهوى في غير ذات الله ، نسأل الله تعالى العفو والمغفرة في الدنيا والآخرة عنه وكرمه . (بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في النبي وجر الثياب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يتبختر في برده إذ أهبطته نفسه غصنف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حديث أبي هريرة بخير الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور القدر الحديث البراز هكذا مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هيب حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أزهري بن سنان ضمه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن في النار قصرا يجعل فيه التكبرون ويطبق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال فيقول مكان يطبق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نقطة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نقطة ونقته وهززه قال نقته الشعر ونقطة الكبر وهززه للونة ولأصحاب السنين من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تسكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والتألول الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر الصنف لهذا الحديث هنا موافق للشهوري في الرواية أنه الكبر بالوحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزي في جامع اللسانين عن الدارقطني قال إنساهاو الكثر بالتون والراي وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير - والذين يكتزون الذهب والفضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا يمتفق عليه من حديث أبي هريرة . (٧) حديث بينا رجل يتبختر في برده قد أهبطته نفسه الحديث يمتفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان يلبس العمامة بشرة دنائير ويابس العمامة بدائق. وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويشعليلس وكان الشيخ علي بن الحفي يلبس ليس قسراء السواد وكان أبو بكر القراء بزنجان يلبس فروا خشينا كآحاد العوام ولكل في لبسه وهيئة نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك بطول ، وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه التوب

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فقرأ به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمته يقول أي بني ارفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»^(١) وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى: ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين يدي وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأني أوان الصدقة»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مضت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض»^(٣) قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»^(٤) الآثار : عن أبي بكر الهذلي قال يبتاعن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهمم يريد للقصور وعليه جباب خزقد فصد بضها فوق بعض على ساقه وانزع عنها بياض وهو يمشي يتختر إذ نظر إلى الحسن نظرة فقال أفاف شامخ بأفقه ثاني عطفه ، صخر خد في نظره عطفيه أي حقيق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير للأخوذ بأمر الله فيها ولا لأدعي حق الله منها والله أن يمشي أحد طبيعته يتخلج تخلج المجهون في كل عضون من أعضائه نعمت ولا شيطان به لقنة فسمع ابن الأهمم فرجع يتنذر إليه فقال لا تعتذر إليّ وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى - ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا - ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فبعها فقال له ابن آدم معجب بشبابه يحب كماله كأن القبر قد واري بدتك وكأنك قد لايت حملك ويعك داو قلبك فان حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يخال في مشيته فغضب عليه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خره قل عمر كالمعتذر ياعم لقد ضرب كل عضوني على هذه المشية حتى تعلتها ، ورأى محمد بن واسع ولده يخال فدعا وقال أندري من أنت أما أنك فاشتريها عباثي درهم وأما بولك فلا تكر الله في المسلمين مثله ، ورأى ابن عمر رجلا يمر إزاره فقال ابن للشيطن إخوانا كرههم ابن أوثلا ، وروى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى للهب وهو يتختر في جرة خرقه قال يا عبدالله هذه مشية ينفضا الله ورسوله فقال له الלב أمانه في فقال لي أن ربك أولك نطفة مذرة وآرك حيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فضي للهب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أي يتختر ، وإذ قد ذكرنا ذكر الكبر والاختيال فأنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبدا بغوا إلا عزوا وماتوا ضاع أحدته إلا رفعة الله»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكنانه بها فان هورفع نفسه

(١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفوع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن البارجل من بني ليث غير مسمى (٢) حديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث بشر بن جعاش (٣) حديث إذا مضت أمتي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر للطيطاء بضم الليم وفتح الطاءين للمهملتين بينهما مثناة من تحت مصغرا ولم يستعمل مكبرا (٤) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيه لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر (٥) حديث ما زاد الله عبدا بغوا إلا عزوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

الناعم فلبسه وكان يقال له رعا يبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبك هذا الثوب فيقول لا تلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بما في القوم من أرباب العزعة فنقول له هل ترى لنا فيا لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الحشن ولكن يحب

جداها ثم قال اللهم ضعه وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل القبل والسكنة وخالف أهل الفقه والحكمة ^(٢) » وعن أبي سلمة الدين عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صاعغا فأثينا عند إبطاره فتدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل قلنا رقه وذاقوا وجد حلوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضع وقال أما إنى لأأحره ومن تواضع لله رقه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أقصد أغناه الله ومن بذر أقفره الله ومن أكرذ كر الله أحبه الله ^(٣) » وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون قمام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له قلنا دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فضده ثم قال له اطعم فسكان رجلا من قريش اشأزمنوا تسكره فامات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة فلما ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خيرني ربى بين أمرين أن أكون عبدا رسولاً أو ملكا نيا فلما أدرأهما اختار وكان صفى من الثلاث لكة جبريل فرفعت رأسى إليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولاً ^(٥) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاتك من تواضع لمطعم ولم يتعاطى على خلقى وأزيم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجل وقال **عليه السلام** « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقي ^(٦) » وقال للشيخ عليه السلام : طوبى لالتواضعين في الدنيا هم أصحاب النابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بلنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه فمع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « أربح لخطيئهم الله إلا من أحب الصمت وهو أول العباداة

(١) حديث مامن أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة بمسكانها الحديث العقلي في الصفه فاد البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوي وابن قانع والطبراني من حديث ركب الصرى والبرار من حديث أنس وقد تقدم بيضة في العلم وبيضة في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة الدين عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صاعغا الحديث وفيه من تواضع رقه الله الحديث رواه البرار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة قد ذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في البرار إن خبره منكرو وقد تقدم ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لأزعم أنه حرام الحديث وفيه من أكثر ذكر الله أحبه الله وروى الرافعي عنه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أقفره الله وذكره في قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذي كان به زمانة منكره وأنصلى الله عليه وسلم أجلسه على فضده ثم قال اطعم الحديث لم أجده أصلا للوجود حديث أكلهم مجزوء رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذي غريب (٥) حديث خيرني ربى بين أمرين عبدا رسولاً وملكاً نيا الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن عباس وكلاهما حديثين ضيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقي ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأسنده الحاكم أوله من رواية الحسن عن حمزة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته الحديث الطبراني موقفا على ابن مسعود نحوه وفيه للسعدى مختلف فيه

أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكون اللجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الأثرى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في رضى بيضه فله تعالى بدفع عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلزم بذلك الأثرى فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله . ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا ^(١) » وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا تواضع العبد ربه الله إلى السماء السابعة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد
 إلا رتبة فتواضعوا يرحمكم الله ^(٣) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء
 رجل أسود به جذري قد تشتر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى جنبه ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه لم يجز أن يعمل الرجل الشيء في يده يكون
 مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ^(٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً « مالي لأرى
 عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا
 رأيتم للتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم للتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم
 وصغار ^(٧) » . الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكيمته وقال اتش
 رفعت الله وإذا تكبر وعدا طوره رخصه الله في الأرض وقال اخسأ خسأك الله فهو في نفسه كبير
 وفي عين الناس حقير متى إنه لأحقر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهت مرة إلى
 شجرة تحتها رجل نام قد استظل بنطح له وقد جاوزت الشمس الطلع فسوته عليه ثم إن الرجل استيقظ
 فاذا هو سلمان الفارسي قد كرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا
 رفعة الله يوم القيامة يا جرير أندري ما ظلمة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضا
 في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتفعلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن
 أسباط : يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضل
 وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ قال أن تخضع للحق وتتقاده ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أحمق
 الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه
 ليس لك بدياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدياك عليك
 فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جالا أو ثيابا أو عشاء لم يتواضع فيه كان عليه وبال يوم القيامة .
 وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا نعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكفاف ثم أعفها عليك .

(١) حديث أربع لا يطمئن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع
 والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبى إلا بسبب الصمت وهو أول العبادة
 والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قات في العوام بن جورية قال ابن حبان
 يروى للوضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى
 السماء السابعة البهيقي في الشعب نحوه وفي زمة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع
 لا يزيد العبد إلا رتبة الحديث الأصفهاني في الترهيب والترهيب من حديث أنس وفيه بئر بن الحسين
 وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدى من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياصي
 وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطعم فجاه رجل أسود به جذري فجعل لا يجلس
 إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا وللمروفي أكله
 مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث
 إنه لم يجز أن يعمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب
 (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا
 (٧) حديث إذا رأيتم للتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم للتكبرين فتكبروا عليهم
 فإن ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

وإيقان ولا يالي بما
 لبسه ناعما لبس أو خشنا
 وربما لبس ناعما
 ولثمنه فيه اختيار
 وحظ وذلك الحظ فيه
 يكون مكفر الله مردودا
 عليه موهوبا له يواقفه
 الله تعالى في إرادة نفسه
 ويكون هذا الشخص
 تام التزكية تام الطهارة
 محبوا مراد يسارع الله
 تعالى إلى مراده ومحابه
 غير أن ههنا مذلة قدم
 لكثير من اللدعين .

سكى عن يحيى بن معاذ
 الرازي أنه كان يلبس
 الصوف والخلفان في
 ابتداء أمره ثم صار في
 آخر عمره يلبس الناعم
 قليل لأبي يزيد ذلك

وقال كسب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله لإعطاء الله نعمها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا نال الله نعمها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يندب به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد للملك ابن مروان أتى الرجال أفضل؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة. ودخل ابن السكك على هرون فقال يأمر المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يأمر المؤمنين إن اسماء آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسيه وبسط له في ذات يده فف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسيه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدهاهرون بدواة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجرى إلى للسالكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين . وقال بعضهم تكبره أن يرآك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فأكروا أن يرآك الفقراء في الثياب للزفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام سمعت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفسه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الأدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قاب موسى عليه السلام غصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولائي كنت معهم إني أخشى أنهم حرموا بسبي ويقال أرفع ما يكون للؤمن عند الله أرفع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد الجعفي : الزاهد يغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي ياب المسجد ليخرج شرمك رجلا والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أو مسمى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يفلح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت عندنا زلزلة ورع حمراء فقلعت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا الناقطة التي تحت الباب فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا . وقال الشبلي في بعض كلامه : ذلي عطل دخل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قية فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شخرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام قتلته بأبأ الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل له فيكون متواضعا قال : إذا لم ير نفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يضمنوني كاتمضاعي عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصابيد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعظم . وقال يحيى بن معاذ : التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع . ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم
يصبر على الدون
فكيف يصبر على
التحذير من الناس من
يسبق إليه علم ما خوف
يدخل عليه من
لللبوس فيلبسه محمدا
فيه وكل أحوال
الصادقين على اختلاف
تنوعها مستحسنة
- قل كل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا -
وليس الحشون من
التياب هو الأحب
والأولى والأهم للعبد
والأبعد من الآفات .
قال مسلمة بن عبد الملك
دخلت على عمر بن

وفي الفقراء أقبح ، ويقال لأعزّ إلالم نذل الله عز وجل ولا رفعة إلالم تواضع لله عز وجل ولا أمن إلالم خاف الله عز وجل ولا ربح إلالم ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو علي الجوزجاني : النفس معجونة بالكبر والحرس والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والتسوية والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا حاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا حاجت نار الحسد في نفسه أدركتها التسوية مع توفيق الله عز وجل وإذا حاجت في نفسه نار الحرس أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم »^(١) ماتكلمت عليكم . وقال الجنيد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضعها للوحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها وعن عمرو ابن شبة قال كنت بمكة بين الصفاء واللوة فرأيت رجلا رابكا بشة وبين يديه غلغان وإذا هم ينغفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بئداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجئت أنظر إليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر إلى قفلك له شهيتك رجل رابك بينة بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل قلت فاعلم الله بك ؟ قال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعي الله حيث يترفع الناس . وقال للغيرة : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه قبيح الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى بسيمكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافي يقول سلوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأبى المعرفة . وتهاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نقطة قدرة ثم أعود جيفة منتنة ثم أتى البران فلان قتل فأنا كريم وإن خف فأنا ثيم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا السكرم في التقوى والفى في اليقين والشرف في التواضع . لسأل الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الصبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تنكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق التنكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فان العجب لا يستدعى غير العجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فبذلك يكون متكبرا ولا يكتفى أن يستعظم نفسه ليعتبر متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكتفى أن يستحق غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذى من حديث أبي هريرة إذا اتخذ النبي دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب إذا ضلقت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأن زعيم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة فذكرها منها وفيها فرج بين فضالة ضعيف

بعد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قبضه وسخا فقلت لأمراه فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقامت ففعلت إن شاء الله فقلت حسدته فإذا القمص على حاله فقلت يا فاطمة ألم أمركم أن تغسلوه ؟ قالت والله ماله قبص غير هسلما . وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يغسل إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بطياره رثة فلبسها . وقيل لما مات أبو البرداء وجد في ثوبه أربعون

لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعندهذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفع فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من نفخة الكبرياء (١)» وكذلك قال عمر أخى أن تنفع حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه أن ينظر بعد صلاة الصبح فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفع وتمزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر مأم يبالغ - قال عظمة يبالغون فاقصر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أهمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأقصاه عن نفسه وأبعد وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم مائلا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استسكف عن استخدامه ولم يحمله أهلا للقيام بين يديه ولا خدمة عتته فإن كان دون ذلك فأنت من مساواته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبداءه السلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وإن حاج أو ناظر أنت أن يرد عليه وإن وعظا استسكف من القول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرقق بالمتهملين واستندلهم واتهمهم وامتحن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الخمر استجهالهم واستعقارهم والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة فلهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلة هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وتلبأ بكفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر (٢)» وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعز النفس يثاق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق للتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا يسلم للتطويل ثم إن خلق ذم الأوصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يوتيه عزه فمن هذا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من هذه الأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها دأب إلى البعض لاهمالا وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والاشتياء له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - واللائكة باسطوا أيديهم - إلى قوله - وكنتم عن آياته تستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فأنشئوا شوى التكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشد من عذاب على الله تعالى قال - ثم لنزغن من كل شعبة أبهم أشد على الرحمن عتيا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استسفوا الذين استكبروا لولا أنكم لكمنا مؤمنين -

(١) حديث أعوذ بك من نفخة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : ليس على بن أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مدّ كفه بلغ أطراف أصابعه فعابه الحوارج بذلك فقال أنبيوني على لباس هو أهد من الكبر وأجدر أن يقتدى به السلم وقيل : كان عمر رضي الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن اللسكوت . وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويستنبطوا بها . ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تمل في قلب للتواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من فجع رأسه إلى السقف شجوه ومن طأطأ أظله وأكثه فهذا مثل ضرب به للتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغشى الناس (١) » .

(بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ماجه ولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغشى أنواع التكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والظلمات مثل ما كان من نفوذ فانه كان يحدث نفسه بأن يقابل رب السماء وكما يحكي عن جماعة من الجهلة بل يهكي عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة القربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم أسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما أمرتنا وزادهم نفورا - . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزق النفس ورفضها عن الاقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاعتبار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الاقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يتمتع مع المرفق ولكن لا تطاوعه نفسه للاقياد لاحق والتواضع للرسل كما حكي الله عن قومه - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن أنتم إلا بشر مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءهم الملائكة مقترنين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض غير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك الملك قال حتى أشاور هامان فقال هامان بينا أنت شرب تصدأ إذ صرت عبدا لله . وقد استنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن النيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف يشاء الله إلينا فقال تعالى - أم يقسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ساء استعقارهم واستعبادنا لقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كف تجلس إليك وعندك هؤلاء وأماؤا إلى قراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله : - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - واسمى

فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تصدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نملين فلما نظر إليهما أحبه حسنا فوجد لله تعالى قيل له في ذلك فقال خشيت أن يمرض عني رب فتواضعت له لاجرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت لقلت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فذهبهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشترى له نملان محضوفان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

(١) حديث التكبر من سفه الحق وغشى الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق وغطى الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغشى الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عتبة بن عاص بلفظ الصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ربحانة هكذا .

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغفلة والعشى يريدون وجهه ولا تمد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا لئلا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار قيل بمنون عماراً وبللاً وصيباً وللقدر رضى الله عنهم ثم كان منهم من منعه التكبر عن الفكر وللعرفة الجهل كونه صلى الله عليه وسلم حقاً ومنهم من عرف ومنه التكبر عن الاعتراف قال الله تعالى عبرا عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجحدوا بما واستغفرتهم أنفسهم ظلموا وعلموا - وهذا التكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستعقر غيره ثانياً نفسه عن الاتياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويألفهم مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين : أحدهما أن التكبر والعز والظلمة والملاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد للملوك الضعيف المأجور الذى لا يقدر على شئ فمن أين يليق بحاله التكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بعجلاله ، ومثاله أن يأخذ العلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فلما أعظم استحقاقه للقت وما أعظم تهديفه للخرى والنيكال وما أشد استجرأه على مولاه وما أشنع ما فعله ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى «الظلمة إزارى والسكبرياء ردأى فمن نازعنى فيها قصصته » أى أنه خاص صفى ولا يليق إلا به وللنازع فيه منازع في صفة من صفات وإذا كان التكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الدنى يستردل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والسكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة التكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجده ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادحون بتجاهد التكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أفت الآخر من قبوله وتشمر لجده واحتمل لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون - فكل من يناظر للغة والإغما لا يفتن الحق إذا ظهر به قدر شاركتهم في هذا الحق وكذلك يجعل ذلك على الأفة من قول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى ابن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال إن الله وإنما إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف يقتله فقام آخر فقال يقتلون الذين يأمرون بالفسق من الناس فقتل التكبر الذى خالفه والذى أمره بكبراً وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثمًا إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال **عنه** رجل « كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فها منه إلا كبره قال فها رفقها بعد ذلك (٢) »

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال فقال للشركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصوف واحتذى
المصرف وأكل مع
العبيد وإذا كانت
النفس محل الآلات
فالوقوف على داسها
وخصي شهواتها وكم
هواها عسر جسدا
فالائق والأجدر
والأولى الأخذ بالأحوط
وترك ما يربى إلى ما
لا يربى ولا يجوز لعبد
الدخول في السعة إلا
بعد إتمام علم السعة
وكال تزكية النفس
وذلك إذا غابت النفس
بغية هواها للتبع
وتخلصت النية وتسدد
التصرف به لم صريح
واضح وللعزيمة أقوام
يركبونها وبراعونها

أى اعتات يده ، فاذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سددوه إلى التكبر على أمر الله وإعماضه إبليس مثلالها وما حكمه من أحواله إلا ليعتبر به فانه قال : أخير منه . وهذا الكبر بالنسب لأنه قال : أخير منه خلقتى من نار وخلقته من طين . فحمله ذلك على أن يتمتع من السجود الذى أمره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له بقره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبداً لأباده فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة وقيل شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآيتين إذ سأله ثابت بن قيس بن محاس قال يا رسول الله « إني امرؤ قد حبب إلى من الجال ماترى أثمن الكبر هو ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغشم الناس (١) . وفى حديث آخر « من سفه الحق (٢) » وقوله وغشم الناس أى ازدراهم واستحقروهم وهم عباد الله أمثاله وأخير . منه وهذه الآفة الأولى وسفاه الحق هورده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بين الاستفزاز أورد الحق وهو يعرفه قد تكبر فيها بينه وبين الخلق ومن أنف من أن يرضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيها بينه وبين الله تعالى ورسله .

(بيان ما به التكبر)

اعلم أنه لا يتكبر إلا مقي استعظم نفسه ولا يستعظم إلا وهو يعتقد لها صفات من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال دنى أو دنيوى فالدين هو العلم والعمل والدينى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب . الأول : العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الخيلاء (٣) » فلا يلبث العالم أن يتميز بمرارة العلم يستعظم نفسه جمال العلم وكاله ويستعظم نفسه ويستحق الناس وينظر إليهم نظره إلى الرأسم ويستجهم ويتوقع أن يمدوه بالسلام فان بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه يشر أوقام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك ضيعة عنده ويداعبه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يرقوا له ويغمدوه شكره على ضيعة بل القاب أنهم يرونه فلا يبرم ويؤرونه فلا يؤرونهم ويسودونه فلا يسودهم ويستخدمون من خالطه منهم ويستسخرونه في حوائجه فان قصر فيه استكبره كأنهم يبيده أو أجراؤه وتأن تعليمه العلم ضيعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فنيا يتعاق بالدنيا وأما في أمور الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقى هو الذى يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العساء وعظم خطر العلم فيه كاسيأتى في طريق معالجة الكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ، ويقضى أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو البراء من ازداد علما ازداد وجما وهو كما قال . فان قلت لما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يصحكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن محاس إني امرؤ قد حبب إلى من الجال ماترى الحديث وفيه الكبر من بطر الحق وغشم الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بإحدى (٢) حديث الكبر من سفه الحق وغشم الناس تقدم منه (٣) حديث آفة العلم الخيلاء . قلت هكذا ذكره الصنف والعروف آفة العلم النسيان وآفة الجال الخيلاء هكذا رواه القضاعى في مسند الشام من حديث جى بسند ضيف . وروى عنه أبو منصور الديلمى في مسند القردوس آفة الجال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الجيد الكوفى لا يبرى من هو حدث عن أبيه بحديث موضوع قاله صاحب اللبزان .

لأبرون التزول إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رقى ثوبه رقى دينه وقد رخص من ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرح . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة كل من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ولعله حسن فقال النبي عليه

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه خطر أمره في لقاء الله الحجاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حق امتلاك منها امتلاكاً بها كبراً وفاقاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة البودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيء الأخلاق فإنه لم يشغل أولاً بهتديب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه بقي خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم كالتبث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار يبرقها فتجول على قدر لهذا مثلاً فقال العلم كالتبث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار يبرقها فتجول على قدر طوعها فيزداد للمرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتجول على قدر همها وأهواها فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خافاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحقيقة قد أتت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لثيبه عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لاتفضوا من حولك - ووصف أوليائه فقال - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا من التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تسكنوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ، ولذلك استأذن عبيد بن الأبرار عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الدين واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تلتفت حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة يقوم فلما سلم من صلاته قال تلتصقن إماماً غيرى وألتصقن وحدنا فإني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته وهيبات فأتى يسمح آخر الزمان بثلاثهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اقرضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يعز في زماننا عالم يحتاج في نفسه الأسف والحزن على قوات هذه الحصلة فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أتم عليه نجا (٢) » لكان جديراً بنا أن نتحمم والياذ بالله تعالى ووطئة لياس والقنوط مع مانحن عليه من سوء أعمامنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بعشر ما كانوا عليه ولبتنا تمسكنا بعشر عشرة . فنبسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمامنا كما يبتغيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يغلو عن رذيلة العز والتكبر وإسالة قلوب الناس

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرفائق (٢) حديث سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما أتم عليه نجا أحمد من رواية رجل عن أبي ذر .

السلام إن الله جميل يحب الجمال « فتسكنون هذه الرخصة في حق من يلبسه لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومعتدل فأما من لبس الثوب للفتاخر بالدنيا والتكابر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فما بينه وبين السكيبين وما كان أسفل من السكيبين فهو في النار من جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيينا رجل ممن كان قبلكم يفتخر في

الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم زيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقمون قيام الناس بشيء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكركم بالورع والتقوى وتهديهم على سائر الناس في الخطوط إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منه على الحق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزور فخلق الله مقتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم » (٢) وكمن من الفرق بينه وبين من يحبه الله وظلمه لعبادته ويستعظمه ويرجوه لا يلا يرجوه نفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يسمعت إلى الله بالنزعة والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم إذا جدروهم إذا حسوه لصلاحه أن ينظم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا جدروهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الإهمال كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليف بن إسرائيل لكثرة فساده مر رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليف به فقال الخليف في نفسه أنا خليف بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمني فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليف بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنف منه وقال له قم عنى فأوحى الله إلى بنى ذلك الزمان مرها فليستأف العمل فقد غفرت للخليف وأحيطت بحمل العابد. وفي رواية أخرى فتحوّل التمامة إلى رأس الخليف وهذا يرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل المامى إذا تواضع هية لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد العاجب وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بنى إسرائيل فوطى على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يفر الله لك فأوحى الله إليه أيها للتألى على بل أنت لا يفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطراز الخرازى أن صاحب الخزيل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآية أيضا قلنا ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف باستخف أو آذاه مؤذ استبد أن يفر الله ولا يشك في أنه صار مقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جمل وجمع بين الكبر والعجب واعتار به الله وقد ينتهى الحق والنبوة بعضهم إلى أن يتجدى ويقول سترن ما يجرى عليه وإذا أصيب بنسكية زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به لإشفاة غلبه والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يديون الله ورسوله وعرف جماعة أدوا الأنبياء صلوات الله عليهم فهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربا أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل الثرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتمى لأنبيائه به وله في مت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك

ردائه إذ أهيبه ردائه
خلف الله به الأرض
فهو يتجامل فيها إلى
يوم القيامة والأحوال
تختلف ومن صح حاله
بصحة علمه صحت نيته
في ما كرهه وملبوسه
وسائر تصاريفه وفي
كل الأحوال يستقيم
ويتسدد باستقامة
الباطن مع الله تعالى
وقدر ذلك تستقيم
تصاريف العبد كلها
بحسن توفيق الله
تعالى.

[الباب الخامس
والأربون في ذكر
فضل قيام الليل]
قال الله تعالى - إذ
يشيخ الكناس أمنة

(١) حديث إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بنى إسرائيل الذى وطى على رقبته عابد من بنى إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذى قال للعاصم والله لا يفر الله لك أبدا وهو بشر هذه السياقة وإسناده حسن .

نفسه فهذه عقيدة المفتريين ، وأما الأكياس من المباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلي حين كان
تهب ربح أوتقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسبي ولومات عطاء لتخلصوا ومثاله الآخر بعد
انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميع لولا كوني فيهم فأنظر إلى الفرق بين جليلين هذان
الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدور لمعلمه وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحمد
والنيل ما هو متحكة للشيطان به ثم إنه يتقن على الله بعمله ومن اعتقد جزمًا أنه فوق أحد من عباد الله فقد
أحبط مجده جميع عمله فإن الجاهل أخفى العاصي وأعظم شتم يبعد البعدين الله وحكمه لنفسه بأنه خير
من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر
بغير لثني صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إنني أرى
في وجهه سعة من الشيطان فلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سألك
بالله حدثك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم (١) فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنور النبوة ما تستكن في قلبه سعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصم الله
لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى
نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قدر سخي
في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكليّة . الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالتزعم في
المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكسار على من يقصر في حقّه وأدنى ذلك في العالم أن يصمر خدّه
للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متزعم عن الناس مستقدر لهم
أوغضبان عليهم وليس يعلم للسكين أن الورع ليس في الحجة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يبس ولا في
الخذ حتى يصمر ولا في الرقة حتى تطأ ولا في الذيل حتى يضم أنسا الورع في القلوب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره (٢)» فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
«أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسا وانبساطا (٣)» ولذلك قال الحرث
ابن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ «يجبني من التراء كل طليق مضحك فأما الذي تلقاه يبشر
وبلقة ببسوس ينّ عليك بلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى رضى ذلك
لما قال لتبسه صلى الله عليه وسلم - وأخضع جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وهو لاء الذين يظهر أثر الكبر
على ثيابهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى
يدعوه إلى الدعوى والفاخرة والباهة وتركبة النفس وحكايات الأحوال والمقامات والشعر لمقلة الغير
في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده
فيطول اللسان فيهم بالتنص ثم يثنى على نفسه ويقول إنني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنا لم ألبس وأنتم
القرآن في كل يوم وفلان بنام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد تركي نفسه ضمنا فيقول
تصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعى الكرامة لنفسه وأما باهاته
فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كانوا يصلون وإن كانوا يصبرون على الجوع
فيكلف نفسه الصبر ليقبلهم ويظهر له قوته وهزيمه وكذلك يشتد في العبادة خوفا من أن يقال غيره

منه وينزل عليكم من
السما ماء ليظهركم به
ويذهب عنكم رجز
الشيطان - نزلت هذه
الآية في المسلمين يوم
بدر حيث نزلوا على
سكتيب من الرمل
تسوخ فيه الأقدام
وحوافر الدواب وسبقهم
للمشركون إلى ماء بدر
المطعم وغلبهم عليها
وأصبح للمسلمين بين
محدث وجنب وأصابعهم
الظما فوسوس لهم
الشيطان أنكم تزعمون
أنكم على الحق وفيكم
نبي الله وقد غلب
للمشركون على الماء
وأنتم تصلون محدثين
ومجنيين فكيف

(١) حديث أن رجلا ذكر بغير لثني صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إنني أرى في وجهه سعة من الشيطان الحديث أحمد والبر والدار قطني من حديث أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفوق في المعلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك يصغره ويصغره نفسه وأما ما بهاته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والتهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمنافرة والجدل وتحسين العبارة وتجميع الألفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليقر بها على الأقران ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأساساتها حتى يدخل من أخطأ فيها فيظهر فضله وتصفان أقرانه ويفرح بهما أخطأ واحد منهما ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق التكبر وآثاره التي يشرها التمزق بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تنظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إن لك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فإن رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه ثم أنه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستعظم من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه علما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم ويمرته على اللسان المتفاخر به فيقول لغيره يابطني ويأهني ويأرمق من أنت ومن أبوك فانا فلان ابن فلان وابن لفلان أن يكلمني أو ينظر إلى ومع مثل تكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فإن غلبه غضب أعطاه ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قتل له يابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البیضاء على ابن السوداء فضل» (٢) وقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت لارجل من فطأ يدي خذي فانظري كيف نهى رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب ووقع من نفسه شجرة التكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اتخضر رجلا عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عدتمة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي اتخضر بل القصة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم القنجر بأنهم وقد صاروا لحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدرف بأنفها القدر» (٤) . الرابع : التفاخر بالجبال وذلك أكثر

ترجون الظفر عليهم
فأنزل الله تعالى مطرا
من السماء سال منه
الوادي فثرب للسلون
منه واغتسلوا وتوضوا
وسقوا الدواب وملئوا
الأسقية ولبد الأرض
حتى ثبت بالأقدام قال
الله تعالى - وثبت به
الأقدام. إذ يوحى ربك
إلى الملائكة أني معكم -
أمدهم الله تعالى
بالملائكة حتى غلبوا
الشركين ولكل آية
من القرآن ظهر
وبطن وحده ومطلع
والله تعالى كما جعل
الناس رحمة وأمنة
للمصاحبة خاصة في تلك
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر
قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قتل له يابن السوداء الحديث ابن المبارك في البر الوصلة
مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أمهرولا
أسود إلا أن فضله بقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما
للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد السنن حديث أبي بن
كعب بساند صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى قطع (٤) حديث ليدعن قوم القنجر
بأنهم وقد صاروا لحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التقصص والثلب والفتية وذكر عيوب النفس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت للراءة في جنب نفسها فقالت ما قالت . الخامس : الكبر بالمسال وذلك يجري بين الملوك في خزانهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيتهم وبين للتجملين في لباسهم وخيوطهم ومراكبهم فيستحققر الفنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكدر ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأنتا بيتي يساوى أكثر من جميع مالك وأنا أنفق في اليوم مالا ما كله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للفنى واستعزازه للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وأفة الفنى وإليه الإشارة بقوله تعالى - قال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن ترن أنا أقل منك مالا ولولا نفسي ربى أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليا حسبنا من السماء فتصعب صيدا زلقا أو يصعب ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتني لم أشرك بربى أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم - السادس : الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالأنباء والأخبار والتلازمة والتمسان وبالغشيرة والأقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك في الكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفدين . وبالحجة فشكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمال وإن لم يكن في نفسه كالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخشت ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخشتين لأنه يرى ذلك كالا فينتخب به وإن لم يكن فله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد ينتخب بكثرة الشرب وكثرة القصور بالنسوان والفسان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان عظما فيه فهذه جماع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيستكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم والحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بطلقه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

(بيان البواحي على التكبر وأسبابه الهيجة له)

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما يظهر من الأخلاق والآفة فهي غمرة وتقيقة ويبنى أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كإسائات مناه فانه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبمجهله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسابيه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في للتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرها . أما السبب الذي في التكبر فهو العجب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرها هو الرياء قصير الأسباب بهذا الاعتبار أرأيت العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يشتر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يعمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر

وابن حبان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تهجم في آفات اللسان .

رحمة تم المؤمنين
والناس قسم صالح
من الأقسام العاجلة
للمريدن وهو أمانة
قلوبهم عن منازعات
النفس لأن النفس
بالنوم تستريح ولا
تشكو الكلال والتعب
إذ في شكايتها وتعبها
تصكدير القلب
وباحترامها بالنسوم
بشرط العلم والاعتدال
راحة القلب لمسا بين
القلب والنفس من
المواظاة عند طمأنينتها
للمريدن السالكين
فقد قيل ينبغي أن يكون
ثلث الليل والنهار نوما
حتى لا يضطرب الجسد
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقة ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لاطواعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكأن من رذل لاطواعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له وبعمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الألفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحده وإن ظلمه فلا يستدر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكأن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجمل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يسأله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقة . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا منه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالمعجب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معها ثالث وكذلك قد يتمنى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب وترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه مدركه بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن بعمله الرياء على أفعال التكبرين وكان اسم التكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو إن صمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق للتواضعين وجماع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصع في وجهه ونظيره شر أو إبطا أقدامه وجلوسته مرتبا أو متكشا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصبعته في الإبراد ويظهر في مشيته وتبحره وقيامه وجلوسه وحركته وسكناته وفي تعامله لأفواله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فهذا التكبر بأن يجب قيام الناس له أو يمين يده وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فنظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يعشى إلا ومعها غيره يعشى خلفه . قال أبو الدرداء لا يزال البدر يزاد من الله جدا ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ، ومشى قوم خلف الحسن البصري فتمهم وقال ما يبي هذا من قلب البصير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يعشى مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويعشى في غمارهم (٢) . إما تعليم غيره أو لينبي عن نفسه وسواس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصعجة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يعشى مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يعشى إلى البقيع فبعثه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

لقوم ساعتين من ذلك
بجعلها المرید بالبار
وست ساعات بالليل
وزيد في أحدهما
وينقص من الآخر
على قدر طول الليل
وتقصره في الشتاء
والصيف وقد يكون
بحسن الإرادة وصدق
الطلب ينقص النوم
عن قدر الثلث ولا
يضر ذلك إذا صار
بالتدرج عادة وقد
يجعل ثقل السهر وفلة
النوم وجود الروح
والأنس فإن النوم
طبعه بارد رطب ينفع
الجسد والدماء ويسكن
من الحرارة واليبس
الحادث في الزواج فإن

كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليج لأحد هذين للنعين^(١). ومنها أن لزيور غيره وإن كان يحصل من زيادته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فنبش إليه إبراهيم بن آدم أن نعالا غدتا فجاء سفيان فقيل له يأبأ إسحق تبعث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستسكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبدالعزيز بن أبي رواد فمس غدي غذه فتحت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرفني إلى نفسه وقال لي لم تظلموني في ما ظلموني بالجباية وإني لأعرف رجلا منكم شرا مني . وقال أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يتزعج يده منها حتى تذهب به حيث شاءت^(٢). ومنها أن يتوق من محالة الرضى والملاوينة ويتحاشى عنهم وهو من التكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فجلس إلى أحد الأقم من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه^(٣) وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لا يحبس عن طعامه عجزوما ولا برص ولا ميتل إلا أن يندم على ما فعله . ومنها أن لا يتعاطى يده دخلا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكد السراج بظفا فقال الضيف أنوم إلى الصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنيبه الغلام فقال هي أول نومة نامها فقام وأخذ البطيخة وملا الصباح زيتا فقال الضيف لمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما ترضى مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا . ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة التواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٤) وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كاله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت بأهريرة أبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لروان فقال أوسع الطريق للأمر يا ابن أبي مالك . وعن الأصمغ بن نباتة قال كفى أنظر إلى عمر رضى الله عنه معلقا لحفا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدررة يدور في الأسواق حتى دخل رحله . وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحبا بدرهم فخله في ملحته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يعمل . ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « البذاءة من الإيمان »^(٥) فقال هرون سألت معناه عن البذاءة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق ويده الدررة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضهم آدم وعوتب علي كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ومشى خلفهم فمثل عن ذلك فقال إني سمعت خفي نعالكم فأشفت أن يقع في نفسي شيء من التكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء^(٦) حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليج . قلت للمعروف تزعم الشراك الجديد ورد الشراك الخافي أو تزعم الخبيصة تلبس الأنبياءية وكلاهما تقدم في الصلاة^(٧) حديث أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث تقدم في آداب اللبسة^(٨) حديث الرجل الذي به جدرى وإجلاله إلى جنبه تقدم قريبا^(٩) حديث حمله متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراويل وحمله وتقدم^(١٠) حديث البذاءة من الإيمان أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم .

تقص عن التلبس
الديماغ ويخفى منه
اضطراب الجسم فاذا
تاب عن النوم روح
القلب وأنه لا يضر
قصاه لأن طبيعة
الروح والأنس باردة
رطبة كطبيعة النوم
وقد تقصر مدة طول
الليل بوجود الروح
فتصير بالروح أوقات
الليل الطويلة كالقصيرة
كما يقال سنة الوصول سنة
وسنة الهجر سنة
فيقصر الليل لأهل
الروح . قل عن
علي بن بكارة قال :
منذ أربعين سنة
ما حزني إلا طلوع
القمر . وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إن لأعشى ثوبي هذين فأشكر علي ماداما شيعين . ويروي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولائه قتل له ابن لباسك ومركبك وعطرك يأمر المؤمنين فقال إن لي نفسا ذو أفتونهما لم تترك من الدنيا طبقة إلا أتت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذات الحلافة وهي أرفع الطبقات أتت إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل يأمر المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل التقصد عند الجدوة إن أفضل العفو عند القدرة . وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمراته كان حقا على الله أن يدخله عقرى الجنة » (١) « فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب . « وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفة الحق وخمس الناس » (٢) فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال في امرؤ حبيب إلى من الجمل ماترى » (٣) فعرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا لتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الحرمان بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة التكبر أن يطلب التجلل إذ ذاك الناس ولا يبالى إذا اهرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجلال أن يحب الجلال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في سنوره داره فذلك ليس من التكبر فاذا اقتصت الأحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعني قد تورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعني أن الكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجوذة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا خيلة » (٤) . « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » (٥) وقال بكر بن عبد الله الزبي البسوا ثياب اللوك وأميتوا قلوبكم بالحشية وإنما خاطب بهذا قوما يطالبون التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : مالكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الثعالب الضواري البسوا ثياب اللوك وأميتوا قلوبكم بالحشية . ومنها أن يتواضع بالاحتياط إذا سب وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما هل عن السلف من احتياط الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجماع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه فينبغي أن يقتدى به . ومنه ينبغي أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الخدري

كيف أنت والليل؟ قال ما راعيته قط يرض وجهه ثم يصرف وما تأملته . وقال أبو سليمان النخعي أهل الليل في ليهم أشد لذة من أهل الله في لهوم . وقال بعضهم ليس في الدنيا شيء يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل الخلق في قلوبهم بالليل من حلاوة الناجاة حلاوة الناجاة ثواب عاجل لأهل الليل . وقال بعض العارفين إن الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين في الأسحار فيملؤها نورا فتد القوائد على قلوبهم .

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو سعيد الخدري في مسند الصوفية وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل عن الجال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن امرؤ حبيب إلى الجمل الحديث هو الذي قبله في السائل وقد تقدم (٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا خيلة السنن وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذي وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلها الصنف حديثا واحدا .

ما ترى فيها أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والطعم فقال يا ابن أخي: كل شيء واشرب الله والبس
 الله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباحة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من
 الخدمة ما كان يحالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يعلف الناضح ويعقل الهير ويقم
 البيت ويعلب الشاة ويخفف النمل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطعم عنه إذا أعيا وبشترى
 الشيء من السوق ولا يمنه من الحياء أن يملقه بيده أو يحماه في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله بصافح
 التني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسوداً أو أحمر حراً أو عبد
 من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة مخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر
 ولا يحقر مادي إلى وإن لم يجد إلا حشف النمل لا يرفع غداً لعشاء ولا عشاء لعشاء إن كان أشعث أغبر
 الخلق كريم الطبيعة جميل الماشية طليق الوجه بسام من غير ضحك عزون من غير عبوس شديد في غير
 عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيب لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق
 لم يشم قط من شبع ولا بد منه من طمع ، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بما
 قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذما أخبرك أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً ولم يث إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار
 والغنى وإن كان ليظلم جائعاً ياتئى ليلته حتى يصبح فما يمنه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه
 فيؤتي بكنوز الأرض ومزارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لقل ودع بما بكت رحمته
 مما أوتي من الجوع فأصبح بطنه يئس وأقول نسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يؤتك
 وعملك من الجوع فيقول يا عائشة ياخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا
 فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجذني أستحي إن ترفعت في معيشتي
 أن يقصر بي دونهم فأصبر أياماً يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غداً في الآخرة وما من شيء أحب
 إلي من اللوحى ياخواني وأخايلي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بذلك جمعة حتى قبضه
 الله عز وجل (١) . فما نزل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب
 التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عمله صلى الله عليه وسلم ولم يرض نفسه بما رضى هو به
 فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به
 ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالاسلام قلن نطلب العز في غير ما عوتب في بذاته
 هيئته عند دخوله الشام . وقال أبو البرداء : اعلم أن الله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء
 هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا
 الناس بكرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع
 المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تحين وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله
 واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقاً أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه
 السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه . واعلم يا أخي أنهم لا يلعبون شيئاً ولا يؤذونه

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحالج في بيته كان يعلف الناضح الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت
 على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط
 شبعاً الحديث بطوله لم أقف لها على إسناد .

فتستريح ثم تنكسر من
 قلوبهم القوائد إلى
 قلوب الغافين . وقد
 ورد أن الله تعالى أوحى
 في بعض ما أوحى إلى
 بعض أنبيائه أن لي
 عباداً يحبوني وأحبيهم
 وبشئنا قلوبهم إلى
 وأشتاق إليهم
 ويدكروني وأذكروني
 وينظرون إلي وأنظر
 إليهم فإن حسنات
 طريقهم أحببتك وإن
 عدلت عن ذلك متبتك
 قال يارب وما علامتهم
 قال يراعون الظلال
 بالنهار كإبراهيم الرامي
 غنمه ويحنون إلى
 غروب الشمس كما تحن
 الطير إلى أوكارها فإذا

ولا يحقرته ولا يتناولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرسون على الدنياء أطيب الناس خيرا أوليهم
عريكة وأصحابهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا
في غفلة ولكن مداومين على حلهم الظاهر وهم فيها بينهم وبين ربهم لاتدرهم الرياح العواصف
ولا الحيل المبراة فالهمهم تصمد اربياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدماء في استباق الخيرات سأولئك حزب
الله ألا إن حزب الله هم الناجون - . قال الراوى : فقلت يا أبا الدرداء ما صحت بصفة أشد على من
تلك الصفة وكيف لى أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون فى أوسعها إلا أن تكون تبغض
الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة زهد فى الدنيا وبقدر
ذلك تبصر ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتفه بالعدسة . واعلم
يا ابن أخى أن ذلك فى كتاب الله تعالى المنزل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - . قال يحيى
ابن كثير فنظرنا فى ذلك فما تلقذ التلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين
لك يارب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
(بيان الطريق في معالجة الكبر وكتاب التواضع له)

اعلم أن الكبر من اللسكت ولا يخاف أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول
بجهد التقي بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القائمة له وفى معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من
سنته وقلع شجرته من مغرسها فى القلب . الثانى دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التى بها يتكبر
الانسان على غيره . للقام الأول : فى استئصال أصله وعلاجه على وعمل ولا يتم الشفاء إلا بجموعهما
أما الذى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك فى إزالة الكبر فإنه مهما عرف
نفسه حق للفرقة علم أنه أقل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة
والهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده
فالقول فيه يطول وهو منتهى علم الكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا بطول ولكننا نذكر من
ذلك ما ينفع فى إثارة التواضع ولذلك يكفيه أن يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله فإن فى القرآن
علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما كرهه من أى شيء خلقه
من نقطة خلقه قدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشأه - فقد أشارت الآية إلى
أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول
الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان فى حيز العدم دهورا بل لم يكن لدمه أول وأى
شيء أخس وأقل من الجو والعدم وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من
أقذرهما إذ قد خلقه من تراب ثم من نقطة ثم من علقه ثم من مضضة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم
لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس
الأوصاف والنوع إذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس
ولا يتحرك ولا ينطق ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضمه قبل قوته وبجهله
قبل علمه وبجهالة قبل بصره وبصمته قبل حسمه وبكفه قبل نطقه وبخلاته قبل هدهاءه وبقره
قبل غناه وبجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أى شيء خلقه من نقطة خلقه قدره - . ومعنى
قوله - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نقطة
أشجاع نبئيه - كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تيسر
له فى مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نقطة أشجاع نبئيه فجعلناه جميعا بصيرا إنا هدينا

جهم الليل واختلط
الظلام وخلل كل حبيب
عجيبه نصبوا لى
أقدامهم واقترعوا لى
وجوههم وناجسوا
بكلهم وتمتعوا إلى
يلناى فبين صارخ
وباك وبين متأوه
وشاك يفتى ما يتحملون
من أجلى وبسمى
ما يشكون من حوى
أول ما أعطيتهم أن
أقلد من نورى فى
فلوهم فيخبرون عنى
كما أخبر عنهم والثانى
لو سكنت السموات
السبع والأرضون
وما فيها فى موازيمهم
لاستقلتها لهم والثالث
أقبل بوجهى عليهم

السييل إما شاكرًا وإما كذورًا - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جماد ميتا ترابا أولا ونطفة ثانيا وأمه بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقدًا للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من الجائبات والآيات بعد الفقد لها وأعانه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوّره وإلى السيل كيف يسره وإلى طيفان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خيم مبين - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف خلقه من تلك الذلة والنطفة والخسة والقدارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيًا بعد الموت وناطقًا بعد البكم وبصيرًا بعد العمى وقويًا بعد الضعف وعالمًا بعد الجهل ومهديًا بعد الضلال وقادرًا بعد المعجز وغنيا بعد الفقر فسكان في ذاته لا شيء وأى شيء أحسن من لا شيء وأى قوة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئًا وإنما خلقه من التراب الدليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضًا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمتها وجلاله وأنه لا يليق بالكبرياء إلا به جلّ وعلا ولذلك امتنّ عليه فقال - ألم نجعل له عتين ولسانًا وشفهين وهدينا له النجدين - وعرف خسته أولا فقال - ألم يك نطفة من مئى - معنى ثم كان علقه - ثم ذكر منته عليه فقال - خلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكور والأنثى - ليديم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع فلو كان هذا بدوّه وهذا أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والقصر والخيلاء وهو على التحقيق أحسن الأخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته ففزع بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يعطى وينسى البدأ والنهى ولكنه سلب عليه في دوام وجوده الأمراض المائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من اللذة والغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويسقط كرها ويعرض كرها ويموت كرها لا يملك نفسه فقام ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء وينفل عنه فلا يفتل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما بهمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتهللكه وترديه ويستبشع الأدوية وهي تنفمه ونحييه ولا يأمن في لحظة من ليله أوهاناره أن يسلب سمعه وبصره وتلقح أعضاؤه ويغتلس عقله ويغتنظ روحه ويسلب جميع ما بهواه في دنياه فهو مضطرب ذليل إن ترك بقى وإن اختطف في عبد مملوك لا يقدّر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأى شيء أذلّ منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبير به لو لاجله فهذا أوسط أحواله فليتأمله. وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادًا كما كان أول مرة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منقطة قدرة كما كان في الأول نطفة مذرة ثم تلى أعضاؤه وتفتت أجزاؤه وتخر عظامه ويصير رميا رفاتا ويأكل الدود أجزائه فيتبدى بمعدته فيعلمها ويغذيها فيقطعها ويأثر أجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحبوبان ويستفدّره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإثتان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابا يعمل منه السكران ويمعن منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كأن لم يكن بالأس حصيدا

أفستري من أثبت
بوجهي عليه أيل أحد
ما أريد أن أعطيه
فالساق للربذ أخلا
في ليله بمناجاة ربه
انتشرت أنوار ليله على
جميع أجزاء نهاره
ويصير نهاره في حماية
لله وذلك لامتلاء قلبه
بالأنوار فتكون حركاته
وتصاريفه بالهارة
تصدر من منبع
الأنوار المتجمعة من
الليل ويصير قلبه في
قبة من قباب الحق
مسددا حركاته وموفرة
سكناته. وقد ورد من
صلى بالليل حسن وجهه
بالنهار ويجوز أن
يكون لمعتين: أحدهما

كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك لما أحسنه لوترك ترابا ، لا يل يحبه بمدلول البلى ليقاسى شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزاءه المتفرقة ويخرج إلى أهوال القامة فينظر إلى قامة قائمة وساء مشقة ممزقة وأرض مبدلة وجمال مسيرة ونجوم منكسرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة ومللثة غلاظ شداد وجهم تفرج وجنة ينظر إليها المجرم فيتجسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها لمسكان رقيان يكتبان عليك ما كنت تتطرق به أو تعلمه من قليل وكثير وقهر وقطمر وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحساه الله عليك فلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فيقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من عذابه فإذا شاهده قال - يا ويلتنا ما لهذا الكتاب يا بادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فمالئ هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله والفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والياد بالله تعالى رجما أشتار أن يكون كذا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطابا أوليقي عذابا وإن كان عند الله مستحقا للثأر فالحزنرا أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يعزل عن الحساب والعذاب والسلب والحزنرا لا يهرب منه الخلق ولورأى أهل الدنيا العبد للذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقه وقبح صورته ولو وجدوا ربحه لمساتوا من نقته ولو وقت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنثى من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويطر وكيف يشكر ويتعجب وكيف يرى نفسه شيئا حتى يستغفله فضلا لى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم فضله ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله أرايت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنائنه ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدرى أيى عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أقرى أنه يشكر على من في السجن ومامن عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكشف ذلك حزننا وخوفنا وإشفافا ومهانته فلا بدنا هو العلاج العلمى القامع لأصل الكبر وأما العلاج العلمى فهو التواضع لله بالفعل وللساثر الخلق بالمواظبة على أخلاق التواضعين كما وصفناه وحكيته من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» (١) وقيل لسان لم تلبس ثوبا جديدا فقال إنما أنا عبد فإذا اعتقت يوما لبست جديدا أشار به إلى التقى في الآخرة ولا يتم التواضع بمد المعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جعلها ما فيها من التواضع بالثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما بأنثون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكسر رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يا بعت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا أؤخر إلا قائما فباعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قفه وكل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن الشككة تستبر بالمصباح فإذا صار سراج اليقين في القلب تزهركرة زيت العمل بالليل فيزداد للمصباح إشراقا وتعتكسب مشكاة القلب نورا وضياء . كان يقول سهل بن عبد الله اليقنين نار والإقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى - سيام في وجوههم من أثر السجود - وقال تعالى - مثل نوره كشكاة فيها مصباح - فنور اليقين من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضياء يزيث العمل فتنق زجاجة

- (١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم في آداب العيشة
- (٢) حديث حكيم بن حزام يا بعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا أؤخر إلا قائما الحديث رواه أحمد مقتصرا على هذا وفيه إرسال خفي .

فلما كان السجود عندهم هو منجى الذلة والضعف أمروا به لتتكسر بذلك خيالاتهم ويذول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود وللثول فأما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على يقضيه حتى يصير التواضع له خالقا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لحفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم اللسكوت والقلب من عالم اللسكوت . القام الثاني : فما يعرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما معاده مما يغني بالموت فكأن وحى فمن هذا يصر على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن جتره الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه نمزج بكمال غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بأباه ذوى شرف لقد صدقت ولكن بئس مالودا

فالتكبر بالنسب إن كان خسيرا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أقرى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيأت بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نقطة قدرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - فمن أصله التراب الهين الذي يدا من الأقدام ثم خرج طينة حتى صار حما مستونا كيف يتكبر وأحسن الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال بالأدنى من التراب وبأنتن من الحماة وبأفتر من اللصقة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب . فنقول : افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة واللصقة أقرب إليه من الأب فيحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفة لقربه فألب الأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رفة فمن أين جاءت الرفة لولده فاذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تفصل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والدها فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لانشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتماطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استعمار الخزي لحخته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تمسك في أصله وعلم أنه من النطفة واللصقة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجارة أو غيره هل كان يعلم به خسة نفسه لماسة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القدرة التي يتردها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر المقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عليه نمزجه بالجمال فانه وكل به الاقتدار في جميع أجزائه الرجيع في أمماته والبول في موائته والمخاط في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصدید تحت بشرته والصلان تحت إبطه بفصل الغائط يده كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لورآه بئس

القلب كالكوكب .
البرى وتنكس أنوار
الرجاحة على مشكاة
القلب وأيضا يلين
القلب بنار النور
ويسرى لينه إلى القلب
فيلين القلب بالين القلب
فيقشاه بان لوجود اللين
الذي صمهما . قال الله
تعالى - ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
وصفا لجلود بالين كما
وصف القلوب باللين
فاذا امتلأ القلب بالنور
ولان القلب بما يسرى
نفسه من الأنس
والسرور ويندرج
الزمان واللسكان في نور
القلب ويندرج فيه
السكام والآيات والنور

لاستقدره فضلا عن أن يسه أو يشمه كل ذلك يعرف قدرته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من اللثة كرجى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقدر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر . بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرم إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلاقه وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدا بالتنظيف والسسل لثارت منه الأتتان والأقدار وصار أنتن وأقذر من الدواب اللهم العني لا تمهد نفسك قط فإذا نظر أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيموت فيصير جيفة أقدر من سائر الأقدار لم يتفخر بجماله الذي هو تكتسره السمن وكون الأزهار في البوادي فيها هو كذلك إذ صار هشبا تدرره الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبايع خالبا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبيح القبيح إليه فيغيبه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جميلة قد سمحت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تفرغ من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأمها . السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ويمتعه من ذلك أن يعلم حاصلط عليه من الملل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه اللذات شيئا لم يستغنى عنه وأن بقية لو دخلت في أنفه أو نمت دخت في أذنه لقتلته وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته وأن حصى يوم تحلل من قوته حالا ينجر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقية ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذباية فلا ينبغي أن يتفخر بقوته ثم إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من سحر أو بكرة أو ذيل أو جمل أو أى اختار في صفة يسبقك فيها البهائم . السبب الرابع والخامس : التنى وكثرة المال وفي مناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهنهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فان التكبر بعالمه كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا وللتكبر يتمسكن السلطان وولايته لا يصفى في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف وللتكبر بالتنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه فى التنى والثروة والتجمل فأشرف يسبقك به اليهودى وأشرف يأخذ السارق لحظا واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال وسنالك فالفاخر به غاية الجهل وكل مالىس إليك فليس لك شئ من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه لك وإن استرجعه زال عنك وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شئ ومن عرف ذلك لا يد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يتفخر العاقل بقوته وجهاله وماله وحرته واستقلاله وسعة منازل وكثرة خيوله وغلامه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصوب بأنه رقيق لهلان وأن أبويه كانا مملوكين له فلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكة فأخذته وأخذ جميع ما فى يده وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه ويشكل به لتفريطه في أهواله وتقصيره في طلب مالكة ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أهدت به الحيات والقارب والمهام وهو فى كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا إلى الخلاص البتة أفترى من هذا حاله هل يغفر بقدرته وثروته وقوته وكاله أم تغفل نفسه ويغضب ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض
القلب بنور ربها إذ
يصير القلب صماء
والقلب أرضا ولذة
تلاوة كلام الله فى عمل
للتناجاة تستر كون
الكائنات والكلام
المجيد بكونه يوجب
عن سائر الوجود فى
مزاحمة صفو الشهود
فلا يبقى حينئذ لنفس
حديث ولا يسمع
لها جس حسي وفى
مثل هذه الحالة يتصور
تلاوة القرآن من
فأعته إلى خاتمة من
غير وسوسة وحديث
شس وذلك هو الفضل
العظيم . الوجه الثانى
لقوله عليه السلام

عاقلة بصيرة فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته ويبدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشبهات وأمراض وأسقام هي كالتقارب والحيات يخاف منها الهلاك، فمن هذا حاله لا يتكبر بقوة وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فلهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الحاركة وهو أن من علاج التكبر بالملم والعمل فانهما كالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما نذكره.

السبب السادس : الكبر بالملم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر الملم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرها بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل، ولذلك قال كعب الأحمري : إن للملم طينانا كطينان للمال ، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زلزل يزلته عالم فيجزع العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجهل لكثرة مانتق الشرع بفضائل الملم ولأن قدر العالم على دفع الكبر إلا معرفة أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكد وأنه يحتمل من الجهل ما لا يحتمل عشرة من العالم فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم غنايته أغشى إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدورها كما يدور الحمار بالراحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت أرحم بالخير ولا آتبه وأنهى عن الشر وآتبه^(١) » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود ، وقال في بلمين باعوراء - وأتل عليهم نبأ الذي آتيناها فانساع منها - حتى بلغ - فقتله قتل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوفى بلمع كتابا فاحله إلى شهوات الأرض أي سكن حبه إليها فقتله بالكلب - إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - أي سواء آتيته الحكمة أو لم أوتيه لا يبدع شهوته ويكنى العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته وأى عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتبه فهما خطر للعالم عظيم قدره بالإضافة إلى الجهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالمالك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر اشتبهى أن يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشبهى في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه إن كان من أهل النار فالخزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : يا ليتني لم تلدني أمي وبأخذ الآخر تبنة من الأرض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أو كلبا ويقول الآخر ليتني لم أكن شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فسكرة في الخطر الذي هو بصدده زال بالسكينة كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد الله بن مسعود بأمره فشرع فيها فترك بعضها وأدخل نقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما رتبته سيده أم لا فأخبره خبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويقيه على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به الجهد أمر برفع حسابه وفقش عن جميع أعماله قليلا وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فصل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فإذا تهاكر

(١) حديث يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد بلفظ يؤتى بالرجل وتهدم في الملم

« من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار » معناه أن وجوه أموره التي يتسوجه إليها تحسن وتتدارك العونة من الله الكريم في تصاريقه ويكون معانا في مصدره ومورده فيحسن وجهه مقاصده وأفعاله وينتظم في سلك السداد مسددا أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [الباب السادس] والأربعون في ذكر الأسباب للعينة على قيام الليل وأدب النوم [فن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل

في ذلك انكسرت نفسه وذلل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احدهم من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تكبر في ضيعته من أوامر ربه بجنايات على جوارحه ويدنوب في باطنه من الرياء والحدود والحسد والعجب والتفاق وغيره وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارق كبره لاعماله . الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار بمخوفنا عداقه بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقاله إن لك عندي قدرا ما لم ترفضك قدرا فإن رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد وأن يكلف نفسه ما يجبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصور ذلك وهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علوا أن من فزع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله عملهم فهذا أيضاً مما يسهل على التواضع لاعماله . فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق والبدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخشى أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والبدع أكثر . فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالنفكر في خطر الحاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكن أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختمه بالإيمان ويضل هذا العالم فيختمه بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والحنزير أعلى رتبة عن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكف من مسلم نظر إلى محرر رضى الله عنه قبل إسلامه فاستحقه وازدراه لكفره وقد رضى الله الانعلاء وفاق جميع المسلمين إلا أبكر وحده فالعواقب مطوية بين العباد ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تزداد للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصي الله يجهل وأنا عصيته يعلم فهو أعز مني وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه منا قال هذا قد اطاع الله قبل فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إن عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري الله بعتقه بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كمال لي يكن ابتداءها إلى فملاحظة الحاتمة بقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا يبقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين التكبر والتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه له اقته لا أن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشدة كل إنسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جنايات أو وعدوا بأن تضرب رقابهم لم يفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عهم الخطر إذ شغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات إلى حق غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره . فان قلت فكيف أبغض للبدع في الله وأبغض الفاسق وقد أمرت بضيقتهم مع ذلك أن تواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشبه يتبس على أكثر الخلق إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكف من عابد جاهل وعالم مغرور إذ رأى فاسقا جلوس بجنبه أزعجهم عنده وتمزعه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بني إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على الطبع ظاهر كونه شرا والخير منه ممكن والكبر على الفاسق والبدع يشبه الغضب لله وهو خير فان التضيق أيضا يتكبر على من غضب عليه والتكبر بغضب وأحدهما يشتر الآخر ويوجههما عجزتان متبستان لا يعز بينهما إلا اللو قوتون والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة البدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيها عن المنكر ثلاثة أمور :

القبلة منتظرا محمداً
الليل وصلاة المغرب
مقياً في ذلك على أنواع
الأذكار ومن أولها
التسبيح والاستغفار
قال الله تعالى لئنيتي -
واستغفر لذنوبك وسبح
محمد ربك بالشي
والابكار ومن ذلك أن
يوصل بين العشاءين
بالسلاة أو بالسلاة
أو بالذكر وأفضل ذلك
السلاة فانه إذا واصل
بين العشاءين ينسل
عن باطنه آثار
الكندورة الحادثة في
أوقات النهار من رؤية
الخلق وعخالطهم وسماع
كلامهم فان ذلك كله
له أثر وخش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصرف عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متمتع به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله للنة فيه لالك قترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تكبر . والثالث ملاحظة إيهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما عنت لك بالسوء ونجت له بالحسن حتى يفتلك الخوف عن التكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تغضب لمولاه وميدك إذ أمرك أن تغضب له لانفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحاجة ، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على الغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هورقة عينه وقد وكل الغلام عبدا مطيعا لمولاه فلا يجرب بدأن يغضب أساء أدبه واشتغل بما يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام عبدا مطيعا لمولاه فلا يجرب بدأن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب باستئثار أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لاهالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى البتبع والقاسق وتظن أنه ربما كان قدرها في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك تغضب بحكم الأمر بحجة لمولاه إذ جري ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فنضم إليه الخوف والتواضع . وأما للفرور فانه يتكبر ويرجو نفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الفرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبة بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » (١)

إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك لما عمل بصله وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنة بذهبن السيئات ، وكأن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما يمكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر غالبا عنه لم يجز له أن يعتز علما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فينبئني أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق للذنوب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقت به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا مرغبه فينبئني أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك ينمته من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حق النظر إليهم يعقب
كدر في القلب بدركه
من يرقى صفاء القلب
فيكون أثر النظر إلى
الحق للبصيرة كالقذى
في العين للبصر
وبالمواصلة بين
العشائين يرجى ذهاب
ذلك الأثر . ومن ذلك
ترك الحديث بعد
العشاء الآخرة فان
الحديث في ذلك الوقت
ينذهب طراوة النور
الحادث في القلب من
مواصلة العشائين
ويقيد عن قيام الليل
سما إذا كان عريا
عن نقطة القلب ، ثم
تجديد الوضوء بعد
العشاء الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقّه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فقلعه أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه جباة . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كالوراثية من القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتحيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محموتا وقد جرى للناسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف النطاء يوم القيامة قراه فوق نفسك بدرجات فهذا يمكن والإيمان البعيد فيا عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيها فهو ممكن للترك بل فيها هو عنوف في حقه فانه لا أثر وازرة ووزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فقد تسعة حتى يبلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد عبده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا قبله إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتعني أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا يتنجو وأهلك أنا فلا تراه إلا لاخفاف من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فرحه الله ويتوب عليه ويحتم له بأحسن الأعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي فلا يأت من فيها أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها ثم قال حينئذ كل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فماله السبيل إلى أن يتكبر بهال من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عابدا أوى إلى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله أن يدعوك فأتاه فساء له عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتب فيصدق يصطه ويطعم عياله يصطه فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأنى في النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصغار الذي بهوجبك فأتاه فساء له فقال له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذا الذي يدل على فضيلة هذه الحصلة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجهة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالإشفاق فقال تعالى غير انهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - فحق رال الإشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذا ما يغسده العابد بإضمار الكبر واحتمار الحق والنظر إليهم بسين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .
حتى إلى بعض الفقهاء
من شيخ له بخراسان
أنه كان يغسل في الليل
ثلاث مرات مرة بعد
العشاء الأخيرة ومرة
في أثناء الليل بعد
الالتباه من النوم
ومرة قبل الصبح
فللوضوء والتسل بعد
العشاء الأخيرة أثر
ظاهر في تبسّر قيام
الليل ومن ذلك التعود
على الذكر أو القيام
بالسلاة حتى يغلب
النوم فان التعود على
ذلك يمين على سرعة
الالتباه إلا أن يكون
واثما من نفسه وعادته
فيتمتع بالنوم

لاغير إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضم التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعدّها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في للدواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تسلك بالعمل وتجرب بأفعال التواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس، ويؤاخذ أن يتعشّن النفس بنمّس امتحانات هي أدلة على استخراج مافي الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة: الامتحان الأول أن ينظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فقل عليه قبوله والاعتراف به والاشكر له على تنبيهه وتعرفه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبراً دفيناً فليتنق الله فيه ويستغلّ بملاحه، أما من حيث العلم فإن يذكر نفسه خسة تشمّس وخطراً تتهوان الكبر لا يلبق إلا بالله تعالى وأما العمل فإن يكلف نفسه ما تقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلاً عنه فجزاك الله خيراً كما نهتني له فالحكمة صالحة للؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فإذا واطب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط تقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما تقل عليه الشاء على أقرانه بما فيهم فيه كبر فإن كان ذلك لا يقل عليه في الخلوة ويقل عليه في اللأفليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بماد كرهه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعة في كاله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن تقل عليه في الخلوة والملاّ جميعاً ففيه الكبر والرياء جميعاً ولا ينفسه الخلاص من أحدهما ما يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعاً مهلكان. الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويعلم في الصدور تخمهم فإن تقل عليه ذلك فهو تكبر فليواطب عليه تسكفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزيله الكبر وهما للشيطان مكيدة وهما أن يجلس في صف النعال أو يجلس بينه وبين الأقران بعض الأرفاد فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضاً بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بينهم ولا ينقطع عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن. الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرققاء والأقارب فإن تقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل فنغور النفس عنها ليس إلا لخبث في الباطن فليشتغل بازائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر. الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فإن كان يقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله الله لهلكة له إن لم تدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطلب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لامحالة والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى: إياي آمن أني الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام أنه حمل حزمة حطب قليل له يا أبابوسف قد كان في غلمانك وبتك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم ينع مني بما أعطته من العزم على ترك الأثمة حتى جربها فهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر ومن حمل القاككة أو التي قد بدي من الكبر (١). الامتحان الخامس أن يلبس ثياباً بذلة فإن تغور النفس عن ذلك في اللأرياء وفي الخلوة كبر. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والتاككة قد برى من الكبر البهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضمه بلفظ من حمل بضاعته.

ويستجلبه ليقوم في وقته للمود وإلا فالنوم عن التلبه هو الذي يصلح للريدن والطالبين وبهذا وصف المحبون قبل نومهم نوم الغرق وأكلهم أكل للرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبه بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير وليس الصوف قد يرى من السكير» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبدٌ كل بالأرض وألبس الصوف وأعقل البعير وألق أصابعي وأجيب دعوة للملوك، فمن رغب عن سقني فليس مني» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له إن أنوما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فلبس فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والسكبر فما يخص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو السكبر، فأعرف فان من لا يعرف السر لا يتقيه، ومن لا يدرك اللزج لا يدأويه.

(بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفه الأعلى يميل إلى الزيادة يسمى تكبر أو طرفه الأدنى يميل إلى النقصان يسمى تخاسا ومثله، والوسطية تواضعا. والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسن فان كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى وأوساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم إذا دخل عليه إسكاف فتحنى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تخاسن وتذلل، وهذا أيضا غير محمود بل محمود عند الله المدل، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه لفسوقه فيالقيام والبشرى الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعى في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى شئ خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه بل على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فأذن سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به السكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكفف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التخلق والتخاسن فقد خرج إلى طرف النقصان، فليرفع نفسه إذ ليس المؤمن أن تذلل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في الليل لأحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل، فقيامه بالتبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أخف، وكذلك نهاية التكبر ونهاية النقص والتذلل مذمومان وأحدهما أخف من الآخرة، والمحمود أطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالسر والعادة، ولتتصر على هذا القدر من بيان أخلاق السكبر والتواضع.

الشطر الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه.

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى - ويوم نحسب إذا همجيتكم كثرتمكم فلم تكن عنكم شيئا - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم ما فتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

(١) حديث من اعتقل البعير وليس الصوف قد يرى من السكبر اليعمرى فيبقى في الشعب من حديث أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم اليعمرى ضيف جدا.

(٢) «إنما أنا عبد كل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

هو التجاني الذي قال الله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - لأن الله يقيم الليل وصدق المزمعة يحمل بين الجنب والمضجع نبوة أو تجافيا وقد قيل فانفس نظران: نظرا إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظرا إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية. فأرباب العزاسة تجافى جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرمانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها فانفس

يعجب الانسان بعمل هو مخطيء فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . وقال صلى الله عليه وسلم
 « ثلاث مهلكات شمع مطاع وهوى متبع وإعجاب للرب نفسه ^(١) » وقال لأبي ثعلبة حيث ذكر آخر
 هذه الأمة ، فقال « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن نفسك ^(٢) » .
 وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لاتنال إلا بالسمي
 والطب والجِد والتشمر والقنوط لا يسعى ولا يطلب والعجب يستقدأ أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى
 فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد
 القنوط فمن ههنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت
 خيرا فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تعتدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكنأه أعجبه فعله
 العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح فخرس ذلك عمر فيه فقال ما زال يرف في طلحة تاو منذ أصيبت أصبعه
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) . والتأوهو العجب في اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحترق مسلا
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن أبيت
 نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح ممجبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لولم تذبوا
 لحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب ^(٤) » فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور
 من الذين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة قلوبهم على العباداة فأطال الصلاة بواو رجل خلفه ينظر
 ففطن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يجنبك مارأيت متى فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله
 تعالى مع اللاتكة مدة طويلة ثم صار إلى ماصار إليه . وقيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل
 مسيا قالت إذا ظن أنه محسن وقد قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى سألن نتيجة استعظام
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مدموم جدا .

(بيان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى
 نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يدركها ولا يتفقدتها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فيسأها وما
 يتذكره منها فيستغفره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفره . وأما العبادات
 والأعمال فانه يستعظمها ويتبعج بها وعن طي الله فعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتسكين منها
 إذا أعجب بها عسى عن آفاتهما ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيها ضايعا فان الأعمال الظاهرة
 إذا لم تكن خالصة هية عن الثواب قلما تنفع وإنما يتفقد من يثلب عليه الإحسان والخوف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبي ثعلبة إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن نفسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث
 وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخاري من رواية قيس
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لولم تذبوا لحشيت
 عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث
 أنس وفيه سلام بن أبي الصهيا قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه
 أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جدا .

بما فيها مركز من
 التراب والجمادية ترسب
 وتستعسل وتستل
 النوم . قال الله تعالى
 - هو الذي خلقكم من
 تراب - ولأدى بكل
 أصل من أصول خلقته
 طبيعة لازمة له .
 والرسوب صفة التراب
 والكسل والتقاعد
 والتناوم بسبب ذلك
 طبيعة في الانسان ،
 فأرباب الهمة أهل العلم
 الذين حكم الله تعالى لهم
 بالعلم في قوله تعالى - آمن
 هو قامت آتاء الليل
 ساجدا وقائما - حتى
 قال - قل هل يستوى
 الذين يعلمون والذين
 لا يعلمون - حكم لمؤلاء
 الذين قاموا بالليل بالعلم

دون العجب والعجب يتر بنفسه وبأيه ويؤمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منه وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويذكرها وإن أعجب بأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة والاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه وأيه ويستكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأى الخطأ الذي خطره ليفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا يعظ وعظا بل ينظر إلى غيره بين الاستجبال ويصر على خطئه فان كان رأيه في أمر ديني فيحقق فيه وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يثق رأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وروايل على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من للهلكات ومن أعظم آفاته أن يغتر في السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهالك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللمالك بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان: أحدهما أن يكون خائفا على زواله ومشقفا على نكدره أو سلبه من أجله فهذا ليس بعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فان انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفاسق مما هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى نفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعين عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تحلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تعلق تستكبر - أي لا تدل بعملك وفي الخبر « إن صلاة للدل لاترفع فوق رأسه ولأن تضعك وأنت معترف بذنبك خير من أن تكبر وأنت مدل بعملك » (١) والادلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فان توقع إجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لأنه لا يتمتع من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلّة العجب الجهل المحض فمعالجه المعرفة للضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار المبدأ كالعبادة والصدقة والزو وسياة الخلق وإصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه

(١) حديث إن صلاة للدل لاترفع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

فهم لموضع علمهم
أزجروا النفوس عن
مقار طبعها ورقوها
بالنظر إلى اللذات
الروحانية إلى ذوا
حقيقتها فتجافت
جنوبهم عن المضاجع
وخرجوا من صفة
الغافل المراجع . ومن
ذلك أن يشير العادة
فان كان ذا وسادة
يترك الوسادة وإن
كان ذا وطاء يترك
الوطاء وقد كان بعضهم
يقول لأن أرى في بيتي
هيطانا أحب إلى من
أن أرى وسادة فانها
تدعوني إلى التلوم
وتنشير العادة في
الوسادة والطناء

فهو محله وعجراه أومن حيث إنه منه ويسببه وبقدرته وقوته فان كان يجب به من حيث إنه فهو هو محله وعجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر ويجرى لامدخل له في الابداد والتحصيل فكيف يجب بما ليس إليه وإن كان يجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عملها بها من أين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يبدل بها فينبغي أن يكون إعجابه بمجود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز للملك لعلانه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لصفة فيهِ ولا وسيلة ولا لجلال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب للنعم عليهم من فضل الملك وحكمه وإشارته من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا يبنى أن يجب هو بنفسه ، لم يجوز أن يجب البديقيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فقلوا أنه غطن في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الاشارة بالخلة ولما آثر بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كالو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأن صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو القدي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام مما أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا تفك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق اللوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك اللوك التفرد باختراع الجميع التفرد بإيجاد الموصوف والصفة فانك إن أعجبت بعبادتك وقلت وقفني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال والحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بمجوده إذ أنهم موجودك ووجود صفاتك ووجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذا لامني لسبب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجليل بجماله وعجب الثفي بشفاه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده . فان قلت : لا يمكن أن أجهل أعمالي وأنى أنا عمتها فأنى أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عمل لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب بها . فاعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر فيمساءعة . أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إحصاء العين بل خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تتقي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في القوى وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريج في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سبحانه تقريره في كتاب الشكر فانه أليق به فارجح إليه ، ونحس الآن نزول إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مساهمة ما وهو أن تعجب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأثير في ذلك
ومن ترك شيئا من
ذلك والله عالم بنيه
وعزته شبيه على ذلك
بتيسير مآرام ومن ذلك
خفة المعدة من الطعام
ثم تناول ما يأكل من
الطعام إذا اقترن بذكر
الله ويظن الباطن
أعان على قيام الليل
لأن بالذكر يذهب
داؤه فان وجد للطعام
ثقال على المعدة يبنى
أن يعلم أن ثقله على
القلب أكثر فلا ينال
حق يذيب الطعام
بالذكر والتسلاوة
والاستغفار قال بعضهم
لأن أقص من عشائ
لعمه أحب إلى من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لامتك فان كان العمل بالقدره فالقدره مفتاحه وهذا القدره بيد الله ومهما لم يملك القدره فلا يملكك العمل فالعبادات خزان بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدره والإرادة والعلم وهي بيد الله لا محالة رأيت لورايت خزان الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها أنفست لم يملكك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك القدره لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن للفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمدت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطائك الخازن للفتاح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن الزئنة في تحريك اليد بأخذ المال قرية وإعسا الشأن كله في تسليم للفتاح فكذلك مهما خلقت القدره وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوانع والصوارف حتى لم يبق صارف لإلغاف ولا باعث إلا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتيسير الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وفضله وكرمه في إشارته إليك على الفساد من عباده إذ سلط دواعي الفساد على القساق وصرفها عنك وسلط أخذان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريئة سابقة من الفاسق العاصي بل أترك وقدمك واصطفاك بفضل وأبد العاصي وأشقاه بدله فما أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذا لاتصرف قدرتك إلى القدرور إلا بسلط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها فمكأنه الذي اضطررك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والثناء لاك ومياني في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسببات ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب بمن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأضره عن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعت قوت يوحى وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو العاقل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظاهرا ولا يدري الضرر أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والتمني وحرمتني منها فإلما جمعتهم إلى أهول رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء قراء فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الثني أحرص حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جملة وغناه عوضا عن عقلك وقدرتك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم تعجب من ذلك وللرأه الحسنة الفقيرة ترى الحلى والجواهر على اللميمة التبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزئنة ويخص مثل ذلك القبيح ولا تدرى الفروقة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين القبيح مع الثني لأثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتني الدنيا وأعطينيها الجاهل كقول من أعطاه لللك فرسا فيقول أيها لللك لم لا تعطيني الفلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لاتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فبأى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطالبها نعمة أخرى؟ فهذه أو هام لاخلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم الحق بأن البعد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والإدلال ويورث الخشوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب

أن أقوم لله والأحوط
أن يوتر قبل النوم
فانه لا يدري ماذا يحدث
ويستظهره وسواك
عنده ولا يدخل النوم
إلا وهو على الطهارة.
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا نام
العبد وهو على الطهارة
عرج بروحه إلى العرش
فكانت رؤياه صادقة
وإن لم ينم على الطهارة
قصرت روحه عن
البوغي فتكون المنامات
أضغاث أحلام
لا تصدق » وللريد
للتأهل إذا نام في
الفرش مع الزوجة
ينتفض وضوءه باللس
ولا يفته بذلك فائدة

بعلمه وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تاني ليقه إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما عثر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلي وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إلي ما داود من أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا في ولولوا عوني إياك ما بقيت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بسببه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدله به حق وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك بآبراهيم وإسحق ويعقوب فقال إني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا في أى شهر ولا في أى يوم وأنا عتبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بأمرأة فأحذر نفسك فوقع فيها وقع فيه وكذلك لما اتسكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة (١) وكما إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تهن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آتت هوائك على هوائ فرودي من غمامة بشرة آلاف صوت يا أيوب أتى لك ذلك أم من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضعته على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكأ منكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « ما منكم من أحد ينجي عمله قالوا ولأنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته (٢) » ولقد كان أصحابه من بعده يمتنون أن يكونوا ترابا وتينا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج التام لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والقساك وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالي أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالي أن يعود ويسترجع ما وهب فكف من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يقي معه محب بحال ، والله تعالى أعلم .

(بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يجب بمالاتكبر به كعجه بالرائى الخطأ الذى زين له بجهله لمابه العجب ثمانية أقسام : الأول أن يجب بيده في جماله وهيبته ومجده وقوته وتتاسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فليفت إلى جمال نفسه ونسب أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في السكر بالجمال وهو التفكير في أقدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجليلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت في التراب وأنتنت في القبور حتى استقرتها الطباع . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

(١) حديث قولهم يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة البرقي في دلائل النبوة من رواية الريح بن أنس مرسل أن رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فسق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم - ولابن مردويه في تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثيرهم فقالوا اليوم شاقل قفروا ، فيه الفرع بن فضالة من الجمهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجي عمله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

النوم على الطهارة ما لم
يستترسل في التذاذ
النفس باللس ولا يعدم
قطة القلب فأما إذا
استترسل في الالتذاذ
وغفل فتعجب الروح
أيضا لمكان صلته
ومن الطهارة التي تتمر
صدق الرؤيا طهارة
الباطن عن خدش
الدنيا والتستره عن
أنجاس النل والحد
والحسد وقد ورد من
أوى إلى فراشه لا ينوى
ظلم أحد ولا يحقد على
أحد فغفر له ما جترم
وإذا طهرت النفس
عن الرذائل انجلت
مرآة القلب وقابل

حين قالوا فإنا أخبر الله عنهم - من أشد منا قوة - وكما اتسلل عوج على قوته وأعجب بها فافتلح جبلا
ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فكتب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقره هدهد ضعيف النفاذ
حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سلمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن
الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى فجزم ما أراد من الولد^(١) وكذلك قول داود عليه السلام
إن ابتليتني صبرت وكان إيجابا منه بالقوة فلما ابتلى المرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة المهجوم في
الحروب وإلقاء النفس في التهلكة واللبادرة إلى الضرب والقتل لسكل من قصد به السوء وعلاجه
ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حصى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلها الله تعالى بأذى آفة
يسلها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والتفطن للقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وممراته
الاستعداد بالرأى وترك للشورة واستتجبال الناس الخافقين له ولرأيه ومخرج إلى قلة الإحصاء إلى أهل
العلم إعراسا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستتقاراهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على
ما رزق من العقل ويفكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويحين بحيث يضحك منه
فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليس تقصر عقله وعلم أنه ما أوتى من
العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله مما عرفة الناس أكثر مما عرفة فكيف بما لم يعرفه الناس
من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحمى كيف يسجون بقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر
أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم تصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله
من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يداهنه يفتي عليه فزيده عجباً وهو لا يظن
بنفسه إلا الخير ولا يظن لجهل نفسه فيزاد به عجباً . الرابع : العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية
حتى يظن بعضهم أنه ينحدر بشرف نسبه ونجاة آياته وأنه مغفور له وتبخيل بعضهم أن جميع الخلق
له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد
جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزرار على النفس واستعظام الخلق
ومدانة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والحصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد
ساوهم في النسب وشاركهم في القبال من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شر من الكلاب
وأجس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يأ أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - أي لا تتفاوت في أنسابكم
لاجتناكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ثم بين أن الشرف
بالنقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - «ولسنا نرسل الله رسولا من أكرم الناس من
أكيس الناس لم يقل من ينتمى إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للموت ذكر أكرمهم له استعدادا^(٢)»
وإما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرب بن هشام وسهيل بن عمرو
وخالد بن أمية هذا البعد الأسود يؤذن فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي
صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أتى كبرها كلكنم بنو آدم وادم من نراب^(٣)»

الروح المحفوظ في النوم
وانتشرت فيه هجائب
النسب وغرائب الأبناء
ففي السديقين من
يكون في منامه مكالة
وعادة فيأمره الله
تعالى وينهاه وبهيمه
في المنام ويعسره
ويكون موضع ما فتح
له في نومه من الأمر
والنهي كالأمر والنهي
الظاهر يهيئ الله تعالى
إن أدخل بها بل
تكون هذه الأمور
أكدا أعظم وقالان
الخالفات الظاهرة
تحموها التسوية
والثابت من النسب
كن لأذهب له وهذه
أوامر خاصة تتعلق بحاله

- (١) حديث قال سلمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة
- (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكيس الناس قال أكثرهم للموت ذكر أكرمهم
- (٣) ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في ذكر الوت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يامعشر قريش لآتأى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد فأقول هكذا أى أعرض عنكم ^(١) » فينبأ أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش - ولما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد يافضة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملها لأفطسكا فأتى لأغنى عنكم من الله شيئا ^(٢) » فن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اتقدي بهم في التقوى والتواضع - وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما اتقى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق - فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إني لأغنى عنكم من الله شيئا إلا أن لكم رحمانا بلها يلالها ^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سلم شفاعتي ولا أرجوها بنو عبد المطلب ^(٤) » ذلك يدل على أنه سيخسر قرايته بالشفاعة - فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتق الله أن ينسب عليه فاته إن ينسب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب اللقت فلا يؤذن في الشفاعة له إلى ما يفي عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تجب منه الشفاعة. وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن أَرْضَى - ويقول - من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه - ويقول - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - ويقول - فما تنفعهم شفاعته الشافعين - وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لاحالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لم أقر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها عن النصية ولسكان بأذن لها في اتباع الشهوات لتكفل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكفل لذاتها في الآخرة فالإهمال في الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي إهمالك للرئيس في شؤناته اعتداء على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعي الطبيب ومهنته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتداء على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال الزاج فهكذا ينبغي أن تنهم عن عناية الشفاء من الأنبياء والصالحين للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لازيل الخوف والحدوكيف زيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم ،

(١) حديث يامعشر قريش لا يأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بنى هاشم وسنده ضيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد يافضة بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة زوراه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للتقدم لفاطمة وصفية ألا إن لكم رحما سألها يلالها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سألها يلالها (٤) حديث أرجو سلم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصير من حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلاهما ضيف جدا .

فيا بينه وبين الله تعالى
فاذا أحل بها غشى
أن يقطع عليه طريق
الإرادة ويكون في
ذلك الرجوع عن الله
واستجاب مقام اللقت
فان ابتلى العبد في بعض
الأحايين بكسل وفنور
عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند النوم بعد
الحدث يمسح أعضائه
بالماء مسحاً حتى يخرج
بهذا القدر عن زمرة
العافلين حيث تفادى
عن فصل التلطين
وهكذا إذا كمل عن
القيام عقيب الانبهاء
يجتهد أن يستاك
ويمسح أعضائه بالماء
مسحاً حتى يخرج في

فكيف يجب بنفسه وبشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهول وعلاجه أن يتفكر في عازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأتهم الملقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأثامهم وأقذارهم لاستنكف منهم وتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسب إليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ظلمهم في القيامة وقد تعلق الحماهم وللأثمة أخذون بنواصيرهم وعجزهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكن انتسابه إلى السلك والخزير أحب إليه من الانتساب إليهم حتى أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على صلاته دينهم ويستغفروا لأنهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسبهم فجعل محض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والعلمان والعشيرة والأقارب والأصهار والأيتام كما قال الكفار - نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال المؤمنون يوم حين لا تغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في السكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفه وأن كلهم عبيد محزنة لا يعلكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا - و - كم من قلة غلبت قلة كثيرة باذن الله - ثم كيف يعجب بهم وأتهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا غير فيسلونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يفتنون عنه شيئا وهو في أحرج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر للره من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تستل على من لا ينفعك ، وتنتسى نعم من يملك تمنك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يعدو إليك فقره ^(١) » وذلك للعجب بالنفي وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال فاد ورأى ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يمشي في حقله قد أعجبتته نفسه إذ أماره الأرض فأخذته فهو يتجلبل فيها إلى يوم القيامة ^(٢) » أشار به إلى عقوبة إغماره بماله ونفسه ، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل للسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جباد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ^(٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال بين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخاف المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فقصيره إلى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

ثقلاته وانتباهاته عن زمرة الغافلين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مزارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فلما على جنبه الأيمن كاللحود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالنبت المسجى ويقول بامسك اللهم وضعت جنسي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فافقر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فاقبض منه الحديث رواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حقله قد أعجبتته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أرى در كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل للسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وبه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ابن حبان في صحيحه .

يحسنون صنعا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة ^(١) وبذلك هلكت الأمم السالفة إذا فترت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون - وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لمعجبهم بأرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطئه ولوعرفه لتركه ولا يبالغ الداء الذى لا يعرف والجهل داء لا يبرف تخسر مدوا تهجد الآن العارف بقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيل عنه إذا كان معجبا برأيه وجهله فان لا يصنى إلى العارف ويترحمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب بما هو سبب سعادته فى اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متها لرايه أبدا لا يفتربه إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أوسنة أو دليل عقلى صحيح جامع لتسروط الأدلة ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن التلطيف فيها إلا بفرحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمرف فى الطلب وممارسة للكتاب والسنة وعجالة لأهل العلم طول العمر ومداينة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الفاطى فى بعض الأمور والصواب لمن لم يفرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لا يخوض فى المذاهب ولا يصنى إليها ولا يسمحها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس كمثل شئ - وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتقيير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصديقنا يشتغل بالقوى واجتناب الماصى وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشئ غير العلم ، فأما الذى عزم على التجرد للعلم فأقول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والبررة فى أكثر لطلاب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء للزويدين بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، ففسأل الله تعالى الصمة من الضلال ونموذبه من الاعتراض غيالات الجبال .

تم كنات ذم الكبر والعجب والجدد وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ذم الثور)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع الهلكت من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى يده مقاليد الأمور ، ويقدرة مفاتيح الخيرات والشرور ، وخرج أرواياه من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ورطات الثور ، والصلاة على محمد خراج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم يصرم الحياة الدنيا ولم يفرم بالله الثور ، صلاة تتوالى على عمر الدهور ومكر الساعات والشهور . [أما بعد] ففتاح السعادة التيقظ والفتنة ومنيع الشقاوة الثور والفتنة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والفرقة ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا همة أعظم من العكسفر والصعيا ، ولاداعى إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة لا لكياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يغلب على آخر هذه الأمة الإعجاب بالرأى هو حديث أبي ثلبة التقدم فاذا رأيت شحا مطاا وهو متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فضليك بخاسة نفسك وهو عند أبي داود والترمذى .

(كتاب ذم الثور)

تحفظ به عبادك الصالحين
اللهم إني أسألت نفسي
إليك ووجهت وجهي
إليك وفوضت أمري
إليك وألجأت ظمري
إليك رهبة منك ورغبة
إليك لاملجأ ولا منجى
منك إلا إليك آمنت
بكتابك الذى أنزلت
ونبيك الذى أرسلت
اللهم فى عذابك يوم
تبعت عبادك الحمد لله
الذى حكم قهر الحمد
الله الذى بطن خير
الحمد لله الذى ملك
تقدر الحمد لله الذى
هو عبي لائق وهو
على كل شئ قدير اللهم
إني أعوذ بك من
غضبك وسوء عقابك

فلوبهم كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور واثقرون فلوبهم كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فسا له من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى والاثقرون هم الذين أراد الله أن يضلمهم فجعل صدرهم ضيقا حرا كأنما يصعد في السماء والنور هو الذي لم تفتح بصيرته ليكون بهدية نفسه كفيلا وبقي في العمى فالتخذ الهوى قائدا والشیطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن النور هو أم الشقاوات ومنع الهلكات فلا بد من شرح مداخله ومخاريجه وتفصيل مايكثر وقوع النور فيه ليحذره المرید بعد معرفته فيتقيه فالوقوف من البعاد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبقي على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجاری الفروود وأصناف اللعترين من القضاة والمعلماء والصالحين الذين اختلفوا بمبادئ الأمور، الجميلة ظواهرها القبيحة سرأرها ونشیر إلى وجه اغترارهم بها وعقلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تفي عن الاستقصاء وفرق اللعترين كثيرة ولكن نجملهم بأربعة أصناف، الصنف الأول من العلماء، الصنف الثاني من البعاد، الصنف الثالث من التصوفة، الصنف الرابع من أرباب الأموال واللعترين من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى للنكر معروفا كالذي يستند للمسجد ويخزفها من لال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسمى فيه لنفسه وبين ما يسمى فيه لله تعالى كالواغظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك القرض ويشغل بالنائلة ومنهم من يترك الباب ويشغل بالشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح خارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لاتتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ بأولها ذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الفروود وبيان حقیقته وحده .

(بيان ذم الفروود وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا غرنكم بالله الفروود - وقوله تعالى - ولكنكم فتنتم آفستكم وارتبتم وغرتكم الأمانى - الآية، كاف في ذم الفروود وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جنذا نوم الأكياس وفطرم كيف يفتنون سهر الحق واجتهادهم ولثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من اللعترين (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (٢)» وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الفروود لأن الفروود عبارة عن بعض أنواع الجهل إذا جهل هو أن يستند الشيء ويراه على خلاف ماهو به والنور هو جهل لأن كل جهل ليس بفروود بل يستدعي الفروود مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يفرقه فهما كان الجهول للتعقيد شيئا يوافق الهوى وكان السبب للوجب للجهل شبهة وخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تسكون دلالة على الجهل الحاصل به غرور الفروود هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

وشر عبادك وشر الشيطان وشر كهو قرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة - إن في خلق السموات والأرض - وآية الكرسي، وآمن الرسول، وإن ربكم الله، وقال ادعوا لله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والموذنين، ويثبت بهم في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن أضاف إلى ما قرأ عشرة من أول الكهف وعشرة من آخرها فحسن ويقول اللهم

(١) حديث جليلا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول أبي الدرداء بحره وفيه اقطاع وفي بعض الروايات أبي الورد موضع أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

الحير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور العصاة والساقطين وقد لهما أمثلة لحقيقة الغرور . المثال الأول : غرور الكفار فهم من غررتهم الحياة الدنيا ومنهم من غرته بالله الغرور أما الذين غررتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسبية والدنيا ههنا والآخرة نسيئة فهي إذن خير فلا بد من إشارتها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا بينة ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتي من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم يتفقد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا لمتاع الغرور - وقوله - فلا تفرحكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقهدهم وصدقوه وآمنوا به ولم يتألبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أي عليه السلام رسولاً فكان يقول نعم فيصدق (٢) . وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور ويزيل هذا مزلة تصديق النبي والله في أن حضور الكتب خير من حضور اللب مع أنه لا يدري وجه كونه خيراً وأما العرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فلغرو ومسيب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلاً : أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسبية وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسبية في القدر والقدرة والقصور فهو خير وإن كان أقل منها فالنسبية خير فإن الكافر للغرور يبدل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسبية فلا يقول النقد خير من النسبية فلا أتركه وإذا حذر الطيب القواكه ولذات الأطلعة ترك ذلك في الحال خوفاً من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسبية والتجار كلهم يركبون البحار ويتجولون في الأسفار قدما لأجل الراحة والريح نسبية فإن كان عشرة في ثاني الحال خيراً من واحد في الحال فأنسب للذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكانه ترك واحد يأخذ ألفاً بل يأخذ مائة لاهية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدره مشوبة بأنواع اللغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسبية فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويستمع وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بشنا الله إليه من يرب فأويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقره القرآن فينتقل إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أي عليه السلام رسولاً فيقول نعم فيصدق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله لأنبي صلى الله عليه وسلم أنه أرسلك للناس كلهم فقال اللهم تم وفي آخره فقال الرجل أنت بما جئت به ولطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتيناك كتبك وأتيناك رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ندم الثلاث والعزمي قال نعم الحديث .

أعطى في أحب الساعات
إليك واستعاني
بأحب الأعمال إليك
التي تقرني إليك زلي
وتعبدني من سخطك
بعدا أسألك قطعني
وأستغفره فظفري
وأدعوك فتجيب لي
اللهم لا تؤمني مكرك
ولا تولني غيرك ولا
ترفع عني سرك ولا
تسنيذ كرك ولا تحصى
من التالفين . ورد
أن من قال هذه
الكلمات بث الله
تعالى إليه ثلاثة
أملاك يوظفونه للصلاة
فإن صلى ودعا وأعطى
تعالى وإن لم يتم تعبدت
الأملاك في الهواء وكتب

وأريد به خاص ففعل به للضرور عن خصوص معناه فإن من قال النقد خير من النسبئة أراد به خير امن
نسبئة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يغزغ الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك
والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا
كان مثله والافتاجر في تمبه على يقين وفي ربه على شك وللتفقه في اجتباؤه على يقين وفي إدرا كدربة
العلم على شك والصيداء في تردد في التتمس على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحرم دأب العقلاء
بالإتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أبحر بقيت جاعا وعظم ضرري وإن
أبحرت كان تمبي قليلا ورجمي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء
على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالإضافة إلى ما أخافه من
المرض وللوث فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحرم أن يقول أيام الصبر قليل وهو
منتهى العمر بالإضافة إلى ما خاف من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كذبا فما يغوتى إلا التتم أيام
حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لأتمتع فأحسب أنني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا
فأبقى في النار أبدا الأبد وهذا لا يطاق . ولهذا قال على كرم الله وجهه لبعض اللحدنين إن كان ما قلته
حقا فقد تجلست وتخلصت وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلفنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة
ولكن كالم للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مفرور . وأما الأصل الثاني من
كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان : أحدهما الإيعان
والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزِيل الضرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص
ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علة وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه
النبث القلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى مسدقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل
يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادى أو متروك يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالثبوت أو روائى الأحوال أنهم
أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتمد
كذبهم بقوله ولا يختر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معنوا هماغرور فكذلك
من نظر إلى القرنين بالآخرة والآخرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها
وجدم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء
وأتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم
إلى التمتع فظلم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا
الأنبياء فكأن أن قول الصبي وقول السوادى لا يزِيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك
قول هذا الفنى الذى استقرته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر
من الإيعان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لأعمال الضرور يزول به . وأما المدرك
الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والألهم للأولياء ولا تظن أن معرفة النبى عليه السلام لأمر
الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسمع منه كما أن معرفتك تقليد لنبى صلى الله عليه
وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقد فقط وهيئات فإن التقليد ليس بمعرفة
بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت الحسوسات بالبرر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لآمن
سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من
أمر الله الأمر الذى يقابل التهى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم
ويسبح ويحمد ويكبر
كل واحد ثلاثا وثلاثين
ويتم المائة بلا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلى
العظيم .
[الباب السابع
والأربعون في أدب
الاتباع من النجوم
والعمل بالليل]
إذا فرغ المؤمن من أذان
المغرب يصلى ركعتين
خفيفتين بين الأذان
والإقامة وكان العلماء
يصلون هاتين الركعتين
في البيت يسعلن بهما
قبل الخروج إلى الجماعة
كيلا يظن الناس أنهما

الشان حتى يكون الراديه أنه من خلق الله ققط لأن ذلك عام في جميع الخواقات بل العالم عالمان عالم الأسم وعالم الخلق ولله الخلق والأمر بالأجسام ذوات الكية وللقادير من عالم الخلق إذا خلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكية وللقادير فانه من عالم الأمور وشي ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسجاعة كسر القدر الذي يمنع من إشتهاف من عرف سر الروح قد عرف نفسه وإذا عرف نفسه قد عرف غيره وإذا عرف نفسه وره عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسائي غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى ألقى به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحسينه إلى جوار الرب تعالى له طبعى ذاتى لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينبى عند ذلك نفسه وره ومهما قل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له - ولا تنكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كاهها إذا خرجت عن مذهبها الفطرى وهذه إشارة إلى أسرارهم تزلزلت شاقى وأنها العارفون وتشمز من مماع ألفاظها القاصرون فانها تفسرهم كما تضر رباح الورد بالجبل وبهر أعينهم الضعيفة كما بهر الشمس أبصار الخفافيش واقتناح هذا الباب من سر القلب إلى عالم اللسكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهى مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. ولترجع إلى الغرض المطلوب فالقصد أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع ما يقيم تقليدى وما يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بأنفسهم وبقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون للكفار في هذا التورور لأنهم أثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصمم عن عقاب الأبد فيخرجون من التارولو بعد حين ولكهم أيضا من التورورين فانهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم ما إلى الدنيا وآثروها ومجرد الإيمان لا يكتفى للفرز قال تعالى - وإنى لتفارقن - أب وآمن وعمل صالحن اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (١) وقال تعالى - والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوجد الفقرة في جميع كتاب الله تعالى منوطا بالإيمان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده فهو لأه أيضا مفرورون أعنى للطمشين إلى الدنيا الفرحين به الترفين بضيحها المحبين لها الكارهين للوت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال التورور لدينا من الكفار وللؤمنين جميعا . ولتذكر للتورور بالله مثالين من غرور الكافرين والمعاصين فانما غرور الكفار بالله مثله قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين للتجارين في ذلك - وما أظن الساعة تأتية - ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها من قبلى - وجملة أمرها كاهل في التفسير أن الكافر منما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخرما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله بعه للؤمن ويقول اشترى قصرا يبنى ويحرب ألا اشترى قصرا في الجنة لا يبنى واشترى بستانا يحرب ويبنى ألا اشترى بستانا في الجنة لا يبنى وخرما لا يبنى وزوجة من الحور العين لا يموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شى وما قبل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

سنة مرتبة فيقتدى بهم نظامهم أنهما سنة وإذا صلى المغرب صلى ركعتي السنة بعد المغرب يسجل بهما فانها برهان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بعائكة الليل مرحبا بالمسكين الكريمين الكاتبين اكتبوا في صهيقي أتى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم .

فليكن كن في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول - لا وبن مالا وولدا - فقال الله تعالى ودا عليه - اطلع القرب أم اتخذ عند الرحمن عبدا كلا - وروى عن خباب ابن الأرت أنه قال « كان لي على العاص بن وائل دين لجئت أفضاه فلم يقض لي فقلت إني أخذه في الآخرة ، فقال لي إذا صرت إلى الآخرة فان لي هنالك مالا وولدا أفضيك منه فأئزل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لأوتين مالا وولدا (١) - وقال الله تعالى - ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى - وهذا كله من التورر بالله - وسبه قياس من أقيسة إبليس فعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يمدنا الله بما نقول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ماسبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

وإنما يقيس للمستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولآني كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلى والتبليس تحت ظنه أن كل محسن محب لابل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يفض أحدهما ويحب الآخر ، فالذي يحبه ينعمه من اللعب ويلزمه للكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب وينعمه من الفواكه وملاذ الأطعمة التي تضره ويوسيه الأدوية التي تنفعه والذي يفضيه بهمه ليعيش كيف يريد فيأب ولا يدخل للكتب ويأ كل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد للهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكثه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم ينعمه ولم يحجر عليه وذلك محض التورر وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فأنهم يهلكات ومميدات من الله فان الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أبواب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب مجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرجأ بشعار الصالحين . والتورر إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرقت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قاله - فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرم من وأما ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانت - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء فعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكرام ولا هذا بهوان ولكن الكرم من أكرمه بطاعته غنيا كان أو فقيرا . والمهان من أهنته بمصيق غنيا كان أو فقيرا وهذا التورر علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصرة أو بالتقليد . أما البصرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات

والشفاعة وحسب
والصراف والليزان
حق ، وأشهد أن
الساعة آتية لا ريب
فيها وأن الله يمتحن
في القبور اللهم أودعك
هذه الشهادة ليوم
حاجي إليها . اللهم
احطط بها وزري
واغفر بها ذنبي وثقل
بها ميزاني وأوجب لي
بها أمانا وتجاوز عني
يا أرحم الراحمين فان
واصل بين المشاهين
في مسجد جسماعته
يصكون جامعا بين
الاعتكاف ومواصل
المشاهين وإن رأى
انصرافه إلى منزله وإن
للاصلة بين المشاهين

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين لجئت أفضاه فأنزل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآياتنا - الآية البخاري ومسلم (٢) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلمام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم للكاشفة ولا يليق بعلم العامة. وأما مرقته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - أعيسون أن ماتمهم به من مال وبنين تسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بقتة فآذاهم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إثمًا - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الضالون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الضرور فإن منشأ هذا الضرور الجهل بالله وبصفاته فإن من عرفه لا يأن مكره ولا يفتقر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دسهم تدميرا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال - فلا يأمركم الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون - وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير للماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا أكيذا كيد أهل الكافرين أمهلهم رويدا - فسكا لا يجوز للعبد الهمل أن يستدل بإهال السيد إياه وتمكنه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فإن يحب ذلك في حق الله تعالى مع تحذره استدراجه أولى فأذن من آمن مكر الله فهو مفتر ومثأ هذا الضرور أنه استدلل بدم الدنيا على أنه كريم عند ذلك للنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافق الهوى والتصديق بدلالته على السكامة وهذا هو حد الضرور . المثال الثاني : غرور العصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإننا نرجو عفوه وانكالمهم على ذلك وإهالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية عظيمم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأين معاصي العباد في محار رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التحسك بسلح الآباء وعلو رتبهم كاعتقار العلوية بنسبهم وعخاله تسيرة آباءهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آباءهم إذا باؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خاضعين وهم مع غاية الفسق والعجور آمنون وذلك نهاية الاعتقار بالله تعالى قياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسب للزور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المترفين - قال رب إني ابن من أهلي - فقال تعالى - يأنوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم على كل عيد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرفته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب الطيب ويبغض العاصي فسكا أنه لا يفيض الأب الطيب ينفض لولده العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في بيته أدمل لديه
وأترب إلى الاخلاص
وأجمع لهم فليعمل .
وسئل رسول الله عليه
السلام عن قوله تعالى
- تتجافى جنوبهم عن
الضاح - فقال هي الصلاة
بين المشائين وقال
عليه السلام « عليكم
بالصلاة بين المشائين
فإنها تنهض باللائحة
النهار وتهذب آخره »
وبعمل من الصلاة بين
المشائين ركعتين
بسورة البروج
والطارق ثم ركعتين
بعد ركعتين قرأ في
الأولى عشر آيات من
أول سورة البقرة
والآيتين وإلهكم إله

بحبه للآلئ الطبع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لأزور وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بقوى آية كمن ظن أنه يشبع بأكل آية ويروى شرب آية ويصير عالما بتعلم آية ويصل إلى السكبة ويراهي بغي آية فالتقوى فرض عين فلا يجرى فيه والله عن نفسه شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر الرد من آية وأمه وآية - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة كسابق في كتاب السكر والعجب . فان قلت فأين اللطف في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإننا نرجو رحمة ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب فاعلم أن الشيطان لا ينوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اتخذت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) وهذا هو التقي على الله تعالى غير الشيطان اسمه فعاه رجاى حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاى فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - ينى أن الرجاى بهم البلى وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجز جزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استأجر على إصلاح أو أن وشروط له أجرة عليها وكان الشارط كريما ينى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بلى يزيد فعاه الأجير وكسر الأوائى وأفسد جميعا ثم جلس ينتظر الأجر ويزعج أن للستأجر كريم أقره العقلاء في انتظاره متعينا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاى والثرة قبل لأحسن قوم يقولون نرجوا الله ويضعون العمل فقال هيئات هيئات تلك أمانيتهم يرجعون فيها من رجا شيئا طلبة ومن خاف شيئا هرب منه. وقال مسلم بن يسار - لقد سجدت البارحة حتى سقطت فئتائى فقال له رجل إننا نرجوا الله قال مسلم هيئات هيئات من رجا شيئا طلبة ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذى رجاو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم يزل فهو ميتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطئ. وأزله بلى مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن ينم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يحتم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشبهه بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات اللوت حتى يموت على التوحيد ويعرس قلبه من الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يليل إلى المعاصى فهو كيس ومن هذا هؤلاء فهم الثرورون بالله - وسوف يعملون حين يرون العذاب من أضل سبيلا - وتعلمن بناء بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون - أى علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بجمرة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن يسهو فى - كما أتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير - أى ألم نسمعكم سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذى عركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير -

(١) حديث الكيس من دان نفسه هدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين
وحسن عشرة مرة قل
هو الله أحد في الثانية
آية الكرسي وآمن
الرسول وخمس عشرة
مرة قل هو الله أحد
ويقرأ في الركعتين
الأخيرتين من سورة
الزمر والواقعة ويصل
بعد ذلك ماشاء فإن
أراد أن يقرأ شيئا من
حزبه في هذا الوقت
في الصلاة أو غيرها
وإن شاء صلى عشرين
ركعة خفيفة بسورة
الاخلاص والناحية
ولو واصل بين المشاوين
بركعتين يطيلهما
لحسن وفي هاتين
الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه الحمدود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق العاصي للتهكم إذا خطر له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيلنظفه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقطع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله يضر الذنوب جميعا - وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبئوا إلى ربكم - أمرهم بالإنباء وقال تعالى - وإن لفنار لمن تاب وآمن وحمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق غطاره أن يسمى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فأقيم على موضعك فكذب الشيطان ومضى وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الانمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور. الثاني أن تفر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - وأولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يقطع القنوط للناصح من التوبة والرجاء الثاني يقطع القنوط للناصح من النشاط والتشمر فيسلك توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب قنوطا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرّة كما إذا خطر له أن يترك الذنوب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك وإليّاه نفسك وتضييها ولك رب كريم غفور رحيم فيقترب بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرّة وعند هذا واجب على البعد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بضرب الله وعظيم عقابه ويقول إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلعه السكفار في النار أبدا لا يآبأ مع أنه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والهن والأمرض والمهلك والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إلزاقها فمن هذه سته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به فالحوف والرجاء قائدان وسائقان يميّزان الناس على العمل فلا يثبت على العمل فهو عن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب قنوطهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إغراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للأخرة فذلك غرور قد أخبر ^{عليه السلام} وذكر أن التور يضل على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعده به صلى الله عليه وسلم قد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما أتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالون في القوى والحذر من الشهوات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن قرى الخلق آئنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على الملاهي وإهمالهم كهم في الدنيا وإغراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم والله يكرمهم بالسلف والصحابة والسلف الصالحون فإن كان هذا الأمر يدرك بالي وينال بالهوى فلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأروا معتق بن يسار وبأى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الشياطين على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن التور يضل على آخر هذه الأمة تهدم في آخر ذم الكبر والسبب وهو حديث أبي ثعلبة في إعجاب كل ذي رأى برأيه .

تاليا للقرآن حزبه
أومكروا آية بها الدماء
والثلاوة مثل أن يقرأ
مكروا - ربنا هليك
توكلنا وإليك أنبئنا
وإليك الصير - وأية
أخرى في مضاعها
فيكون جامعا بين
الثلاوة والصلاة والدماء
في ذلك جمع لهم
وظفر بالفضل ثم صلى
قبل العشاء أربعا
وبسها ركعتين ثم
ينصرف إلى منزله
أوموضع خلوة فيصلي
أربعا أخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي في بيته أول
ما يدخل قبل أن يجلس
أربعا ويقرأ في هذه

طعنا لا خوف منه إن أحسن أحدكم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي^(١) فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخفيفات القرآن وما فيه وبمثل أخير عن النصارى إذ قال تعالى - غلاف من يهدم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيفر لنا - ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربي جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهلونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونسبها كأنهم يرون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فإنه أمثلة القرور بالله ويان الفرق بين الرجاء والقرور وقرب منه غرور طواف طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر دم يتوقون للقررة ويظنون أنهم ترجع كفة حسناتهم مع أن مافي كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجبل قمرى الواحد يتصدق بدرهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل المصدق به من أموال المسلمين وهو يتكلم عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصديق بشدة من الحرام والحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم - ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يتتاب المسلمين ويعزى أعراضهم ويتكلم بمسايرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدسبته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هديانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبدأ يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ماورد من عقوبة للفتاين والسكاديين والفسامين والناقضين يظهرون من الكلام ما لا يضرهمونه إلى غير ذلك من آلات اللسان وذلك محض القرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة التسبيح لما يكتبونه من هديانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حق عن جملة من مهماته وما لطق به في قراته كان يهدم ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة تسبحة فاجها لمن يحاسب نفسه ويحسب خوفا على قيراط يفوته في الأجرة على التسبيح ولا يخطأ خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من السكرة المجاهدين وإن صدقنا به كنا من الحق للقرورين فهاهذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإننا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسيحان من صدنا عن التنبه والتيقن مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والقرور على القلوب أن يخشى ويتق ولا يجتره انكالا على أباطيل للى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم .

(١) بيان أصناف للقرين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف

الصنف الأول : أهل العلم والقرور منهم فرق . فقرة أحكموا المأمور الشرعي والعقلية وقمة ووافيا واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن العاصي وإزائها الطاعات واغثروا بملهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل.

الأربع سورة لقمان
وبس - وح - الدخان
وتبارك للكل وإن أراد
أن يخفف فقرأ فيها
آية الكرسي وآمن
الرسول وأول - سورة
الحديد وآخر سورة
الحشر ويصل بعد
الأربع إحدى عشرة
ركعة بقرا فيها ثلثمائة
آية من القرآن من
- والسبأ والطارق - إلى
آخر القرآن ثلثمائة آية
هكذا ذكر الشيخ
أبو ظبط للكرسي
الله وإن أراد قرأ هذا
القدر في أقل من هذا
العدد من الركعات
وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يطلب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطلبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون قائموا لو نظروا بين البصيرة علمه وأن العلم علان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وصفاته للسمى بالمادة علم المعرفة فأما العلم بالمعالمه كعرفة الحلال والحرام وبعرفة أخلاق النفس للذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فمضى علوم لا تآرد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فنقال هذا كبريى به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرف إلا الاحذق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب ساذق فسلمه الدواء وفصله الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعينه فعمل ذلك وكتب منه نسخة حسنة غطت حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويصلها للرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أقرى أن ذلك يغنى عنه من مرضه شيئا هيئات هيئات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يخنه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويصبر به ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحياء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فلهما ظن أن ذلك يكفيه وينفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذى أحكم علم الطاعات لم يعلمها وأحكم علم الناهى ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق للذمومة ومازكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق للمحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى قد أقبلت من زكاه لم يزل قد أقبلت من علم كيفية تركها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول إبليس الشيطان لا يترك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزل الرضى وإنما مطلبك القرب من الله ونوابه والعالم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فإن كان السكين معنوها مغرورا وافق ذلك مراده وهو له فاطمان إليه وأهل العمل وإن كان كسيفا يقول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتصفيني ماورد في العالم الفاجر الذى لأجمل بلمه كقوله تعالى لئن لم يكن الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجوار يحمل أسفاراً فمضى أعظم من الغشيل بالكلب والجوار وقد قال ﷺ «من أزداد علما ولم يزد هدى لم يزد دمن الله إلا بعدا» (١) وقال أيضا «يلقى العالم في النار فتدلى أكتافه فيدور بها في النار كاي دور الجار في الرحى» (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء» (٣) وقول أبي هريرة: «ويل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات: أى أن العلم حجة عليه إن قال له ماذا عملت فبما عملت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بلمه» (٤) فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافق فيه الشيطان قلبه إلى ما هو به وذلك عين الغرور فإنه إن نظر بالبصيرة فثنا ما ذكرناه وإن نظر بين الإيمان فالثاني أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بدم العلماء السوء وإن ظاهمه عند الله أشد من حال الجهال فيمد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالمعلم بالله وصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يعمل العمل ويضع أمر الله وحدوده وفروا ما شذموثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولو توشك له وطوله وعرضه وعادته ومجلسه

(١) حديث من أزداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقي العالم في النار فتدلى أكتافه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس العلماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بلمه تقدم فيه

لذلك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ على كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى آخر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واتقا من نفسه في عاداتها بالاتباع للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حيث أفضل وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتعبد يصلى ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما ينضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملائس لجميع ما ينضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهىة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطن بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا إليه بعرفته له ولتسبه واسمه وبهده وصورته وشكله وعادته في سياسة غفانه ومعاملة عتيه فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفة واشتغل بعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب إلى نيله للراد من قربته والاختصاص به بل تنصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم يكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته لحشبه وانفاه فلا يتصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كاتخاف السبع الفأري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فليعرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالى ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أعطك مثله ألفا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثر ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى - إنما يغنى الله عن عباده العلاء - وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقول ابن مسعود كفى خشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب قتيلا له إن قهاده لا يتولون ذلك فقال وهل رأيت قتيها قط الفقيه القائم له الصائم نهاده الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فإذن الفقيه من قهه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا ينفقه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من الغرورين. وفرقة أخرى: أحكوا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يشفقوا قلوبهم ليعوها أعطاهم الصفات المعمومة عند الله من الكبر والخصد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة سوء للأقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحز عها ولا يلتفت إلى قوله ﷺ « أدنى الرياء شرك » (١) وإلى قوله عليه السلام « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » (٢) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (٣) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « حب الشرف واللال يفتنان النفاق كما يبت الماء البقل » (٤) وإلى غير ذلك من الأخبار التي أو ردها في جميع ربيع للهالكات في الأخلاق للذمومة فهو لا يذنبوا طواهم وأهلوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٥) تصهدوا الأعمال وما تمهدوا القلوب والقالب هو الأصل إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جس وباطنها تنن أو كقبور الوثق ظاهرها من وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستدار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فخصص باب داره وترك الزايل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زراعا قنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتقنية الزرع عن الحشيش يقطع من أصله فأخذ يجز رومسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فنبت لأن مفارس المعاصي هي الأخلاق القديمة في القلب فبن

الليل يصلى بعد الور
ركبتين جالسا بقرا
فيهما إذا زلزلت
والهاكم وقيل قبل
الركبتين قاعدة بمنزلة
الركمة قائما يشفع له
الور حتى إذا أراد
التعبد يأتي به ويور
في آخر تعجده ونية
هاتين الركبتين نية
الفضل لا غير ذلك
وكثيرا ما رأيت الناس
يتفاوضون في كيفية
نيتها وإن قرأ في كل
ليلة السبعات وأصناف
إليها سورة الأمل
قصير ستا قد كان
العلماء يقرءون هذه
السور ويترقبون
بركتها فإذا استيقظ

- (١) حديث أدنى الرياء شرك تخدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تخدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم في العلم وغيره
- (٤) حديث حب الشرف واللال يفتنان النفاق في القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم الحديث تقدم .

لا يظهر القلب منها لاتم له الطاعات الظاهرة لإلصاف الآفات الكثيرة بل هو كريض ظهير به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء لينزل ما على ظاهره والدواء ليقطع مائة من باطنه فتنفع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في السادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المائة التي في الباطن. وفرقة أخرى: علوا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لم يجبه بأنفسهم يظنون أنهم منفسكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتلهم بذلك وإنما يتل به العوام دون من بلغ مبلتهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتلهم ثم إذا ظهر عليهم غشايل الكبر والرياسة وطلب الملو والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرقام أصف الخائفين من المتدعين وإن لوليت الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لسمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي لأدلائي الاسلام ونسي للفرور أن عدوه الذي حذر منه مولاه هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسي ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والسكينة حتى عوبت عمر رضي الله عنه في بذانة زيه عند قدومه إلى الشام فقال: إن قوموا أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا للفرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديق والابريص الحرم والحيل والراكب وزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما طامق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب لاحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أومنعه غيره من رياسة وزوجم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه ثم أم لا ينضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وهكذا يراني بأعماله وعلمه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيات إيتاغرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل للفرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كره له بعيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فأما فرسي ثواب الله لا يقبل: الخلق قولي هذا ما يظنهم بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخلق وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الظاهر وحسب مع ذلك في سجن وقيد بالاسلام لاحتاح في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدرسي أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثنى عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيات إنما ذلك عند الطمع في ما لهم فأما أنت فزمتك أن تشفع للسجين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين قتل ذلك عليه ولو قدر على أن يفرج حاله عند السلطان بالطن فيه والكذب عليه لقتل وكذلك قد ينتهي ضرور بعضهم إلى أن يأخذ من ما لهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مال له وهو لمصلحة المسلمين وأنت إمام المسلمين وما لهم وبك قوام الدين أقليل لك أن تأخذ قدر حاجتك ففتر بهذا التلبس في ثلاثة أمور: أحدها في أنه مال لا مال له فانه يعرف أنه يأخذ الحراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلف

من النوم لمن أحسن
الآداب عند الانتباه
أن يذهب يباطنه إلى
الله ويصرف فكره
إلى أمر الله قبل أن
يجول الفكر في شيء
سوى الله ويشغل
اللسان بالذكر فالصاقي
كاطفل الكلف بالكى
إذا نام ينام على حبة
الشيء وإذا استبسه
يطلب ذلك الشيء
الذي كان كلف به على
حسب هذا الكلف
والشغل يكون للوقت
والقيام إلى الحشر
فلينظر وليعتبر عند
انتباهه من النوم ما معه
فانه هكذا يكون عند
القيام من الصبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنس وخالفها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقابل هو مال لآله له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ، ولعل الذين قصد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فوطئ التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذ إمامهم هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعن موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء إنه كخسرة وقص في فم الوادي فلا هي تشرب للآل ولا هي تترك للآل غمناص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخر خارجة عن الحصر وفيها ذكر نامة تنبيه بالقليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر الناسي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقه والكره وطلب العلو واجاهدوا أنفسهم في التبرى منها وقلعوا من القلوب منافها الجلية القوية ولكنهم بعد ضرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس ماذق وغمض مدر كهم فلم يظنوا لها وأهلوها وإنما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وقشش عن كل حشيش ركة فقلعه لإنه لم يقشش على مالم يخرج رأسه بيد من تحت الأرض وعلم أن السكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهلها وهو يظن أنه قد اتمها فإذا هو بها في غفلة وقد نبتت وقويت وأقصدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم في فعل جميع ذلك وينهل عن الرقابة للخفايا والتفقد للفتنات فتراه يسهر ليله وتنهاده في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصنيف فيها وهو يرى أن باعته الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الحفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الألفاظ وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم في له الهبات وإشارته في الأغرض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والإيراد والتفتيح بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأنباع والمستفيدين والسرور بالخصص بهذه الحاضرة من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن من إطلاق لسان الطعن في الكفاية القليلين على الدنيا لاعتنق بصية الدين ولكن عن إدلال بالخير واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكين للفرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز وأشياد وتوقير وحسن ثناء فتوقرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله ففساه بتشوشه عليه قلبه وتوخلت أرواده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تقطيع عيه وعساه يؤثر بالكرامة وللراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينوب قلبه عن عرف حد فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثر تقدمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراهه وأكثر ثناء عليه وأشد إعفاء إليه وأحرص على خدمته ولعلمهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قولهم له لا خلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يفقد مع نفسه تصحيح التوبة فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إشارته المحمول

كان هم الله فحده هو
وإلا فله غير الله
والعبد إذا انتبه من
النوم فباطنه عائد
إلى طهارة الفطرة
فلا يدع الباطن يتغير
بغير ذكر الله تعالى
حق لا يذهب عنه
نور الفطرة الذي
انتبه عليه ويكون
فأرا إلى ربه يباطنه
خوفا من ذكر الأعيان
ومهما وفي الباطن
بهذا العيار قد اتفق
طريق الأنوار وطرق
النفحات الإلهية
جدير أن تنسب إليه
أقسام الليل انضبابا
وصير جناب القرب له
موتلا ومبأا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة ولا خفاء لئلا القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعله امتنع من فبجهه وقع في حباله وعساه يصنف ويحتشد فيه ظانا أنه يجمع على الله ليتضع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه نقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى الصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لامن ادعاء ولعله في تصنيفه لا يخلو من الغشاة بل يشبه إما صريحا بالدهاوى الطويلة العريضة وإما ضمنا بالطنن في غيره ليستبين من طعنه في غير ما أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما وقد كان في غنية عن الطعن فيه ، ولعله يحكى من الكلام اللزيف ما يزيد تزييفه فيعزبه إلى قائله وما يستحسنه فله لا يعزبه إليه ليطن أنه من كلامه فينقله بينه كالسارق له أو غيره أدنى تغيير كالتدليس يسرق أيضا فيتخذ قباة حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يحتشد في تزوين أفعاله وتسجيعة وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الزكاة ويرى أن غرضه ترويع الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى شمع الناس وعساه فاعلاما يرى أن بعض الحكماء وضع كتابا في مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقا وإني لأقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المتقين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة من عيوب القلب وخفائهم فلو اتفقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيمرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا انفرقوا واشتغلوا بالأفادة تفاخروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا قطع عنه إلى غيره نقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتم بباطنه لإكرامه ولا يشمر لقضاء حاجته كما كان يشمر من قبل ولا يحرص على الشاء عليه كما أتى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أشفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة وتوقع ذلك لا نزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيقتل بالطنن في دينه وفي ورعه ليعمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لأنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أتى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره نعيبة للساكنين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفائى القلوب لا يظن له إلا الأكياس ولا يترفع عنه إلا الأقوياء ولا مطمئن فيه إلا الثمانين الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بعيد خيرا بصره يعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من الغرور الزكى لنفسه للمتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فتعوذ بالله من الغفلة والاعتقار ومن المعرفة بخفائى العيوب مع الإهمال ، هذا غرور الدين حصلوا العلوم للهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الدين فتعوا من العلوم بحسبهم وتركوا المهم وهم به مفترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاقصارهم عليه ، فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل للمعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصموا اسم الفقه بها وصموه الفقه وعلم للذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم ينتقدوا الجوارح ولم يحرصوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر الهلكات فهو لا مفرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم ، أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثاله

باللسان الحمد لله الذى
أحيانا يصد ما أماتنا
وإليه النشور ويقرأ
الشعر الأواخر من
سورة آل عمران ثم
يقصد الساء الطهور
قال الله تعالى - وينزل
عليكم من السماء ماء
ليطهركم به - وقال
عز وجل - أنزل من
السماء ماء فسال
أودية بغيرها - قال
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الماء
القرآن والأودية
الصلوب فسال
بغيرها واحتملت
ما وسعت والسماء مطهر
والقرآن مطهر والقرآن
بالتطهير أجدر فالسواء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بشكراره وتعليه لابل مثالهم مثال من به علة الواسير
والبرسام وهو مشرف على الهلاك وحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بعلومه الاستدعاء وشكرار
ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يعيش ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستدعاء
لامرأة وتساوى عن ذلك وذلك غاية التروير فكذلك لتفقه للسكين قد يسلط عليه حب الدنيا وأتباع
الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر الهلكات الباطنة وربما يحتفظه الموت قبل التوبة والتأني
فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار والأمان والجراحات
والديات والعاوى والبنات وبكتاب الحيم وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره نفسه وإذا
احتاج غيره كان في اللتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والسلب وقد
دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن للترور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال
بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض الدين معصية ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد
بهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم حيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم نقله
أخبار وحيلة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى باد الكجلاه
وعظمته وهو العلم الذي يورث الحوف والحيية والخشوع ويحمل على التقوى قرآنا آمنا من الله فغتر به
متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فاته قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتمثل الحلال والحرام قد ترك
العلوم التي هي أم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقهاء بدران ذلك
الفقه هو الفقه عن الله ومعرفته صفاته الخفية والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلزم التقوى إذ قال تعالى
- فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون -
والتي يحصل به الانذار غير هذا العلم فإن مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشرط المعاملات وحفظ
الأبدان بالأموال وبذبح القتل والجراحات والمسال في طريق الله آله والبدن مركب وإنعسا العلم المهم هو
معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى
وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى في الانقاص على علم الفقه مثال من اقتصر من
سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والحنف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن اقتصر عليه
ليس من الحج في شيء ولا بسببه وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم
الفقه على الخلافات ولم يهجم إلا تعلم طريق المجاهدة والإلزام والإلغام الحصوص ودفع الحق لأجل الطلب والمباهاة
فهو طول الليل والنهار في التفقش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقه ليعيب الأقران والتألف لأنواع
التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الأيذاء ومهمهم السقوف ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم
لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى محو
الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرون ويسمون الزنوق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق
عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين
من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اختلفوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق
الجدل في الفقه بدع لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع ما بينهما وأما جيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع
والتركيب والتمدية فانما أبدعت لإظهار القلبة والإلغام وإقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد

يقوم غيره مقامه
والقرآن والعلم لا يقوم
غيرهما مقامهما ولا يسد
مسدهما فالمداء الطهور
يطهر الظاهر والعلم
والفسرآن يطهران
الباطن ويذهبان
رجز الشيطان فالنوم
غفلة وهو من آثار
الطبع وجدير أن
يصكون من رجز
الشيطان لما فيه من
الغفلة عن الله تعالى
وذلك لأن الله تعالى أمر
بقبض القبضة من
التراب من وجهه
الأرض فكانت القبضة
جهة الأرض والجلدة
ظاهرها بشرة وباطنها
أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بمل الكلام والمجادلة في الأهواء والردي
 الخلقين وتبغ مناقضاتهم واستكثروا من معرفة اللغات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة
 أولئك وإخالمهم واقتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعب عمل إلا إيمان ولا يصح إيمان
 إلا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم
 يستند منهم ولم يتعلم عنهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالة وحقة فالضالة هي التي
 تدعو إلى غير السنة والحقة هي التي تدعو إلى السنة والترور شامل للجميع . أما الضالة فلنقل تباعن
 ضالها وظنوا بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بضأ وإنما أتيت من حيث إنها لم تنهم
 رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومناجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة . وأما الفرقة
 الحققة فأنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت
 أنه لا يتم لأحد دينه مالم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل
 فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل
 والبحث عن اللغات وهذيانا للبتدعة ومناقضاتهم وأعمالوا أنفسهم وقلوبهم حتى حمت عليهم ذنوبهم
 وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه
 لا يتأذنه بالقلبة والإخام ولذة الرياسة وعن الالتئام إلى الدب عن دين الله تعالى حمت بصيرته فلم
 يلتفت إلى القرن الأول فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا
 من أهل البديع والهموى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد
 قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتسكعوا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوموا عما يحل قبول فذكروا
 بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في
 الله ولم يلزموا للملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنن من السنة ترك الجدل
 في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما مثل قوم قطعت
 هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١) » وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويخصمون
 فنضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان (٢) حرمة من النضب فقال : « لهذا بستم أبهذأ مرسنم
 أن تضر بوا كتاب الله بعضه بعضا انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فاتنوا » فقد زجرهم
 عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دبت إلى
 كافة أهل اللل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام
 جادلهم إلا بتلاوة القرآن للزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها
 الإشكالات والشيبة ثم لا يقدر على معوها من قلوبهم وما كان يسجز عن مجادلتهم بالتسميات ودقائق
 الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يفتروا بهذا وقالوا لو نجما
 أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة
 أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل اللل وما شيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فسلنا
 لنضج العمر ولا نصره إلى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفائقنا ولم نخوض فيها لا تأمن على أنفسنا الخطأ في
 تفاسيه ؟ ثم نرى أن للبدع ليس يترك بدعته بمجداله بل يزيده التنصب والخصومة تشددا في بدعته
 فاشتتلى بمخاصمة نسي ومجادلتها ومجادلتها لترك الدنيا والآخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل

(١) حديث ما مثل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث
 خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويخصمون فنضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

- إلى خالق البشر
 طين - فالبشرة والبشر
 عبارة عن ظاهره
 وصورة الأدمة عبارة
 عن باطنه وأدميته
 والأدمية مجمع الأخلاق
 الجسدية وكان التراب
 موطن أقدم إبليس
 ومن ذلك اكتسب
 ظلمة وصارت تلك
 الظلمة معجونة في طينة
 الأدمي ومنها الصفات
 للسمومة والأخلاق
 الرديئة . ومنها الفعلة
 والسوء فاذا استعمل
 الساء وقرأ القرآن أتى
 بالمطهرين جميعا ويذهب
 عنه رجز الشيطان
 وأثر وطأته وعكم له
 بالعلم والخروج من

والخسومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أنفق نفسي وأنظر من صفاتها ما يفضله الله تعالى وما يحبه لأتبره مما يفضله وأمسك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتغلوا بالوفاة والتذكر وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبور والشكر والتوكل والزهو واليقين والإخلاص والصدق ونظامهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا اتكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها قد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا أن قدر يسير لا يفتك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الضرر لأنهم يمجون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم متبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم غاصون وما تقوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من للتبرين للذين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من التمسكين على المزم والجاه والسال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من للرئين بل يصف الإخلاص بتركه الإخلاص في الوصف ويصف الرياء بتركه وهو يرأى بتركه لمقتدياً أنه لو أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدماء إلى الله وهو منه فار وغوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويحث الصفات الذمومة وهو بها متصف ويحرف الناس عن الحق وهو على الخلق أشد حرصاً لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لفاقت عليه الأرض بما رحبت وزعم أن فرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غماً وحسداً ولو أتى أحد من الترددن إليه في بعض أقرانه لكان أنقض خلق الله إليه هؤلاء أعظم الناس غرة وأبدم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن الرغبة في الأخلاق الحمودة والنفر عن الذمومة هو العلم بشوائها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فيمد ذلك بماذا يبالغ وكيف سبيل تحويه وإعما الخوف ما يتوجه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف ثم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات الحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدمى مثلاً حب الله لما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف لما الذي يمتنع منه بالخوف ويدعى الزهد لما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لابل يرى قلبه يتلذذ بالخلوة إذا أحقق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محباً يستوحش من محبوه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يتقنون منها بالزويق بل يعمقون من الله غليظ والمتقنون يمتحنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف التعاد عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتدلق أفتابهم فيدور بها أحدم كايديور الحار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإعما وقع الضرر لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئاً ضعيفاً من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما تقع الناس بكلامهم فيها إلا لاصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة قلم وأن كل ذلك غير الاصاف بالصفة

حين الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في توير القلب بإزاء النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء كما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكماً طبيعياً جاللاً لا من الإثم رجس من الشيطان والماء ينسحب رجس الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من التوبة والكذب وعند التنب لظهور

فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل بمجاز أدأته
وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضئف في قلبه حب الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف
المرض ويصف دواءه بخصائصه ويصف الصحة والشفاء وغيره من الرضى لا يقدّر على وصف الصحة
والشفاء وأصابعه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وإنما يفارقه في الوصف
والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب
والتوكل والزهّد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بمخافتها ، ومن التنبس عليه وصف الحقائق
بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل مناج وعظم مناج
وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا
عن التناجج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله عن التدور في بعض
أطراف البلاد إن كان ولنا نمرقه فاشتغلوا بالطامات والشرائع وتلفيق كليات خارجة عن قانون الشرع
والعقل طلباً للإعجاب ، وطائفة شغلوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم
بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفرق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعمات والتواجدلو
على أغراض قاسدة هؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين وإن لم يصلحوا
أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصحّحوا كلامهم ووعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدّون عن سبيل الله
ويجرون الخلق إلى التورور بالله بلفظ الرجاء فيزيدم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا
لأنها إذا كان الواعظ متزناً بالثياب والخيال وللراكب فانه تشهد حيثته من فرقة إلى قدمه بشدة
حرصه على الدنيا فما يفسد هذا الغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلاً ويشل خلقاً كثيراً ولا
يغنى وجه كونه مغروراً . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم
يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدّونها من غير إحاطة بمعانيها فيعظم بفعل ذلك على اللار ،
وبعضهم في الحاربي ، وبعضهم في الأسواق مع الجلوس وكل منهم يظن أنه إذا تمجّن بهذا القدر
عن السوق والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم قد أقلح ونال القرض وصار مغفوراً
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل
الدين يكفي ، وضروب هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم
الحديث أعنى في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد القريبة العالية فحمة أحدهم أن
يدور في البلاد ويرى الشيخ يقول أنا أروى عن فلان وقد رأيت فلانا ومعنى من الاستناد ليس
مع غيره ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم تحمّل الأسفار فانهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني
السنة ففهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها
لا يعلمون بها وقد يفهمون بعضها أيضاً ولا يعلمون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو عرض عين
وهو معرفة علاج القلب ويشغلون بتكثير الأسانيد وطلب المعالي منها ولا حاجة إليهم في شيء من ذلك .
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضاً لا يقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرد إدراك
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصرنا من الجملة على السماع
ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى ليستمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يفتل ولا يسمع
ولا يفتي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صح وغيره ما يقرأ عليه

النفس وتصرف
الشیطان في هذه
للاوطن ، ولو أن
للتحفظ السراعي
للاربح المحاسب كلما
انطلقت النفس في مباح
من كلام أو مسأكنة
إلى غواية الناس أو
غير ذلك مما هو بعرضه
تخلل عقد العزيمة
كالخوض فيها لا يفي
قولا وفلا عقب ذلك
بتجديد الوضوء كثرت
القلب على طهارته
وزاغتة وللمسكان
الوضوء لصفاء البصيرة
بثابة الجفن الذي
لا يزال بخفة حركته
يجلو البصر وما يفتلها
إلا المألوف - فتذكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه وبرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تعنى لتسمع تحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيره منه حرفا أو أخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ماجرى على سمك في مجارى الأحوال . والثانى أن تكتب كما تسمع وتصحح الكتاب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تشمر بغيره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمين فيه من التغير والتحريف ، فاذا لم تحفظ لالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو يفارق حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لذلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة ، فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تنف ما ليس لك به علم - وقول الشيخ كاهن في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد كسرط الذى ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصي والغافل والثام والذى ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصي في الهد ، ثم إذا بلغ الصي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازده ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصي في الهد لأنه لا يفهم ولا يحفظ . فالصبي الذى يلعب والغافل والشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصي في الهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت لما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليتصر إذا صار شيئا على أن يقول سمعت بعد بلوغى أنى في صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع معنى صوته ولأدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لاتصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركى الذى لا يفهم العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صي في الهد وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدأها كما سمعها » (١) وكيف يؤذى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا الخفى أنواع التورود وقد بل بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن للمحدثين في ذلك جاها وقبولا لخلاف السالكين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم وتقل أعضادهم التي تقدموها بهذا الشرط بل ربما عدمو ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجرى ، ومحة السماع لاتصرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نهيتك عليه نجد
بركته وأثره ، ولو
افضل عند هــ
للتجدات والوارث
والانتباه من النوم
لسكان أزيد في تنوير
قلبه وللسكان الأجدد
أن البعد يقتل لكل
فريضة بأدلا مجهوده
في الاعتماد لشناجذ
الله وبمسدد ضل
الباطن بصدق الإنابة
وقد قال الله تعالى
- متدين إليه واثقوه
وأقيموا الصلاة -
قدم الإنابة للدخول
في الصلاة ولكن من
رحمة الله تعالى وحكم
الخفية السهلة السمحة
أن رفع الحرج وعوض

(١) حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذى حديث حسن صحيح وابن ماجه قطف من حديث جبير بن مطعم وأنس .

علماء الأصول بالفقه وما ذكرنا من مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولومهم على الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفناء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما لا يعنيه ^(١) » فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يخذرون الغرور . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغترخوا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأنشئ هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كن يفي جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل فلأنه لا يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على السكافية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والضيع عمره في معرفة لغة العرب كالضائع له في معرفة لغة الترك والمهند وإنما فارقها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيسكني من اللغة علم التريين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فأما التعمق فيه إلى درجات لا تنتهي فهو فضول . مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ التصود من الحروف العاني وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكبين ليزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته في تحسين القصر الذي يشرب فيه السكبين فهو من الجهال الغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقرارات والتدقيق في مخارج الحروف ، هما تصمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر عما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فالأب الأسمى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكالتب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة إلى المعرفة ولب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يرجع عنها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى باب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن الشوائب والأفات فهذا هو التصود المحمود من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدمل ووسائل إليه وقشوره ومنازل بالاضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد قصد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يشتد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها عمودها كما يشارك القشر اللب في كونه عمودا ولكن الحمود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية أبي بن الحسين مرسل وقد تقدم .

بالوضوء عن القدر
وجو زأداء مقترضات
بوضوء واحد دفعا
للحرج عن عامة الأمة
واللخواس وأهمل
العزبة مطالبات من
بواطهم تحكم عليهم
بالأولى وتلجئهم إلى
سلوك طريق الأعلى
فاذا أتم إلى الصلاة وأراد
استفتاح التهجد بقول
الله أكبر كبير والحمد لله
كثيرا وسبحان الله
بكرة وأصيلا ويقول
سبحان الله والحمد لله
الكلمات عشر مرات
ويقول الله : أكبر
ذو الملك والمسلوك
والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال

في فن الفقه فظنوا أن حكم البعد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوق وأسأموا تأويل الألفاظ للبهمة واغتروا بالظواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والفرور فيه والخطأ في الفتاوى عما يكثر ولكن هذا نوع عم الكفاة إلا الأكياس منهم فنشروا إلى أمثلة : فمن ذلك قروام بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسمى إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو إبراء لاطى طيبة نفس وقد قال تعالى - فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامه بقلبه ولكن تسكرها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعتبار ضرورة تعالها حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فنهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تسكره بسبب ظاهر والا كراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء ولذلك لا يهل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملا من الناس فاستعيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف أن يمدمة الناس وخاف أن تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الألين وهو ألم التسليم فسله فلانفرق بين هذا وبين الصادرة إذ معنى الصادرة لإيلام البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب يدلل المال فيختار أهون الألين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولانفرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطى اتقاء لشر لسانه أو لشر سماعته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر ببدائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا أوربا فأجابه ليك يا بني الله أخرجني من الجنة فماذا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فبه لي قال قد فعلت ذلك يا بني الله فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فين له فرجع فناداه فقال ليك يا بني الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبل لك قال ألا تسألني ماذا الذنب قال ما هو يا بني الله ؟ قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فاقطع الجواب ، فقال يا أوربا ألا تهيبني قال يا بني الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصرع من الرأس حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة ، فهذا ينهيك أن الهبة من غير طيبة قلب لا يفيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تسكون في الإبراء والهبة وغيرها إلا إذا خلى الانسان واختياره حتى تثبت الدواعي من ذات نفسه لأن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وأنها به مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك للمال أو كمن يباع لحاجته إلى البيع لاطى هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة الأهم لك الحمد
أنت نور السموات
والأرض ولك الحمد
أنت بهاء السموات
والأرض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والأرض ولك الحمد
أنت رب السموات
والأرض ومن فيهن
ومن عليهن أنت الحق
وملك الحق وقادرك
حق والجنة حق والنار
حق والتبيون حق
ومحمد عليه السلام حق
الهم لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت
وبك خاصمت وإليك
حاجت فاغفر لي ما قدمت
وما أخرت وما أسرت
وما أعلنت أنت للقدم

«ثلاث مهلكات شح» مطاع (١) وإتباعا شح مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وجهه للمال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الخيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهد والفرور ومن ذلك إباحة الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء للفرورون لا يميزون بين الأمانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل مالاتهم رعوتهم إلا به يروونه حاجة وهو محض الفرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسواك طريق الآخرة فكل ما تناوله العيد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودهننا نصف، غرور الفقهاء في أمثال هذا لما لنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول. الصنف الثاني: أرباب العبادة والعمل وللفرورون منهم فرق كثيرة فهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقيل مام. فهم فرقة: أمهلوا الفرائض واشتغلوا بالفرائض والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى الصدوان والسرف كالذي تطلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى للماء المحسوم بطلانته فيغوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في التجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توصوا عمر رضى الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال التجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه (٢) وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاتته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييع العمر الذي هو أعز الأشياء فإله مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيعدهم عن الله بمثل ذلك. وفرقة أخرى: غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يثيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يفتنون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويفنون أنهم إذا اتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم. وفرقة أخرى: تطلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من عجزها فلا يزال يخطأ في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح عجز الحروف في جميع صلاته لابهمة غيره ولا يتفكر فيها سواء ذاهلا عن معنى القرآن والاتطاع به وحرف القهم إلى أسرارهم وهذا من أقبح أنواع الفرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق عجز الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام.

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن للوضوء شيطانا يقال له الوهلان الحديث وتقدم في عجائب القلب.

وأنت للآخر لآله إلا
أنت اللهم أنت تقي
شواها وزكها أنت خير
من زكها أنت وليها
ومولاه اللهم اهدي
لأحسن الأخلاق
لا يهدي لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا
أنت أسألك مسئلة
البائس المسكين
وأدعوك دعاء الفقير
الدليل فلا تجعلني
بدالك رب شقيا
وكن لي ووفارحيا
ياخير السؤلين
ويا أكرم العطين ثم
يسلر كمتين تحية
الطهارة يسرا في
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجاس سلطان وأمر أن يؤذيها على وجهها فأخذ يؤذي الرسالة ويتأنق في عجاج الحروف ويكررها ويصدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس شأأحراره بأن تقام عليه السباسة ويرد إلى دار الجاهلين ويحكم عليه بقصد العقل. وفرقة أخرى: اغتروا بقراءة القرآن فيهدونه هذا وربما يغمثونه في اليوم والليل مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر زواجره ويتعظ بعواظها ويقف عند أوامره ونواهيها ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور بظن أن القصود من إزال القرآن المهمة به مع الغفلة عنه. ومثاله: مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته وتعمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق العقوبة ومهما ظن أن ذلك هو الراد منه فهو مغرور. نعم تلاوته إنما تراد لسكيا ينسى به حفظه وحفظه يراد لئلا ينسى معناه يراد لئلا يعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذبه ويستفيد منه. ويظن أن ذلك لذة ومناجاة الله تعالى ومصاح كلامه وإعسا هي لذته في صوته ولوردد الحانته يشمر أو كلام آخر لانه بذلك لا لئلا فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نطقه ومعانيه وأبصوته. وفرقة أخرى: اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أوصاموا الأيام الشرع يفهم فيهم لا يعفون ألتسهم عن التوبة وخواطهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألتسهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيعمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور. وفرقة أخرى: اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويمجزون عن طهارة الثوب والبدن ويترضون لمسكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحدرون في الطريق من الرث والنجاس وربما جامع بعضهم الحرام وألفقه على الرقاع في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيمضى الله تعالى في كسب الحرام أولا وفي إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميج الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور. وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينسکر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منسكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنسکر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولوقام يتعهد السجدة غيره لخرده عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاه غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حتى وزوجت على مرتضى وكذلك قد يتعهد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فلو تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه تقل عليه. وفرقة أخرى: جاؤوا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يظهروا ظاهريهم وباطنيهم فقلوبهم معلقة بيلادهم ملتفة إلى قول من يعرفه أن فلانا يجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنتوا إذ اسمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد جاوور وعدعين طمعه إلى تساع أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شبع به وأمسكه لم تسمح نفسه بل طمعه بتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم - الآية وفي الثانية - ومن يعمل سوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا ويستغفر بعد الركنين مرات ثم يستفتح الصلاة بركنين خفيين إن أراد يقرأ فيها بآية الكرسي وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلر ركنين طويلين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعبد هكذا ثم يصلر ركنين طويلين أقصر من الأولين وهكذا يتدرج إلى أر

والطمع ووجهة من الهلكات كان عنها يعجز لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال إنهم
المجاورين أقره المجاورة مع التضعف بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة
من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يشف مداخل آفاتهما واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شمس ذلك
إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة في الحج من
كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإعنا الفرض الآن الإشارة
إلى جماع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وفتحت من لباس والطعام بالودون ومن
السكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو
بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباه بأعظم الهلكات فإن الجاه أعظم من المال ولو
ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم
معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون مناققا وحسودا ومتكبرا
ومرائيا ومتصفا بجميع خباثات الأخلاق ثم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلو والفرقة وهو مع ذلك مغرور
إذ يتناول بذلك على الأغنياء ويغش معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر
 مما يرجو لهم ويجب بعينه ويصف بجملة من خباثات القلوب وهو لا يدري ويرى على المال فلا يأخذه
خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال غلظه في الظاهر وردة في الخفية لم تسمع به نفسه
خوفا من فم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأدب والدينا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو
مغرور ومع ذلك فرعا لا يخلو من توفير الأغنياء وتهديمهم على الفقراء والليل إلى الليلين لهو الشين عليه
والنفرة عن المساكين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نموذج في الصاد
من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم واليلة مثلاً لركعة ويحتم القرآن
وهو في جميع ذلك لا يحيط له مراعاة القلب ونفقه وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر الهلكات
فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغرور
لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجح بها كفة
حسناته وهيبات وفرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال
عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا للفرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء
وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح للفرور بذلك وصدق به
وزاده ذلك غرورا وظن أن تركه الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك
لجل الناس بخباثات باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدائها بالقرائن ترى
أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفرصة لذة ولا يشترط حرصه
على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ما تقرب
التقربون إلى مثل أداء ما اقترضت عليهم ^(١) » وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد
ينعني على الإنسان فرضان : أحدهما يقوت والآخر لا يقوت ، أو فاضلان أحدهما يضيق وقته الآخر يتسع
وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن المعصية ظاهرة
والطاعة ظاهرة وإعنا الغامض تهديم بعض الطاعات على بعض كالتقديم للقرائن على النوافل وتقديم
فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لأقام به على ما قرأه غيره وتهديم الأهم

(١) حديث ما تقرب للتقربون إلى مثل أداء ما اقترضت عليهم ، البخاري من حديث أبي هريرة
بانقرب ما تقرب إلى عبدي .

يصل اثني عشرة ركعة
أو ثمان ركعات أو يزيد
على ذلك فإن في ذلك
فضلا كثيرا والله أعلم .
[الباب الثامن
والأربون في تفسير
قيام الليل]

قال الله تعالى - والذين
يتبنون لهم سجدا
وقياما - وقيل في تفسير
قوله تعالى - فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا
يعملون - كان عملهم
قيام الليل وقيل في
تفسير قوله تعالى
- استعينوا بالصبر
والصلاة - استعينوا
بصلاة الليل على عبادة
النفس ومصارعة البدو

من فروض الأعيان على مادونه وتهديم ما ينفوت على مالا ينفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيل : من أبر يا رسول الله . قال أمك ثم من قال أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك (١) فينبغي أن يبدأ في الصلاة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحق فإن استويا فبالأقرب والأورع وكذلك من لا يلقى ماله بنفقة الوالدين والحج فرما يحج وهو مفرور بل ينبغي أن يقدم قتهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد معاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تقوت والاشتغال بالوفاء بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة عذوبة وإبداؤها عذور . والحذر من الإيذاء أم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لاتحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مفرور ، وهذا غرور في هاية التموض لأن الضرورة في طاعة إلا أنه لا يظن لضرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أم منها ومن جعلته الاشتغال بالذهب والخلاف من الفتنة في حق من يقي عليه غفل من الطاعات والمأصبي الظاهرة والباطنة للتعلق بالجوارح والتمسك بالقلب لأن مقصود الفتنة معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجلالة ولذة البهاة وقهر الأقربان والتقدم عليهم يسمى عليه حق يفتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث للتصوفة وما أغلب الضرور عليهم والفترون منهم فرق كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزى والهيئة والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهب وهيشهم وفي أفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واسطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالنفسكر وفي تنفس الصمءاء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من التمالل والهيئة فلما تكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتبعوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يدعوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحرموا قط حو لها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتفانسون في الرغبة والفلس والحببة ويتحاسدون على التقير والتظهير ويعزق بعضهم أعراض بعض منها خالقه في شيء من غرضه . وعؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجكان والأبطال من القتاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان وقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتأقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فليست درعا وضعت على رأسها مغفرا وتعلت من رجز الأبطال أياتا وتعودت إيراد تلك الأيات بشماتهم حتى تسرت عليها وتعلت كيفية بختهم في الليدان وكيف تحريكهم الأبدى وتلققت جميع شملاتهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجكان فلما وصلت إلى المعسكر أغضت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر مأخذه وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجكان ليعرف قدر عنايتها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوزة ضيقة زمنة لاتتليق حمل المعرك والمغفر ؟ قتيل لها أجشت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتبليس عليهم

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصعبة .

وفي الخبر «عليكم قيام الليل فإنه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنها عن الأئمة وملفأة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى تقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الفداة بوضوء المشاء . منهم سعيد بن المسيب وقنبله بن عياض . ووهيب بن الورد . وأبو سليمان النخعي . وعلي بن بكار . وحبيب العجمي . وكهمس ابن المهدي . وأبو حازم . ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة . رحمه الله

خذوها فألقوها فقام الليل لسخفها فألقيت إلى القبيل فيكذبكون حاله المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم القطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى والرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في القنور إذ حق عليها الاقتداء بهم في بذاة الثياب والرضا بالذنوب فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيمهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا الرقعات النفيسة والقوط الرقيقة والسجادات الصنيفة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قبة من الحرير والإبريسم وظن أحدكم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم إنما لو نوا الثياب لثلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ، وإلما لبسوا الرقعات إذ كانت ثيابهم غخرة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد. فأما تقطيع القوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهو لا أظهر حماقة من كافة القنورين فانهم يقتنعون بنفيس الثياب ولديهم الأظعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشرف هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويطن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم للتشبهين وشرم. وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة اللقائات والأحوال وللإقامة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يصرِف هذه الأمور إلا بالأسامي والألقاب لأنه تلقف من ألقاب الطامات كلكت فهو يرددها ويطن أن ذلك أصل من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والقسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام، حتى إن الفلاح ليترك قلاحته والحائك يترك حياكته ويلزمهم أياما ممدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات الزغبة فيردها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحق بذلك جميع العباد والعلماء، فيقول في العباد إنهم أجراء متبعون، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محبوبيون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من القربين، وهو عند الله من الفجار الناققين، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراق قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه. وفرقة أخرى: وقست في الإباحة طوطوا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسوا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عمل فلم أتعب نفس. وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كفوا ما لا يمكن، وإنما يترتب من لم يجرب. وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال، ولا يلزم الأعمق أن الناس لم يكفوا قلع الشهوة والفتن من أصلها بل إنما كفوا قلع مادتها بحيث يتقادر كل واحد منهما لحكم العقل والشرع. وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب وقولنا والله يحب الله وواصله إلى معرفة الله وإنما غرض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عا كفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات والظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفضون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط وسواس يغدهم الشيطان بها للاشتغال بالمجاهدة قبل أحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم يطول.

تعالى وغيرهم نعيمهم
وسهام بأنسابهم
الشيخ أبو طالب الحكى
في كتابه قوت القلوب
فمن هجر عن ذلك
يستحب له قيام ثلثه أو
ثلثه وأقل الاستحباب
سدس الليل فلما أن
ينام ثلث الليل الأول
ويقوم نصفه وينام
سدس الآخر أو ينام
النصف الأول ويقوم
ثلثه أو ينام السدس .
روى أن داود عليه
السلام قال يارب إني
أحب أن أعبدك فأنى
وقت أقوم فأوحى الله
تعالى إليه : يا داود
لا تنم أول الليل ولا
آخره فانه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القاب وصار أحدهم يدعى للقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه القامات وشروطها وعلاماتها وأقانيها ، فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويؤمن أنه والله باله ولله قد تحيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة بما يكره الله عز وجل وعن إظهار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الحق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى الفناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تتقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فافهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب وائق به وما من مقام من اللقامات للنجات إلا وفيه غرور وقد اخترت به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع للتجبات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضمنت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الحاصل وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة ، ومنهم من أهل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري للسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال قط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا التقصد جميع الطاعات والماعي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفي ويحبه فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الحلق والتواضع والسماحة قصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكفلوا بخدمتهم وأخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإعما غرضهم التكبر وهم يظهرن الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرن أن غرضهم الارفاق وغرضهم الاستبغاب وهم يظهرن أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون علمهم لتكثير أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويؤمن أن غرضه البر والاشفاق وباعت جميعهم الربا والسمة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والافاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كن يصر مساجد الله فيطبخها بالعدرة ويؤمن أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يسمعون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفه خدعها علما وحرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالغوص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتنا فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والافتئات إلى كونه عيبا عيب ويشفقون فيه بكلمات مساهلة تصديق الأوقات في تلقاها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يشينه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه التيقوا بتدو واسلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تشموا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غرابها فتقيدت قلوبهم بالافتئات إليها والتشكر فيها وفي كيفية افتتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيدها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى الغصد وكان مثاله مثال من قصد مسلكا فرأى على باب مبداه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر إليها ويتمتع حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتفتوا إلى ما يرضي عليهم من الأنوار في

تخلو وأخلو بك
وارفع إلى حوائجك
ويكون القيام بين
نومتين وإلا فيضال
النفس من أول الليل
ويتنفل فإذا غلبه
النوم ينام فإذا اتبته
يتوضأ فيكون له
نومتان ونومتان
ويصكون ذلك من
أفضل ما يفعل ولا يصلي
وعنده نوم يشغله عن
الصلاة والتلاوة حتى
يسهل ما يقول ، وقد
ورد « لا تكابدوا الليل »
وقيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم إن فلانة
تصلي من الليل فإذا
غلبها النوم تعالت
عجل قبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
ذلك وقال « ليس
أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزية ولم يرجوا على الفرح بها والالفتات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القرية إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقوا وعاطوا فان لله تعالى سبعين حجاباً من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخباراً عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي - وليس المعنى به هذه الأجسام اللبنة فإنه كان يراها في الصغر ويسلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحداً والجهال يظنون أن الكوكب ليس بإله فثقل إبراهيم عليه السلام لا يخره الكوكب الذي لا يخر السوادية ، ولكن للراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طرق السالكين ولا تصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر الثبات الكوكب فاستمر له لقطه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمراً يفرق إليه ويقول قد وصلت فكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده قال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانعطاط عن ذروة الكمال قال لأحب الأولين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قديتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يفر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين المبدوء نفسه فانه أيضاً أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمسكة هي كالسائر لها فذاغ على نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلاً عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ للتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترامى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس مافي الزجاج بالزجاج كما قيل :

رق الزجاج ورق الحجر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قبح فكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فأروا إشراق نور الله قد تلاذقه فملطوا فيه كمن يرى كوكباً في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمديه إليه يأخذه وهو مغرور وأنواع الضرور في طريق السالك إلى الله تعالى لانحصر في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاتفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضاً كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضره إذ بورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه وما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجده للزخرف وصدق أيضاً بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله من عظم غروره ربما صر مكدباً بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل - الصنف الرابع : أرباب الأموال والمفترون منهم فرق

فاذا غلبه النوم قلنم

وقال عليه السلام :

ولا تشادوا هذا الدين

فانه متين فمن يشاده

بخله ولا تبغض إلى

نفسك عبادة الله

ولا يطق بالطالب ولا

ينبغي له أن يطلع الفجر

وهو نائم إلا أن يكون

قد سبق له في الليل

قيام طويل فيصير في

ذلك على أنه إذا استيقظ

قبل الفجر بساعة مع

قيام قليل سبق في

الليل يكون أفضل

من قيام طويل ثم

النوم إلى بعد طلوع

الفجر فإذا استيقظ

قبل الفجر يكثر

الاستغفار والتسبيح

ويشتم تلك الساعة وكما

يصل بالليل مجلس

قليل جداً بكل ركعتين

فرقة منهم : يحرمون على بناء للساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون
 أساميهم بالأجر عليها ليتخذ ذكرهم ويقي بعد لوت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك
 وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والتهب والرشا
 والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لخطأ الله في كسبها وتعرضوا لخطأها وكان الواجب عليهم
 الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى
 ملاكها إما بأعينها وإما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن التلاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان
 لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أم الصالح وربما يكون الأثم التفرقة على الساكنين وهم
 لا يعلمون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب
 الثناء وحرصهم على قائمها لبقاء أصنامهم للكتابة فيها لا لبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم
 الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على
 الوضع الذي اتفق عليه لثق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب
 ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افترق إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال
 من الحلال وأتقنت على الساجد وهي أيضاً مغرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما
 يكون في جواره أو بطلبه قراء وصرف المال إليهم أم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد
 وزيتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى
 زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب الصليين ومختلفة أفعالهم (١)
 والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يضد قلوب الصليين ويحبط أفعالهم بذلك ووبال
 ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يتر به ويرى أنه من الحيرات وبعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى
 وهو مع ذلك قد تعرض لخطأ الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمثل لأمره وقد شوش قلوب
 عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتبهون مثل ذلك في بيوتهم
 ويشتهون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك
 ابن دينار : أتى رجلان مسجداً فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه للمساكن عند
 الله صديقاً فهكذا يبنى أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلوث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على
 المسجد لأن يرى تلوث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى ، وقال الحواريون
 للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا
 المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يهاب بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة
 التي تعجبكم شيئاً وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يبر الله الأرض وبها يخرب إذا
 كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرقتم مساجدكم وحلثتم
 مصاحفكم فالدمار عليكم (٢) » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه
 جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا زخرفة ولا نقشه (٣) » فزهدوا من حيث

ويسبح ويستغفر
 ويصلي على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 فانه يحسد بذلك ترويحاً
 وقوة على القيام وقد
 كان بعض الصالحين
 يقول هي أول نومة فان
 اتبعت ثم عدت إلى
 نومة أخرى فلا أنام
 الله عني . وحكى
 لي بعض الفقهاء عن
 شيخ له أنه كان يأمر
 الأصحاب بنومة واحدة
 بالليل وأكلة واحدة
 لليوم واليلة . وقد
 جاء في الخبر « قم من
 الليل ولو قدر حلب
 هاة » وقيل يكون
 ذلك قدر أربع ركعات
 وقدر ركعتين . وقيل
 في تفسير قوله تعالى
 - تؤتي الملك من تشاء
 وتمنع الملك من تشاء -

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن
 الناس ولا تهم ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرقتم مساجدكم وحلثتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن
 المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفاً على أبي الدرداء (٣) حديث
 الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء
 ولا زخرفة ولا نقشه لم أجله .

إنه رأى للنكر واتسكل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحال للجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء المعروف ويكروهن التصديق في السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرضون على إيقاع اللال في الحج فيجبون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا وذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويسقط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسولين يهوي بأحدهم بغيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه وقال أبو نصر النخعي رجلان يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفي درهم قال بشر فأى شيء تبغى بجحك زهدا أو اشفاقا إلى البيت أو إجتفاء مرضاة الله قال إجتفاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتتقى ألفي درهم وتسكون على يقين من مرضاة الله تعالى أنعم لك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أشس مديون يقضى دينه وتقدير يرمم ماله ومغفل يغنى عياله ومري يقيم بفرحه وإن قوى قلبك تعطيا واحدا فأقل فان إدراك السرور على قلبك للسلم وإغاثة الهمهان وكشف الضر وإغاثة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام ثم فأخرجها كما أمرناك وإلا أقل لنا ماني قلبك فقال يابا نصر سفري أقوى في قلبي خبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له السال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تفضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل للتقوى . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالمعادات الدينية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كهيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل للهلاك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمع بإخراج السال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حبة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبع السككبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السككبين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الذي كثير الصوم والصلاة قال السككبين ترك حاله ودخل في حال غيره وإعسا حال هذا إطعام الطعام للجياح والالتحاق على الساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إتهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخرار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر من يستظهر بحشمه ليبال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا أو أمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإعسا ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس القور . وفرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك ينهيم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاعتباط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خيره والرغبة محمودة لأنها تبتث على العمل فان ضعف عن العمل فلا خير فيها وما يراذل غيره فاذا قصر عن الأداء إلى ذلك التفسير فلا قيمة له وربما يقرر بما يسمعه من الواقع من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كربة النساء فينكي ولا عزم ورع يسمع كلاما عذوفا فلا يزيد على أن يصفق يديه ويقول بإسلام سلم أو نمدو بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أدى بالخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن
حرم قيام الليل كلا
وقفوا في المزعجة
أو تهاونا به لقلة
الاعتساده بذلك
أو اغترارا بحاله فليكن
عليه فقد قطع عليه
طريق كبير من الخير
وقد يكون من أرباب
الأحوال من يكون له
لربوا إلى القرب ويجد
من دعة القرب ما يفت
عليه داعية الشوق
ويرى أن القيام وقوف
في مقام الشوق وهذا
يخلط فيه ويهلك به
خلق من الدعسين
والذي له ذلك ينفي
أن يسلم أن استمرار
هذه الحالة متمدر
والإنسان متعرض
للقصور والتخلف
والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجائع الذي يحضر عنده من
يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يثنى عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع
وصف الطاعات دون العمل بها لا يثنى من المشيئا فكل وعظم يغير منك صفة تغييرا يثير أفعالك حتى تقبل
على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته
وسيلة لك كنت مغرورا . فان قلت هذا ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن
الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إلا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات . فأقول
الإنسان إذا قرت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صبح منه الهوى
اعتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الإنسان إذا
أراد أن يستئزل الطير الملق في جو السماء مع بدنه منه استزله وإذا أراد أن يخرج الخوت من أعماق
البحار استخرجها وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو القضة من تحت الجبال استخرجها وإذا أراد أن
يقتنى الوحوش الملقطة في البراري والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظم
الحيوانات استسخرها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويحبسها أخذها واستخرج الدرياق
من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الديباج للون اللثقي من ورق التوت اتخذها وإذا أراد أن يعرف
مقادير السكاكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك
باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر القرس للركوب والسكب للسيد وسخر البازي لاقتناص الطيور
وهيا الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك
معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فجزع عن تقويم قلبه
وتخاذل وقال هذا حال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بحال لو أصبح وهمه هذا المهم الواحد بل هو
كما يقال • لو صح منك الهوى أرشدت للحيل • فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم
باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الحلق في
استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فان قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكررت في ذكر مداخل
الغرور فبم ينجو العبد من الغرور . فأعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور : بالعقل والعلم والعرفة فهذه ثلاثة أمور
لا بد منها . أما العقل فأعني به الفطرة الفريضة والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء
فالفطنة والسكينة فطرة الحق والبلادة فطرة والبلد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل
وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يفطر عليه الإنسان فاكتسبه بغيره يمكن . نعم إذا حصل
أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اثنتان ^(١) » إن الرجل ليسوى عملهما ورهما وصومهما
وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالنذرة في جنب أحد وما قسم الله خلقه حظا وهو أفضل من العقل
واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل « يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويعرج
ويشتم ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجناز وبين الضميف ولا يعلم
منزله عند الله يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزي على قدر عقله ^(٢) » وقال

من حال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وما استغنى عن قيام
الليل وقام حتى تورمت
قدماء وقد يقول بعض
من عجاج في ذلك إن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعل ذلك تشريعا
فأقول ما بالنا لا نتبع
تشريعه وهذه دقيقة
فصل أن رؤية الفضيلة
في ترك القيام وادعاء
الأيواء إلى جنب القرب
واستواء النوم واليقظة
امتلاء وإبتلاء حالي
وهو تقييد بالحال
وتحكيم للحال وتحكم
من الحال في العبد
والأنواء لا يتحكم فيهم
الحال ويصرفون الحال
في صور الأعمال فهم
متصرفون في الحال
لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية
طاوس مرسلا وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه نحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث
أبي الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه إنما يجزي على قدر عقله الخطيب
في التاريخ وفي أمعاء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي الدرداء.

أنس « أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله يقول من عبادته وفعله وخاقه فقال كيف عقله قال الأحق بصيب جمعة أعظم من مجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم (١) » وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا لوحا حسن قال ازجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ (٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالله كاه صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فإن قامت ببلادة وحاقة فلا تدارك لها . الثاني : العرفة وأعني بالعرف أن يعرف أربعة أمور : يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل ويكونه غريباً في هذا العالم وأجنبياً من هذه السموات البهيمية وإنما اللواقح له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا عالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعين على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح محائب القلب وكتاب التضرع وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله وعصم به التذلل على الجملة وكال للعرفة وراءه فإن هذا من علوم السكافة ولم نطلب في هذا الكتاب إلا في علوم العامة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرنا في كتاب دم الدنيا وكتاب ذكر اللوت ليتبين له أن لانسبة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله ومعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة فيها ويصيرهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصد منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة ومحت نيته واندفع عنه كل غرور منشوء تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو الفساد لنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الضرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والعلم بما يقرب به من الله وما يبعده عنه والعلم بأفان الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع العبادات شروطها وفروعها وآفاتنا فيتقها ومن ربيع العادات أسرار المعاش وما هو مضطر إليه فيأخذ بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع الهللكات يعلم جميع العقبات للامانة في طريق الله فان السامع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم للمذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات الحمودة التي لا بد وأن توضع خلفها عن المذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الضرور وأصل ذلك كله أن يشلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فان قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يغدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فان المراد الخلق إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصنرت الدنيا في عينه قتر كرها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق إلا هم

(١) حديث أنس أتني على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن الحبر في كتاب العقل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه .

فليعلم ذلك فلما رأينا من الأصحاب من كان في ذلك ثم انكشف له بتأييد الله تعالى أن ذلك وآتوف وقشور . قيل للحسن بن أبي سعيد إني أبيت معاني وأحب قيام الليل وأعدت طهورى لما يأتى لأتوم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد في نهارة ذنوباً تقيدته في ليله وقال النووي رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته قليل له ما كان الذنب قال رأيت رجلاً بكاءً فقلت في نفسي هذا مرء . وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يسكني فقلت ما بالك أتاك نسي بعض أهلك فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد هجر الشيطان عن إغوائه إذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد برحمته إلى العبد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صامعياء قد استولى عليهم للرؤى وهم لا يشعرون وقد دوا الطبيب وأشر فوألح المطب فقلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة للمعرفة بما بهديهم وبين لهم ضلالتهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومقنة وفروم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان بهدا عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير نجس ولا صب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرى وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدايا التار بعد شدة التلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر وأصاب لذة الصافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذ هم تلك الالة بيناهم وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارفع إلى السماء أنيهم فتذكر أن دواهم هو الذي يعرفه وقد رعى شفاهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد قسمة من نفسه في التراخي عن الاعتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الحق وقد مرضت قلوبهم وأعزل دأؤهم وقرب هلاكهم وإفهاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبت من ذات نفسه عزم جازم في الاعتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد عبدا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان جمالا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أخفى من ديب الخلق لا يشعر به إلا بعد فزل ذلك الديب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنفحات والحركات والتصنع في الزى والهيئة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويعجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شائبا لأدوائهم يحسن الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقربهم فأثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم غفدوه وقد موه في الحافل وحكوه على الملوك والسلاطين فنصد ذلك انتشار الطبع وانتاحت النفس وذاتت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحق معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم آلائها فنصد ذلك وجد الشيطان فرصة صوامدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك الالة وأمانة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجد من الضب بادر الشيطان فيقول إليه أن ذلك غضب قد لأنه إذا لم يحسن اعتقاد للردين فيه انطعموا عن طريق الله فوقع في الضرور فربما أخرجه ذلك إلى الوقعة فيمن رد عليه فوقع في التنية المحظورة بعد تركه الحلال للتسرع ووقع في السكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من ملواري الخطرات وكذلك إذا سبقه الضحك أوقت عن بعض الأوراد جرت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يغيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق يتكروا بما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما عجب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استشرت واستطلت الرياسة لكان يغتم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بر وتخطى رأس البئر بحجر كبير فنجسوا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشقى عليه فجاء من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونجاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لاهالة

أشد قلت وجمع يؤلك
قال أشد قلت وما ذلك
قال باني مغاق وسرى
مسبل ولم أقرأ حزبي
البارحة وماذا إلا
بذنب أحدثه . وقال
بعضهم : الاحتلام
عقوبة وهذا صحيح
لأن الراعي المتحفظ
بحسن تحفظه وعلمه
بحاله يقدر ويتمكن
من سد باب الاحتلام
ولا ينطرق الاحتلام
إلا على جاهل بحاله أو
مهمل حكم وقته وأدب
حاله ومن كل تحفظه
ورعايته وقيامه بأدب
حاله قد يكون من ذنبه
الوجب للاحتلام ووضع
الرأس على الوسادة إذا
كان ذاعزعة في ترك
الوسادة وقد يتمهد للنوم
ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فإن كان غرضه الناصح خلاص إخوانه للسلبين من النار فإذا ظهر من أماته أو كفاه ذلك لم يشغل عليه أرأيت لو اهتموا جميعهم من أنفسهم أكان يقبض أنه يشغل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهتموا بغيره فلم يشغل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فتعوق بالله من زينغ القلوب بعد الهدى ومن أعوجاج النفس بعد الاستواء . فإن قلت فلي يصح له أن يشغل بنفسه الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يهتد به أو لو اهتموا بأنفسهم وانقطع بالسلك طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده خدمهم وذمهم فلم يبال بدمهم إذا كان الله يعمده ولم يفرح بمحدم إذا لم يقترب به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات إلى الهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلمهم خيرا منه لجهله بالحائمة وأما إلى الهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب التزلف في قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه الهائم فلا يتزين لها ولا يصنع بل راعى للماشية إنما غرضه رعاية للماشية ودفع الذنب عنها دون نظر للماشية إليه فلما لم يرساير الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالى بها لاسلم من الاشتغال باصلاحهم، ثم ربما يصلحهم وليكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه . فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة خلعت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » (١) « ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايير وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا يزعج الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتكريمهم فلم يترك النصيح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات للمهلكة التي سيطر عليها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الحرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر للمعاصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن قارح القلب من حديث الناس فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد أو أشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فانما يهتدى أن يفسد طريق الاتصاف فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فان قلت فان علم للريد هذه للكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصيح أو نصيح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وجبال الاعتقار . فأعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأقلت مني بذلك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب فم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تخرج أحاديث الإحياء لمعاني الرقائي
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

الوسادة بحسن التوبة
من لا يكون ذلك ذنبه
وله فيه تيه للمون على
القيام وقد يكون ذلك
ذنباً بالنسبة إلى بعض
الناس فإذا كان هذا
القدر يصلح أن يكون
ذنباً جالباً للاحتلام
فقس على هذا ذنوب
الأحوال فانها تختص
بأربابها ويسرفها
أصحابها وقد يرتفق
بأنواع الرفق من
القساوى الوطىء
والوسادة ولا يعاقب
بالاحتلام وغيره على
فعله إذا كان عالما بذنوبه
يعرف مداخل الأمور
وعنازجها وكمن من
نائم يسبق القاتم لو فر
علمه وحسن نيته وفي
الحبر « إذا نام الصبد

عليك لما أصرك وما أعظم عند الله قدرك ومجلك إذ قواك على قهرى ومكنك من التفتن لجميع
مداخل غرورى فيمنى إليه ويسدقه ويجب بنفسه في قراره من التورور كله فيكون إجماعه بنفسه
غاية التورور وهو الهلاك الأكبر فالسبب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت
أنك بملك تخلصت مني فيجعله قد وقعت في حبالى . فان قلت فلو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك
من الله تعالى لامنه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا يتوفى الله ومعونه ومن عرف ضعف
نفسه وهجره عن أقل التليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله
تعالى لما ألقى يخاف عليه بعد نفي السبب ، فأقول : يخاف عليه التورور بفضل الله والثقة بكرمه
والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في السبيل ولا يخاف من الفترة ولا انقلاب فيكون
حاله الاتسكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر
جدا بل سيئه أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والفتات إلى عز وهو غافل عنه ويكون
خائفا أن يسلب حاله في كل طريقة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الحاتمة وهذا خطر
لا يحصى عنه وخوف لا نهاية منه إلا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء
في قبة الزرع وكان قد بقي له نفس فقال أقلت منى يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكي
إلا المالمون والمالمون كلهم هلكي إلا المالمون والعالمون كلهم هلكي إلا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم فاذن التورور هالك والمخلص القار من التورور على خطر فذلك لا ينفارق الخوف
والخدر قلوب أولياء الله أبدا .

فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الحاتمة ، فان الأمور بخواتمها .

ثم كتاب ذم التورور وبه تم ربيع للهالكات ، وتلوه في أول ربيع للتجيات كتاب التوبة
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

هذا الشيطان على رأسه
ثلاث عقد فان قدم
وذكر الله تعالى انحلت
عقدة وإن نوحا انحلت
عقدة أخرى وإن صلى
ركعتين انحلت العقد
كلها فأصبح لشيطا
طيب النفس ولا
أصبح كسلان خبيث
النفس « وفي خبر آخر
« إن من نام حتى يصبح
بال الشيطان في أذنه »
والذى يحل قيام الليل
كثرة الاهتمام بأمور
الدنيا وكثرة اشتغال
الدنيا وإصابة الجوارح
والإملاء من الطعام
وكثرة الحديث والنحو
والانطراح في القيلولة
والوقوف من بتمت وقته
وعرف دأبه ودوامه
ولا يحمل فيحمل .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين
ويليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

صفحة	صفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع للهلكات
الرياضة	٣
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو للراديهة الأسامي
على الجلة	٥
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
٦٢	٧ يان خاصية قلب الانسان
٦٣	١٠ يان بجامع أوصاف القلب وأمثله
٦٤	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٥	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينية والأخرية
٦٦	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار
٦٧	١٩ يان الفرق بين القامين بمثل محسوس
٦٨	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم ولامن الطريق للمتاد
٦٩	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وحجب غلبتها
٧٠	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٧١	٣٩ يان ما يؤخذ به العبد من وسواس القلوب ومهما وخواطرها وقصودها وما يفي عنه ولا يؤخذ به
٧٢	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن يقطع بالكيفية عند الله كذا أم لا
٧٣	٤٤ يان سرعة قلب القلب وانقسام القلوب في التثير والتثبات
٧٤	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربيع للهلكات
٧٥	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق ومنتهى سوء الخلق
٧٦	
٧٧	
٧٨	
٧٩	
٨٠	
٨١	
٨٢	
٨٣	
٨٤	
٨٥	
٨٦	
٨٧	
٨٨	
٨٩	
٩٠	
٩١	
٩٢	
٩٣	
٩٤	
٩٥	
٩٦	
٩٧	
٩٨	
٩٩	
١٠٠	
١٠١	
١٠٢	
١٠٣	
١٠٤	
١٠٥	
١٠٦	
١٠٧	
١٠٨	
١٠٩	
١١٠	
١١١	
١١٢	
١١٣	
١١٤	
١١٥	
١١٦	
١١٧	
١١٨	
١١٩	
١٢٠	
١٢١	
١٢٢	
١٢٣	
١٢٤	
١٢٥	
١٢٦	
١٢٧	
١٢٨	
١٢٩	
١٣٠	
١٣١	
١٣٢	
١٣٣	
١٣٤	
١٣٥	
١٣٦	
١٣٧	
١٣٨	
١٣٩	
١٤٠	
١٤١	
١٤٢	
١٤٣	
١٤٤	
١٤٥	
١٤٦	
١٤٧	
١٤٨	
١٤٩	
١٥٠	
١٥١	
١٥٢	
١٥٣	
١٥٤	
١٥٥	
١٥٦	
١٥٧	
١٥٨	
١٥٩	
١٦٠	
١٦١	
١٦٢	
١٦٣	
١٦٤	
١٦٥	
١٦٦	
١٦٧	
١٦٨	
١٦٩	
١٧٠	
١٧١	
١٧٢	
١٧٣	
١٧٤	
١٧٥	
١٧٦	
١٧٧	
١٧٨	
١٧٩	
١٨٠	
١٨١	
١٨٢	
١٨٣	
١٨٤	
١٨٥	
١٨٦	
١٨٧	
١٨٨	
١٨٩	
١٩٠	
١٩١	
١٩٢	
١٩٣	
١٩٤	
١٩٥	
١٩٦	
١٩٧	
١٩٨	
١٩٩	
٢٠٠	

صفحة	مفحة
١٥٤	١٠٤ (كتاب آفات اللسان)
١٥٦	وهو الكتاب الرابع من ربيع للمهلكات
١٥٧	١٠٥ بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٥٨	١٠٨ الآفة الأولى من آفات اللسان الكلام
	فما لا ينجيك
١٥٩	١١١ الآفة الثانية فضول الكلام
	١١٢ الآفة الثالثة الخوض في الباطل
	١١٣ الآفة الرابعة للمراء والجدال
	١١٥ الآفة الخامسة المحسومة
	١١٦ الآفة السادسة التعمير في الكلام بالتشديق
	وتكلف السجع والفصاحة الخ
	١١٧ الآفة السابعة القبح والسب وبداة
	اللسان
	١١٩ الآفة الثامنة اللعن
	١٢٣ الآفة التاسعة التناء والشر
	١٢٤ الآفة العاشرة الزناح
	١٢٨ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
	الآفة الثانية عشرة إفشاء السر
	١٢٩ الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
	١٣٠ الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول
	واليمين
	١٣٤ بيان ما رخص فيه من الكذب
	١٣٦ بيان الحذر من الكذب بالمعارض
	١٣٨ الآفة الخامسة عشرة التية
	١٤٠ بيان معنى التية وحدودها
	١٤٢ بيان أن التية لا تقتصر على اللسان
	١٤٣ بيان الأسباب الباعثة على التية
	١٤٥ بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن التية
	١٤٧ بيان تحريم التية بالقلب
	١٤٨ بيان الأعداء للرخصة في التية
	١٥٠ بيان كفاة التية
	١٥١ الآفة السادسة عشرة التيمة
	١٥٢ بيان حد التيمة وما يجب في ردها
١٥٤	الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين
١٥٦	الآفة الثامنة عشرة اللع
١٥٧	بيان ما على المدوح
١٥٨	الآفة التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق
	الخطأ في لغوى الكلام
١٥٩	الآفة العشرون سؤال النوام عن صفات
	الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ
١٦٠	(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)
	وهو الكتاب الخامس من ربيع للمهلكات
١٦١	بيان ذم الغضب
١٦٣	بيان حقيقة الغضب
١٦٥	بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله
	بالرياضة أم لا
٢٦٨	بيان الأسباب للهيبة للغضب
١٦٩	بيان علاج الغضب بعد هييجانه
١٧١	بيان فضيلة كظم الغيظ
١٧٢	بيان فضيلة الحلم
١٧٥	بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي
	به من الكلام
١٧٧	القول في معنى الحقد وتناجحه وفضيلة
	العفو والرفق
١٧٧	فضيلة العفو والاحسان
١٨١	فضيلة الرفق
١٨٣	القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأسبابه
	ومعالجته وغاية الواجب في إزالته
	بيان ذم الحسد
١٨٥	بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه
١٨٨	بيان أسباب الحسد وللنافسة
١٩٠	بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال
	والأقربان والإخوة وبني الم والأقارب
	وتأكده وقتله في غيرهم وضعفه
١٩٢	بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن
	القلب

صفحة	صفحة
٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)	١٩٥ بيان القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب
وهو الصكتاب الثامن من ربع للهلكات وفيه شطران	١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)
٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة	وهو الصكتاب السادس من ربع للهلكات
وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول	١٩٧ بيان ذم الدنيا
بيان ذم الشهرة واقتدار الصيت	٢٠٦ بيان المواظ في ذم الدنيا وصفها
٢٧٠ بيان فضيلة الخمول	٢٠٩ بيان صفة الدنيا بالأمثلة
٢٧١ بيان ذم حب الجاه	٢١٤ بيان حقيقة الدنيا وماهيته في حق العبد
٢٧٢ بيان معنى الجاه وحقيقته	٢١٩ بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها
٢٧٣ بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع	التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم
حق لا يغلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة	٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)
٢٧٦ بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقيقة له	وهو الصكتاب السابع من ربع للهلكات
٢٧٨ بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم	٢٢٦ بيان ذم المال وكراهة حبه
٢٧٩ بيان السبب في حب اللذخ والتناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه	٢٢٨ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم
وبعضها للدم ونفرتها منه	٢٣٠ بيان تفضيل آفات المال وفوائده
٢٨٠ بيان علاج حب الجاه	٢٣٢ بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
٢٨١ بيان وجه العلاج لحب اللذخ وكراهة الدم	والياس مما في أيدي الناس
٢٨٣ بيان علاج كراهة الدم	٢٣٥ بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكسب به صفة القناعة
٢٨٤ بيان اختلاف أحوال الناس في اللذخ والذم	٢٣٧ بيان فضيلة السخاء
٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه	٢٤٢ حكايات الأسخياء
وللسخرة بالعادات وهو الرياء وفيه	٢٤٧ بيان ذم البخل
بيان ذم الرياء إلى آخره	٢٥٠ حكايات البخل
٢٨٦ بيان ذم الرياء	٢٥١ بيان الإيثار وفنائه
٢٩٠ بيان حقيقة الرياء وما يرامى به	٢٥٣ بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
٢٩٣ بيان درجات الرياء	٢٥٥ بيان علاج البخل
٢٩٧ بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من ديب الخلق	٢٥٧ بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله
٢٩٩ بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والخلق ، وما لا يحبط	٢٥٨ بيان ذم التني ومدح التقفر
٣٠٢ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه	

صفحة	منجى
٣٤٤	٣٠٨ يان الرخصة في قصد إظهار الطاعات
فيه أثر التواضع والكبر	٣١١ يان الرخصة في كتمان الذنوب وكرهه
٣٤٨ يان الطريق في معالجة الكبر	اطلاع الناس عليه وكرهه ذمهم له
واكتساب التواضع له	٣١٣ يان ترك الطاعات خوفا من الرياء
٣٥٨ يان غاية الرياضة في خلق التواضع	ودخول الآفات
الشرط الثاني من الكتاب في العجب	٣٢٠ يان ما يصح من نشاط البدن للعبادة
وفيه يان ذم العجب وآفاته الخ	بسبب رؤية الحق وملايصح
يان ذم العجب وآفاته	٣٢٣ يان ما ينبغي للريد أن يلزم نفسه قبل
٣٥٩ يان آفة العجب	العمل وبه وفيه
٣٦٠ يان حقيقة العجب والإدلال وحدها	٣٢٦ (كتاب ذم الكبر والمعجب)
يان علاج العجب على الجملة	وهو الكتاب التاسع من ربيع الهلكات
٣٦٣ يان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه	وفيه شطران
٣٦٧ (كتاب ذم الغرور)	٣٢٧ الشرط الأول من الكتاب في الكبر
وهو الكتاب العاشر من ربيع الهلكات	وفيه يان ذم الكبر الخ
٣٦٨ يان ذم الغرور وحقيقته وأمثله	يان ذم الكبر
٣٧٦ يان أصناف للغرور وقسام فرق كل	٣٢٩ يان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر
صنف وهم أربعة أصناف	في الشئ وجرت الثياب
الصنف الأول أهل العلم والمفترون	٣٣٠ يان فضيلة التواضع
منهم فرق	٣٣٤ يان حقيقة الكبر وآفته
٣٨٩ الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل	٣٣٦ يان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه
والمفترون منهم فرق كثيرة الخ	ونجرات التكبر فيه
٣٩٢ الصنف الثالث للتصوفة والمفترون منهم	٣٣٨ يان ما به التكبر
فرق كثيرة الخ	٣٤٣ يان البواعث على التكبر وأسبابه
٣٩٥ الصنف الرابع أرباب الأموال والمفترون	للهجة له
منهم فرق الخ	

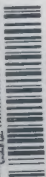
[نعت]

فهرس

بقية عوارف المعارف للسهروردي التي بالمعاش

صفحة	صفحة
٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	٢ الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار	١١٠ الباب الحادي والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥ الباب الحادي والأربعون في آداب الصوم ومهامه	١٢٣ الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب
٢٧٨ الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من الصلحة والفسدة	١٣٩ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراؤه
٣١٥ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصد فيه	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣ الباب السادس في ذكر الأسباب للعينة على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر عايتها
٣٧٠ الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١ الباب الثامن والأربعون في تحميم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسراؤها

Bibliotheca Alexandrina



0706888